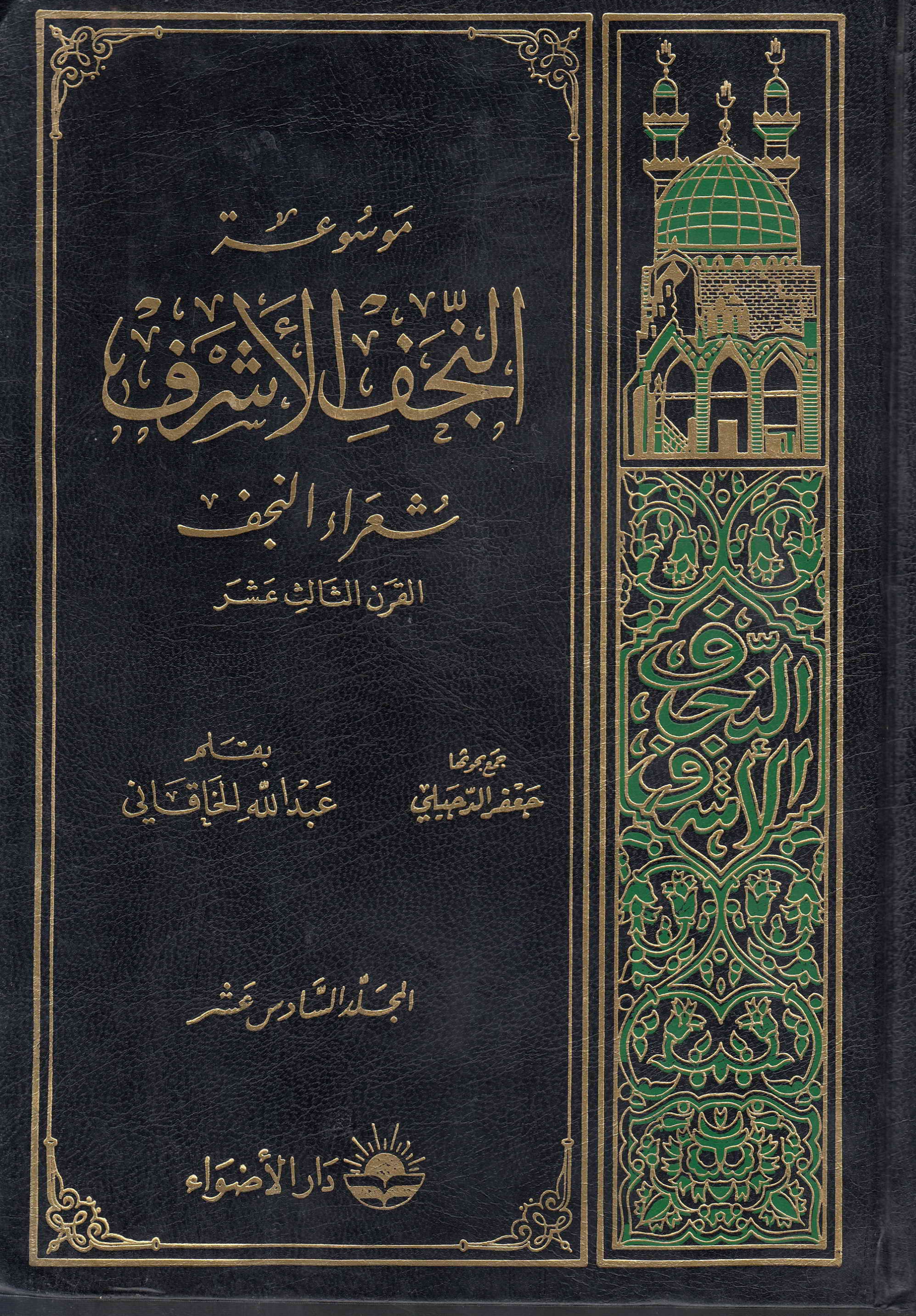
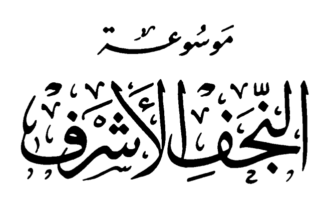

موسوعة
النجف الأشرف
شعراء النجف
القرن الثالث عشر
جمع وتحقيق
جعفر الدجيلي
بقلم
عبد الله الخاقاني
المجلد السادس عشر
دار الأضواء
النجف الأشرف


موسوعة
النجف الأشرف

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م



للطباعة والنشر والتوزيع
ت: ٢٧٠٨٧٣ - ٢٧١٧٨٨ - ف: ٢٧١٦٨٥
ص.ب: ٢٥/٤٠ غبيري - بيروت - لبنان

موسوعة

النجف الأشرف

شعراء النجف

القرن الثالث عشر

جمع بحوثها..
جعفر الدجيلي

بقلم
عبد الله الخاقاني

الجزء السادس عشر



بسم الله الرحمن الرحيم

القارئ الكريم . .

يرجى ملاحظة أن هذا الجزء يؤرخ للشعر النجفي من سنة ١٢٢٠هـ حتى نهاية القرن . وقد سبقت الإشارة في الجزء الأول إلى أنه تضمن ذكر الشعراء الذين توفاهم الله تعالى حتى السنة المذكورة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الشعر العربي في النجف الأشرف في القرن الثالث عشر الهجري

عوامل ازدهار الشعر:

يُلاحظ الدارس لتاريخ الأدب النجفي أنّ القرن الثالث عشر يمثل البداية الحقيقيّة لمدرسة الأدب النجفي والشعر منه على وجه الخصوص. فقد اتسعت دائرته اتساعاً كبيراً، كمّاً ونوعاً، وهيَّأت الظروف لبروز ملامح خاصة بهذا الأدب والشعر (النجفي) ظل ملازماً لَهُ مع تقدم الزمن، أعني بذلك القرن الرابع عشر وهذا القرن كذلك.

لَقَدْ ورث هذا القرن عن القرون السابقة شغفها بالأدب والشعر، والميراث الأدبيّ الذي تركه أدباء تلك القرون وشعراؤها، وها هو يواصل المسيرة الأدبية، ولكن بتركيز أكبر ونشاطٍ أكثر بروزاً.

لعلّنا هنا نتساءل عن أسباب ازدهار الشعر في هذا القرن بشكل واضح وكبير، لا قياساً على ما كان عليه في القرون السابقة فحسب، بَلْ قياساً إلى أدب الاقطار الاسلامية جميعاً في هذا القرن، وبخاصة مدن العراق كالحلة وكربلاء وغيرهما.

ولعلّ في دراسة الظروف العامة ما يعين على تفهّم هذا الموضوع، فقد انتجت عوامل عدّة أسهمتْ في إثراء الذائقة الشعرية في النجف، ومن ثمّ فقد ساهمت في نشاط الحركة الأدبية فيها، ولعلّ العوامل الآتية هي الأبرز في تفسير نشاط الحياة الأدبية في النجف:

العامل الأول ـ المرجعية الدينية:

كانت المرجعية الدينيّة في القرون السابقة موزعة بين النجف وكربلاء والحلة، وفي هذا القرن تركّزت المرجعية الدينية في النجف، بعد وفاة الوحيد البهبهاني في كربلاء، وممارسة علماء النجف مهام قيادة الأمة وأعني على وجه التحديد: السيد بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ محمد بن يوسف محي الدين (الجامعي) والشيخ حسين نجف، فإن المرجعية (العامة) والدرس العلميّ الذي هو السبب في ترسيخ المفهوم المرجعيّ قَدْ ترسّخ في النجف الأشرف منذ ذلك الحين وإلى عصرنا الحاضر، سوى بعض السنوات القليلة التي هاجر فيها المجدد الشيرازي إلى سامراء أو أثناء زعامة الميرزا محمد تقي الشيرازي الذي كان يسكن كربلاء المقدسة، وإلاّ فإن الحوزة العلمية في النجف قَدْ استقلّت بمهمة الزعامة الدينية، وهذا يعني جملة أمور، ومن بينها كثرة الطلاب المهاجرين إليها لغرض تَحصيل العلوم الإسلامية، وتركز الجهد والنشاط العلميّ فيها، ومن ذلك بطبيعة الحال النشاط اللغويّ والأدبيّ، فضلاً عن النشاط الاجتماعي الذي يتركز مع وجود الاساتذة العظام من علماء الحوزات العلمية. على أننا هنا نلمح أمراً مهماً وهو ان هذه المرجعيات أو الزعامات الدينيّة في مطلع هذا القرن كانت شخصيات أدبيّة، فهم أُدباء وشعراء كما هم علماء وفقهاء، ولهذا أثره الواضح في دعم الحركة الأدبية.

ويتركز الأمر أكثر حينما لا يقف نشاط هذه المرجعيات الدينية المعظمة عند حدود تعاطي الشعر على طريقة الفقهاء، بَلْ نراهم بأنفسهم يسعون إلى إيجاد حالة أدبية مزدهرة، فيقيمون الندوات الأدبية ويكونون بشخوصهم الجليلة وأدبهم وشعرهم جزءاً أساسياً منها، ولا أدلّ على ذلك من معركة الخميس التي اشترك فيها أعاظم الفقه والأدب، والتي أتَتْ أكلها لما أحدثته من نشاطٍ أدبيّ في عموم هذا القرن والذي تلاه.

على أن الأمر لمْ يقتصر عند حدود ندوة الخميس أو معركة الخميس كما سُمّيَتْ، بَلْ هنالك ندوات وسجالات أدبية غيرها في هذا القرن،

كالندوة البلاغية التي عقدت في سنة ١٢٦٥هـ ، وحضرها جملة من علماء وأدباء النجف الأشرف ، كما أن هناك ندوات أخرى أسهم مثلاً الشاعر محمد رضا الفحام في تكوين اثنتين منها .

هذه الندوات الأدبية التي كانت تجد من أيام (التعطيل) أي الايام التي تعطّل فيهَا الدراسة العلمية في النجف ، خصوصاً يوم الخميس ، وأيام شهر رمضان وغيرها مجالاً حيوياً رحباً ، ساهمت إلى حدّ كبير جداً في إزدهار الحركة الأدبية في النجف . وإذا ما أضفنا إلى ذلك المناسبات العديدة الاجتماعية والدينية التي كانت سائدة في النجف الأشرف ، علمنا الظروف المشجعة على إزدهار الأدب والشعر فيها ، وعليه ؛ فإن وجود الزعامة الدينية في النجف ومساهمتها في تفعيل الواقع الثقافي والعلمي عموماً ومنه الشعر والأدب ، وانتشار ظاهرة الندوات والمجالس الأدبية كانا عاملين مهمّين من عوامل ازدهار الشعر وتطوّره وكثرته في هذا القرن ، القرن الثالث عشر الهجري .

على أن الأمر الذي نودّ الإشارة إليه هو أن هذا النشاط لم يقتصر على علماء الطائفة المشار إليهم في أوائل هذا القرن ، بَلْ يستمر الأمر إلى نهايته وما يليه ، ونلاحظ هنا تكون أسر أدبية وشعرية ، كما هو الحال في تكون الأسر العلمية ، ومن تلك الأسر الأدبية مثلاً : آل العطار وآل قفطان وآل الفحام وآل النحوي وآل محي الدين وآل القزويني وآل الظالمي وآل شكر وآل صادق ، وَقَدْ أسهمت الأسر العلمية الأخرى في وجود (سلالات) شعرية وفي مقدمتها آل كاشف الغطاء وآل بحر العلوم وغيرهما ، فهذه الأسر أسر علمية وأدبية في الوقت نفسه استمرت صفة الشعر فيها دون انقطاع عبر أجيالٍ من الزمن ، كما استمرت صفة العلم والفقاهة فيها .

إن وجود الحوزة العلمية في النجف الأشرف يعني ـ من جانب آخر ـ أنها أصبحت محط رحال عشاق الفضيلة والعلم من أقطار الأمّة الإسلامية ، ولقد كان لهؤلاء أثرٌ في الحياة الشعرية ، كما كان لهم أثرٌ مهمٌّ في الحياة العلميّة بلّ والاجتماعية كذلك ، فمن الهند إلى إيران إلى الجزيرة وأطرافها إلى بلاد الشام عموماً وعاملة منها خصوصاً ، فضلاً عن مدن العراق

الأخرى . كانت في النجف رجالات ، ومن ثمَّ أُسرٌ ، أسهموا في تشكيل ملامح الصورة الأدبية في النجف الأشرف ، وهذا الأمر لا تتوفر عليه سوى النجف وسوى بعض عواصم الدنيا التي تزدهر فيها الحياة العلمية والأدبية ، وتكون مركزاً من مراكز الدولة والحكم ، وإذا ما كانت النجف بعيدةً ـ ظاهراً ـ أو مبعدةً عن مركز الحكم ، فإنها بذلك تكون قد احتفظت بخصُوصية مهمة لها ، وهي كونها عاصمة العلم والأدب والشعر دون منازع .

العامل الثاني ـ الأحداث العامة:

هنالك أحداثٌ عامة عَصَفَتْ بالنجف الأشرف في هذا القرن ، وكاد بعضها يقضي على النجف لولا عناية المولى سبحانه وتعالى . وَقَدْ أسهمت هذه الأحداث ـ على ألمها وفواجعها ـ في ازدهار الحياة الشعرية ، وكانتْ مادّةً مهمة من مواد الكتابة الشعرية ، حيث أُنْشئتْ في مضامينها القصائد الكثيرة والمهمة ، التي سجّلت لنا واقع النجف الأشرف آنذاك ومشاعر المجتمع فيه ، كما عبرت عن رؤية الشعراء لتلك الاحداث وكيفية تعاطيهم معها ومن تلك الأحداث المهمة حملات الوهابية العسكرية على المراقد المقدّسة والمجتمع العراقي ، فما إنْ استتب الأمر أو كاد لأصحاب الدعوة الوهابية في الحجاز وما والاها بحد السيف ، متخذين من فتاوى محمد بن عبد الوهاب ذريعة لسلّ أسيافهم على المسلمين بقيادة (آل سعود) ، حتى وجّهوا بأسلحتهم الهمجية صوب المجتمع العراقي ، وتوجهوا نحو أطراف البادية العراقية يعيثون فيها فساداً من سفك دماء ونهب أموال ، ثمّ عقدوا العزم على تحطيم العراق من خلال مراكزه العلمية في كربلاء والنجف ، وقد تعرضت كربلاء إلى حملاتهم الدامية تلك عدة مرات .

ومن ثمَّ توجهوا نحو النجف الأشرف في عدّة حملات باءت جميعها بالفشل ، وقد أظهر النجفيون بسالةً عظيمة في التصدّي لهذه الحملات الطائفية المحمومة ، خصوصاً تلك التي كانت على عهد شيخ المسلمين في عهده الشيخ جعفر الكبير ، الذي عمل كل ما باستطاعته لردّ هذه الأعمال

الهمجية عن العراق والنجف وسائر المسلمين ، بدءاً من فتحه الحوار العلميّ مع ابن سعود . وانتهاءاً بقيامه بعمل عسكري دفاعيّ عن النجف الأشرف ، التي حرسها الله تعالى ببركة مولانا أمير المؤمنين من عدوان هذه الفئة الباغية الضالة .

لقد تعـرّضت النجف في السنوات (١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ١٢٢٥ هـ) إلى حملات عدة باءت ولله الحمد كلها بالفشل ، وقد شكلت هذه الحملات مضامين قصائد عديدة قيلتْ في هذه المناسبات سنأتي على ذكر بعضها .

كما أن هناك أحداثاً أُخرى كبيرة تعرّضت لها النجف الأشرف ودفع الله عن النجف بلاءَها ، وأشدّها بعد أحداث الوهابي على أهالي النجف هي حادثة عزم قوات العثمانيين على التوجه إلى تدمير النجف بعد تدمير كربلاء فيما يعرف بـ«غدير دم» حيث قتل الآلاف من أهالي كربلاء وزوّار الإمام الحسين «ع» على يد الأتراك ، لا لشيء إلاّ لأحقادهم الطائفية على الإسلام والمسلمين من أتباع مدرسة أهل البيت ، غير أن الله تعالى ألهم الشيخ حسن نجل الشيخ جعفر الكبير بأنْ يقوم بدور تاريخيٍّ مهمٍّ ، فيحتوي هذه الأزمة التي لو قدّر للعثمانيين الاستمرار فيها لعاثوا في بقايا مدن العراق فساداً وتدميراً ، كما فعلوا بأهالي كربلاء وزوار سيد الشهداء «ع» . وقد حرّك هذا الحدث ـ الذي سردناه في ترجمة الشيخ حسن كاشف الغطاء ـ قرائح الشعراء .

ومن الأحداث المهمة التي تعرض لها الوطن ، وكان للشيخ موسى نجل الشيخ كاشف الغطاء دورٌ تاريخيّ مهم فيها ، هو الصراع الذي قام بين جيوش الصفويين والعثمانيين ، إذْ حاولت جيوش الصفويين احتلال بغداد ومن ثمّ غيرها ، ومقارعة العثمانيين الذين يبدو أنهم كانوا يعانون ضعفاً وعجزاً لحدٍّ ما من مواجهة الصفويين ، وإذا بالشيخ موسى يتدخل لحماية بغداد وسائر بلاد العراق من نتائج ذلك الصراع المدمّر ، ويقيم صلحاً بين الدولتين فيتم الأمان بعد أحداث قاسية ومؤلمة ، أخذت ـ وللأسف ـ طابعاً طائفياً محموماً ، فكان تدخل الشيخ فيها تدخل عالم الإسلام الذي يمارس دوره لحماية المجتمع ، لَقَدْ سعى إلى حمايتهِ من كل ما يدمّر كيانَهُ ويحطم

عزّته ويفتِّتُ بنيانه . ولهذا المسعى المهم سُمِّيَ الشيخ موسى باسم «مصلح الدولتين» وَقَدْ أطنب الشعراء في مدح الشيخ وفي مدح موقفه هذا .

هذه الأحداث التي ذكرناها والتي لها طابع سياسيّ ، أثارت قرائح الشعراء فنظموا فيها قصائدهم العديدة ، كما أنّ هناك أحداثاً أُخرى أثرت في حياة المجتمع النجفي ، وكانت سبباً في نظم العديد من القصائد ، ومن تلك الأحداث فجائع مرض الطاعون الذي هزّ الحياة النجفيّة هزاً كبيراً ، والذي حدث في النجف في ثلاث مرات في هذا القرن ، في السنوات : ١٢٠٣ ـ ١٢٤٧ ـ ١٢٩٨هـ وكان بعض هذه الأمراض يمتد مدّة طويلة ولعدة سنوات ، وكان بعضها قد أتى على أُسرٍ علمية كاملة ، وأطفأ كل أنوارها مثل : آل خنفر وآل قفطان وغيرهم ، فضلاً عن كثرة من أفناهم من أبناء الأسر العلمية وسائر الناس . وقد نظمت في ذلك قصائد شجيّة ستقرؤها في طيات هذا الكتاب .

ومن الأحداث الكبيرة التي ربما أثرتْ على المجتمع النجفي أكثر من كل الأحداث السابقة لما بَثَّتْ من حالة الرعب والفزع في نفوس الناس ، ولما أحدثت من شرخ عميق في نفوس النجفيين ، بسبب انقسام الناس إلى فريقين متحاربين ، أحدهما سُمِّي باسم «الزكَرت» والآخر باسم «الشمرت» ، وكان ذلك في بدايات هذا القرن وعلى عهد الشيخ جعفر الكبير ، وقد عرضنا له في بعض مباحث هذا الكتاب .

إن أحداث الشمرت والزكرت التي حدثت في هذا القرن واستمرت إلى عشرات السنوات تهدأ وتثور بين حين وآخر ، كانت بدايتها في عام ١٢٢٨هـ واستمرّت حتى عام ١٣٢٣ هـ ، أي لمدة ٩٥ سنة ، راح ضحيتها أناسٌ كثيرون ، ولم يَسْلَمْ من شرها أحدٌ في النجف الأشرف ، ومن جملة من قتل فيها علماء وطلبة علوم الدين في النجف الأشرف فضلاً عمن سواهم من سائر الناس ومن أنصار الفرقتين وفي بعض الكتابات صور حية عن تلك المآسي التي زلزلت الحياة الاجتماعية في النجف ، وقَدْ كان الشعر من وسائل التعبير عن تلك الأحداث ومن مصادر تسجيلها .

هذه الأحداث الخارجية والداخلية التي عصفتْ بالنجف الأشرف وبكيانها العلميّ والاجتماعيّ سبَّبت هجرة الكثير من الناس، كما تسببت في ضياع جهود كثيرة، وحينما تفقد المدينة الأمان، فإنّ كل شيء يبدو معرّضاً للفناء، ولولا رسوخ الحوزة العلمية في هذه المدينة وتمسك الصالحين من أبنائها بأرضهم لتغير الكثير من ملامحها وسماتها.

ثمَّ بعد كل ذلك هناك أحداث أخرى، تخصّ الدائرة الأخص، أعني بذلك الدائرة الدينية في النجف، وهي الأحداث المصاحبة لدعوة أنصار (الشيخيّة) وأنصار (الاخبارية)، وبالرغم من أن النشاط الأساسيّ لهاتين الحركتين كان في كربلاء، إلاّ أن النجف بوصفها المسؤولة الأولى عن الشأن الدينيّ، تصدّت بكل ما أوتيت من قوّة ونفوذ لصدّ أمواج هاذين الاتجاهين، وقد حدثَتْ أمور يؤسف لها، إذْ خرج الأمر عن حدود البحث العلميّ إلى منازعات اجتماعية وَصَلَتْ حد التفسيق والتكفير وما إليهما، حتى أن زعيم التيّار الإخباري الميرزا محمد الاخباري قُتل بفتاوى بعض الفقهاء، لما أثاره من خلاف حادٍّ حول جملة من المسائل، ولما أثاره أو أُثير حوله من أُمور معروفة، وهكذا نشط من كل هذه الاتجاهات شعراء يؤيّدون هذا أو ذاك ويعرّضون بهذا أو ذاك، بشكل صريح أوْ غير صريح، وربما وقفنا في كتابنا هذا عند بعض النماذج الشعرية، وفصلنا أحياناً القول في أسبابها وخلفيّاتها، فلا نرى ضرورة لإثباتها هنا، ولأنّها على كل حال أمور مؤلمة، أفقدت الأمة الكثير من طاقاتها، وفرّطت بالكثير من كرامتها، ولعلّ هذه النتائج المؤلمة هي نفسها الاسباب التي حرّكت مَنْ تحرّك لشقّ صفوف الأمة الواحدة وأثار فيها الإضطراب.

أما البابيّة فإنها وإن كانت خارج النجف، في إيران وغيرها، فإنها لمْ تكن بعيدة عن ألسنة الشعراء النجفيين، لاسيما في بعض الأحداث التي تدخل فيها بعض علماء النجف للوقوف بوجه هذا التيار، امثال الشيخ حسن الشيخ جعفر كاشف الغطاء ومناظراته مع بعض رسل الباب بحضور والي بغداد وسائر علماء الإسلام.

هذه الأحداث الكبيرة كانت مجالاً خصباً لإيقاد شرارة أو شرارات الشعر

في نفوس شعراء النجف ، وهي مواضيع حيّة بكرُ يسعى الشاعر دائماً إلى استيعابها في شعره ، وإلى إبداء فلسفته فيها ، وكان هذا الامر حاصلاً مع شعراء النجف في هذا القرن ، وسوف ترد نماذج منه في طيّات هذا الكتاب .

والآن لنحاول قراءة هذه الأحداث وغيرها من خلال شعر النجف الأشرف ، كيف استوعبها ، وكيف أنتجها أو ساهم في إنتاجها في أحيان أُخرى ، وما هي الأغراض الأخرى التي عالجها شعر هذا القرن ، في محاولة رسم صورة واضحة عن شعر هذا القرن وشعرائه من خلال العناوين الآتية :

١ ـ الشعر الديني:

إن الشعر الديني الذي قيل في مناسبات دينية تقليدية من مدائح ومراثي أهل البيت «ع» يشكل جزءاً كبيراً من الموروث الشعري لهذا القرن ، وكما عَرَضنا لهذا الاتجاه الشعري مع القرون الماضية في الجزء الأوّل ، فإنَّهُ هنا يواصل رحلته تلك ، ومع التطوّر النوعي من الناحيّة الفنيّة ، فإنه تطالعنا هنا بعض النماذج الشعرية المهمة التي تدلُّ على تطوّر الشعر في هذه المرحلة ، ولعل بعض التيارات الدينية التي سادت في هذا القرن ـ والتي أشرنا إليها سابقاً ـ كانت تؤثر في إثراء معاني المديح والرثاء التقليدية ، وهو ما نحبُّ أن نشير إليه هنا ، تاركين ما يمكن تسميته بالاتجاه التقليدي إلى دراستنا عنه في الجزء السابق ، وإلى الاطلاع عليه في طيات هذا الجزء .

أمّا ما نحبّ أن نتوقف عنده قليلاً ، فهو بعض النماذج الشعرية في مدح الرسول وأهل بيته (عليهم أفضل الصلاة والسلام) ، بما يمكن عدّه اتجاهاً جديداً في هذا الأدب الدينيّ . حيث التحليق إلى معان دقيقة ، ومحاولة الولوج بالشعر إلى مقامات المعصومين العالية ، ومن ذلكَ مثلاً قول الشاعر الشيخ صالح حجي الحويزي (١٢٧٥ هـ) في رسول الله «ص» هذه الأبيات :

يا نبيّ الهدى وما الأنبياءُ ... منك إلا أرضٌ وأنت سماءُ
إنما الأنبياءُ مبدء فيض ... ولك الإبتداء والإنتهاءُ
بَلْ بأسماك سبّحوا الله في الذرّ ... وفي البعث في صفاتك جاؤوا

عـرفـوا منك بعض مـعنىً فـتـاهوا فـيــه ، لَوْ لـمْ يكـنْ بك الإهتـداءُ
فـإذا كـان حـالهم ذا ، فـمـا حـا ل ســواهم ومــا همُ أنبـيــاءُ
غــيــر أني أقــول إنك باب اللّــــه فــيــه السّــراء والضّــراءُ!

أحسبُ أنّ هذه المعاني في مدح الرسول «ص» جديدة ، ومن الصعب وجود ما يناظرها في الشعر العربيّ كلّه ، وإذا ما اقتربت ـ لحدّ ما ـ في طريقتها إلى الشعر الصوفيّ والعرفانيّ ، فإنها لا شكّ تعبّر عن تجربة شعرية رائدة اختصّ بها الشعر النجفيّ ، ولعلّ ذلك بسبب عكوف النجّفيين على درس مفهوم التوحيد والولاية وما إليهما ، مما نجد في نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة مرتكزات لهُ ، وإن التوسّع في هذه البحوث هو الذي ألهم هؤلاء الشعراء مثل هذه المعاني ، التي تشكل إثراءً حقيقياً للشعر في معانيه ودلالاته ومن ثمّ في اتجاهاته المعنوية .

على أننا نلمحُ ان هذه المعاني الدقيقة ما كان لها أن تطفح بدلالاتها العميقة لولا قدرة الشاعر الفنية العالية على الصياغة الشعرية ، ومن ذلك اختيار بحر (الخفيف) الذي منح هذه المعاني قدرةً على الايحاء ، بفضل موسيقاه (الهادئة) التي تساعد بطبيعتها على تنوع التراكيب اللغوية العديدة ، إلى غير ذلك من اختياره للقافية وحرف الرويّ واستعماله التشكيلات البديعية (المحسّنات) التي ساهمت جميعها بإبراز الدلالات الشعرية في هذه الأبيات . إن هذه القصيدة وغيرها ممّا كان على منوالها تجعلنا نتساءل عن عدم انتشار هذا الشعر في العالم الأدبي العربيّ ، في الوقت الذي تشتهر فيه بعض القصائد كقصيدة البردة للبوصيري مثلاً ، والتي لا ترقى بكل المقاييس الفنية إلى هذه القصيدة!

ونورد هنا بعض الأمثلة لهذا اللون الجديد من الأدب الذي تقف النجف فيه رائدة ، ومن ذلك هذه الأبيات للسيد محمد صدر الدين العاملي (١١٩٣ ـ ١٢٦٣ هـ) في مدح أمير المؤمنين «ع» :

عليٌّ بشطر صــفــات الإلــ ـه حــبـيت وفـيك يدور الفَلَكْ
فـلولا الـغـلـوّ لـكـنـت أقــو لُ : جـمـيع صـفـاتِ المهـيمن لكْ

ولمّا أراد الإلهُ المثـــــا ل لنفي المثـــيل لَهُ مَـــثّلَكْ
فَـمِنْ عـالم الذر قـبل الوجـو دِ لقـــولِ بلى الله قَـــدْ أهّلَكْ
وَقَـــدْ كنتَ علّة خلق الورى مِن الجنّ والإنس حـــتى الملَكْ
وعَلَمْتَ جـــبـــريل ردّ الجـــوا بِ ، ولولاك في بحـر قَـهْرٍ هلكْ

ويقف الشيخ حسين نجف في مقدمة شعراء هذا الاتجاه الجديد في الأدب والشعر ، فله شعر كثير ومهمٌّ في هذا الاتجاه ، ومن ذلك أبيات ضمن قصيدة ميميّة في أمير المؤمنين «ع» :

عليٌّ حـبـاه الله شطر صـفـاته ولـولا غلوّ قلتُ فـيـهِ تمامُـهـا
تحـيّـرت الألبـاب في كنه ذاته وهامتْ ، وحقّاً كانَ فيه هيامها
وغـالت وإن كـان الغلوّ ضـلالةً فَـقَـدْ قلّ منّي عـذلُها ومـلامُـها
وإن جـمـيع الرسل مِنْ عـهـد آدمٍ بهِ أُيّدت حـتى اسـتـتمّ نظامـهـا

إلى آخر هذه الابيات ، وله قصيدة أخرى في الامام عليّ على هذا النهج يقول في بعض أبياتها :

لعليٍّ مناقبٌ لا تضـــاهى لا نبيٌّ ولا وصيٌّ حـــواها
مَنْ ترى في الورى يضاهي عليّا أيضـا هى فـتىً به الله باهى؟!
فـضله الشـمس للأنام تجلّتْ كـلّ راءٍ بـنـاظـريه يـراهـا
وهو نور الإله يهـدي إليـه فـاسأل المهـتـدين عمّن هداها
. . . الخ .

أما قصيدته الرائية فهي في مقدمة شعر هذا الإتجاه ومنها :

أيا علّة الإيجـاد حـارَ بك الفكرُ وفي فَهْم معنى ذاتك التبس الأمرُ
وقد قال قومٌ فيك والسِّتر دونهمْ بأنك ربٌّ ، كيف لو كُشفَ السِّتر!
حبـاك إله العـرش شطر صفـاته رآك لهـا أهلاً ، وهذا هو الفـخـرُ
وكنت سفـيـر الله للحقّ داعـياً وكل الأنام الحقّ عندهم مُـرٌّ

وَقَدْ خَصَّك الباري بما خصَّ نفسه ومنكَ عرفناه ، فبان لنا الأمْرُ
.... الخ .

إن هذا اللون الجديد من الشّعر هو إضافة حقيقية للأدب والشعر العربيّ ، نَعَمْ ربما نجد لَهُ بعض الجذور في بعض نماذج الشعر النجفي فيما عرضنا له في الجزء الأوّل ، ولكنّ الواضح ان التركيز على هذهِ المعاني يبدو أكثر وضوحاً واتساعاً في هذا القرن .

أما باقي الشعر الديني فهو استمرار في الواقع لما كان عليه الشعر قبل هذا العصر ، وإن قيض الله تعالى لهذا المنهج الازدهار كسائر الشعر والأدب النجفيّ خصوصاً ، بسبب الحركة الشّعرية فيه بشكل عام . وما انتجته من قرائح شعرية مهمّة ، لا نريد الدخول في تفاصيلها الآن ، فحسبنا ما ضمه هذا الكتاب منها ، وإنما أحببنا أنْ نشير إلى بعض ملامح التطور الأدبي الذي رأيناه مع النماذج السابقة ، التي عكست ملامح جديدة ـ في تقديرنا ـ للشعر الديني . وهذا هو هدفنا في هذهِ المقدمة .

٢ ـ الشعر الاجتماعيّ:

لعب الشعر دوراً كبيراً في الحياة الاجتماعية في هذا القرن ، وربما كان لاشتراك فقهاء الإسلام العظماء في الحياة الثقافية والشعرية منها بوجه خاصّ ، أثره الكبير في التركيز على أهمية الشعر والأدب في المجتمع . وربما كان هذا القرن هو من أفضل القرون والعصور الأدبية التي يجد فيها الشاعر والشعر مكانة سامية ومرموقة .

شارك الشعر النجفي في صياغة معالم هذا العصر ، كما بقي شاهداً حيّا على أحداثه ، وعلى نمط أو أنماط السلوك الاجتماعي في النجف ، فللشعر وجودٌ في كل حدث من أحداث المجتمع النجفيّ ، كما كان في كثير من الأحداث صانعاً لها ، أوْ على أقل تقدير مشاركاً في صناعتها .

لقد أصبح الشاعر يلعب دوراً اعلامياً مهماً في هذا القرن ، ونجد بعض الشعراء قَدْ سَخّروا كل طاقاتهم في خدمة هذا الزعيم الدِّينيّ أو ذاك ، يمرض الزعيم فتكتب له القصائد مواسيةٌ ومتمنيّة الشفاء ، ويعود من سفر فتطلق

ألسنة الشعراء محيّيَة لَهُ قبل الأكفّ والعيون كذلك، وإذا زوج ابنه أو ختنه فللشعر أيضاً حضور يتقدم به الشاعر مهنئاً ومباركاً، أما في حالة الوفاة فإن قرائح الشعراء تتفجّر حزناً وألماً وحسرة، ولا يقف الأمر عند الزعماء الدينيين وإن تركز فيهم، فَقَدْ يتوجه الشاعر ببضاعته هذه إلى بعض الأدباء أوْ الزعماء (الدنيويين)، من الحكام والوجهاء وشيوخ العشائر ومن إليهم، ومن هذه المناسبات الكثيرة التي لا أحسب أن أسبوعاً يمر وليس في النجف حدث يستنطق الشعراء ويثير قرائحهم، هو ما يجده القارىء مبثوثاً في هذا الكتاب. حتى إن بعض الشخصيّات لو جمع ما قيل فيها وحولها من شعر لشكّل كتاباً غير صغير، كالسيد بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء والشيخ صاحب الجواهر وغيرهم.

هذا أمر أَلِفَتْهُ البيئة النجفيّة، وهو وإنْ كان في كثير من الأحيان سلاحاً ذا حدّينَ إلاّ أنه بالجملة أمرٌ حسن، لما يبثّ هذا الشعر من قيم نبيلة وما يتضمنه من معاني الفضيلة والأخلاق العالية.

لا نريد هنا إلا أن نشير إلى بعض الأمور التي أسهم فيها الشعر ـ فيما نقدر ـ بصياغة بعض الأحداث الاجتماعية المهمة، ومن جملة ذلك تدخّل الشعر في الترويج لبعض الزعماء ـ وعلى حساب البعض الآخر في أحيان كثيرة ـ خصوصاً في بعض الأحيان التي يبدو فيها (النقاش) حول الصلاحيةً والعلمية وأيّ هذين الفقيهين أو الفقهاء أجدر بمنصب الزعامة، وبعض الشعراء كان يضمن رأيه في هذه المسألة في قصيدة رثائه للزعيم السابق، فيتوجه إلى الزعيم الدينيّ اللاحق سواءٌ أكان ابنه أو غيره فيعزّيه ويثني عليه، وكأنه يعلن عن رأيه في الموضوع الذي لا يخصّ الشعراء عادةً، وإنما هو لفقهاء الأمة يجتمعون ويعيّنون الأصلح لهذا المقام فيما بينهم.

أما لو حدث اختلاف في وجهة النظر عند الفقهاء، فإن الشعراء يزجّون بأنوفهم في هذه المسألة، ويطلقون العنان لخيالهم في مدح هذا أو التعريض بذلك، ومن ذَلك مثلاً قول الشيخ إبراهيم قفطان في مدح الشيخ علي نجل الفقيه الشيخ جعفر الكبير منتقداً بطريقة حادّة بعض مناوئي الشيخ

علي والذين رجّحوا أحد فقهاء النجف المعروفين عليه، ولا نحبّ هنا إيراد اسمه فالأمر معروف لأهله. فهو يقول من ضمن قصيدة طويلة أثبت ثلثيها الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في العبقات العنبرية ص ٢٢٦:

بم اعتذار أُناس مِنْ غوايتها ... ومنهج الحقّ للمسترشدين جَلي
ظلّتْ أدلّتها مَن ذا تقدّمه ... والحق ما دار إلاّ حيث دار (علي)
وَهَلْ يضاهي (علياً) حيثما ٱلتبستْ ... بهماء حكم ولَدَّ الخصمُ في الجدلِ
تفجّرتْ فيه عين الصمت عن حكمٍ ... وفي الأنام أُفيضَتْ وصمة الخطلِ
ومُوهمٌ أنّه مستودَع حكَماً ... وأنَّهُ لأمورِ المسلمين ولي
وباذلٍ لقضاء الحكم خاتمه ... جهلاً وفي نشر سرّ الكائنات ملي
رام التّحلّي بها جهلاً بفطرتِهِ ... وَهَلْ تسوغ لأنثى حلية الرَّجُلِ
واستطعم النحلَ مما تجتني فجنى ... لَسْعاً وغذّتكَ منها شهدة العَسَلِ
ليت الأكفّ التي أومَتْ أناملها ... إلى سواكَ، رماها الله بالشَّلَلِ
بلّغتهُمْ أمَلاً في كلّ ما اقترحوا ... وإن غيرك مما يأملون خلي

ولا يكتفي هذا الشاعر بالدعاية للشيخ علي، بَلْ كأنه يريد سدّ الأبواب على الآخرين الذين ربّما رشّحوا للزعامة بعده، فيلتفتْ إلى الشيخ حسن النجل الآخر للشيخ الكبير فيقول:

ولا يدانيكَ في حُكْمٍ وفي حِكَمٍ ... إلاّ شقيقُكَ في علمٍ وفي عَمَلِ
نهضتما والعُلى والمجد طوعكما ... كالظلّ يتبع في حلٍّ ومرتحل
لا يهتدي الناس إلاّ فيكما ومتى ... أغنى عن النيّرين الضوء من زُحَلِ
يا أهل بيت وليّ الله رفعتُهُ ... ما فيكم غير معصومٍ من الزلَلِ
أنتم عن الله أسّستُمْ شرائعه ... كأنكم أنبياء (العَزْمِ) في الرسلِ

لقد كان الشيخ علي وأخوه الشيخ حسن كاشف الغطاء ومن قبلهما أخوهما الشيخ موسى ومن قبلهم جميعاً أبوهم الشيخ جعفر في المقام

العالي ، ولهم على النجف والعراق والعثمانيين والإيرانيين جميعاً أيادي بيضاء ، والنجف والمسلمون جميعاً يفتخرون بهذه الشخصيات الكريمة ، ولكنّ هذا الشعر لا يرفع من مقامها بَلْ يحطّ بلا شَكّ من مقدار هذا الشاعر ، ويكشف عن مقدار عقله وورعه في التهجّم على منافسي آل كاشف الغطاء ، على الرغم من الموهبة الشعرية الكبيرة التي يتمتّع بها .

على أن هناك شاعراً آخر لا يقف عند حدود المبالغات المستهجنة في مدح الشيخ علي كاشف الغطاء ، ولكن يتجاوز ذلك إلى تحريضه على منافسيه إذ يقول من قصيدة :

وصفحتَ فضلاً عن جرائم فتيةٍ ... جهدت عليك بغيّها ونفاقها
فوهبته وهو «المذمّم» باسمه ... غوث المروعة في كرى آماقها
تهواك ألسنها فإنْ هِيَ أبصَرتْ ... فرصاً لحريك شمّرتْ عن ساقها

هذا نموذج لتدخل الشعراء في أقدس شيءٍ بعد مقام أمير المؤمنين «ع» في النجف ، وهو منصب الزعامة الدينية المعظّمة ، وهناك نماذج كثيرة غيرها .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر يطالعنا بعض الشعراء بوجه آخر ، وبعلاقة أُخرى مع بعض الزعامات الدينية ، وهي العلاقة المتوتّرة ، فقد راح بعض الشعراء يعاتب هذه الزعامة أو تلك أو ينقم عليها في أحياناً كثيرة لعدم الاهتمام بها مادياً أوَ معنوياً ، في الوقت الذي تقرّب فيها شخصيات (تافهة) ليس لها سوى النفاقِ من بضاعة تتزلف بها إلى تلك الزعامات .

وينقل أو يسجل الشعر النجفي صوراً رائعةً عن هذا الجانب من الحياة الاجتماعية في النجف ، وهو أدبٌ له قيمته الفنيّة بقدر مالَهُ من قيمة اجتماعية ، يعبّر عن واقع المجتمع النجفي آنذاك ، بقدر ما يعبّر عن مشاعر وتصوّات بعض شعراء النجف . فهذا الشاعر الشيخ محمد بن يونس الشويهيّ (ت ١٢٤٠ هـ) والذي يمثل أبرز الوجوه الاجتماعية الثائرة أو المتمردة في النجف الأشرف ، كما يمثل أحد قامات الشعر والأدب العالية فيها ، يقود حملةً عنيفة ضدَّ الشيخ جعفر كاشف الغطاء وضدّ كلّ مناصريه

من (الزكَرتية) وغيرهم ، وقد قادَ معركة أسست لوجود (الزكَرت والشمرت) فيما بعد ، وهي معركة حزبين كبيرين في النجف هما : (حزب الطبل) ويقابله (حزب الحبل) أو بتعبيرهم آنذاك (جماعة) الطبل والحبل . يبدأ معركته مع الشيخ الكبير بهذه الأبيات (العتابية) ، التي تصوّر واقعاً اجتماعياً كان سائداً في النجف آنذاك ، حيث اتخذ الشيخ كاشف الغطاء موقفاً متشدِّداً معه ، وحرّم على اتباعه استقبال الشويهيّ في بيوتهم ومجالسهم لما بلغه عنه من التهجّم عليه وعلى أصحابه ، فيراسل الشيخ :

زمـاني كله عـضب ، وعـتب　　وأنـت عـلـيّ والأيـام إلـبُ
وعـيش العـالمين لديك سـهل　　وعـيـشي وحـده بفناك صـعبُ
وأنـت وأنـت دافـع كـل خطـبِ　　مع الخطب الملمّ علـيّ خطـبُ
إلى كم ذا العـتـاب وليس جـرم　　وكم ذا الإعـتـذار وليس ذنبُ
فـلا تحـمل على قلبٍ جـريحٍ　　به لحـوادث الأيام نـدبُ
أمـثلي تُقـبل الأقـوالَ فـيـه　　ومـثلك يستـمـرّ عليـه كـذبُ

ويقول فيها :

فلمّـا صـالت الأعـداء دوني　　وأصـبح بيننا بحـرٌ ودربُ
ظللتَ تبـدّل الأقـوال بعـدي　　وتبلغني اغـتـيـاباً مـا يغبّ

. . . الخ .

هذه شرارة أولى أشعلها الشويهي الشاعر المتمرد المعدم الفقيه ، في وجه الشيخ كاشف الغطاء ، تحولت بعدها إلى حربٍ شعواء لم تقف عند حدود النجف ، بَلْ اتّسعت نارها إلى خارج النجفَ ، وكان الشّويهيّ هو الذي عمل على اتّساعها ، مع شيوخ العشائر وغيرهم ، فضلاً عن تحريضه بعض الفقهاء كالوحيد البهبهاني وآل خنفر وغيرهم .

أمّا الشيخ الشاعر علي زيني (ت ١٢١٥ هـ) وهو شاعر موسوعيّ المعرفة كالشاعر الشويهي فإنّه قَدْ بلغ الحدّ الأقصى من نقده لتفاصيل السلوك

الاجتماعي السَّيِّئ الذي كان موجوداً آنذاك ، واستمرّ فيما بعد ـ للأسف ـ ، فهو حيناً ينقم على بعض (البخلاء) الذين لا يستطيعون التخلّص من شبح الفقر الذي كانوا يعانونه في حياتهم الأولى ، فيبخلون بما لديهم بعد أن أغناهم الله تعالى من فضله ، ويخرج هذا المعنى بصورة الحكمة (اللاذعة) فيقول :

سَل الفضل أهل الفضل قِدْماً ولا تَسَلْ ... غلاماً ربى بالفقر حتّى تموّلا
فلو ملك الدنيا جميعاً بأسرها ... تذكّره الأيام ما كان أوّلا

لمْ يقف الشيخ زبني عند حدود (النقد الحكَمي) إن صحَ التعبير ، بَلْ يصرح بنقمته على بعض سلوكيات المجتمع النَجفيّ في هذهِ الأبيات التي يمكن عدّها من الأبيات (النجفيّة) الرائعة :

هذا يبجّل هذا كي يبجّله ... أكفاءُ كلٌّ لكلٍّ بالدها واهي
كلٌّ يخاطبُ كلاً : شيخنا ، مَلَقاً ... والكلُّ في الكلِّ شيخٌ آمرٌ ناهي
كَمْ تستميل رعاعاً ، كلّهم بَقَرٌ ... أوباشُ كلٌّ لكلٍّ جدّ أشباه
تلقى مشهرةً نضو الهموم وما ... للشيخ هَمٌّ بغير الأكلِ والباه
تلقاه يمشي رويداً ، واجماً ورعاً ... والذّئب خاتل صيد ساكتٌ ساهي
ألهاهُ شيطان حبّ الجاه لا وَلَعاً ... في طاعةَ الله بلْ في طاعةِ اللاّهي
ما زال مستقرضاً يبدي محاوَلَةٌ ... للجاه بالمالِ ، يبغي المالَ بالجاه
يسعى الفقيه لكيما تستميل لكي ... يحظى بأرغدَ عيشٍ روضُهُ زاهي
طلاّبُ دنيا بها هاموا ، لقد طُويَتْ ... أعمارُهم وطواياهم ، على ما هي
والله والله هذ عين مطلبهمْ ... لا غيره ، ألف لا والله والله

هذه الثورة ربما كان لها ما يبرّرها لولا أنها كانت عامة ، ففي النجف المقدّسون وَالاجلاّء والمنقطعون إلى الآخرة بكل جوارحهم ، والشاعر لا شكّ أنه لمْ يقصد إلاّ البعض الذين هم مصداق لمفاهيم شعرهِ التي تحدّث عنها .

أما الشاعر السيد جعفر القزويني (ت ١٢٦٥ هـ) فإنّه كان من أسرةٍ

يسارٍ وفضل، وقد أصبح معدماً بعد غنىً وبعد أن كان بيته وبيت آبائه مقصدَ المسترفدين وموأل المحتاجين، وقد اضطرته ظروفه المعيشية الصعبة في آخر الأمر ـ بعد أنْ يئس من الغنى ـ إلى التوجه إلى عُمان وإلى سلطانها طالباً جوائزه السنية، وهناك يوافيه أجله (كما سيرد ذلك في ترجمته).

لقد كان هذا الشاعر ـ فيما يعرضه شعره ـ يعاني من جفاء وسراب مواعيد الشيخ علي نجل الشيخ الأكبر كاشف الغطاء، الذي استحثه غير مرّة لأن يرفع عن ذاته قيود الفقر وعن عينيه شبح الديون، فها هو يعاتبه في ذلك بين ثنايا مدحه:

فيا مَنْ صبا للمهد وهو بمهده ... وحازَ العُلى طفلاً وما اختطّ شاربُهْ
إلى مَ يمنّينا الوعود ولا نرى ... سوى ومضِ برقٍ لمْ تدرّ سحائبُهْ
أرحنا بمنعٍ أو ببذل معمّلٍ ... فوعدك ـ قبلَ اليوم ـ قَدْ حان واجبُهْ
فأنت الذي لمْ نلقَ غيرك سيّداً ... نناجيه في حاجاتنا ونخاطبُهْ

أما الفقيه الشيخ حسن قفطان (ت ١٢٧٩ هـ) فإنه يصوّر جانباً من معاناته مع بعض (السلوكيّات) السيّئة في هذا المجتمع، خصوصاً حينما جفاه المقربون حين مرضٍ أصابه:

لمْ أدر أيّ مكارم الأخلاقِ ... مَلَقٌ وتمويهٌ وحظ نفاقِ
وجفاً وإعراضٌ وسوء قطيعةٍ ... فكأنما ما في المعادِ تلاقي
لا ناشِدٌ لا وافِدٌ لا عائدٌ ... منكم، ولو في عارضِ استطراقِ

ويقول فيها:

ولربّ بعض عادني وحديثه ... عندي تشكّيه من الإملاقِ
يمضي عليه العام يحوي رزقَهُ ... بجناحه الخفاق في الآفاقِ
جَبَلٌ عليّ بشكله وبجهله ... لا يعرف المفهوم في المصداقِ

كان هذا البؤس والمرض والفقر الذي يعانيه الشيخ حسن يجعله متأمّلاً

في بعض الصور السلبية لواقع المجتمع فمثله ـ وهو الفقيه الأديب ـ وغيره كثيرون يعانون لا الفقر فحسب بَلْ القطيعة، وهي نكبة نفسيّة عبّر عنها في شعره، في حين ينظر إلى أولئك الجهلاء والمنافقين (الذين لا يعرفون المفهوم في المصداق) يتنعّمون بجهودهم العلمية والاجتماعية والأدبية، هؤلاء الطفيليّون الذين ما زالتْ سنتهم بفضل مَلَقهم وقلّة ورعهم وخلوّهم عن مكارم الأخلاق يجدون طريقهم سهلاً إلى الحَصول على غاياتهم (التافهة) وهم عادةً وفي كل مجتمع يسعون إلى إقصاء أولي الفكر والثقافة والخلق عن المراكز التي يعيشون على تناقضاتها، لكي يخلو لهم الجوّ، وللأسف الشديد إن أصحاب تلك المراكز أحياناً لغفلة منهم أوْ لتصديقهم بهؤلاء التافهين المنافقين يصيخون أسماعهم إلى وشاياتهم وأكاذيبهم وبهتاتهم، فتحصل القطيعة، ويحصل التّذمّر، وقَلَّ من الناس المبدعين الذين يستطيعون كتمان ذلك في نفوسهم، خصوصاً الشعراء الصادقين منهم.

والشيخ حسن قفطان من أولئك المبدعين الذين عانوا كل هذه الأمور، فيتوجه إلى زعيم عصره الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر بعتابٍ لا يخلو من قسوة، وهو صاحبه وممدوحه من قبل وصول الطفيليين أيام زعَامته إلى (برانيّه):

يا كـافلاً أيتـام آل مـحـمـد	بعلومـه، أوْ كـافل الأرزاق
قلْ لي ومثلك في المقاصد صادقٌ	أكـذا تكون مكارم الأخـلاقِ؟!
هذا جـزائي إذْ قـصـرتُ عليكمُ	صفـو الوداد وسالف الأشواقِ؟!
ما كنتُّ أحسب أنْ يطول بِيَ المدى	حـتّى أكـابد علّة الإمـلاقِ
ويزيدني سقماً تذكّر صبيتي	مِن جانبيّ فـواكـه الأسـواقِ
ولربّ قـائلةٍ لهم يكفيـهمُ	عَن كلّ ذلك ناعمُ السمّـاقِ؟!

وإذا كانت معاناة الشيخ حسن قفطان من الشيخ صاحب الجواهر، فإن ولده الشاعر الشيخ أحمد قفطان قَدْ توجه بلاذعِ شعرهِ إلى الشيخ مهدي كاشف الغطاء، وقدْ صوّر لنا معاناته بأدب جميل، منه هذه الأبيات يخاطب

فيها الشيخ مهدي كاشف الغطاء :

سؤال تردّد في خاطري ... فهلْ من جواب لهذا السؤالْ
نوالُكَ أمس عليّ حراماً ... لماذا حرامٌ عليّ النوال؟
فان كان عن فرية في مقال ... عليّ لحا الله أهْلَ المقالْ
ألمْ تدر أنّي ضعيف القوى ... كثير الديون كثير العيالْ؟
وَهَبْ أنَّني استحق الجفا ... وصرف النوالِ ومنع الوِصالْ
فلي غلمةٌ يرتقون السماك ... لكسب المعالي ونيل الكمالْ
فها يمضغون النوى في الطوى ... وفي الصيفِ يستفكهون الزلالْ

.... الخ

هذه صور من صور الأدب النجفيّ الحيّ ، أسَّستْ للاتجاه الواقعي في الأدب ، لمَا فيها من صور متحركة ، حيث نلاحظ الشاعر فيها أكثر اقتراباً من ذاته ، وسوف يستمر هذا الاتجاه أدباً صادقاً ، صوّر لنا الحياة النجفية في هذا العَصر والعصور التي تلته تصويراً طافحاً بالدّلالات .

٣ ـ شعر الأحداث العامة:

هنالك اتجاه آخر سلكه الشعر النجفيّ قبل هذا القرن ، ويبرز في هذا القرن بسبب نشاط الحركة الشعرية من جهة ، ولكثرة الأحداث التي مرّت بالنجف وخطورتها ، وهنا نورد بعض النماذج الشعرية التي قيلت في تلك الأحداث على سبيل التمثيل لا الحصر ، ومن ذلك وفي مقدّمته الشعر الذي قيل على أثر محاولات الوهابية احتلال النجف وتدميرها كما فعلوا بكربلاء وغيرها وَقَدْ سجلها ـ ضمن من سجّلوا هذه الحادثة ـ الشاعر أبو الحسن كوثر شاه النجفي بشعره ، وذلك سنة ١٢٢١ هـ ويقول في ضمن قصيدته التي يمدح فيها أمير المؤمنين «ع» ويشير إلى خيبة سعود الوهابي :

حتى أتى السور قومٌ مكثرين لها ... من المعاول في حزب قد أرتدفا
والناس في غفلةٍ حتى إذا أنتبهوا ... أعطوا الثبات وباريهم بهمْ رأفا

فهزّموا الجند نصراً مِن إلههمُ والسوء عنهم بعون لله قد صُرفا
وردّ سلطان نجدٍ ملء أعينِهِ حزناً وَقَدْ باءَ بالخسران وٱنصرفا

. . . الخ .

وهكذا كان للشعر دور تسجيل هذهِ الواقعة ووصف كرامات أمير المؤمنين «ع» ومعاجزه فيها .

أمّا الطاعون الذي حَلّ في النجف أكثر من مرّة بل لمرات ثلاث مُدَمّرَة ، فإن الشعر كان السلاح الوحيد الذي واجه به النجفيون هذه الآفة المهلكة بعد التوسل إلى الله تعالى بقبر أمير المؤمنين «ع» ، ومن ذلكَ مثلاً قول الشاعر الشيخ أحمد قفطان وهو يلوذ بقبر أمير المؤمنين «ع» :

يا مَنْ أجار الظّبْيَ عند ضريحه وأتى بمدح الذكر ذكرُ مديحهِ
إنا بقبرك نستجير من الوبا إذْ عمّ قطر الأرض بلّ رشيحهِ
نخشى تقول عداك لو أسلمتنا أين الذي تدعون عند ضريحهِ

. . . إلخ

ومن تلك الحوادث الكبيرة التي عصفت بالنجف هي أحداث الزكَرت والشمرت ، التي عصفت بالكيان الاجتماعي النجفيّ ، وهي أطول الأحداث زمناً على الاطلاق حيث كانت بدايتها في سنة ١٢٢٨ هـ وآخر وقعة كانت سنة ١٣٢٣ هـ ـ وقد اشترك الشعر في تسجيل بعض حوادثها المؤلمة ، وما سبّبته من فساد ونهب أموال وبيوت ، فضلاً عَنْ ذهاب النفوس والأرواح ، وللشيخ عبد الحسين صادقَ العاملي أبيات طريفة في تسجيل بعض هذهِ الاحداث ، إذْ كان في إحداها ساكناً في محلة المشراق مجاوراً للسيد محمدَ بحر العلوم وللسيد محمد القزويني ، وقد نهبتْ داره في إحدى تلك الوقعات فقال في هذه الحادثة :

داري مقوّضة ورحلي مغنم والعيش بين (محمدين) مذمّمُ
جارين ما رَعَيا لجارٍ حرمَةً فكأنما حفظ الجوار محرَّمُ

بفناهما مالي أُبيح فقل بهِ فَيْءٌ بابناء «الشمرت» مُقسَّمُ
أقصى وعيدهما ٱلتماسٌ أو رجاً فكأنما هم للأرامل توأمُ
البُعد أنجى ما أرى وهما هما لنْ يدَفعا وبنو الشمرت هُمُ هُمُ

أما حادثة الصلح بين الدولتين العثمانية والايرانية والتي كانتْ بفضل ومساعي الشيخ موسى الشيخ جعفر، فإنّها أصبحت من المواضيع المهمة التي يقف الشاعر عندها ويثني بها على الشيخ موسى أو على آل كاشف الغطاء، وحقّاً كانت من مفاخر النجف ومن الأمور المهمة التي أثرتْ في صياغة التاريخ المعاصر بين الدولتين، وحقّقت الأمان للعراق كله بل للدولتين أيضاً بعد كل الخصومات والمنازعات بينهما، وقد هدرت فيها دماءٌ وانتهكت فيه كرامات، وكان العراق ـ للأسف الشديد ـ حلبة هذا الصّراع الذي لم يجن منه سوى البؤس والخراب والاضطهاد. ومن ذلك قول الشيخ إبراهيم قفطان (١٢٧٩٠ هـ) من قصيدة في مدح الشيخ موسى:

تراقبُهُ صيد الملوك وإنَّهُ ليأمرها فيما يشاء وينهاها
ويعربُ عن علمٍ غزيرٍ وحكمةٍ وينطقُ عن وحيٍ بليغٍ إذا فاها

ويقول السيد صالح القزويني (ت ٣٠٦ هـ) ضمن قصيدة في آل كاشف الغطاء:

وكلّما تُليَتْ آيات مجدهُمُ كانتْ شفاهاً لمن أعيا شفاه شفا
طوّقتُمُ بعدَ كسرى قيصراً مِنَناً بالصلح بينهما مِنْ بعد ما زحفَا

ومن الأحداث الأخرى التي حَدَثت في النجف وألهبت قرائح الشعراء، وإن كانت تختلف مع الأحداث السابقة من حيث كيفيتها ومضمونها، مثل حدث دخول أحد النواصب إلى حضرة المولى أمير المؤمنين «ع» بحذائه، تحدياً لهذا المقام المقدس، وإذا بإصبعين (من جهة الرأس الشريف) يخرجان ويضربان ذلك الناصي فيتحول إلى قطعتين من الفحم، بقيتا في النجف لمدة سنوات طويلة حجرين أسودين يبول الناس عليهما،

حتى سرقهما أحد النواصب . هذه الحادثة المعجزة نظمها الكثير من الشعراء ، ومنهم الشاعر الشيخ أحمد قفطانَ حيث يقول :

وكـــرامــــات عليٍّ حـــيــدرهْ ظاهرات عند أهل التــبـصــرَهْ
كم وكم مَــرَّتْ على أســلافنا ولنا أُخــرى بَدَتْ مــبــتكرهْ
نــاصـــبيٌّ رام أنْ يـدخل فـي نـعلـه لـلـروضــــة المزدهـرَهْ
صـــاحب الروضـــةِ أرّخ أَسَــدٌ قــبل أن يدْخلهـــا قَــدْ سَطَرَهْ

ومثل هذا الحدث الذي هو مجال لقول الشعراء حيويّ ، هناك أحداث كثيرة ورد فيها شعر طريف ، نشير مثلاً إلى حدث منها ، وسيرد بعضها في أثناء هذا الكتاب ، وذلك حادث أو احداث الاستسقاء ، فإنه ذات مرّة ـ مثلاً ـ خرج الناس يستسقون فلمْ يسقهم الله تعالى ، وإذا بالشيخ عبد الحسين محي الدين (ـ ١٢٧١ هـ) يرتجل هذين البيتين فينزل الله المطر الكثير عليهم :

أباري الورى شفّع حفاةً قواصداً نداك بسقيا من سحابكَ فايض
أخاف إذا لمْ تُسقِهمْ قول شامتٍ (أبى الله سقياً وبله للروافضِ)

هذه صورة مجملة موجزة عن تعاطي الشعراء مع الأحداث التي تمرّ بالنجف ، وإننا هنا لمْ نشر إلى الأحداث كلها وأحلنا ذلك إلى ما سيرد في كتابنا هذا .

٤ ـ الشعر العاطفي:

ونقف هنا عند الشعر الغزليّ تحديداً ـ دون غيره ـ لأنّ غايتنا ابراز بعض ملامح الشعر العامة بشكل موجز . وللغزل في شعر النجف مساحة كبيرة ، ولعلّ ذلك ناتجٌ من طبيعة النجفيّ الرقيقة العاطفية ، على أن الغزل هنا ـ في النجف ـ كله يقع من باب الخيال أوْ جُلّه ، وذلك بسبب طبيعة النجف الاجتماعية ، ومن هنا نجد بعض الشعراء ينشئُون قصائد الغزل والنسيب في وصف بعض النساء اللواتي يرونهنّ خارجَ النجف ، لأن المرأة

في النجف كانت عبارة عن قطعة سوداء تلبس عباءتين : إحداهما من الكتف حتى القدمين أو الأرض ، والأخرى من الرأس حتى القدمين وهي تغطي وجهها كلّه ، وإذا سارتْ في بعض أزقة النجف فشرط مشيها عدم وجود رجل مارّ ، وإذا مرّ رجل فإنها تولي بوجهها بل بمقدم جسمها كله صوب أقرب جدار وتجلس إلى جانبه حتى يذهب المارّ .

هذه العفة والطهارة والقدسية كانت تحول دون شعر غزل حقيقي فلا اختلاط بينَ الرجال والنساء ، والغالب أن الرجل لا يرى من وجوه النساء في النجف إلا أمه أو زوجته أوْ أخته المقربات (المحارم) . ولذا فالغزل هو من محض خيال الشاعر . نَعَمْ ستردُ معنا بعض النماذج الشعرية القليلة على خلاف ذلك ، ويشخص هنا نموذج أحد الشعراء المتيّمين الذي عشق فتاة نجفية ، فهام في حبها كما يهيم الشعراء العذريين كقيس بن الملوّح أوْ ابن ذريح أو غيرهما ، حتى قضى موتاً بسبب عشقه لها ، ويقال إنها ماتت بعده بقليل ، وهو الشاعر الشيخ عباس الملاّ علي صاحب القصيدة المشهورة ومنها :

عديني وأمطلي عهدي عديني ... وديني بالصبابة فهو ديني
ومنّي قبل بينك بالأماني ... فإن منيّتي في أنْ تبيني
سلي شهب الكواكب عن سهادي ... وعن عدّ الكواكب فاسأليني
صلي دنفاً بحبّك أوقفتْهُ ... نواكِ على شفا جرف المنونِ
أما وهوىً ملكت به فؤادي ... وليس وراء ذلك من يمينِ
لأنت أعزّ من نفسي عليها ... ولست أرى لنفسي من قرينِ
... الخ

وَلَهُ قصائد غزل كثيرة غيرها .

إن شعر الغزل والنّسيب في النجف على أنَّهُ كان من صياغة خيال الشاعر غالباً ، فإنَّهُ كان من حيث القيمة الفنيّة يمثّل موقعاً متقدماً بين شعر هذهِ المدينة ، نَعَمْ هناك بعض النماذج المتكلفة ، ولكنْ هناك نصوصٌ شعرية

غزلية يصدر الشاعر في نظمها عن حسٍّ عاطفيٍّ مرهف .

المستوى الفني:

لعلّ فيما عرضنا لَهُ من نماذج شعرية ، وما سيرد في هذا الجزء خير دليل على المستوى الفنيّ الرفيع الذي بلغه الشعر العربي في النّجف ، فهو وريث حقيقيّ لنماذج الشعر العربيّ القديمة ، لمْ يقف عند حدود التقليد وإنما تمثّل الروح الوثّابة لأولئك الشعراء ، وراح خاطره يبدع في معانٍ جديدة ، أو يصوغ ضمن المعاني الفنية المألوفة هواجسه وأحاسيسه الوثابة نحو تكوّين عالم الكمال والجمال .

وفي نتاج هذا العصر الشعريّ يشخص أكثر من شاهد على سبقِ النجف الأشرف على من سواها من أقطار العرب في ما يُعرف بأدب النهضةَ الذي تدعي مصر لنفسها السبق إليه ، فمع الكثير من نماذج شعر هذا العصر نقف على بدايات نهضة حقيقية للأدب ، وإذا كان الطابع العام لشعر النهضة في مصر وغيرها هو عودة الشعراء العرب إلى نماذج الشعر القديم المتقدمة ، وهجر الأساليب الشعرية التي عُهدت عند شعراء ما يعرف بـ (العصور المظلمة)أي العهد المملوكي والعثماني ، فإن النجف تقف متقدمةً زمانياً ومضمونياً على ذلك الشعر كله ، ولها إذن الريادة المطلقة لنهضة الأدب والشعر العربي .

وهناك ظاهرة بارزة أخرى في الأدب النجفي وهي ظاهرة استعمال فن البند الشعري بكثرة ، هذا اللون من الايقاع الشعري الذي يُعد بحق هو المحاولة الجادة والحقيقية للخروج من نظام الشطرين في القصيدة التقليدية ، وهو سابق بقرون لمحاولات شعراء العصر الحديث للخروج عن النسق الإيقاعي التقليدي للقصيدة العربية .

ومع البند فهناك استعمال أوزان الموشحات وما إليهما مما سيرد في هذا الكتاب ، وهو يعني سعي الشاعر النجفي إلى استثمار كل الاشكال الفنية التي من شأنها مساعدته على الاقتراب من ذاته المتألقة . ولنكتف بهذه الإشارات التي سيرد لها أكثر من شاهد في طيات هذا الكتاب .

الشيخ عبدالله الخاقاني
أستاذ في الجامعة الإسلامية في لبنان

(١)
أبو الحسن كوثر النجفي
«القرن الثالث عشر الهجري»

السيد أبو الحسن شاه كوثر النجفي . عُدّ في «شعراء الغري» من الشعراء المجهولين ، وبعد المراجعة اتضح انه الميرزا أبو الحسن ابن الدرويش العالم الشاه كوثر من علماء النجف وهما معاً من أعضاء ندوة الخميس . وله هذه القصيدة في انكسار الجيش الوهابي الذي حاول هتك حرمة النجف الأشرف واحتلالها ، فكان أنْ خذلهم الله تعالى وردّهم خائبين دون أنْ تدنّس أقدامهم ثرى النجف المقدس وذلك سنة ١٢٢١ هـ ، وهي إحدى المحاولات المتكررة منهم لاحتلال النجف الأشرف . وكلها خائبة والحمد لله تعالى ، وهذه هي القصيدة :

بشرى لمن سكنوا كوفان والنجّفا ... وجاوروا المرتضى أعلى الورى شرفا
مولىً مناقبُهُ عَنْ عدّها قصرتْ ... كل البرايا ولَمْ تعلم لها طرفا
منها سعود كساه الذلّ خالقُهُ ... ولمْ يزلْ بنكالٍ دائمٍ وجفا
أراد تهديم ما ٱلباري يشيّدُهُ ... منْ قبّةٍ لسقامِ العالمين شفا
وجمَّع الجيش من آل الحجاز ومن ... سكان نجدٍ ومن للظالمين قفا
وَقَدْ أتى الناس قبل الفجر في صفرٍ ... بتاسعِ الشهرِ نحو السور قدْ زَحَفا
مقسِّماً جيشَهُ أقسام أربعةً ... كلٌّ لَهُ سائقٌ يعنيه إنْ وقفا
حتى أتى (السُّوَر) قوم منهم فرقواً ... ففاجؤوا حتفهم في الحال قد صَدَفا
وصف بالباب قوم مكثرين لها ... من المعاول في حزب قد ٱرتدفا
والناس في غفلة حتى إذا ٱنتبهوا ... أعطوا الثبات وباريهم بهم رأفا
فهزّموا الجند نصراً من إلهِهمُ ... والسوء عنهم بعون الله قد صرفا

وردّ سلطان نجـد ملْؤُ أعـينه حـزناً وقد باء بالخسران وانصرفا
فـلا السـلالم والأَدراج نافـعـة بلْ ربّنا قَدْ كـفـانا شـرّها وكـفى
وَقَدْ طوى الله وقت الحرب في عَجَلٍ لأنّه لـمْ يكنْ مـا كـان قَـدْ وصـفـا
ولمْ ينلْ غـيـر قـتلٍ في جـمـاعـتـه والكلّ في عـدد القتلى قد اختلفا
وكـان مَـذْ بانَ نجم الصـبح أوّلَه ومنتـهـاه طلوع الفـجـر حين صَفـا
وتمَّ مـعـجـزة أخْـرى لسـيّـدنا في ذلك اليوم من بعض الذي سَلَفا
قَدْ كان في حجرةٍ في الصحن ما ادّخروا وجَـمَّـعـوهُ من البـارود قـد جـرفـا
أصـابـه بعـض نـار ثـمَّ بـرّدَها مـبـرّدٌ نار إبراهيم إذْ قـذفـا
فلا تخف بعدما عاينت من عجبٍ ولا تكونّن ممّنْ قلبـه وَجـفـا
وقـرّ عـيناً وطب نفسـاً فـإنّك في جوار حامي الحمى قد صرت مكتنفا
وقـال في خبـر : كـوفان في حـرم مـا أمَّـهـا مَنْ بغى إلا وقـد قُـصـفـا
ومُـذْ تـقطّع قلبٌ الجـور أرّخـه نحس بدا لسـعـود إذ دنا النَجف

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١/ ٣٢٨ . الأعيان : ٢/ ٤٥١ . مشهد الأمام : ١٨٩ . موسوعة النجف الأشرف : ٥/ ١٤٦ . معارف الرجال ٢/ ٣٣٤ .

(٢)

علي السيد سلمان

«القرن الثالث عشر الهجري»

السيد علي آل السيد سلمان النجفي، كان بليغاً فاضلاً شاعراً لَهُ مع شعراء وقته مشاركة بالشعر، ومن شعره :

وقائلة خفظ عليك فما الهوى ... عقار ولكن قد تخيل شاربه
وما الدهر إلا منجنونا بأهله ... يرى فيه أنواع التقلب صاحبه
وما من غنى في الدهر إلا وقد غدا ... يسالمه طوراً وطوراً يحاربه
فكن رجلا ما خانه الصبر في الردى ... كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه
وإن كنت منه طالباً صفو مشرب ... سفهت فأي الناس تصفو مشاربه؟!
ديار بها لا أنس لي غير أنني ... يجاوبني فيها الصدى وأجاوبه
هجرت الحمى لا عن ملال وإنما ... يجاذبني عنه العنا وأجاذبه

وَلَهُ مع الشيخ محمد حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمد علي الاعسم مشاركات ومساجلات شعرية منها هذان البيتان والعجز للسيد :

تذكرتُ مَنْ أهوى فنحتُ ولا يجدي ... نواحي ولا يجدي على ساكني نجدِ
فيا ليت شعري هل سواي معذب ... وهل ناح غيري أمْ بليتُ به وحدي

قيل : كان حياً سنة ١٢٢٣ هـ .

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ٦/ ٢٤٩ . معجم رجال الفكر والأدب : ٢/ ٦٨٣ . ماضي النجف وحاضرها : ٢/ ٣٥ . الحصون المنيعة : ٢/ ٤٥٣ .

(٣)
علي الأعسم
«القرن الثالث عشر الهجري»

الشيخ علي ابن الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ محمد علي الأعسم.

هو أحد أعلام هذه الأسرة الكريمة في النجف، ذكر غير واحد منهم في كتابنا هذا، فقد حصَل على فضيلة العلم والأدب كذلك. وإن لم يكن شاعراً محترفاً، بَلْ رُوِيَ له شعر قليل.

وذكر أن من آثاره العلمية كتاب في الأصول أسماه: (مناهل الوصول) وهو شرح لكتاب والده الشيخ عبد الحسين (تهذيب الأصول)، ويَقَعُ في مجلّدات عدة، ومن شعر هذا الشيخ:

وغادة هويت ابراز طلعتها ... لناظري فنهاها الخوف واللمم
فأسفرت قبل المرآة فانطبعت ... تلك المحاسن فيها وهي تبتسم

وقوله:

تواضع قوم فظن الجهول ... برتبتهم أنهم وضع
وقوم تساموا على غيرهم ... بغير اتصاف بما يرفع
فهم كالغصون إذا ما خلت ... تسامت وإن أثمرت تخضع

وله في واقعة اتفقت لبعضهم في بغداد:

وساترة الخدين عنا بأنمل ... تفوق على عقد الجمان عقودها
لقد بخلت لكن أرتنا أناملا ... وذلك يكفينا فللبخل جودها

وله أبيات في الرد على بعض العلماء الذي زعم أنّ مرض زوار عرفة يدلُّ على عدم قبول زيارتهم وذلك سنة ١٢٤٤ هـ :

أبا الفضل ليس الهمّ سقمي وعلّتي ولكنّ همي أن يلمّ بكم عارُ
أخاف مقال الجاهلين لجهلهم لقد عطب القوم الذين لهم زاروا
وأعلم حقّاً أن ذاك بشارة لزائركم أن لا تمر به النار

ولَهُ :

قد كنت أرجو أن أنال بودهم ما يرتجيه من الفتى خلطاؤه
فبدت لي الشحناء حتى قيل لي (ويل لمن شفعاؤه خصماؤه)

توفي بعد عام ١٢٢٤ هـ في النجف الأشرف .

من مصادر دراسته :

شعراء الغري ٦/ ٢٥١ . معجم رجال الفكر والأدب : ١/ ١٦٦ . الحصون : ٢/ ٤٦٦ . ماضي النجف : ٢/ ٢٣ . الكرام البررة : ١٩٧ .

(٤)
محمد رضا النَّحوي

«- ١٢٢٦»

الشيخ محمد رضا ابن الشيخ أحمد النحوي ابن الشيخ حسن بن علي الخواجة الحلّي النجفي .

هذا الشيخ الأديب ، خلف أباه الشيخَ النحوي أحد أشهر شعراء القرن الماضي ، ولقد كان في بداية أمره بزّازاً يبيع القماش في أيام شبابه الأولى ، ولما توفي السيد محمد نجل السيد بحر العلوم جاءَ هذا الشاب الشاعر راثياً السيد محمد مع مَنْ رثاه من الشعراء ، فأعجب السيد بحر العلوم به ، وطلب منه الانصراف إلى الدرس الحوزويّ ، ووعده أنْ يتكفل أمر معاشه ، وتمّ هذا فعلاً ، فدرس الشيخ علوم الإسلام على السيد بحر العلوم وعلى الشيخ كاشف الغطاء وغيرهما ، حتى صارَ من فقهاء عصره ، وكان السيد بحر العلوم كثير الاهتمام به ، وكأنه أحد أبنائه ، يشجعه على النظم مادياً ومعنوياً ، وكان هذا دأب السيّد فَي تشجيع أُولي الكفاءات الأدبية ، وفعلاً أصبح الشيخ بعد ذلك من علماء النجف الأشرف وفقهائها ، وبقي أبناؤه من بعده أيضاً ملازمين لبيت السادة آل بحر العلوم ، ولأحد أبناء هذا الشيخ مكرمة على سلالة السيد بحر العلوم ، وذلك أن السيد رضا نجل السيد بحر العلوم كان مع مَن كانوا في مسجد الكوفة لما هجم الوهابيون عليها بعد يأسهم من النجف ، ولمّا خرج جملة من فرسان النجف وهم عشرة أشخاص لينقذوا الناس في مسجد الكوفة وجدوا الجميع مذبوحين فيه ، وبحثوا عن السيد رضا الذي كان مريضاً فلمْ يجدوه ، ثمَّ ظهر أن أحد أبناء هذا الشيخ لما أحسّ بهجوم القوم على المسجد حمل السيد رضا إلى خارج المسجد حيث اختفيا في بعض الاشجار ، وسلم بذلك السيد وحفظ نسل آل بحر العلوم المنحصر به .

ومن شعر شيخنا النحوي محمد رضا تخميسه لقصيدة أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد المقصورة المعروفة، وقد قيل إن الشيخ النحوي كان في زيارة الإمام الرضا «ع» ولما عاد إلى النجف، سأله استاذه السيد بحر العلوم: ما هي هديتنا في سفرك هذا؟ فقال له الشيخ: تخميس الدريدية، فسرّ السيد بها، وقد جعلها النحوي في مدح السيّد، ولما أنشدها لَهُ قال: سيّدنا ما مقدار الجائزة عليها؟ فأعطاه السيد الف دينار، وقيل ألفي دينار، ويراد بالدينار ذلك اليوم تومان إيراني ويبلغ في عصر السيد بحر العلوم (عشرة قرانات فضية)، وقصيدته هي:

مـذْ كـان ما لازال يخشى كـونه ... وأبيضّ من وجف القـذال جـونَهْ
قلتُ لهـا والصبـر تدعـونه ... أمـا ترى رأسي يحـاكي لونه
ضـرّة صـبح تحت أذيال الدجى

كَـرَّ المشـيب حـاشـداً لجندهِ ... مـجـرِّداً أبيضـهُ مِنْ غـمـده
فاحـتـدمت نار الحشـا لوقـده ... واشـتعل المبيض في مسـودّهِ
مثل اشتعال النار في جزل الغضا

ومنها:

عـفتُ العـراق لا لقلبٍ ملّهُ ... إلى خـراسـان أجوب سيله
لكن لمن شـرّف فـيـه رمله ... إن العـراق لمْ أفـارق أهله
عن شنأٍ أصـابني ولا قـلى

آل النبيّ مِنْ منى حـالفـتـهم ... وددت أنْ للحشـر قـدْ رافـقـتـهم
صحـبتـهم دهراً فـمـا نافقـتهم ... ولا أطب عـيني مـذْ فـارقـتـهم
شيءٌ يروق العين من هذا الورى

مـحـمـد المهـديّ مَنْ تسـوّرا ... بنفـسـه وقـومـه كل ذرى
هم الشـآبيب المخلاّة العـرى ... هُمُ الشناخـيب المنيفـات الذرى
والناس أدخـال سـواهم وهوى

أكـرم بهـا من نسـبةٍ عليـهـا ... يتـبـعـه في هديها مـهـديهـا
هـم السـيـول غـامـز آتيُّـهـا ... هُمُ البـحـور زاخـرٌ آذيُّهـا
والناس ضحـضـاح ثغاب واحنا

عشتُ كما شاء الرجا برفدهمْ وفـــزت في ريٍّ لـهم وودّهـمْ
فارقتـهم لا طالبـاً لندّهـمْ إن كنت أبصرت من بعدهم [كذا]
مثلاً فأغضيت على وخز السفا
.. الخ .

وله هذه القصيدة التي قالها في مدح الشيخ جعفر الكبير ويهنئه بزواج ولده الشيخ موسى :

سَرَتْ تخبط البيداء بالوخد تفليسا إلى مائها إنْ عَرَّض الركب تعريسا
تقيس العُلا ذرعاً بأخفاف أذرعٍ إذا اختلفَتْ أعلى مداها المقاييسا
تَلاعبُ بالألباب معنىً وصورةً فطوراً بَدَتْ ورقاً وطوراً طواويسا
تخوض عباب الآل للقومس الذي أفاض نداه للعفاة قواميسا
تجوب الموامي والمفاوز لاتني بمدح أبي (موسى) تغنّيَ به العيسا
إلى مَنْ غدا بعد النواميس من بني عليٍّ على سنّ المهيمن ناموسا
فتى يدفع الجُلّى وتدنو به المنى ويسعدُ حظٌّ كان مذ كان منكوسا
ويرأب ما أثأتْ يَدُ الدهر طبّهُ ويوسى به كَلْمَ على الدهر لا يوسى
نهنيه بالعرس السعيد الذي له بنى شبله (موسى) لدى العرس عريسا
فيا لك بدراً ضمّ شمساً تبلجت فما تركت من حنْدس الهمِّ حنديسا
ويا لك شمساً شعشعت بُرج مدّه وشَمعة أنسٍ أسرجتْ منه فانوسا
ويا لكَ نجماً لابسَ الشمس فضله فألبسها من فاخر المجد ملبوسا
ويا لك عرشاً ضمَّ فضل علائه من المجد فرعاً بالعناية مغروسا
ويا لهما من محتدينِ تأصّلا علاء وكلٌّ أسّسَ المجد تأسيسا
فقل في (سليمان) الزمان وقد بنى (ببلقيس) وانظمْ كلَّ معنىً ببلقيسا
تزوج موسى من شعيب زمانه عقيلة نُعمى عندكم صرفتْ بوسا
وآنس من سيناء بهجتها هدى وعيشاً بألطاف المهيمن مأنوسا
ونال بها سؤليه حُسْناً وعفةً فأرّخْ (لقدْ أوتيتَ سؤلك يا موسى)

من مصادر دراسته :
معارف الرجال : ٢/ ٢٧٧ . العبقات العنبرية : ٢٢٤ . البابليات : ٢/ ٣ . شعراء الحلة : ٥/ ١١ . الكرام البررة : ٢/ ٥٤٥ . مكارم الآثار : ٣/ ٨٣١ .

(٥)
حُمَيِّد نَصّار
(- ١٢٢٥)

الشيخ حميّد ابن الشيخ نصّار الشيباني اللملومي النجفي، الشاعر والناثر، كان لَهُ اشتراك كبير في الحياة الشعرية للنجف، فقد اشترك في كثير من المناسبات وكانت له مراسلات أدبية شعرية ونثرية مع أدباء عصره ومع زعماء وقته، ومن أولئك الشيخ حمد آل حمود شيخ الخزاعل (المتوفي ١٢١٤) فمدحه ببنود كثيرة، وهو عمّ الشيخ محمد نصّار المعروف، صاحب القصيدة النصّارية الشعبية في رثاء الحسين«ع».

على أن جزءاً كبيراً من شعره قد توجه به صوب أئمة أهل البيت «عليهم السّلام»، وقد مات هذا الشيخ شهيداً عام ١٢٢٥ أو ١٢٢٦ هـ، وذلك انه مرّ بأراضي آل شبل وفي جيبه صُرّة فيها تربة الإمام الحسين «ع»، فظنوه يحمل فيها مالاً فقتلوه رحمه الله.

ومن شعره في رثاء الإمام الحسين «ع»:

ما انتظار الدّمع أن لا يستهلا ... أو ما تنظر عاشورا هلاّ؟!
هل عاشور فقم جدد به ... مأتم الحزن ودع شربا وأكلا
كيف لا تحزن في شهر به ... أصبحت آل رسول الله قتلى
كيف لا تحزن في شهر به ... غودرت فاطمة الزهراء ثكلى
كيف لا تحزن في شهر به ... رأس خير الخلق في رمح يعلى
وإذا عاينت أهليه ترى ... نوبا فيها رزايا الخلق تسلى
من عليل وسّدته البزل حلسا ... وقتيل وسدته البيد رملا

ومن مراثيه لهم «عليهم السلام»:

بدأت الغضا أرض ونحن لقربها حنين فصيل فارقته علوق
فعوجا خليليَّ الغداة بربعها وقولا : شج يشكو النوى وفريق
سقيم بداء مله منه أهله وناء جفاه صاحب ورفيق
تضيق عليَّ الارض وهي رحيبة وكلّ مكان بالغريب يضيق
فلا يبعدنك الله يا ليل خلة متى ما تلاقى شائق ومشوق
تسيل دموعي في الركاب إذا بدا من الشرق برق أو أضاء بريق
وإن نسمت أرواح حزوى يهيجني لها قرب عهد منكم وعبوق
وأصبو لركبان الجنوب كأنني لكل جنوبي المسير صديق
فثم مُنىً قد عاقني الدهر دونها وثم هوى مالي إليه طريق
فهل عهد ليلى لا يغيره النوى وثيق كما عهدي إليه وثيق
وهل عادها ما عادني من صبابة لها بين احناء الفؤاد حريق
فما بعدها إلا فؤاد بوجدها حريق وجفن بالدموع غريق

وَلَهُ من قصيدة في الإمام الحسين «ع» :

يوم أبن حيدر والأبطال عابسة والشمس من عِثْيَرِ الهيجاء تنتَقبُ
والسُّمْرُ من طَرَب تهتزّ مائسةً والبيض في قممِ الأقران تختضبُ
رامت أميّة أنْ تقتاد ذا لَبَد منه وتحجبُ بدراً ليس يُحتجبُ
فانصاع كالضيغم الكرار مبتدراً بصولة ريع منها الجحفل اللجبُ
يلقى الكماة بثغر باسم فرحاً كأنهم لندى كفّيه قد طلبوا
حتى إذا لمْ يدع للشرك من سكنٍ إلا وقامت به من يأسه الندبُ
وافته داعية الرحمن مسرعةً فخرَّ وهو يطيل الشكر محتسبُ
نفسي الفداء له والسمرُ واردة من نحرهِ والمواضي البيض تختضبُ
مضرج الجسم ما بلّت له غُللٌ حتى قضى وهو ظمآن الحشا سَغَبُ
دامي الجبين تريب الخد منعفر على الثرى ودم الأوداج ينسكبُ
مغسّل بنجيع الطعن كفّنه سافي الرياح ووارته القنا السلب

قضى كريماً نقيَّ الثوب من دَنَسٍ — يزينه كلّما يأتي ويجتنبُ
يا قائداً جمع الأعداء طوع يد — كيف استقادتك منها جامع ذرب
لئن رمتك سام الدهر عن إحَن — وقارعتك مواضيه فلا عجبُ
كنت المجير لمن عادى فحقّ لَهُ — أن يطلب الثأر لما أمكن الطلب
يا مُخرس الموت إن سامتك نائبة — من النوائب كيف أغتالك الشجب
يا صارِماً فلَّ ضرب الهام مضربه — ولا تعاب إذا ما فُلّت القُضُب
لو تعلم البيض مَنْ أردت مضاربها — نبتْ وفلّ شباها الروع والرَّهَبُ
ولو دَرَتْ عاديات الخيلَ مَنْ وَطَأتْ — أشلاءه لاعتراها العقر والنّقبُ
إنْ كوّرت منك كف الشرك شمس ضحى — فما على الشمس نقص حين تحتجبُ

. . . . الخ .

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ٦/ ٢٥٥ . ماضي النجف وحاضرها : ٣/ ٤٦٩ . معجم رجال الفكر : ٣/ ١٢٩٠ . الطليعة (خ) : رقم ٨٦ .

(٦)
جواد العامليّ
(١١٦٤ - ١٢٢٦) هـ

السيد جواد ابن السيد محمد ابن السيد حيدر ابن السيد إبراهيم الحسيني العاملي النجفي .

الفقيه الجليل المعروف ، الذي اقترن اسمه باسم مؤلفّه الفقهي «مفتاح الكرامة» الذي هو موضع تعظيم العلماء وثنائهم . كان (رحمه الله) من فقهاء الإسلام الكبار ، درس على أساتذة العلوم الإسلامية في مدينة شقراء إحدى مدن جبل عامل العلمية في العصور السابقة ، ثمَّ بدا لَهُ مواصل درسه العلمي في جامعتي العلم والمعرفة كربلاء المقدسة والنجف الأشرف ، فهاجر إليهما .

وحضر عند العظام من أساتذة هاتين الجامعتين العُظمَيْين ، كالوحيد البهبهاني وصاحب الرياض السيد علي الطباطبائي ثمَّ السيد بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ حسين نجف ، وبذلك أصبح السيّد أحد رموز العلم الكبرى في تاريخ الفقه الإسلامي في ذلك العصر ، ومن هنا توجه أفاضل الحوزة وعلماؤه الأعلام إلى باحة درسه ، ينهلون من نَبْع فقهه الصافي الثرّ ، فكان من جملتهم الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر والسيد صدر الدين العاملي والأغا محمد علي الهزار جريبي المازندراني والسيد محمد نجله وغيرهم .

عُرف عن السيد انقطاعه التام إلى الدرس والمطالعة والتأليف ، لا يحبّ أنْ يشغله عن ذلك شاغل ، بلْ ربما عُرف عنه تقديم الانشغال بالعلم على المأثور من المستحبات ، فضلاً عن الإنشغال بالأحداث التي تعيق عادة الباحثين في بعض الأوقات . ولذا كله صارَ علماً من أعلام الحوزات العلمية المقدسة ،

وكان له نتاج علمي ثرّ غزير ومهم ، ومن ذلك :

١ ـ مفتاح الكرامة ، وهو شرح استدلالي لكتاب (القواعد) للعلامة الحلّي ، كتبه بطلب استاذه الشيخ جعفر كاشف الغطاء ، وصارَ مدار البحث والمراجعة عند العلماء فيما بعد ، وهو مطبوع .

٢ ـ حاشية على مقدمة الواجب ـ على المعالم .

٣ ـ حاشية على تهذيب الأصول ـ ناقصة .

٤ ـ شرح وافية التوني ـ في مجلدين .

٥ ـ منظومات عديدة في : الزكاة ، الرضاع ، الخمس .

٦ ـ رسالة في الجزئية والشرطية .

فضلاً عن غير ذلك من الرسائل والمسائل والتقريرات .

توفي السيد سنة ١٢٢٦ هـ أيْ قبل وفاة أستاذه الشيخ جعفر الكبير ، «كاشف الغطاء» .

لقد أضاف السيد جواد العاملي (رحمه الله) إلى ملكة العلم التي عنده ، ملكة الأدب ، كيف لا وهو يعيش في وسط لا تكتمل فضيلة الإنسان فيه إلاّ بكلتا الفضيلتين وهذا هو شأن أساتذته أو بعضهم ، فضلاً عمن سواهم من سائر العلماء والأدباء ، ولذا نجد السيّد (رحمه الله) يشارك أدباء عصره في قصائد لمْ يبلغ بها ـ قطعاً ـ مبالغ شعراء عصره الكبار ، كما بلغ مراتب علماء عصره بعلمه ، ولكنه لا يهبط عن المستوى المقبول والمرضيّ عمن كان همه الأكبر الفقه والأصول وما إليهما .

له أشعار عديدة ، منها ما كتبه بخطه على مجلدات مفتاح الكرامة ، فعلى مجلد الشركة قوله من أبيات :

وبرق ضئيل الطرتين تخاله ... مخاريق مطرود بليل وطارد

ذكرت به صحبي عشية قوضوا ... على متن محمول على متن ساعد

وأنقذني من ربقة الجهل أنّني ... أبيت الليالي ساهراً غير راقد

ألاحظ أسفار الذين تقدموا ... وأنظر فيها واحداً بعد واحد

فلست ترى في العصر من جمع الذي جمعت وفي الآثار أصدق شاهد
أفي الشمس شك أنها الشمس عندما تجلت عيانا للبصير المشاهد

وعلى المجلد المذكور أيضاً تقريض على الشرح المزبور :

كتاب لباغي الفقه أقصى مراده ويغني به عن جدّه واجتهاده
كحلت له جفني بميل سهاده وخضَّبت كفي دائماً من مداده

وعلى مجلد الوكالة :

هذا كتاب ليس يوجد مثله في الفقه ما سلف الزمان وما غبرْ
جمع الأدلة كلها طرا كما جمع الفتاوى والوفاق وما اشتهر

وعليه أيضاً :

شرح به شرح الصدور من العمى قد ضم كتب الفقه في إيجاز
هيهات أن يأتي الزمان بمثله كم منحة لله في إعجاز

وله في مفتاح الكرامة أيضاً :

أتعبت نفسي بهذا الشرح مجتهدا ما صدني عنه شيء قل أو أكثرا
كل النهار وكل الليل في شغل فلا أبالي أطال الليل أم قصرا

وسار السيد مهدي بحر العلوم وهو مريض لزيارة الكاظمين (عليهما السلام) فقال المترجم هذه الأبيات :

عليك سلام الله موسى بن جعفر سلام محب يرتجي أحسن الرد
ويرجوك محتاجاً لأعظم حاجة هي النعمة الكبرى على الحر والعبد
فهذا إمام العصر بعد أمامه إمام الورى طرا سليلكم المهدي
أتاكم على بعد الديار يزوركم يجوب فيافي البيد وخدا على وخد
لقد جاءكم في حالة أي حالة ولو غيره ما سار يوماً مع الوفد
مريضاً فلا يقوى على الكور مركبا ولا السرج يغني لا ولا محمل يجدي

فنصف بريد سيره في نهاره ... وذلك منه غاية الجد والجهد
فيا لك جسما صح في الله قلبه ... فعاد مريضاً واهن العظم والجلد
ففي القلب أشواق تقود إليكم ... وفي الجسم أدواء تصد عن القصد
وقد قاده الشوق الملح إليكم ... فمنوا عليه بالشفاء وبالرفد
وما الرفد كل الرفد إلا لمثله ... وللرفد أسباب تضيق عن العد
وقد جمعت فيه جميعاً بفضلكم ... فكان بحمد الله واسطة العقد
وزواركم لا يحرمون مناهم ... فذو الغيِّ يحظى بالنوال وذو الرشد
وليسوا كحجاج إلى البيت يمموا ... فبعض على رفد وبعض على رد
وزواركم والحمد لله جمة ... كما الرسل والأملاك جلت عن الحد
وسيد خلق الله طه محمد ... كذا سيد الزوار سيدنا المهدي
فكل له أمر بمقدار فضله ... وعندكم التفصيل يا غاية القصد
فمنوا على جسم تمرض فيكم ... بعافية وفراء فضفاضة البرد
وذلك فضل يشمل الناس كلهم ... لأن كان باب الله في حرم الجد
عليكم سلام الله ما انبجس الحيا ... وسيقت غوادي المزن بالبرق والرعد

وقال أيضاً وأرسلها إليه إلى كربلاء :

غرام وما تخفي الجوانح لا يخفى ... وكيف وقد أودى به الوجد أو أشفى
فيا رائيا يفري رؤوس تنائف ... بدامية الأخفاف ينسفها نسفا
يفرفر فيها غير دال مهجهجا ... تزف به مثل الظليم إذا زفا
فأمسى كسهم في حنية واتر ... وأمست رزاحا بعدما أصبحت حرفا
رويداً على رسل فكم تدأب السرى ... لترتاد مغنى بالصريمة أو الفا
فإني أرى ما لا تراه فقف بنا ... قليلا ولو لوث الأزار وقد شفا
مخايل لم تكذب تبشر أننا ... سنصطبح النعمى ونغتبق الزلفى
فإني دبرت الجو فانساح لامع ... فآونةً يبدو وآونةً يخفى
وذاك وميض القدس من أرض كربلا ... فلا أبتغي حصنا سواه ولا كهفا

ولا اختشي والحافظ الله ضيعة ... وقد علقت كفي بكفين ما كفا
عليك سلام الله يا نور عرشه ... وأصدق من أوفى وأكرم من وفى
سموت كما الزاكي أخيك ذرى العلا ... فكنت لعرش الله تلوا له شنفا
وعانيت ما عانى فهادن حكمة ... وساموك ما ساموه في حكمهم خسفا
شهيدان مقتولان جهرا وغيلة ... وما عرفا نكرا ولا أنكرا عرفا
إمامان أهل العرش والأرض والسما ... من الله ترجو فيهما اللطف والعطفا
لقد ضاقت الدنيا بآل محمد ... وقام عليها كل طاغية عنفا
صريع غوان بين عود وقينة ... وتسكاب راح بات يشربها صرفا
وأضحت طغام الناس تبسر في الدنا ... وقد صعرت خداً وقد شمخت أنفا
وأضحت ولاة الأمر في ضيق ردحة ... وقد وجمت وجداً وكم جرعت حتفا
ولكنه لله في الدهر سنة ... ففي كل قرن مدمن فضله لطفا
أمام هدى يهدي إلى الحق أهله ... وينفي انتحالا كان لولاه لا ينفى
وناجم هذا العصر مشكاة نوره ... أجل الورى عرفا وأطيبهم عرفا
هو السيد المهدي من طاب محتداً ... ونفساً على مرضاة بارئه وقفا
فلله ما أقنى ولله ما اقتنى ... ولله ما أبدى ولله ما أخفى
وكل امرىء في الناس يسعى لنفسه ... ويبسط في غفّاتها الزند والكفا
وقد جل عن هذا وجلت صفاته ... وقد جاوز الإغراق واستغرق الوصفا
ولست بمحصي النزر من ذرو فضله ... ولو كنت أملي من فضائله صحفا

وقال أيضاً يمدحه :

إليك زمام الخلق يا خير مرشد ... وأنت نظام الكون في كل مشهدِ
وأنت أمين الله قمت بأمره ... على الدين والدنيا بأمر محمد
وحجته العصماء من كل وصمة ... وآيته الكبرى على اليوم والغد
وإنك جنب الله خازن علمه ... وإنك وجه الله في كل مقصد
تعاليت عن كنه الأنام ولا أرى ... إلى كل سر ثاقب الذهن يهتدي
تباين فيك الناس إذ بنت عنهم ... فأضحوا وهم ما بين غاو ومهتدي

وبين أناس حائرين وإنني لعاذرهم في ذاك غير مفند
ففي كل سر من علاك وظاهر دليل لكل نحو مبداه يبتدي
لك المعجزات البينات أقلها يقيم على ساق العلا كل مقعد
الست الذي أصمى اليهود بمعجز فخروا عناةً للجران ولليد
وأضحوا جميعاً مسلمين وإنهم جهابذ فيهم كل حبر مسود
يضيقون عن عد وتلك بيوتهم بجنح الدجى معمورة بالتهجد
وقاضي قضاة القوم أرشدت أمره وقد كان صعباً لا يلين لمرشد
وقومت زيغ التركمان وكم لكم بمكة آيات لكل موحد
وطائفة نهج الطريقة قد عدت وآزرها في غيها كل معتدي
فحين رأت ما يقطع العذر منكم تجلى عماها بعد طول تردد
وكم فرقة ضلت فروع أصولها رددتم إلى الأصل الأصيل الموطد
وللجن والأملاك شان لديكم فسل مسجداً في أرض كوفان ترشد
وقد جل ما قد حل فيه نكاية بقائد جيش السوء من خاتم اليد
وكم فيك سر لا أبوح بذكره مخافة خب طائش اللب سمهد
وفي درسك الميمون أعدل شاهد على سرك المخزون في كل مشهد
تدير كؤوس العلم من كل غامض على كل حبر بالفضائل مرتدي
وعلامة ندب امام زمانه ومجتهد في كل فن مصمد
هم القوم كل القوم إلا لديكم فإنهم ما بين بكم ولمد
فيا جبلا من قدرة الله باذخا ويحر ندى نادي الوجود به ندي
مدحتك لا إني رجوتك للغنى وإن غاض وفري من طريف ومتلد
ولكنني عاينت فيك شمائلا عرفت بها عرف النبي محمد
وقد صنف المولى كتاباً بيمنكم يفوق جميع الكتب في كل مقصد
وكم قمت للإرشاد بالباب راجيا صلاح كتابي والكتابة في يدي
فإن تلحظوه زاد نبلا ورفعة وبالغيث يغدو ممرعا كل فدفد
ولا زالت الأيام يا ابن بهائها تروح عليكم بالسرور وتغتدي

وقال راثيا ومؤرخاً وفاة أستاذهِ المذكور السيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي :

يا بقعة بزغت كالشمس في أفُقِ قد ضمَّ خير سراة الأرض ناديك
أصبحت في فرح والناس في ترح تبارك الله مرضينا ومرضيك
أصبحت كالبيت بيت الله محتشدا فالجنّ والانس والأملاك تأتيك
ما أنت سرداب سامراء زاد علاً وليس ناصب شمراخ الهدى فيك
فكيف أمسى بك المهدي واتّسَقَتْ فيك الملائك أملوك باملوك
لله من سبب بالله متصل وبحر علم أصاب اليوم واديك
قد ذاب فيك فؤاد الدين من حزن فأرّخوا غاب مد للهدى فيك

من مصادر دراسته :

تكملة أمل الآمل : ١٢٦ . شعراء الغري : ٢/ ١٣٦ . الأعيان : ٤/ ٢٨٨ . روضات الجنّات : ٢/ ٢١٧ . ريحانة الأدب : ٣/ ٣٩٦ . الكرام البررة : ١/ ٢٨٦ . معجم المؤلفين العراقيين : ٣/ ١٢٨ . معارف الرجال : ١/ ١٥٢، ١٨٦ . الفوائد الرجالية : ١/ ٦٨ .

(٧)
جعفر الجناجي «كاشف الغطاء»

«١١٥٤ - ١٢٢٧» هـ

الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر بن يحيى بن سيف الدين المالكي النسب، الجناجي الأصل، النجفي الميلاد والوفاة.

إن اسم الشيخ جعفر يغني عن تعريف مثلي به، ولكنْ لأنّ المنهج اقتضى ذكر جميع الشعراء في النجف الأشرف، نعرضُ لذكر موجز عن حياته الشريفة. فهو فقيه الإسلام الأعظم، وزعيم الطائفة الإماميّة، ولعلّه أوّل فقيه إمامي تنحصر فيه المرجعية الدينية العامة لما آتاه الله تعالى من الفضل والكرامة والعلم.

ولد الشيخ جعفر «كاشف العطاء» في النجف عام ١١٥٤ وقيل ١١٥٦ هـ، فنشأ على حبّ المعرفة، إذْ كان أبوه الشيخ خضر أحد العلماء الكبار في عصره، ومن هنا كان الشيخ جعفر قد سار على هدي والده وهداه. درس على يديه علوم الإسلام كما تغذى منه على الطهر والقداسة والصفاء. وإذا بهذا الشيخ الصغير يلتهم العلم التهاماً وكأنه وحيٌ يقذف في نفسه الزكية. درس في النجف وذهب إلى كربلاء حيث كانت حوزتها العلمية آنذاك من مراكز العلم الكبرى في المجتمع الإسلامي، فأخذ عن أساتذتها العظام كذلك وعاد إلى النجف الأشرف، مواصلاً الدراسة والتدريس، والتأليف والتصنيف، ولمْ يكنْ ليقتنع بهذا، حتّى أذاب كل جوارحه في محبة الله، فكان ذلك بادياً في سلوكه المتجرد المنقطع إلى الله تعالى، فكان حريصاً على بث ما لديه من علم بلسانه وبسلوكه، فحرصَ على ذلك. تابع نفسه وراقبها وتابع أهل بيته وطلبته وسائر الناس وراقبهم، مراقبة الحريص عليهم، المقوّم لسلوكهم وأخلاقهم، وتنقل في ذلك حكايات

عجيبة عنه ليس محلّ عرضها هنا ، وهي وأمثالها التي تُميِّز النجف كجامعة دينيّة عما سواها . فهي جامعة علم وعمل معاً ، وهي جامعة لبناء السلوك الاجتماعي ، كما هي جامعة لبناء الفكر الديني والإنساني ، فالنجف لا تحرص على تصدير المعرفة بقدر ما تحرص على تصدير علماء عارفين . هذه هي إحدى خصوصيات النجف ، بل هي أعظم خصوصياتها على الإطلاق .

وقد استعان الشيخ على ذلك بأنْ آجر نفسه لعبادة ثلاثين سنة كي يعيش بها مدة تحصيله .

لقد أسهم الشيخ جعفر إسهاماً كبيراً لا في صنع تاريخ النجف الذي عاصره فحسب ، بلْ في صياغة مستقبلها بعده ، فالمرجعية الدينية العامة كانت من إنجازاته الكبرى ، التي بقيت من بعده على المنهج الذي اختطّه الشيخ . والعَلاَقات السياسية والاجتماعية التي أسَّسَ لها الشيخ ظلّت هي الخطوط العامة لمنهج هذه الجامعة العلمية الكبرى . فقد جهد الشيخ في مدّة حياته على إقامة العلاقات المتوازنة مع أهل السياسية والحكم ، التي تمثلّتْ حينها بالعلاقة مع الدولتين الكبيرتين : الإيرانية والعثمانية (التركية) فاستطاع الشيخ جعفر أنْ يغرز الهيبة للنجف في نفوس أولئك الحكام ، وعلى أنْ تكون العلاقة بجامعة النجف الدينية هي علاقة الدولة الإسلامية بجامعة أهل البيت الكبرى . ومنْ هنا فإنّ الشيخ أراد لهذه الحكومات وخصوصاً الإيرانية منها أنْ تستظل بظل المرجعية الدينية . فإذا به يصل إلى مرحلة إعطاء شاه إيران «فتح علي» الإجازة في إدارة شؤون المسلمين والدفاع عن حقوقهم ووجودهم والسهر على مصالحهم . وإذا كان الشاه الحاكم ينظر إلى الموضوع على أنّه ترسيخ وتوطيد لأركان حكمه من خلال حصوله على الشرعية من قبل فقيه الإسلام ، فإنّ النتيجة هي أن حكم الشاه بهذا يبقى تحت نظر علماء الإسلام ، وإن السلطة الدينية هي سلطة المجتمع الحقيقيّة في الواقع .

وبذلك ؛ تكون العلاقة بين كل من الطرفين هي علاقة طبيعية تستجيب لواقع الفكر الإسلامي ، وتنتج حالة الأمن والطمأنينة ما سارَ الحاكم على نهج الإسلام بوصفه حاكماً لأمة تصدر عن ثقافة وتراث إسلاميين .

لقد واجه الشيخ جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ في عصر مرجعيته المطلقة

أحداثاً جساماً، كان أشدّها ألماً وخطراً الحركة الوهابية بقيادة سعود التي تحركت لدوافع اقتصادية وسياسية لاحتلال مدن العراق الكبرى ومنها «كربلاء» و «النجف» مدفوعة بشعار طائفيّ بغيض محتواه تكفير سائر المسلمين ومنهم مسلمو العراق، فدمّرت مُدُناً إسلامية كثيرة، ثمَّ توجهت صوب العراق فقتلت ونهبت وسرقت كما حدث ذلك في كربلاء المقدسة، ثمَّ أرادت أنْ تكرر تجربتها مع مدينة النجف التي كانت يوم ذاك أقل عدداً من مدينة كربلاء، فكان الشيخ وَمَنْ بقي معه من علماء النجف وأحرارها الذين أبوا أنْ يفرّوا منها، قَدْ قاموا بجهد عسكري وتنظيم جهاديٍّ متواصل للدفاع عن الإسلام والنجف الأشرف، فواجه الشيخ ومَنْ معه من علماء النجف وأهاليها هذه الحملة العسكرية على النجف وشعارهم الصمود والصبر، ودثارهم الإيمان، وقد صَدَقَ الله تعالى لهم وَعَدهُ بالنصر على أعدائهم، وكانت لأمير المؤمنين المعجزة العظمى التي دَحَرَتْ جموع الغزاة الكبيرة، فسلمت النجف، وبها سلم الإسلام ومرجعيّته وتراثه من العبث والحقد.

وقدْ واجه الشيخ (رحمه الله تعالى) بعض الأحداث الخطيرة الأخرى، فقد كانت بداية أحداث «الشمرت والزكرت» الهمجية المؤلمة قد بدأت شرارتها في عهده. حتى أن الذي يتأمّل في الأحداث يشعر وكأن هذه الحوادث هي نتيجة للأعمال الجليلة التي قام بها الشيخ ومنْ معه، في تحقيقَ حالة الأمن مع الدولتين، وإبقاء النجف في موقعها الطبيعي من الإسلام وحياة المسلمين، ومن ذلك التاريخ نلاحظ أنه كلما سعت النجف لأنْ تحقق للإسلام والمسلمين ما يحفظ كيانها ويحقّق كرامتها، تكالبت عليها قوىً تريد أنْ تذلّ الإسلام وتعصف بحياة المجتمع والناس.

يضاف إلى هذه التحديات كلّها، التحدّي الكبير والمؤسف الذي نتج عن الحركة الإخبارية اَلتي كان زعيمها يومئذ الميرزا محمد الاخباري، الذي استطاع أن يوجد حوله أنصاراً ومؤيّدين لتياره الذي هو في حقيقته منهج علميّ نظريّ، ولا ندري ـ بالضبط ـ كيف تحوّل إلى تيار اجتماعيٍّ وسياسيٍّ، وما هي الظروف التي ساعدت على هذا التوجه. وعلى كل حال فقد كان الشيخ في الجانب الآخر يعمل على مناهضة هذا التيّار، الذي كان

قد وجد له عند السلطان الإيراني تأييداً أو تشجيعاً ، وإذا بالشيخ يسافر بنفسه إلى إيران لمواجهة هذه الحالة ، وهو أمرٌ يستوقفنا كثيراً ولا نستطيع أن نجزم بخفايا الأمور المحركة لَهُ ، فما الذي كان يخافه الشيخ ومَنْ معه من العلماء (الأصوليين) هَلْ هو مجرد توجّه نظري علميّ أمْ أنّ هناك أموراً أخرى دعت لهذا التحرّك الكبير؟ ، هذا أمرٌ لا نستطيع أن نقف الآن معه وقفة طويلة .

كل هذه الأحداث التي عاصرها الشيخ أو عاصرته في الواقع ، حرَّكت من جانب آخر ضمائر الشعراء ومشاعرهم ، فكان لها أثرٌ على كثير من الأدباء والشعراء الذين سجّلوا بشعرهم تلك الحوادث ، ومن الطريف جداً جمعه ، فهو سجل تاريخيّ يعبر عن أحداث تلك المرحلة المهمة من حياة النجف خصوصاً ، وحياة الإسلام والمسلمين عموماً .

قلنا إن الشيخ صنع تاريخه ، وصنع لحد كبير تاريخاً نحن جزءاً منه بشكل أو آخر .

هناك جملة من الأساتذة العظام الذين تتلمذ عليهم الشيخ جعفر الكبير وهم :

١ ـ الشيخ خضر الجناجي والده .
٢ ـ الشيخ محمد تقي الدورقي .
٣ ـ السيد صادق الفحّام .
٤ ـ الشيخ محمد مهدي الفتوني .
٥ ـ المولى محمد باقر الوحيد البهبهاني .

آثاره العلمية:

١ ـ إثبات الفرقة الناجية .
٢ ـ أحكام الأموات .
٣ ـ بغية الطالب في معرفة الواجب .
٤ ـ غاية المأمول في علم الأصول .
٥ ـ كتاب فقهي في الطهارة .

٦ ـ كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء . وهو المنسوب إليه الشيخ وأسرته .

٧ ـ مشكاة المصابيح .

٩ ـ منهج الرشاد لمن أراد السداد .٠ رداً على الوهابية ، وهو جواب عن كتاب ورد إليه من سعود .

١٠ ـ الحق المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة الاخباريين .

عُرف عن الشيخ جعفر أن مَن عاصره ولم يدرس عنده لا يعرف باجتهاده في إيران .

ومن شعره هذهِ الأبيات في مدح السيد بحر العلوم :

لساني عن إحصاء فضلك قاصر وفكري عن إدراك كنهك حاسر
جمعت من الأخلاق كل فضيلة فلا فضل إلا عن جنابك صادر
يكلفني صحبي نشيد مديحكم لزعمهم أني على ذاك قادر
فقلت لهم هيهات لست بقائل لشمس الضحى يا شمس ضوؤك ظاهر
وما كنت للبدر المنير بناعت له أبداً بالنور والليل عاكر
ولا للسما بشراك أنت رفيعة ولا للنجوم الزهر هن زواهر

وقال مؤرخاً شفاء السيد مهدي المذكور من مرض ألم به :

الحمد لله على عافية كافية لخلقه شافيتك
قد ذاب قلب الوجد في تاريخها شفاء داء الناس في عافيتك

وقال يرثيه من قصيدة :

إن قلبي لا يستطيع اصطبارا وقراري أبى الغداة القرارا
غشي الناس حادث فترى النا س سكارى وما هم بسكارى
وكسا رونق النهار ظلاما بعدما كانت الليالي نهارا
ثلم الدين ثلمة ما لها سد وأولى العلوم جرحا جبارا
خصني بالجميل من بعد أن عمـ ـم البرايا ـ وطبق الاقطارا

وحـبـاني عـزا به بعـد ذل وكـسـاني جـلالة ووقـارا
مـا هديت الرشـاد لولاه والاحـ ـكام لـم أدرها ولا الاخـبـارا
من ترى بدفع الملمـات أو يصـ ـرف صـرف الزمـان إن هو جـارا
سـيـدي مـاتت العلوم ووارى الـ ـدين في الرمس من لك اليوم وارى
من يرد اليـهـود إن أبرزوها مـشكلات بردها الكل حـارا
كنت تتلو توارتهم فـيـردو ن عن الغي للهـدى اسـتـبـصـارا
من لأعـلام مكة وجـمـاهيـ ـر الحـجـاز انتـحـوا إليك بدارا
طالبين الحـجـاج والكل قـد ثقـ ـف لـلبـحـث أملدا خـطارا
فـحـجـجت الجميع بالحجج الغر فـدانت لك الخـصـوم صـغـارا
ولكم مـعـجـز بهـرت به الخلـ ـق به حـالك الظلام انارا
صـدني أن أقـول أنت نبي أودع الله كـهـنه الأسـرار
إن رب العـبـاد قـد ختـم الرسل بطه المختـار جل اختـيـارا
سيـدي نجلك الرضا مستطار الـ ـقلب لا يسـتطيع قط قـرارا
كـيف أزمـعت غـيـبـة قبل أن يأ تي فـيـطفي كل بكل أوارا

ومن شعره مادحاً السيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي :

إليك إذا وجـهت مـدحي وجـدته معيباً وإن كان السليم من العيب
إذ المدح لا يحلو إذا كـان صـادقـاً ومدحك حاشاه من الكذب والريب

وله من أبيات أرسلها إلى الشيخ محمد رضا النحوي :

يكلفني صـحـبي القـريض وإنما تجنبت عنه لا لـعـجـز بدا منِّي
ألـم يعلمـوا أن الكمـال بأسـره غدا داخلا في حوزتي صادراً عني
ألم تر مـولانا الرضـا نجل أحـمـد إذا قال شعراً لم يحكم سوى ذهني
على أنه للفـضل قطب وللنهى مـدار وفي الآداب فـاق ذوي الفن
غـدا في الورى ربا لـكل فـضـيـلة وحاز جميل الذكر في صغر السن

وله في رثاء الشيخ أحمد النحوي ومدح ابنه :

مات الكمال بموت أحمد واغتدى	حـيـا بأبلج من بنيـه زاهر
فأعجب لميت كيف يحيا ظاهرا	بين الورى من قبل يوم الآخر

من مصادر دراسته :

أعيان الشيعة : ٤/ ٩٩ . شعراء الغري : ٢/ ١٠٧ . رجال بحر العلوم : ١/ ٦٨ . روضات الجنات : ٢/ ٢٠٠ . الكرام البررة : ١/ ٢٤٨ . معارف الرجال : ١/ ١٥٠ . معجم المؤلفين العراقيين : ١/ ٢٥١ . ريحانة الأدب : ٥/ ٢٤ .

(٨)
إبراهيم الحسني البغدادي
«- ١٢٢٧هـ»

السيد إبراهيم ابن السيد محمد ابن السيد علي الحَسَني البغدادي ، أحد أعلام هذه الأسرة الكريمة «آل البغدادي الحسني» الذين ذكرنا غير واحد من أدبائهم في كتابنا هذا ، والسيد إبراهيم هذا هو أبو السيد حيدر الذي ينتّسب إليه أحد بيوت هذه الأسرة والتي عُرفت بآل حيدر نسبة إليه وأخو الفقيه الشاعر السيد أحمد ووالد الشاعر السيد باقر .

هاجر هذا السيد من بغداد إلى النجف الأشرف ، وتلقى علوم الإسلام على جملة من أساتذتها ومن جملتهم السيد محمد مهدي بحر العلوم ، فعرف بالعلم والتقى والزهد . كان السيد إبراهيم أحد أدباء عصره وشعرائه البارزين ، وقد كانت بينه وبين أدباء عصره مراسلات ومكاتبات كالسيد محمد زيني وغيره . وهو أحد الأدباء الستّة الذين قرضوا تخميس الشيخ محمد رضا النحوي لقصيدة البردة للبويصري في عصر السيد بحر العلوم يرحمهم الله جميعاً .

ومن شعره في رثاء سيّد الشهداء «ع» :

لهفي لتلك الرؤوس يرفعها ... على رؤوس الرماح أوضعها
لهفي لتلك الجسوم عارية ... وذاريات الصبا تلفعها
لهفي لتلك الصدور توطأ بالـ ... ـخيل ومنها العلوم أجمعها
لهفي لتلك الأسود قد ظفرت ... بها كلاب الشقا وأضبعها
لهفي لتلك الأوصال تنهبها الـ ... ـسمر وبيض ، الظبا تقطعها

لهـفي لتلك البـدور تأفل في الـ ـتـرب وأوج الجـمـال مطلعـهـا
لهـفي لتلك البحـور قـد نضبت وكم طمـا دافـقـاً تدفـعـهـا
لهـفي لتلك الجـبـال تنسـفـهـا من عـاصفـات الضلال زعزعـهـا
لهـفي لتلك الغـصـون ذاوية ومن أصـول التـقى تفـرعـهـا
لهـفي لتلك الديار مـوحـشـة تبكي لفـقـد الأنيس أربعـهـا

وله أيضاً في رثائه «ع» :

لم أبك ذكـر مـعـالم وديار قـد أصـبـحـت ممحـوة الآثار
واستوحشت بعد الأنيس فما ترى فـيـهن غـيـر الوحش من ديار
كـلا ولا وصل العـذارى شـاقني فـخلعت في حبي لهن عـذاري
كـلا ولا برق تـألق مـن ربى نجـد فـهـيج مـذ سرى تذكـاري
لكن بكيت وحق أن أبكي دمـا لمصـاب آل المصطفى الاطهـار
وإذا تمثلت الحـسين بكـربلا أصـبـحت ذا قلق ودمع جـار
لم أنسـه فـرداً يجول بحـومـة الـ ـهـيجـاء كـالأسد الهـزبر الضاري
لا غرو أن أضحى يكر على العدى فـهـو ابن حـيـدرة الفـتى الكرار
حـتى أحـيط به وغـودر مـفـرداً خلواً من الأعـوان والأنصـار
يا للحـمـاة لمصـعب تقـتـاده أيدي الردى بـأزمـة الاقـدار
يا للمـلا لدم يطل مـحـللا بمـحـرم لمحـمـد المختـار
يا للرجـال لهـاتف يدعـو ألا هل من مـحـام وهو حـامي الجار
ويموت ظمـآن الفـؤاد ولم تغـر أسـفـاً مـياه السـبـعـة الأبحـار
وبنوه صـرعى كـالأضاحي حـوله مـا بين بدر دجى وشـمس نهـار
أين الخـضـارمـة القـمـاقم من بني مـضـر وأين ليـوث آل نزار
كم من مـخـدرة لآل مـحـمـد قـد أبرزت حـسرى من الأستـار
نحـر له الهـادي النبي مـقـبل أضـحت تقـبله شـفـاه شـفـار
صـدر يرضض بـالخـيـول وإنه كنز العلوم وعـيـبـة الأسـرار

يا جـد هل خـبـرت أن حـمـاتنا قـد أصبحـوا خبـراً من الأخـبـار
يا مـــدرك الأوتار أدركنا فـقـد عظم البـــلا يا مـــدرك الأوتار
فإليك يا غـوث العـبـاد المشـتكى مما ألـم بـنـا مـن الأشـــــرار
والمؤمنون على شـفـا جـرف الردى فـــبـــدار يا ابـن الأكـــرمين بـدار
يا سيداً بكت الوحوش عليه في الـ ـفلوات يا ابـن الأكـــرمين بـدار
يا ابـن النبي الهـاشـمي ومن أتى للعـــالمين بأصـــدق الاخــبـــار
يا رب أظهـــر ديننا بظهـــوره وانصـــره واجـعلنا من الأنصـــار
يا منيـة الكرار بل يا مـهـجـة الـ ـمـخـتـار بل يا صـفـوة الجـبـار
أتزل بي قـــدم ومـــثلك آخـــذ بيـدي وأنت غـداً مـقـيل عـثـاري
ويذوق حـر النار من ينمى إلى الـ ـكرار وهـو غـداً قـسـيم النار
أو يخـتـشي منهـا ونار سـمـيـه بكـم خـبت في سالـف الأعـصـار
ولقد بذلت الجهد في مدحي لكم طـمـــعــــاً بأن تمحى بكم أوزاري
صـلـى الإلـه عـلـيكـم وأحـلـكـم دار الســلام فنعـمى عـقـبى الدار

وله راثياً السيد مرتضى الطباطبائي والد السيد بحر العلوم .

مـــصـــاب أذال الدمـــوع الغـــزارا وأجج بين الحـــشى منه نارا
وخطب ترى الناس من هوله الـ ـعظيم سكارى ومـا هـم سكارى
وعبء أسى حـــمله لا يطاق يهـد القـوى ويقـد الفـقـارا
ونار جـــوى كلمـــا رمت أن تبـوخ ضـرامـا تزيد اسـتـعـارا
فـــوا لوعـــتـــاه لعـضب نبـا وطـود تـداعـى وبـدر تـوارى
قـضى المرتضى من بني المرتضى ومن هو أزكى البـرايا نجـارا
فـقـدنا فـتى كـان أوفى الورى وفــاء وصـدقـا وأرعى ذمـارا
فـــقـــدنا أبر كـــريم إليـــه نحث القطار ونطوي القـفـارا
فـقـدنا فـتى كـان مأوى الطريد وكـهف اليتـامى وغـوث الحيـارى
فـــقـــدنا فـتى لم يزل بيـتـه لمن حـجـه خـائفـاً مـسـتـجـاراً

فقدنا فتى لا يزال التقى شعاراً له والعفاف الدثارا
لقد أظلم الكون لما قضى وكم بسناه البهي استنارا
وضل الأنام سواء السبيل من بعده حيث كان المنارا
فمن لليتامى رأت بعدما مضى عزها ذلة أو صغارا
أتسلب أيدي الردى نفسه وكم أطلقت يده من أسارى

وله في رثائه أيضاً :

أرأيت هذا اليوم ما صنع الردى بدعائم التقوى وأعلام الهدى
أنظر إلى شمل المكارم والعلى من بعد ذاك الجمع كيف تبددا
ما للنوائب ليس يفتأ سهمها نحو الكرام مدى الزمان مسددا
مالي أرى الدنيا على الدنيا العفا أن أضحكت يومها أبكت غدا
مالي أرى العلياء أظلم أُفقها أفنور بدر سمائها قد أخمدا
ما للمدارس أصبحت تبكي أسى أفقام ناعي المرتضى علم الهدى
لله نار جوى تزايد كلما طال الزمان تزافراً وتوقدا
كيف السبيل إلى النجاة ولم يزل سيف الحمام على الأنام مجردا
من يطلق الأسرى ومطلق أسرها أمسى بأصفاد المنون مقيدا
وبمن يلوذ اللائذون وقد قضى من كان كهفاً للانام ومقصداً
وبمن نصول على الزمان وقد مضى من كان غضباً في الخطوب مهندا
ميت له بكت المفاخر والعلى ونعته أندية السماحة والندى
وتصعدت أنفاسنا ونفوسنا حزنا عليه وحق أن تتصعدا
قد هد أركان السرور مصابه وغدا لأركان الهموم مشيدا
يا قبره قد طلت أبراج السما في الفخر حيث المرتضى بك أُلحدا
يا قبره ما أنت إلا هالة كانت له دون المراقد مرقدا
ما مهجة ألا وودت أنها أبدا له كدموعنا متعهدا
لا زال صوب عهاد كل سحابة ويقل في أمثاله منها الفدا

بالود منا لو فدته نفوسنا بلظى الكآبة والأسى متوقدا
ما عذر قلب لا يبيت لفقده وعدا عليه من العوادي ما عدا
اليوم ربع المجد صوح نبته اليوم برقعت الهدى ظلم الردى
اليوم ألبست العلى حلل الأسى ونطول فخراً في الأنام وسؤددا
أين الذي كنا نسود به علا وحقوقنا فرضا عليه مؤكدا
أين الذي قد كان رعي ذمامنا غوثاً لكل من اعتفى ومن اجتدى
أين الذي قد كان فيض نواله يأبى شواظ لهيبها أن يخمدا
أودعت في الأكباد منا لوعة قد كنت غيظا للحواسد والعدى
ولها بنا شمت الحسود وطالما قدْ كنت غيضاً للحواسد والعدى
بعداً ليومك إنه يوم به أمسى السرور عن الأحبة مبعدا
أشقيق روحي للأسى خلفتني قد صرت أهوى أن أشاطرك الردى
حزني عليك كما علمت مؤبد لا ينقضي أبداً وإن طال المدى
قد كان ليلي قبل يومك أبيضا واليوم أصبح صبح يومي أسودا
أقسمت بالود القديم وسالف الـ ـعهد الذي هو بيننا قد أكدا
لو أن ريب الدهر يقنع بالفدا لفداك منا كل أشوس أصيدا
يا آل بيت المصطفى والمرتضى صبرا على ما نابكم وتجلدا
ورضا بحكم الواحد الأحد الذي هو بالدوام وبالبقاء تفردا
وكفى النفوس تسليا من بعده بسليله مهدي أرباب الهدى
صدر الأفاضل قدوة العلماء من بجدوده في القول والفعل اقتدى
علامة العصر النطاسي الذي عنه حديث الفضل يروى مسندا
المفرد العلم الذي بوجوده أمسى بناء المركمات موطدا
فهو الذي يحيى مآثر مجده ويشيد من عليائه يا شيدا
ما سار عن دار الفناء مسارعا إلا ليغتنم النعيم السرمدا
ومذ اغتدى جار الشهيد بكربلا أضحى بجنات النعيم مخلدا
ليقر عينا حيث حل ببقعة أمسى ثراها للنواظر أثمدا

بشراه قد نال الجنان وجاور الـ   ولدان والحور الحسان الخرّدا
ولقد جهدت بنظم تاريخ له   فأبى علي وبات فكري مجهدا
وقريحتي أمست هناك قريحةً   وبقيت من قلقي لذاك مسهدا
فإذا بأعظم هاتف في الغيب لم   أر شخصه قد جاء يعلن بالندا
إن رمت تاريخ الشريف المرتضى   فهلم أرخ قد قضى علم الهدى

من مصادر دراسته :

الأعيان : ٢/ ٢١٣ . الطليعة (خ) : رقم (٦) . معجم رجال الفكر : ١/ ٢٤٧ . شعراء بغداد : ١/ ٩٩ . معجم المؤلفين العراقيين : ١/ ٥٠ . رجال السيد بحر العلوم : ١/ ٦٧ .

(٩)
حمود الظالمي
«القرن الثالث عشر الهجري»

الشيخ حمود ابن الشيخ إسماعيل بن درويش بن الحسين بن خضر الظالمي لقباً السلاميّ نسباً، عُرف هذا البيت الكريم في النجف الأشرف في أواخر القرن الثاني عشر، وهم من آل السلامي في الواقع، وإنما لحقهم اللقب المذكور لمصاهرتهم مع الظوالم وكلا القبيلتين من السماوة ونواحيها. على أن الأسرة التي منها الشيخ حمود الظالمي والتي عُرفت في النجف بالعلم والأدب والفضل هم من آل السّلامي. ومنهم الشيخ حمود هذا، الذي كان معاصراً للسيد بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء، وهما من أساتذته، أخذ عنهما وعن أعلام عصره، حتى صارَ من علماء عصره البارزين، وقد خلفه في العلم والفضل أبناؤه وأحفادُه ومن أولئك في اليوم الشيخ الدكتور صالح الشيخ مهدي الظالمي، أحد وجوه النجف العلمية والأدبية الكبيرة.

شارك هذا الشيخ الجليل في ميدان الشعر كما شارك في ميدان الأدب فكان من شعراء النجف وأُدبائها، فقد رثى علماء عصره، ومدح آخرين ومنهم أمراء إيران، ومن شعره راثياً الشيخ جعفر كاشف الغطاء الكبير:

لم يشجني ذكر أحباب بذي سلم ... ولا جرى مدمعي شوقاً إلى أضم
ولا سألت الحيا سقي الربوع ولا ... طربت شوقا لذكر البان والعلم
ورب ناشدة الأتراب من وله ... لما رأت أدمعي ممزوجة بدم
قد كنت أعهده والدهر ذو غير ... ينابذ الدهر لم يخضع ولم يضم
لم تدر ما حل بالإسلام من محن ... جلت وما صبت الأيام من نقم

أودت بامنع ماضي العزم ذي همم جلت عن الوصف والأحصاء بالكلم
ساس الأقاليم بالنطق الحكيم كما كان النبي يسوس الناس بالحكم
لو كان في الأمم الماضين مولده لاختاره الله مبعوثا إلى الأمم
ما ميز الأنبياء الرسل عنه سوى هبوط وحي أتى من بارىء النسم
كأن في العالم العلوي نشأته أو كان ذا عصمة حلت بمعتصم
يا وحشة الدين والدنيا لغيبته يود أهلوهما لو يفتدى بهم
لولا التعلل بالأمجاد عترته الـ أطهار أهل النهى مستودع الحكم
هم هم خير من تحت السما شرفا ومثل من فوقها بالقدس والعظم
يؤمهم للعلى حامي الحقيقة من جلت مزاياه أن يحصين بالقلم
موسى بن جعفر قل ما شئت من شرف واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
إن روعت منك قلب الدين نائبة أردت بحد شباها كل مصطلم
فكيف تخشى صروف الدهر والملك الـ ـمنصور أولاك وداً غير منصرم

ومن شعره ، وقد رثى فيه الشيخ الوحيد البهبهاني :

ما بال دمعك لا ينفك في صبب ونار وجدك لا تنفك في لهب
فقلت واستعجلتني عبرة أخذت على لساني فلم أمسك ولم أجب
(طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي إلى الكذب)
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
ناع نعي الباقر العلم الذي أخذت عن علمه علماء العجم والعرب
تاج الأئمة قطب الشرع محكمه علامة الخلق من ناء ومقترب
شمس أضاء بها الإسلام قد وجبت لو استعارت سناها الشمس لم تجب
من مبلغ آل بيت الله إن حمى علومهم عاجلته صولة النوب
من مبلغ آل بيت الله إن حمى علومهم قد رماه الدهر من كثب
فما ترى أبحراً في العلم زاخرة إلا وامدادها من بحره اللجب
يا يوم باقر علم المصطفى علقت يد الردى فيك بالافضال والحسب

صبراً بنيه فإن الصبر أجمل بالـ ـحر الكريم على الأرزاء والنوب
كم فيكم منه من علامة علم قرت بعلياء عين العلم والأدب

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ٣/ ٢٨٣ . أعيان الشيعة : ٦/ ٢٥٢ . مشهد الإمام : ٤/ ٢٣٢ . ماضي النجف : ٣/ ٤ . الكرام البررة : ١/ ٤٤٦ .

(١٠)
حسين العاملي
(/ - ١٢٣٠هـ)

السيد حسين ابن السيد أبي الحسن موسى ابن السيد حيدر ابن السيد أحمد ابن السيد إبراهيم الحسيني الشقرائي .

من العلماء الفقهاء الذين يشار إليهم بالفقه والعلم والعمل ، كانت له مدرسة علمية في جنوب لبنان . هاجر إلى العراق وحضر على أساتذة عظام منهم السيد بحر العلوم والوحيد البهبهاني ، حتى أصبح أحد فقهاء الطائفة الكبار ، وارثاً بذلك مكانة أبيه العلمية المرموقة .

درس ودَرّس ، فكان من جملة تلاميذه الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر .

اتصل هذا السيد الجليل بأمير خزاعة آنذاك الشيخ حمد آل حمود وتمت بينهما مصاهرة كما اتصل بالوالي أحمد باشا وغيره .

كان السيد يقيم صلاة الجماعة في جامع الطوسي ، وإذا ما أتم الصلاة جلس على المنبر يعظ الناس ويعلمهم أحكام الإسلام .

ومن شعره يرثي به أستاذه الوحيد البهبهاني ويذكر فيه هجرة السيد بحر العلوم من كربلاء إلى النجف :

سقى دارهم من صيب الدمع وابل ... وإن جادها من ريق المزن هاطل
رسالة مشتاق وتلك تعلة ... وهل تنفع العاني المشوق الرسائل
ألا ليت شعري هل إلى ذلك الحمى ... سبيل فتزجى اليعملات المراقل
ومن لي بإلمام عليه ودونه ... سباسب بُهْمٍ دونهن غوائل

سباريت لم تنسج بها الريح مطرفا ولا وضعت فيها الغوادي الحوامل
يبــاب فلو وهم تخطى بدورها أصــاب نكالا وانثنى وهو ناكل
وما عذر مثلي لا يروض صعابها ولا يصطلي جمر الغضى وهو شاعل
فما سئمت نفس السري من السرى ولا عــاقـهـا عــمـا تروم الحبـائل
لي الله كم أدلجت فـيـهـا تهـزني نوازع نفس في العلى ومـخـائل
لي الشـوق هاد والعـزيمة مـركب وحــبـي زاد والدمــوع مناهل
فلما انتهينا للحمى لا خلا الحمى إذ الدار قــفــر والخليط مــزايل
خليلي قوما واسعداني فقد طحا بقلبي داء من جـوى البين قــاتل
لعـمـركـمـا مـا شب لاهب لوعـتي كـواعب من أحـيـاء بكر عـقـائل
تثنى بأعطاف نشـاوى من الصـبـا كـمـا يتـثنى الشـارب المتـمـايل
ولكن شجاني ما شجاني وشفني مـصــاب له في الخـافـقين زلازل
فكم ثُلّ عـرش منه وانهـار شـامخ وكم خر مـصـعوق وألقت حوامل
قضى شمس دين الحق أكرم من قضى وناحت على الدين الحنيف الثواكل
قضى باقر العلم الذي سن للهدى طريقــة حق لا يدانيــه باطل
قضى باقر العلم الذي سن شـرعة عليــهــا لرواد الرشــاد دلائل
وخط لهـا رسـمـا وأرسى قـواعـدا لهــا فــوق هام النيـرات كـلاكل
مــراسم للبـيت الحـرام قـواعـد قــواعـد للدين الحنيف مـعــاقل
تبـسم منهـا الدهر والدهر عـابس وأخـصب منه القطر والقطر مـاحل
وأشـرق منهـا الصبح والليل سـافع وأسـفـر منهـا العلم والجهل شـامل
وعـبـقت الآفـاق بالنشـر والشـذا وقد شَعْشَعَتْ بالنور تلك الخمائل
وسـار على منهـاجـهـا كل عـالم فــمــا عــالم إلاّ بهــا اليــوم عـامل
تصـرم أعـمـار الليـالي وتنطوي ولا تنطوي تلك العلى والفـضـائل
بنفـسي حي خـالد وهو مـيت مـقيم على طول المدى وهو راحل
بنفـسي من أمـسى رهين جنادل (ففاخرت الشهب الحصى والجنادل)
بنفسي من لا أختشي بعده الردى ولست أبالي من تغـول الغـوائل

لئن أقـفـرت تلك الربوع فطالما ... أناخ من الهـلاك فـيـهـا قـبـائل
فمن سائل فضلا ومن طالب هدى ... أبى الله فـيـهـا أن يخيب سـائل
لقـد أنعش الله الهـدى بخـلائف ... له في العلى كل لكل يشـاكـل
فـمـا غـاض بحـر من نداه تهللت ... سـحـائب غـر موجـهـا متـواصل
ومـا صـاح روض في ذراه ترنحت ... فـوارع للمـجـد الأثيل أمـاثـل
ومـا غـاب بدر من سناه تألقت ... نجـوم بهـا للمـهـتـدين دلائل
وليـس يزول الـهـم إلاّ بـرحـلـة ... إلى منزل من دونه النجم نازل
إلى روضـة غناء قس وجـرول ... وسـحـبـان للإطراء فـيـهـا عنادل
إلى بلد فـيـه الشـريف ابن فـاطم ... منيل الأمـاني للبـرية كـافـل
هو السـيـد المهـدي من سـار ذكـره ... كما سار في الكون الصبا والشمائل
هو البحر علما والسحاب مواهبا ... ومـا الناس إلاّ سـائل ومـسـائل
جواد جرى والغيث في حلبة الندى ... فـغـبـر في وجـه الحيا وهـو هاطل
لئن كـان قـد وافى أخـيـرا فـإنه ... (لآت بما لم تسـتـطعـه الأوائل)

وله مادحاً أحمد باشا :

وذكـرني عـهـداً ومـا كنت ناسـيـا ... وريق عـيش زاد في الوصل رونقـا
ألا ليت شعري هل إلى معهد اللقا ... سبيل فتزجى الشدقميات للقى
ومن لـي بإلمام عليــه ودونه ... سباريت في أرجائها الموت أحدقا
يبـاب فلو وهـم تخطى بدورها ... ألم به خـطب جليـل وأوبقـا
أديرا على الصب الشـجي سـلافـة ... من الوجـد في تذكار شمل تفرقا
وقصا على سمعي أحاديث راهط ... لينهل دمع العين منهـا ويغـدقـا
أعلل نفـسي باللقـا وهي لا تعي ... ومن لي بأن أبقى إلى زمن اللقـا
عـسى نلتقي يومـاً فـأحيـا بنظرة ... وإن كنت مـيـتـاً لا حـراك به لقى
سقاني سلاف الحب سالف وصلهم ... وصبح بالأشجـان قلبي وغبـقـا
مـعـتـقـة من عـهـد آدم لـم تزل ... تزيد على مـرّ الليـالي ترقـرقـا

وما زال بعد البين قلبي مقيداً ودمعي على طول التفرق مطلقا
كأن ملث الدمع نائل أحمد وقد ملأ الآفاق غرباً مشرقا
هو الغاية القصوى هو الكعبة التي تحج ولم يبرح بها الوفد محدقا
وتأتي إليها الناس من كل وجهة تحثّ هجاناً تحسب الحزن سملقا
لقد طبق الآفاق صيت كماله وطار إلى السبع الطباق وحلقا
فيا أيها الساري المغذ إلى العلى رويداً فما فوق السموات مرتقى
تخذناه كهفاً والنوائب جمة فبدد شمل النائبات ومزقا
له همة تلقي عليه مهمنا فلم نخش من خطب وإن كان موبقا
فيا منجدا رد من معاليه منحدا ويا متهماً عرج ودونك جلقا
به حظيت أرض الشئام فأسبلت سحائبه فيها ملثاً وريقا
سحائب جرت في سما الجود ذيلها وجادت فبذت عارض المزن مغدقا
كست ربعها برد الربيع موشعا بأنجم أزهار كعقد تنسقا
وعبقت الآفاق بالنشر والشذا فلست ترى في الكون إلاّ معبقا
وأزهر ناديه ورقت رياضه بأزهر فاق الشمس نوراً ورونقا
لقد أجدبت أرض العراق لنأيه وشيب منها الوجد صدغاً ومفرقا
فلا نبت إلاّ صاح بعد غضارة ولا مورد إلاّ وأضحى مرنقا
فيا ديمة في كل أرض تهللت وبدر علا في كل فيفاء أشرقا
مزاياك عد لا تعد فلو رقى إليها خطيب مصقع خر مصعقا

ومن شعره قوله هذه الأبيات قالها إذ احتجب عن درسه السيد بحر العلوم الطباطبائي لمانع ثم ارتفع .

إلاّ قل لمهدي الورى السيد المهدي إذا غبت عنا يا هدانا فمن يهدي
ومن لأحاديث النبي وآله إذا أنت لا تبدو لغامضها يبدي
تنوب عن المهدي للناس في الهدى وتحجب عنهم مثلما حجب المهدي

وقوله مهنئاً له ومؤرخاً عام ولادة ولده السيد محمد :

بشـــرى بأكـــرم وافـــد أحيى النفوس وخير قادم
من خـيـر البلغـــاء كنـ ـه صـفـاته فـالكل واجم
نجل الذين سـمـوا عُـلاً بالمكرمـات على الأكـارم
وأكـفـهم قـد أخجلت في فيضها السحب السواجم
قـــرت بـه عين العلى وتهللت سـحب المكارم
وبه المرابع أخـصـبت وتهـاتفت ورق الحـمـائم
مـذ زال أقصى الريب من تاريخـه فـالحق باسم
أرخـتـه بعث الإله مـحـمـداً من آل هاشم

من مصادر دراسته :

الأعيان : ٨/ ١٨١ . شعراء الغري : ٣/ ١٥٧ .

(١١)
هاشم الكعبي
(/ - ١٢٣١هـ)

الحاج الشيخ هاشم بن حردان الكعبي الأهوازي الدورقي .

أحد فقهاء عصره وأدبائه الكبار ، وقصة هذا الأديب من القصص الطريفة ، وذلك أنه كان في خوزستان معاصراً لفارس الكعبي رئيس قبيلة كعب ووالي السلطان ناصر الدين شاه على الفلاحية ، ولأدب الشيخ هاشم فإن فارس الكعبي جعله كاتباً عنده ، وذات يوم اختلفا فغضب الشيخ فارس على الحاج هاشم حتى خرم أذنه ، فأخذ الشيخ هاشم يهدد الشيخ فارس ويتوعّده ومن جملة ذلك أنه قال له : سيأتي زمانٌ قريب تقبّل فيه يدي وأنت صاغر يا فارس ، فكان الشيخ فارس يضحك مستهزئاً من قوله .

التجأ الشيخ هاشم بعد ذلك إلى النجف الأشرف ، وأخذ عن علمائها علوم الإسلام ، على كبرِ سنٍّ منه ، وراح يواصل مسيرته الأدبية والعلمية حتى أخذ قسطاً وافراً منَ العلوم والآداب ، وأصبح أحد العلماء الفقهاء ، عندها عاد إلى وطنه ، ولما سمع الناس بعودته خرجوا وهم يقولون جاء العالم ، فخرج الشيخ فارس الكعبي فيمن خرجوا لاستقباله ، وقبّل يده مع مَنْ قبل يد الشيخ حتى جلس الشيخ فنظر إليه الشيخ فارس فإذا هو صاحبه القديم ، والتفت إليه الشيخ هاشم وذكّره بما قال له قبل سنوات بأنه سيأتي اليوم الذي يقبل فيه هذا الرئيس يَدَه ، ومن شعر الشيخ هاشم تخميسه للبيتين المنسوبين إلى داود باشا والي العثمانيين على بغداد والعراق :

باتَتْ بقرب لئيم تكثر العَذَلا   تصله خفيةً سكرى لمىً وطلا
تقول لو أن ما قالته قد حصلا   (ليت الملاح وليت الراح قد جعلا
في جبهة الليث أو في قبة الفَلَك)

لو أن حكم الغواني والطّلا بيدي لمْ تأوِ بيتَ جبانٍ بيضة البَلَدِ
ولمْ يذق قطّ طعم الراح ذو فَنَد (فلا يعانق محبوباً سوى أسدِ
ولا يدور بكاساتٍ سوى مَلكِ)

ومن شعره، هذه القصيدة الدالية في رثاء سيّد الشهداء الإمام الحسين (ع):

أرأيت يوم تحمّلتك القودا مَنْ كان منّا المثقل المجهودا
حملتها الغصن الرطيب ووردهُ وحملت فيك الهمّ والتسهيدا
وجعلت حظّي مِنْ وصالك أنْ أرى يوماً به ألقى خيالك عيدا
لو شئت أن تعطي حشاي صبابةً فوق الذي بي ما وجدت مزيدا
أهوى رباك وكيف لي بمنازل حشدت عليّ ضغائنا وحقودا
أمعرس الحيين ما لك لم تجب مغنى ولم تسمع له منشودا
أأصمّك الأضعان يوم تحملوا أم صرت بعد الظاعنين بليدا
قد كنت توضح بالأسنة والضبى معنى وتفصح موعدا ووعيدا
حيث الشموس على الغصون ولم تكن عانيت إلاّ أوجهاً وقدودا
من سام عزك فاستباح من الشرى آساده ومن الخدور الغيدا
أنى انتفى ذاك الجمال وأصبحت أيامك البيض الليالي سودا
فاسمع أبثك أنني أنا ذلك الـ ـكمد الذي بك لا يزال عميدا
ما بعدت منك القريب حوادث عرضت ولا قربن منك بعيدا
لا تحسبنه هوى يخال وإن غدا حظى الشقي تفرقا وصدودا
فلأنت أنت وإنْ عدت بك نية عن ناظري وتركت دونك بيدا
ولئن أبحت تجلدي فلطالما ألفيتني عند الخطوب جليدا

ومن قصائده في الرثاء: ـ

تالله ما أنسى ابن فاطم والعدى يهدي إليه بوارقا ورعودا
غدروا به إذ جاءهم من بعدما أسدوا إليه مواثقا وعهودا

قـــتلوا به بدراً فـــأظلم ليلهم فـغـدوا قيامـاً في الظلال قـعـودا
وحـمـوه أن يرد المبـاح وصـيـروا ظلمـاً له ضـامي الرمـاح ورودا
فـسمت إليـه أمـاجـد عـرفـوا به قـصـد الطريق فـادركـوا المقـصـودا
نفس حـوت جـمل الثنا وتسنحت قلل المعـــالي والـداً ووليـــدا
من تلق منهم تلق كـهـلاً أو فـتى علم الهـدى بحـر الندى الموردا
وتبـادرت طلق الأعنة لا ترى الـ ـغـمـرات إلاّ المائسـات الغـيـدا
وكـأنما قـصب القنا بنحـورهم درر يفـصلهـا الطعـان عـقـودا
واسـتنزلوا حلل العـلا فـأحلهم غـرفـاته فـغـدا النزول صـعـودا
فـتظن عـينك أنهم صـرعى وهم في خـيـر دار فـارهين رقـودا
وأقـام مـعـدود النظيـر مزيد بيـ ـت المجـد مـعـدوم النضيـر فـريدا
يلقى القـفـار صـواهلا ومناصـلا ويرى النهـار قـسـاطلا وبنودا
سـامـوه أن يرد الهـوان أو المنيـ ـة والمســوّد لا يكون مـسـودا
فـانصـاع لا يعـبـأ بهم من عـدة كـثـرت عليـه ولا يخـاف عـديدا
يلقى الكمـاة بوجـه أبلج سـاطع فكـأنما أمــوا نـداه وفـــودا
يسطو فتلقى البيض تغرس في الطلى فـتـعـود قـائمـة الرؤوس حـصـيـدا
أسـد تظل له الأسـود خـواضـعـاً فـترى الفـتى يحكي الفـتـاة الرودا
البـرق صـارمـه ولكن لم يسق لـلـوبـل إلاّ هـامـــــة ووريـدا
والصـقـر لهـذمـه ولكن لم يصـد إلاّ قلوباً أوغـرت وكـبـودا
بأس يسـرّ مـحـمـداً ووصـيـه ويغـيـظ نسل سـمـيـة ويزيدا
حـتى إذا حم الحـمـام وآن لا تلقى عـمـادا للعلى وعـمـيـدا
عـمدت له كف العناد فـسددت سـهـمـاً عـدا التـوفـيق والتسـديدا
فـثـوى بمستن النزال مـقطع الـ أوصـال مـشكـور الفـعـال حـمـيدا
لله مطروح حـوت منه الثـرى نفس العلى والسـؤدد المعـقـودا
ومـبـدد الأوصـال ألزم حـزنه شـمل الكمـال فـلازم التـبـديدا
ومـجـرح مـا غـيـرت منه القنا حـسـناً ولا أخلقن منه جـديدا

قد كان بدراً فاغتدى شمس الضحى من ألبسته يد الدماء لبودا
يحمي أشعته العيون فكلما حاولن نهجاً خلته مسدودا
وتظله شجر القنا حتى أبت إرسال هاجرة إليه بريدا
وثواكل في النوح تسعد مثلها أرأيت ذ ثكل يكون سعيدا
ناحت فلم تر مثلهنّ نوائحاً إذ ليس مثل فقيدهن فقيدا
لا العيس تحكيها إذا حنت ولا الـ ـورقاء تحسن عندها الترديدا
إن تنع أعطت كل قلب حسرة أو تدع صدعت الجبال الميدا
عبراتها تحكي الثرى لو لم تكن زفراتها تدع الرياض همودا
وغدت أسيرة خدرها ابنة فاطم لم تلق غير أسيرها مصفودا
تدعو بلهفة ثاكل لعب الأسى بفؤادها حتى انطوى مفؤودا
تخفي الشجا جلداً فإن غلب الأسى ضعفت فأبدت شجوها المكمودا
نادت فقطعت القلوب بشجوها لكنما انتظم البيان فريدا
إنسان عيني يا حسين أخي يا أملي وعقد جماني المنضودا
مالي دعوى فلا تجيب ولم تكن عودتني من قبل ذاك صدودا
ألمحنة شغلتك عنّي أم قلى حاشاك أنك ما برحت ودودا
أفهل سواك مؤمل يدعى به فيجيب داعية ويورق عودا
إن استعن قامت إلى ثواكل لم تدر إلاّ النوح والتعديدا
وكفيلها فوق المطيّ معالج من ضره ومن الحديد قيودا
أوحيد أهل الفضل يعجب جاهل إن تمسى ما بين العظام وحيدا
ويلام غيث ما سقاك وإنه من بحر جودك يستمد الجودا
قد كان يعتب عند تركك ضامياً لو كان غيرك بحره الموردا
يا ابن النبي ألية من مدنف بعلاك لا كذباً ولا تفنيدا
ما زال تهدي مثل حزني ثابتاً والغمض مثل الصبر عنك طريدا
يأبى الجمود دموع عيني مثلما يأبى حريق القلب فيك خمودا
والقلب حلف الطرف فيك فكلما أسليت هذا زاد ذاك وقودا

طال الزمان على لقاك فهل قضى للحزن والمحزون فيك خلودا
أفلم يحنْ حين المسرة أن ترى عيناي ذاك الصارم المغمودا
وفصيحه عربية مأنوسة لم تألف الوحشيَّ والتعقيدا
ما سامها الطائي الصغار ولا الذي قد كان يدعى خالد بن يزيدا
أنزلتها بجناب أبلج لم يخب قصد لديه ولا يزل قصيدا
كانت به جهد المقل وإنما عذر الفتى أن يبلغ المجهودا
لو شاء يمدح بالذي هو أهله حصر الأنام فما سمعت نشيدا

له : الدرّ النضيد ، ديوان شعره وكلاهما مطبوع .

من مصادر دراسته :

معارف الرجال : ٣/ ٢٥٦ . الأعيان : ١٠/ ٢٣٧ . شهداء الفضيلة : ٢٨٨ . معجم المؤلفين العراقيين : ٣/ ٤٣١ . معجم رجال الفكر : ٣/ ١٠٨٤ .

(١٢)
محمد علي الأعسم
(/ - ١٢٣٣هـ)

الشيخ محمد علي ابن الشيخ حسين بن محمد الشهير بالأعسم .

كان الشيخ محمد علي أحد علماء عصره وفقهائه ، صاحب علم وأدب وطهارة نفس . أخذ علوم الإسلام عن فقهاء عصره كالسيد بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء ، وكانت ملازمته للسيد كبيرة جداً ، وله فيهما مدائح .

ترك هذا الشيخ آثاراً علمية عدة جلّها في الفقه ، ولعل أشهرها منظومته في المطاعم والمشارب والتي شرحها غير واحد ومنهم ولده والشيخ عبد الحسين الحلّي .

وكما ترك آثاراً علمية ، ترك أبناءاً وأحفاداً ، فقد ساروا على نهجه علماً وعملاً .

للشيخ نصيب في الشعر كبير ، ومن هنا كانت له مكانة أدبية كبيرة بين أدباء عصره ، فله مراسلات ومساجلات أدبية كثيرة معهم .

وللشيخ في ولائه لأهل البيت (ع) أثر كبير في شعره ، فقد جاء الكثير من شعره في مدائحهم ومراثيهم وخصوصاً للحسين (ع) ، ومن هنا فقصائده هي من القصائد المختارة التلاوة على منبر سيد الشهداء (ع) .

تروى لهذا الشيخ كرامة مشهورة تتعلق بقصيدته المعروفة :

قد أوهنت جلدي الديار الخاليه   من أهلها ما للديار وماليه

وذلك أن الشيخ محمد علي القاري رأى في منامه وكأنه في الحرم

العلوي المقدس وهو يرى أمير المؤمنين (ع) جالساً، فسلم عليه فأعطاه الإمام علي (ع) ورقة فيها قصيدة، وقال له اقرأ هذه القصيدة في رثاء ولدي الحسين فقرأها له والإمام يبكي. فانتبه من النوم وهو يحفظ هذا البيت منها:

قست القلوب فلم تكن لهداية ... تباً لهاتيك القلوب القاسيه

فبهت الشيخ الأعسم، إذ كان قد نظمها وعرضها على ولده. وقال هذه قافية قاسية، فجعلها الشيخ بعد ذلك تحت مصلاّه، حتى طرق الشيخ القاري بابهم سحراً وأخبرهم هذه القصة ـ عندها أخرج الأعسم القصيدة من تحت مصلاّه، فتأملها القاري فقال والله كأنَّ هذه الورقة والقصيدة هي ـ أي التي رآها في منامه، بَلْ هي هي، فاشتهر أمرها، وهذه من كرامات هذا الشاعر الولائيّ.

قد أوهنت جلدي الديار الخاليه ... من أهلها ما للديار وماليه
ومتى سألت الدار عن أربابها ... يعد الصدى منها جوابي ثانيه

يقول فيها:

يا ابن النبي المصطفى ووصيّه ... وأخا الزكي ابن البتول الزاكيه
تبكيك عيني لا لأجل مثوبة ... لكنما عيني لأجلك باكيه
تبتل منكم كربلا بدم ولا ... تبتل مني بالدموع الجاريه
أنست رزاياكم رزايانا الأولى ... سلفت وهونت الرزايا الآتيه
وفجائع الأيام تبقى مدة ... وتزول وهي إلى القيامة باقيه

ويقول فيها:

ورد الحسين إلى العراق وظنهم ... تركوا النفاق إذا القلوب كما هيه
ولقد دعوه للفنا فأجابهم ... ودعاهم لهدى فردّوا داعيه
قست القلوب فلم تمل لهداية ... تباً لهاتيك القلوب القاسيه

ومن شعره:

أنّى لمدح بني النبي لعـــاشق ... والنظم يشـهـد لي بأني صـادق
تأتي قـوافـيـه إليَّ كـأنّمـا ... قـد سـاقـهـن إلى لسـاني سـائق
هذا ونظمي قـاصـر عن مـدحـهم ... ولو اجـتـهـدت وكـان تحتي سابق
ســاووا كــتــاب الله إلاّ أنه ... هو صـامت وهو الكتـاب الناطق
فــعلوا فــعــال الرب إلاّ أنهم ... بشـرٌ فـضـاع على الغـلاة الفـارق
جعلوا الذي قد كان نفس نبيّهم ... هو نفس خالقـهم تعـالى الخـالق
ضلت خـلائق في علي مـثلمـا ... فعلت بعيـسى قـبل ذاك خـلائق
لا عــذر للنصّــاب والغــالي له ... عـذر لبـعض ذوي العـقـول مـوافق
كـفـرت به الفـئـتـان لكن ليـسـتا ... شـرعـاً فـإن النصب كـفـر خـارق
يا من إليـه الحكم يرجع في غـدٍ ... ولأمــره أمــر الإله مــواقُ
فكأنني بك والخــلائق كلهمْ ... صمٌّ ومـا في الخلق غـيـرك ناطق
من قلت فيـه خـذوه عـجل أخـذه ... لـم ينتظر مـاذا يقـول الخـالق

وهي طويلة مطبوعة في الدمعة الساكبة وغيره .

وقوله من حسينية أولها :

قف بالطفوف واجر دمعك فـيهـا ... فلهـا حـقـوق علَّ ذاك يفـيـهـا

يقول فيها :

ولمـسـلـم بـنـت يـكـاد مماتـه ... ليـمـيـتـهـا وحيـاته تحـيـيـهـا
مسح الحسين برأسها فاستشعرت ... باليـتم وهي عـلامـة تكفـيـهـا
فـبكت وناحت وهي تعلم أنهـا ... كــبناته يُرْزيه مــا يُرْزيهـا
لم يبكهـا عـدم الوثوق بعـمّـهـا ... كـلا ولا الوجـد المبرّح فـيـهـا
لكنهـا تبكي مــخــافــة أنّهـا ... تمسي يتيـمـة عـمّـهـا وأبيـهـا

من مصادر دراسته :

شعراء الغري ١٠/ ٣ ، معجم رجال الفكر : ١/ ١٦٧ ، أعيان الشيعة : ٤٦/ ٦٥ ، ريحانة الأدب : ١/ ١٥٢ ، الحصون : ٩/ ١٥١ ، الكنى والألقاب : ٢/ ٤٢ ، الطليعة : رقم ٢٧٩ ، معجم المؤلفين العراقيين : ٣/ ٢٠٧ ، مشهد الإمام : ٢/ ١٤٠ .

(١٣)
محمد الأعسم
«القرن الثالث عشر الهجري»

الشيخ محمد ابن الشيخ حسين ابن الشيخ محمد علي الشهير بالأعسم .

أحد علماء وأدباء هذه الأسرة «آل الأعسم» ذكر في بعض مصادر تاريخ الأدب النجفي ، وأنه كان حياً سنة ١٢٣٤هـ ، وأما شعره فقد ذهب بالطواعين التي أهلكت البلاد والعباد في النجف ، ومن شعره :

ولست أخاف من أملاق يومي ... ولا شكوى المعيشة من طباعي
ولست أقول إني من أناس ... تحب نفوسها نهش الكراع
أحباي الألى هلا علمتم ... بأن الحال آل إلى انصياع
تودعني المسرة وهي تدري ... بما في القلب من ألم الوداع
برغمني أن أعيش بدار ذل ... وأغدو بعد عزّ بالمضاع
وتعلم أنني ما بين ناس ... أقمت بأرضهم همج رعاع

وقد هنّأ السيد حسن الخراسان بقران ولده السيد عباس :

أرى العلياء سافرة الحجاب ... زهت فزها بها شرخ الشباب
تقادم مجدها وتقول حسبي ... كفاني الله ما قد كان دابي
فقم واسق الكرام كؤوس خمر ... فقد حسنت معاطاة الشراب
أدرها فيهم صهباء صرفاً ... بكف مهفهف حلو الخضاب

وله :

بعرس فتى يلوح عليه فخر ... وعز راق كالتبر المذاب

نجـيب طاب عنصـره وطابت ... به أفـعـاله زمن الشـبـاب
فـدم يا ابن الذين سـمـوا فـخـاراً ... وممدوحين فـي نص الكتـاب
بخـيـر دائم وصـفـاء عـيش ... وربع مـسـتنيـر مـسـتطاب
ويا ابن العـالم العلم الملبي ... إذا استـدعى الأنام إلى الثـواب
أثيل المجد مـحـمـود السجـايا ... مـبين غـوامض العلم الصـعـاب
وكم مـحـجـوبة في العلم أضحى ... لهـا في نوره رفع الحـجـاب
تسـربل بالفـخـار وفـاز فـيـه ... ولاح لغـيـره شـبـه السـراب
جنى أثمـاره ودعـا إليـهـا ... فـأكـرم فـيـه من داع مـجـاب

وله :

لا تفـرحن إذا الدنيـا زهت زمناً ... وزخـرفت لك في إقـبـالهـا الدار
ولا تكونن مـغـروراً بزينتـهـا ... (فـإنما هي إقـبـال وإدبار)

وله :

ألا يا من به إحـيـاء نفـسي ... وفي مـعـروفـه إكـمـال أنسي
إذا مـا مـرَّ يوم من حـيـاتي ... ولم أنظر خـيـالك رمت رمـسي

من مصادر دراسته :

شعراء الغـري : ١٠/ ٢٨٥ ، معـجم رجال الفكر : ١/ ٢٦٦ ، الحصـون المنيـعة : ٢/ ٤٦٥ ، الكرام البررة : ٢/ ٧١٨ ، ماضي النجف : ٢/ ٣٤ .

(١٤)
مسلم الجَصَّاني
«القرن الثالث عشر الهجري»

الشيخ مسلم بن عقيل بن يحيى الوائلي الكناني الجصاني النجفي .

أحد تلامذة الفقيهين السيد بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء ، هاجر من بلده جَصَّان في المنطقة الحدودية بين ايران والعراق إلى النجف ، وتلقى العلوم والمعارف فيها على الأستاذين المذكورين وغيرهما ، فحاز فضيلة العلم والأدب ، وكان محترماً في الأوساط العلمية لورعه وتديّنه ، وكان السيد بحر العلوم يكنّ له احتراماً وتقديراً كبيراً .

شارك الأستاذين المذكورين وغيرهما في معركة الخميس المعروفة ، وكانت له مساجلات ومراسلات مع أدباء عصره ، وهو أحد الذين قرّضوا القصيدة الكرارية المعروفة عند أهل الأدب وقد ذكرت في غير موضعٍ من هذا الكتاب .

عاد إلى وطنه الأساس فخمل ذكره وتوفي فيها عام ١٢٣٠هـ أو ١٢٣٥هـ .

ولع هذا الشيخ بفنّ البند الشعري كما ولِعَ بنظم القصائد ذوات الشطرين . ومن شعره هذه القصيدة في رثاء السيد سلمان الكبير الحلي :

الدهر لا يبـــرح خـــوانا ... يا طالما فـــرّق إخـــوانا
غـــمـــام غمّ لمْ يزل يمطر الـ ... ـــسوء ويصلي القلب نيـــرانا
من غـــادر ذي شنأٍ شـــأنه ... يبكي وقـــد يضـــحك أحـــيانا
بينا يســـرّ المرء عنْ غـــبطة ... حـــتى يلاقى منه أحـــزانا
كم هدّ للمـــجـــد قـــصوراً وكم ... هـــدم للعليـــاء بنيـــانا

وكم على حي سطا بالردى فلمْ يدعْ للحي جيرانا
وكم كميٍّ وأخي نجدةٍ أردى وكم مزق أردانا
يا راقداً في غمرات الهوى والموت لا ينفك يقظانا

إلى أن يقول :

رزءٌ عظيم شأننا في فتًى قد عظم الله لَهُ شانا
وقد عرفنا الحزن في عالم قد فضل العالم عرفانا
إن الذي قَدْ كان أنساً لنا مضى فلا كنّا ولا كانا
يالك في الأشراف من نكبة غادرت الأدمع غدرانا
ويا لها موزنة في الورى صعب الرزايا عندها هانا
مات نجيب من بني حيدر أرجح أهل الفضل ميزانا

وله يرثي السيد مرتضى الطباطبائي ويُعزِّي ولده السيد بحر العلوم :

خطبٌ ألمّ فسار في الآفاقِ فرمى بدور سما العلى بمحاقِ
ورزية جلّتْ وجالتْ خيلها في الخافقين مع الهوى الخفّاقِ

إلى أن يقول :

يا ضيعة الإيمان بعد أمينه دعة ويا ضعة العلى من راقِ
ما العيش إلاّ بعد موت المرتضى مضضٌ ولا الباقيّ بعد بباقِ
كان الوجود به يُزان كمثلما زينتْ حسان الغيد بالأطواقِ
فاليوم عطّل جيده من حلية فكأنه شجرٌ بلا أوراقِ
قَدْ مرّ وقت كان حلواً عيشنا فيه ، فأضحى اليوم مرّ مذاقِ

إلى أن يتوجه إلى ولده السيد بحر العلوم :

ومن ٱبنه المهديّ طال بقاؤه باقٍ على مرّ الزمان الباقي
حيٌ وإنْ هو مات بالخلف ٱبنه محيي العلوم مميت كل نفاقِ
سبّاق غايات المكارم محرز قصب العلى والفخر يوم سباقِ

وهي طويلة .

من مصادر دراسته : شعراء الغري : ١١/ ٣٠١ ، أعيان الشيعة : ١٠/ ١٢٣ ، معجم المؤلفين العراقيين : ٣/ ٣٠١ ، الفوائد الرجالية : ١/ ٣٠ ، ٨١ ، ٩٧ ، معارف الرجال : ٣/ ٤ .

(١٥)
هادي النَّحوي
(/ - ١٢٣٦هـ)

الشيخ هادي ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ حسن النحوي الحلي النجفي .

أحد شعراء هذا القرن وأدبائه وعلمائه ، وهو من هذه الأسرة العلمية الأدبية (آل النحوي) ووالده الشيخ أحمد هو من شعراء القرن الثاني عشر الكبار ، أخذ الشيخ هادي العلوم عن جملة من علماء عصره كالسيد بحر العلوم وغيره ، له شعر كثير في أهل البيت (ع) ، وفي علماء عصره ، ومن شعره هذه القصيدة في رثاء الإمام الحسين (ع) :

هذي الطفوف فَسَلْها عن أهاليها ... وسحّ دمعك في أعلى رواسيها
ومدّها بدم الأجفان إن نفدت ... دموع عينيك أو جفَّتْ مآقيها
وقف على جدث السبط الشهيد وقُل ... سقاك رائحها من بعد غاديها
فديت بالروح مني أعظما سكنتْ ... ذيّالك الرمس في نأي مراميها
لهفي لناءٍ عن الأوطان منتزحٍ ... عليه سّدت من الدنيا نواحيها
لهفي لثاوٍ رَمَتْ أيدي الخطوب بِهِ ... بأرض كربٍ البلا أقصى مجاريها
ثوى قتيلاً بشط الغاضرية ظمـ ... ـآن الفؤاد فلا ساغت مجاريها
خلواً عن النّصر يدعو لا مجيب لَهُ ... سوى حدود شفارٍ من مواضيها
من بعد ما تركت بالرغم نجدته ... كأنها في رباها من أضاحيها
طوبى لها بذلتْ للقتل مهجته ... وعندها أنّ ذاك القتل يحييها
وآذنت للفنا في ذات سيّدها ... واستبدلتْ بجوار عند باريها
ما ضرّها بز أثوابٍ وأردية ... والله من حلل الرضوان كاسيها

ومنها :

أوسعتم كبد المختار جرح أسىً وقرحة بحشاه عزّ آسيها
سجرتم مهجة الكرار حيدرة بقادح من زناد الوجد واريها
أودعتم قلب بنت المصطفى حزناً مشبوبة لا يبوح الدهر حاميها
أورثتم الحسن الزاكي لهيب لظًى بين الجوانح كفّ البين تذكيها
حملتُم كاهل الإسام عبء جوىً تنهدّ من حمل أدناه رواسيها
فقبّة المجد زعزعتم جوانبها وقمّة الفخر صوّبتم مساعيها
تبّاً لرأي بني حربٍ لقدْ تعست منها الجدود وقد ضلّتْ مساعيها
أما رعت ذمم المختار جدهم ألمْ يكن لطريق الرشد هاديها
لهفي لمولى قضى في سيف جورهم ظامي الحشاشة أفدي قلب ضاميها
لمْ حلّلوا قتلهُ ظمآن ما علموا بان والده في الحشر ساقيها
إن المنابر لولا سيف والده لمْ ترق يوماً ولا شيدتْ مراقيها

ومن شعر هذا الشيخ وقد ابتلي بمرضٍ مزمن وأقعده عن الحركة هذه الأبيات التي يتوسل فيها بأمير المؤمنين (ع) منْ ضمن قصيدة :

مولاي يا سرّ الحقائـ ـق كم كشفتَ غطاءها
مولايا يا شمس المعا رف كم أثرت سناءها
مولاي يا باب العلو م وأرضها وسمائها
يا قطب دائرة الوجو د فكم أدرت رجاءها
وبيوم خيبر قد حملـ ـت من الإله لواءها
فكشفت عن وجه النبيّ محمد غماءها
ولكم جلوت من الخطو ب وقد دحت ظلماءها
للعبد عندك حاجةٌ يرجو لديك قضاءها
أودت بجسمي علّة جهل الأساة دواءها
النفس قَدْ تلفتْ أسىً وأتتك تشكو داءها
وافتك راجية فحقّقْ يا رجاي رجاءها

وله في مدح السيد شبر الحويزي (١١٧٠هـ) قوله :

هيـهـات أن يبلغ المثني عليـه ولو ... أضحى له الخلق في نشر الثنا مَدَدا
قدْ حاز علماً جسيماً لو أفيض على ... هذي الخطيـئة لمْ يتـركْ بهـا بَلَدا
قــبــالـه عــالماً بالشــرع ذا ورعٍ ... للشرع والعلم أضحى ساعداً ويدا
إن صـار قـرّة عين العلم لا عـجب ... من سيّـد قَـدْ غدا للمرتضى ولَدا
لولاه أصــبح هذا الحكم مطّرحــاً ... وجلّ أحكَامنا لولاه صـرن سـدا
إنْ سمت أخلاقه الحسنى علمت بهِ ... هـو الإمــــام ولـكنْ لـلإله يـدا

توفي الشيخ أحـمـد في الحلة (التي ولد فـيـها) سنة ١٢٣٦هـ وقـيل ١٢٣٥هـ .

من مصادر دراسته :

معارف الرجال : ٣/ ٢١٦ . الأعيان : ١٠/ ٢٣٠ . البابليات : ٢/ ٢٠ . شعراء الحلة : ٥/ ٤٠٣ . معجم المؤلفين العراقيين : ٣/ ٤٧٣ . ماضي النجف : ٣/ ٣٣٤ .

(١٦)
باقر العَطّار البغدادي
«القرن الثالث عشر الهجري»

السيد باقر ابن السيد إبراهيم ابن السيد محمد العطار البغدادي الحسني . درس في النجف الأشرف على الشيخ موسى والشيخ علي ابني الشيخ كاشف الغطاء وعلى غيرهما ، فكان من أهل العلم والفضل ، عُرف بالصلاح والتقوى .

شارك أدباء النجف في مجالسهم الأدبية ، لما أوتي من موهبتي النثر والنظم ، حتى كان من أدباء النجف البارزين في عصره ، على أن هذه الأسرة العلمية هي أسرة أدبية فكل أو جُلّ أفرادها هم من الأدباء والشعراء ، فإن مال بعضهم عن مواصلة الدرس الفقهيّ ، فإن الأدب هو مجال إبداعه ، وفيهم من جمع بين الميزتين ، كما يرد في كتابنا هذا ذكر جملة منهم .

اختلف في سنة وفاته فهي سنة ١٢٣٥هـ ، أو ١٢٤٠هـ ومن شعره راثياً سيد الشهداء (ع) :

إلى الله أشكو وقع دهياء معضل ... يشب لظى نيرانها بالضمائر
يعزُّ على الإسلام أن حماته ... تئن لهم حزناً قلوب المنابر
يعزُّ على الدين الحنيفي أن غدت ... معارفه مطموسة بالمناكر
يعزُّ على الأشراف أن عميدها ... يغيب بعين الله عن كل ناظر
يعزُّ على المختار أن أُمية ... رمت ولده ظلماً بأدهى الفواقر
يعزُّ على الكرار أن رجاله ... أُبيدوا بأطراف القنا والبواتر
عجبت لشمس كوّرت من بروجها ... وبدر علا قد غاب بين الحفائر

عجبت لذي الأفلاك لم لا تعطت وغيب من آفاقها كل زاهر
ومن عجب أن يمنع السبط ورده وفيض يديه كالبحور الزواخر

وله قصيدة يرثي بها الشيخ علي ابن الشيخ موسى آل كاشف الغطاء ويؤرخ عام الوفاة وذلك ١٢٣٥هـ وقد بعثها للأسرة من بلدة الكاظمية منها :

ما بال دمعي لا تطفى به غللي وما لنوحي لا تشفى به عللي
وللنوائب تأتينا على عجل كالسيل آنف أن يأتي على مهل
لله مولى خلا عن كل مثلبة سارت مناقبه في الناس كالمثل
لله بدر علا حاق المحاق به قد بات أوج المعالي من سناه جلي
أودى فأشعل في الأحشاء نار جوىً شبت لها شعل تعلو على شعل
يا عاذلي لا تلمني في مصيبته فإن سمعي لا يصغي إلى عذلي
كيف السبيل إلى نهج السلو وقد قل اصطباري وضاقت بعده سبلي
رضاً أباه وصبراً في رزيته فالصبر عند الرزايا سنة الرسل
يا راكباً قاطعاً للبيد مهمهها يطوي الفدافد من سهل إلى جبل
عرج إذا جزت أعلام الغري على قبر الوصي ملاذ الخائف الوجل
وقف على مرقد قد ضمَّ خير فتىً به استجار وأعطى غاية السؤل
واتل المثاني لديه والكتاب وسل له من الله نيل القصد والأمل
وقلْ له فزت لما أرخوك (ألا جاورت باب أمير المؤمنين علي)

وقوله مهنئاً الشيخ موسى بن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء بقران ولده الشيخ علي ومؤرخاً عام القران وذلك سنة ١٢٣٣هـ :

بشرى فقد عمَّ الأنام بشائراً تغريد طالع سعدها الميمون
وافتر ثغر الدهر مبتسماً وقد بتنا بعيش بالهنا مقرون
وزهت محافل أنسنا حتى غدت تحكي محافل جنة وعيون
قد قدر القمر المنير منازلاً في الأفق لكن ليس كالعرجون
ولقد غدا كأس المسرة مترعاً يغني النديم عن ابنة الزرجون

بنباء ذي القدر العليّ فتى الندى   من قد غدا للفضل خير خدين
هو نجل صدر العلم تاج جمانه   مرساه مظهر سرِّه المخزون
هو روضة الأدب التي أفنانها   غنّت حمائم دوحها بفنون
قاموس فضل لم يزلْ يغني الورى   بصحاح جوهر درّه المكنون
كشاف غاشية الهموم بواضح   ينجاب عنه ظلام كل دجون
مصباح مشكاة العلوم وكوكب الـ   ـرشد الذي أغنى عن التبيين
مقياس أنوار المسالك من غدا   تحريره منهاج كل يقين
تنقيح أحكام الشرايع منتهى   أمل الوصول إلى أصول الدين
ما عالم فضلاً وإن بلغ المدى   في بحره إلاّ كنقطة نون
بدر يودُّ البدر برج سعوده   لو ساعدته أزمة التمكين
لله أية ظبية قد عانقت   في أجمة العلياء ليث عرين
وقران سعد قد جلا ليل العنا   عنا بنور من سناه مبين
فتهنَّ واسعد يا علي بدرَّةٍ   مكنونة من لؤلؤ مكنون
فكأنما زفت بياناً للذيَ   أمسى له شك بحور العين
واسعد بما أرخته (أعليّ قد   سرَّ العلى في عرسك الميمون)

وله مهنئاً صديقاً له ومؤرخاً عام بناء داره :

تهنَّ واسعد أبا موسى بدار علاً   تحكي السماء بمصباح يزينها
طابت مقاماً لبانيها فأرخها   عمرت للمجد داراً طاب مسكنها

من مصادر دراسته :

شعراء الغري ١/ ١٣٥ ، الروض النضير : ٣٤٢ ، معجم رجال الفكر والأدب : ٢٤٧/١ ، أعيان الشيعة : ٥٢٨/٣ ، الكرام البررة : ١٦٧/١ ، الطليعة (خ) : رقم ٥٣٠ .

(١٧)

محمد بن يونس الشويهي «الحميدي»

«القرن الثالث عشر الهجري»

الشيخ محمد بن يونس ابن الحاج راضي بن شويهي الظويهري الحميدي .

هذا الشيخ من المشايخ الذي جدّفوا ضد التيار كثيراً ، هل لأن التيار أخطأ المسار إلى هذا الحد ، أم لأن الشيخ كانت (بوصلته) تشير إلى عكس اتجاه الرياح ! .

ذلك السؤال الأكبر الذي يطرحه الباحث على نفسه وهو يبحث في شخصية هذا الرجل ، الذي لم يكن إنساناً عادياً في كل شيءٍ ، أخُلقَ هكذا أم أراد لنفسه أنْ تكون هكذا ! .

إنَّهُ في صورة من صوره عالم فقيه من أعيان علماء عصره ، يصدر عن فطرة دينية تتلمسها في الكثير من جوانب حياته ، ولا أدل على ذلك أنه جدّ في دراسته لعلوم آل محمد (ص) حتى صار من رموز أتباع هذه المدرسة الطيبة علماً وفقهاً وتحصيلاً وتأليفاً .

وهو في صورة أخرى ؛ رَجُلٌ متمردٌ ساخط على المجتمع الذي ينتمي إليه (المجتمع الديني) الذي يتمثل آنذاك بالشيخ كاشف الغطاء ومن معه ، والذي يمثل الشيخ أحد شخوصه البارزة والكبرى . في الوقت الذي يتقدم بمدائحه إلى شخوص ـ لا شك ـ هم أدنى مرتبة ليس من الشيخ جعفر بل من أدنى تلاميذه رتبةً في الصلاح والعلم والتقوى .

وربما نجده في صورة ثالثة ـ أجمع المترجمون له عليها ـ لا يعرف كيف يشبع بطنه من الجوع ، وفي يديه منارتا العلم والأدب ، والذي لا أظنّ

ـ كما تشير إليه قصائده نفسه ـ أنه كان حريصاً على الأقل على شعره من التكسب والعيش به ، كما حدث مع شعراء علماء كثيرين لم يصونوا علمهم وأهملوه ، وتكسبوا بشعرهم وبذلوه .

وهو في الوقت نفسه يدير معركة من أشد معارك المجتمع النجفي آنذاك ويكون رأساً فيها أو رأسها ـ كما يظن علي الخاقاني ـ لمواجهة «التيار» الذي يمثله الشيخ جعفر بكل ثقله وسطوته ، ويستطيع أن يجمع حوله أنصاراً من الأعيان والعلماء وغير قليل من سائر الناس والمعروفة بمعركة الطبل والحبل .

هل تستطيع أن تعتقد جمعاً بين هذه المتناقضات ـ كما قد يخيل للوهلة الأولى ـ أن هذا الشيخ أخذ العلم والمعرفة ، وأثناء وجوده في النجف وشدة فقره بل وعدمه ، كان قد واجه واقعاً آخر مناقضاً ـ فيما يحسب ـ لعالم صاغه من خلال معرفته الدينية والثقافية من خلال القرآن الكريم أو نهج البلاغة أو سيرة أهل البيت (ع) أو على الأقل أتباعهم من أمثال أبي ذر الغفاري الذي يشبه الشيخ نفسه به في إحدى رسائله؟ ! أم أن أفكار الباحث تذهب إلى أبعد من هذه الحدود حينما يلملم بخياله خيوط الأحداث ويربطها ويحاول أن يستنتج منها ما هو أبعد بكثير من الفهم الأول الساذج . ولكن هل النصوص التاريخية قادرة على أن توصل إلى نتيجة كبيرة أو قاطعة؟ ! هذا أمر لا بد أن تتكفله دراسة مستقلة لعلنا نوفق إليها مستقبلاً .

أثرنا هذه التساؤلات لنختصر ـ هنا ـ حياة هذا الشاعر الفقيه المتمرد ، الذي يبدو أنه سخّر كل ملكاته أثناء حملاته الاجتماعية (السياسية) على خصومه كما تشهد بذلك رسائله وحتى مقدمات كتبه العلمية . نعم فلهذا الشيخ كتبٌ علمية تقرب من العشرين كتاباً في العلوم العقلية والنقلية وفي علوم التاريخ والمواعظ والشعر ومنها ديوانه وغيرها ، وهي مجموعة علمية تشير بلا شك إلى نبوغ هذا الشيخ وموسوعيّته .

أما شعره (الباقي منه) فإنه يدلُّ على ذات شاعرة متمثّلة لذوات شعراء العرب الكبار ، فألفاظه ومعانيه مشحونة بطاقة من شأنها أن تخلق في ذهن القارىء لها مقداراً كبيراً من التوتّر ، وهذه سمة من سمات الشعر الخلاّق . ومن هنا نستغرب مؤاخذة الشيخ علي الخاقاني ونقده على شعر الشيخ الذي

وصفه بالهبوط لأنه ـ بزعمه ـ يشتمل على بعض الألفاظ العامية والأخطاء النحوية والخلل العروضي . وعندي أنّ هذا النقد في غير ملحه ، فالشاعر باستعماله للألفاظ العامية لم يكن لعجز فيه ، فبلاغته التي يشهد الخاقاني بها غير عاجزة عن الإتيان بالألفاظ غير العامية ، بل إن الشيخ يهدف في مراسلاته الشعرية ومدائحه إلى بعض رؤساء القبائل والعشائر إلى إيصال قضيته بالأسلوب المؤثر فيهم ، ومن هنا كان استعماله لتلك الألفاظ والتي هي السبب في ورود بعض الأخطاء النحوية ، أما الأخطاء العروضية فمن يقرأ حتى قصائد الشيخ التي أوردها الخاقاني نفسه في «شعراء الغري» تدل على تمكن من فنٍّ الشعر عظيم ، ولعل الأخطاء العروضية هي بسبب خطأ الناسخين ، ولا يُستبعد قصد البعض إلى ذلك ، فالشيخ خلق له من الخصوم ما يمكن أن يسيء إليه حتى في تراثه كما أسيء إليه في حياته ، ولا أقل من ضربه وإهانته أمام جمهورٍ من الناس .

ومن شعر هذا الشيخ راثياً حاج جاسم آل داود الذي قتله قومه :

صحبت الشجا والهم ما دمت باقيا وفارقت أيام الهنا والليـاليـا
وفل عرى صبري وولت مسرتي لفقـد الذي هد الندى والمعـاليا
فتى زانه في الدهر حلم وسؤدد إلى أن غدا فوق السماكين راقيا
له محضر ما حازه قط واحد من الناس إلاّ كان للنجم واطيا
له مجلس ما فيه إلاّ مصالح وردع لمن قد كان لله عاصياً
يعزُّ على العلياء أنك راحل وكان لها عيش بظلك صافيا
فهل من معز للعلى في مصابه وكانت بأيام الهنا والليـاليـا
وكم للمعالي مأتم حين شاهدت سباسبها قد أقفرت والفيافيا
فوا أسفا يا معدن الجود والقرى يرى كل من فيها وحاشاك فانيا
فللمجد نوح يترك الصخر ذايباً يقول ألا مات الندى والأياديا
ومات الذي قد كان سوراً لقومه ومات الذي فاق البحار الطواميا
ومات أبو المعروف والجود والتقى فوا أسفاً أمسى على الترب ثاويا
ومات الذي قد كان خصباً ومربعاً لضيف وذي يُتم وعنهم محاميا

لتبكي عليه (المؤمنون) و(سادة) و (آل عقاب) الأمجدون و(ناشيا)
وتبكي عليه المكرمات بأسرها ويبكي عليه اليوم دان وقاصيا
تخذناك درعاً للزمان حصينة فشلت يمين الخطب إذ صار راميا

وله مراسلاً الشيخ جعفر كاشف الغطاء الكبير :

زماني كله غضب وعتب وأنت عَليَّ والأيام إلب
وعيش العالمين لديك سهل وعيشي وحده بفناك صعب
وأنت وأنت دافع كل خطب مع الخطب الملم عليّ خطب
إلى كم ذا العتاب وليس جرم وكم ذا الإعتذار وليس ذنب
فلا تحمل على قلب جريح به لحوادث الأيام ندب
أمثلي تقبل الأقوال فيه ومثلك يستمر عليه كذب
حباني ما علمت ولي لسان يقد الدرع والإنسان عضب
وزندي وهو زندك ليس يكبو وناري وهي نارك ليس تخبو
وفرعي فرعك السامي المعلى وأصلي أصلك الزاكي وحسب
وفضلي تعجز الفضلاء عنه لأنك أصله والمجد ترب
فلما صالت الأعداء دوني وأصبح بيتنا بحر ودرب
ظللت تبدل الأقوال بعدي وتبلغني اغتياباً ما يغب
فقل ما شئت فيَّ فلي لسان مليء بالثناء عليك رطب
وعاملني بإنصاف وظلم تجدني بالأمور كما تحب

وله يمدح أهالي (الملوم) ويطري السيد حسين مكوطر بقوله :

إلى آل لملومٍ تؤول المفاخر فمن ذا يدانيهم علا ويفاخر
ومن ذا يجاريهم حروباً وسطوة وفي الفضل والمعروف من ذا يكاثر
ومن ذا يضاهيهم جهاداً وصولة وفي الحلم والأعمال من ذا يناظر
ولا سيما المعروف شرقاً ومغرباً أمير له دان الملوك الأكاسر
هو ابن رسول الله وابن وصيه سمي الذي للدين عضب وباتر
حسين أمير المسلمين ابن هاشم به قام دين الله للبطل قاهر

حسين الحسيني الفتى من مقوطر نمته إلى العليا بدور زواهر
حسين الذي يهواه قلبي ومن غدا لسيف الهدى والدين باد وشاهر
حسين الذي في سيفه الدين قائم مطيع له فينا ضمير وظاهر
حسين الذي في وسط قلبي محله وقد حسنت أخلاقه والسراير
هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً على الدر واحذره إذا هو زاخر
(هو البحر من أي النواحي أتيته) هو الغوث والغيث الذي هو ماطر
هو الليث إلاّ أنه ليس ينثني وقد قصرت عنه الألى والأواخر
مطاع مطيع غالبي قد انطوت على حبه أعضاؤنا والضماير
صموت جسور ذو سخاء وفطنة عظيم كبير طالبي وصابر

وله من قصيدة يمدح بها الشيخ خطل زعيم بني مالك ذاكراً بعض وجوه قومه :

ألا يا أبا المعروف يا ابن الأطايب ويا أخير الأمجاد رأس الخرائب
يميط جلابيب الفخار بفتية لهم نسب في الناس أعلى المناسب
فمنهم نذير ثم سيف وخنجر كذا آل إبراهيم خير العصائب
فما مات إسماعيل إذ جاء أخطل إلى الكون من صلب له والترائب
فطوباك يا أرض العراق وكوفة وطوباك يا تلا حصين الجوانب
فتيها فخاراً آل ماضي ابن كندة بفتاك قوم لليعاديه غالب

من آثاره : ـ حجة الخصام في أصول الأحكام ، شرح منظومة الدرّة النجفية مناظرات المجتهدين في أدلّة أحكام الدين ، شرح الأمثال العامية ، البحر المحيط ، براهين العقول في شرح تهذيب الأصول ، مناهج الأحكام ، وغيرها .

من مصادر دراسته :

الأعلام : ٨/ ٣٤ ، الحصون : ٧/ ٢٤٧ ، الذريعة : ٣/ ٨١ ، ٦/ ٢٦١ ، ١٥/ ١٢٢ ، شعراء الغري : ١٠/ ٢٥٨ ، ماضي النجف : ٣/ ٥٦٥ ، معجم رجال الفكر : ٣/ ١٢٨٠ ، الكرام البررة : ٢٦٩ .

(١٨)
نصار النجفي
(/ - ١٢٤٠هـ)

الشيخ نصار ابن الشيخ حمد العبسي ، الفقيه الجليل الذي ينتهي إليه نسب آل نصار الأسرة النجفية المعروفة بالعلم والتقوى والصلاح . كان أحد العلماء الأجلاّء في عصره ، أخذ العلم عن الفقهاء : الشيخ مهدي الفتوني والسيد محسن الأعرجي ، والشيخ كاشف الغطاء ، وهو المؤسّس الحقيقي لمجالس عاشوراء الحسينية بالشكل الذي نألفُهُ الآن ، وولده العلامة الشيخ راضي المعروف استمر على هذا ثم انتشر الأمر في النجف وخارجها .

وأُسرة آل نصار العبسية هي غير أسرة آل نصار الشيبانية التي أشرنا لها سابقاً ، وإن كانت السِّمة (الحسينية) ، قاسماً لكلٍ منهما .

كان الشيخ حمد والد المترجم له من علماء عصره ، ولما مات أوقف كتبه وتآليفه وأشياء غيرها على الشيخ نصار دون أولاده الستة الآخرين ، لما يتوسم فيه من سمات العلم والسير على نهجه .

لقد كان شيخنا ـ نصار ـ فقيهاً وشاعراً وإنْ لَمْ له يحتفظ له بشعر كثير ، ومن ذلك ، أن الشيخ كاشف الغطاء أرسل إلى الشيخ نصار الذي كان حينها في الحلة بهذين البيتين :

سلوت عن الغريّ فذكرتني نوائح غَرَّدتْ فوق الغصونِ
ذكرت أحبّةً فيها كراماً عليّ وإن هُمُ لمْ يذكروني

فكتب الشيخ نصار إليه :

لعمرك ما ذكرت فذكرتني نوائح غَرَّدتْ فوق الغصونِ

بلى أســمــعــتــهــا لنواك نَزْحــاً   فــحنَّتْ عندمــا ســمــعت حنيني

من آثاره العلمية : أحقية مذهب الإمامة ، معتمد الأنوار في أصول الفقه .

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ٧٢٢٤١٢ الذريعة : ٢٤/ ٤٤١ ، ماضي النجف : ٣/ ٤٧٩ ، معارف الرجال : ١/ ٣١٤ ، معجم رجال الفكر : ٣/ ١٢٩٢ ، أعيان الشيعة : ٤٩/ ١٣١ ، الروض النضير : ٣٦٧ .

(١٩)
أحمد بن زين الدين الأحسائي
(١١٦٦ - ١٢٤١هـ)

الشيخ أحمد ابن الشيخ زين الدين بن إبراهيم الأحسائي .

وهو الذي تنتسب إليه الفرقة الشيخية المعروفة .

كان هذا الشيخ فيما عُرف من تاريخه ينحدر من أصل غير شيعي ، فإن أحد آبائه وهو داغر ـ على ما قيل ـ هو الذي اعتنق مذهب التشيّع بعد خلافٍ له مع أبيه (رمضان) وهو جدّه الرابع ، فكان أن تابعته ذريّته على ذلك .

قدم الشيخ أحمد إلى العراق سنة ١١٨٦هـ وهو في ريعان شبابه (ابن عشرين سنة) متوجهاً إلى حوزة كربلاء العلمية مواصلاً دراسته التي بدأت في الأحساء . فكان أن حضر في كربلاء على مشايخها العظام الآغا باقر الوحيد البهبهاني والسيد علي الطباطبائي صاحب كتاب (الرياض) ، والسيد مهدي الشهرستاني ، وبعد ذلك توجه نحو النجف الأشرف على عهد الأساتذة العظام السيد بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء وغيرهما .

لقد نال الشيخ أحمد ثقة العلماء وتقديرهم الكبير ، ودليل ذلك كلمات الإطراء الصادرة منهم في حقه ، والإجازات التي حصل عليها منهم ، فبزغ نجمه وعلا صيته ، وتصدّى للدرس والتأليف فكان من جملة تلامذته عظام عرفهم تاريخ الفقه والفكر الإسلامي ، منهم : الفقيه المفسّر العلامة السيد عبد الله شبر ، والحكيم العظيم الشيخ هادي السبزواري صاحب المنظومة في الحكمة ، والفقيه الأجل السيد محسن الأعرجي الكاظمي وغيرهم من الأعلام المعروفين مثل السيد كاظم الرشتي الذي تابعه في أفكاره الخاصة

وأضاف إليها بعض الأمور التي جعلته أحد أكبر ثاني شخصيتين في تاريخ هذه الفرقة أو الحركة، والميرزا حسين بن علي الشهير بـ (كومر)، والمولى محمد بن الحسين المعروف بـ (حجة الإسلام) وهما أيضاً كالسيد الرشتي من المتابعين للشيخ والناشرين لأفكاره وأفكارهم أيضاً وبعضها مما أضافوه إلى أفكار الشيخ وآرائه، وكذلك الحاج محمد كريم خان الكرماني مؤسس الفرقة (الركنية) المتفرعة عن الشيخية.

على أن «الكشفية» وهم أتباع السيد كاظم الرشتي ينفون كون الكرماني تلميذاً للشيخ الأحسائي، وإنما هم يذكرون أنه كان تلميذاً للرشتي فحسب.

لقد بقي الشيخ أحمد بين كربلاء والنجف مدة أربعة عشر عاماً تقريباً، بعدها غادر العراق إلى بلده المطيرفي في الإحساء وتزوج فيها، ثم انتقل إلى مدينة الهفوف وهي عاصمة الإحساء، التي بقي فيها مدة من الزمن ثم هاجر مع عائلته إلى البحرين حدود سنة ١٢٠٨هـ وقد أمر الشيعة هنالك بالهجرة، بحجة الخوف من أذى الوهابية.

سكن الشيخ البحرين مدة أربع سنوات، حتى إذا ما كانت سنة ١٢١٢هـ عاد الشيخ إلى العراق، وتنقل بين المدن المقدسة (لغرض الزيارة) ومن ثم سكن البصرة التي سكن عدة من مناطقها.

وفي عام ١٢٢١هـ زار النجف والمدن المقدسة الأخرى ثمَّ توجه صوب إيران، فحلَّ في يزد ثمَّ مشهد الإمام الرضا (ع)، ثمَّ رجع إلى طهران حيث راسله السلطان فتح علي شاه حين وجوده بين أهالي مشهد وعرض عليه الإقامة عنده، وفعلاً تمَّ هذا وبقي مكرماً عند الشاه سنين، ثم اختار السكن في يزد، فذهب إليها وبقي فيها مدة خمس سنوات متصدياً للتدريس فيها.

ثمَّ غادر يزد إلى مشهد وبعدها توجه إلى أصفهان ومنها إلى كرمنشاه حيث حلَّ عند محمد علي ميرزا ابن فتح علي شاه وكان والياً عليها والذي اتفق معه على أن يعود إليها، وفعلاً عاد بعد رحلة جديدة إلى مكة ثم العراق، حيث أقام عنده وعين له مرتباً قدره (٧٠٠) تومان كل سنة وكان كثير التردد على العراق آنذاك من قبل، فبقي فيها من سنة ١٢٣٤هـ حتى

وفاة هذا الوالي ، فغادر كرمنشاه ، فسافر عنها إلى (قزوين) ، ثم (طهران) ثم (مشهد) ثم (طبس) ثم (أصفهان) ثم عاد إلى كرمنشاه ثمَّ توجه نحو كربلاء التي اضطر لمغادرتها بسبب رفض علماء كربلاء له بسبب آرائه ، فغادرها وأبقى السيد كاظم الرشتي ـ تلميذه ـ فيها ، فذهب إلى دمشق ثم توجه نحو المدينة المنورة فعرض له مرض الإسهال الذي توفي على أثره في الطريق وذلك يوم الأحد ٢٢ ذي القعدة سنة ١٢٤١هـ عن عمر يناهز الخامسة والسبعين ، فحمل إلى المدينة ودفن في البقيع .

وقد رثاه جملة من الشعراء كالشيخ عبد الحسين شكر النجفي والسيد محمد بن معصوم القطيفي وتلميذه الشيخ حسن كوهر وغيرهم .

أما عن مكانته العلمية فقد أثنى عليه جلُّ أعلام عصره ومنهم أساتذته ومجيزوه ، كالسيد بحر العلوم وكاشف الغطاء وغيرهما ، فليس من شك في أنه منح ملكات عالية أهّلته لما أهّلته ، وزاد على ذلك كله عبادته وزهده المعروفين عنه ، وليس لأحد في هذا الجانب من شخصيته قدح ، وإنما ورد الإشكال عليه بسبب آرائه ونظرياته التي نُظر إليها على أنها مخالفة في بعض جوانبها لما عليه الإمامية ، وكما قيل عنه : (مَنْ نظر إلى عباداته مدحه وإلى عباراته قَدَحه) ولا شكّ أن الشيخ رجل موسوعيّ في معارفه ، ولعل وجوده بين أساطين العلم والمعارف الإسلامية في عصره ولشدة ذكائه وقدراته الذاتية قد هيّأ له هذه المعرفة والثقافة ، فله تآليف في معظم علوم الإسلام ، على أن الطابع العام والأغلب لَهُ هو تركيزه على الجانب العقائدي ، الذي هو محل الإشكال والمناقشة معه ، والإعتراض عليه . نَعَمْ ربما بلغ ما ألف من الكتب والرسائل أكثر من ١٦٠ بين كتاب ورسالة منها :

- معرفة النفس .
- تجويد القرآن .
- الفوائد الحكمية الإثنا عشرية .
- رسالة في العلم الإلهي .
- رسالة في علم النجوم .
- رسالة في أن لله علمين حادث وقديم وتحقيق القول فيهما .

- رسالة في بيان المعاد الجسماني ومعنى الجسدين والجسمين .
- رسالة في أن القضاء بالأمر الأول .
- الرجعة .
- ديوان شعر يسمى بـ «الإثني عشرية» أو «نشيد العوالي» في رثاء الإمام الحسين (ع) .
- حجية الإجماع .
- أسرار الصلاة .
- الاجتهاد والتقليد .

هذه بعض آثار الشيخ ، وكثير مما لم نذكره كان عبارة عن رسائل في تفسير بعض الآيات الشريفة ، أو إجابات عن أسئلة جلّها في العقائد .

لقد أحدث الشيخ أحمد الأحسائي فيما عرض له من أفكار وآراء - خصوصاً في العقائد الدينية - مواقف متباينة منها ، ففي الوقت الذي استطاع أن يوجد معاضدة شعبية هنا وهناك من بعض الناس والأفراد الذين استطاع أن يؤثر فيهم هو أو أتباعه ، حدث أن واجهته الحوزات العلمية التي رأت أن في أفكاره انحرافاً عن أسس الإعتقادات الإمامية الإسلامية .

لقد وجهت تهمة الحلول (حلول ذات الله تعالى في الإمام علي (ع)) إلى الشيخ أحمد فعدّ بذلك - عند البعض - من الغالين والحلوليين ومن عبدة علي (ع) .

وزاد آخرون كالشيخ محمد مهدي الخالصي (ت١٣٨٣هـ) على هذا الإتهام ، اتهاماً آخر ، وذلك حينما نسبه إلى الغَرْب ، وأنه أحد قسّيسي الغرب في (أندونيسيا) وقد جاء إلى البحرين ويزد من هناك ، وفي هذا اتهام صريح بأن الشيخ هو رجلٌ ليس من العروبة والإسلام في شيء ، وإنما هو رجلٌ جيء به إلى بلاد الإسلام ليعمل ما من شأنه تنفيذ مصالح غربية معينة ، وهذا أمرٌ ربما يجد له في تاريخنا المتأخر شواهد أخرى من حركات لبست ثياب التشيع أو التسنن ، للإجهاض على فكر الأمة داخلياً ، كما حدث مع البابية والبهائية والقاديانية وغيرها . ولكنّ السؤال هل هذا الزعم عن الشيخ صحيح ! وهل تستحق أفكار الشيخ أحمد كل هذا الذي أثير أو

ثار حولها؟ ! ، هل كانت أفكاره هو ـ لا أفكار الآخرين المنسوبين أو المنتسبين إليه ـ تشكل خطراً حقيقياً على التشيع والإسلام ، هل كان الشيخ أحمد الأحسائي ـ بحدود ما طرحه من نظريات وأفكار ـ صاحب برنامج طويل بُدِئ به والمفروض أن لا ينتهي به كما حدث فعلاً ، أم أن ذلك كله ضربٌ مِنَ التوهم والخيال ، وشعورٌ بالقلق والخوف من كل ما يمكن أن يمس المسلّمات ، أو يفتح باباً لمن يريد أن يمس بالمسلمات وأسس العقيدة الإسلامية؟ ! .

لا شك أن الحوزات العلمية لمن يفهم سلوكها العلمي الذي يتميز ببعد النظر وحصانته ، وبسبب حرصها الشديد على بقاء عقيدة الإسلام والمسلمين ناصعة ، تقف موقفاً متشدداً من كل ما من شأنه العبث أو يؤدي في نتائجه إلى العبث بمقدرات الأمة الفكرية وأسس تكوينها المعرفي ، لأن التساهل مع أمثال هذه الأمور ، من شأنه ـ من وجهة نظرها ـ إضفاء نوع من الشرعية عليها ، ولأنها ترى من نفسها المسؤول الأول عن حفظ عقائد المسلمين وتراثهم المعرفي .

هذا الأمر الحساس الذي يتجاهله أو يتغافله البعض ، هو من الأهمية بمكان ، فبالرغم من حرص علماء الحوزات الشيعية على معالجة الأفكار العارضة على حياة المسلمين وثقافتهم أنّى كانت مصادرها ، إلاّ أنّ الحوار والنقاش مع الأفكار الوافدة والطارئة شيء ، وإسناد مجموعة من النظريات الخاطئة أو المشوهة أو الساذجة أو القلقة إلى فكر الشيعة والحقائق التي نطق بها المعصومون شيء آخر .

لهذا كله وقف الكثيرون موقف المتشكك أو الطاعن على أفكار الشيخ أحمد ، لا سيما وأنه ينسب كل شيء إلى فكر المعصومين ، وسواء أخطأ فيها جميعاً أم أصاب في بعضها ، فإن النتيجة التي أدت إليها من أحداث تشكيل اجتماعي وثقافي يحاول بخصوصيته أن يفرد نفسه من الدائرة العامة للمسلمين هو أمر مؤسف حقاً .

نعم ربما ساهم البعض في زيادة خصوصية هذه الجماعة ، وهو بلا شك ، أمرٌ يؤسف له أيضاً ، ومن هنا حاول بعض الأعاظم تذويب هذه

الخصوصية والإبقاء على هذه المسائل المختلف عليها في حدود البحث النظري دون إلقاء ظلالها على المجتمع ، وإحداث حدود نفسية وثقافية بين المؤمنين ، خصوصاً وأن الكثير من التهم الموجهة إلى آراء الشيخ الأحسائي إنما هي تخرصات واستنتاجات خاطئة ، وهي تعبير عن لازم أقواله لا أقواله نفسها ، ومن هنا نرى عظيماً كالشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء (ره) يُثني على الشيخ ويهوّن من ذلك ، وعلى نفس المنهج حاول آخرون نسبة تلك الإشكالات إلى عدم تمتّع الشيخ بالكفاءة الفلسفية التي تؤهّله للتصدي لبحث المسائل الفلسفية المعقدة التي تصدى لها ، وأن ذلك بسبب عدم اختلافه على فلاسفة عصره الكبار ، وأن الفلسفة من العلوم التي تحتاج إلى أستاذ رصين في فكره خوفاً من الوقوع في الشبهات الفكرية التي تعرض لمن يحاول فَهْم غوامض الأمور بعيداً عن حلقات الدرس الخاصة بالفلسفة والحكمة الإسلامية .

لا نريد هنا عرض المسائل الأساسية التي اختلف عليها ، أو خالف الشيخ فيها ، فإن ذلك من وجهة نظرنا تبسيط للأمور ، فإن الموضوع لا يقتصر على تلك المسائل وإن كانت مهمة ، إلاّ أن المهم في الموضوع هو ما أدى إليه هذا التوجه ـ كما أشرنا ـ من أن إفراز حالة طارئة وخاصة على ثقافة المجتمع المؤمن وأسسه ، وهو أمرٌ لا يتصل بالحدود النظرية لآراء الشيخ ، وإنما ينسب في جهة قوية أيضاً للسلوك الذي كان عليه الشيخ أو من جاء بعده في تأصيل هذه المفارقة مع المجتمع المؤمن ، فضلاً عن أن كثيراً من الأمور غير النظرية بل السلوكية التي صرّح بها الشيخ ومن تبعه في كتبه ورسائله هي من الأمور التي تزيد من هذه المفارقة أو بتعبير أدق الخصومة مع الفكر العام والمجتمع العام ، من قبيل ادعاء رؤية النبي أو المعصومين يومياً ، وأن ما لديه هو منهم عليهم السلام ، وغير ذلك مما يفهم أو يَلزمُ منه نسبة كل ما عند الشيخ إليهم ، نعم ربما لم يكن الشيخ يريد هذه اللوازم من البابية وغيرها ، ولكنها ملازمات واضحة حقاً .

ولكن لا بأس من عرض بعض الآراء النظرية لغرض الإطلاع وإتمام الموضوع ، لا لغرض المحاكمة ، فليس موضوعنا ذلك ، ولكننا لا نرى في تجاوز هذا الموضوع إنصافاً في عرض حياة الشيخ الذي نحن بصدده . . .

رأى الشيخ ـ فيما رآه ـ أن معراج الرسول (ص) إلى السماء لم يكن معراجاً مادياً (جسمانياً) . ورأى أن الجسم لا يعود يوم البعث والقيامة بكل ما فيه من كدارة وكُدُرة (أي إنكار المعاد الجسماني) ، ورأى كذلك أن معجزة الرسول (ص) في انشقاق القمر له تَمَّتْ بانشقاق صورة القمر المنتزعة منه ، لا حقيقته هو .

ورأى ـ فيما يتعلق بالمعصومين عليهم السلام ـ أن علمهم حضوري لا حصولي ، بمعنى أنهم يعلمون بكل شيء في آن واحد ، لأنهم إذا أرادوا أن يعلموا شيئاً علموه بإذن الله تعالى كما عليه الإمامية .

هذا إجمال لبعض الأفكار النظرية التي قال بها الشيخ ، وقلنا إن الموضوع لا يقف في تقديرنا عند الحدود النظرية ، وإنما يتعدى ذلك إلى حدود أفرزت نتائجها السلبية فيما بعد ، وإلاّ فإنَّ بعض ما طرحه الشيخ لا يستلزم مطلقاً نسبته إلى الغلو أو الإنحراف فضلاً عن الضلال والكفر .

هذا الكلام الذي عرضنا له هو في حدود حياة الشيخ أحمد الأحسائي العلمية دون غيره ، فالكلام عمن سواه أعني تلاميذه والتابعين له يحتاج إلى موضوع مستقل لعلنا نوفق إليه في مستقبل الأيام ، ولكننا نشير إجمالاً وإتماماً للعرض ولأنه يتصل أخيراً بالشيخ موضوع الدراسة ، إلى أن حركة الشيخ الإحسائي والتي تطوّرت مع تلميذه كاظم الرشتي الذي واصل نشاطه الأساسيّ من كربلاء التي توفي فيها سنة (١٢٥٩هـ) قد برز فيها اتجاهان الأول عرف بالركنية وهو اتجاه حاج كريم خان الكرماني (ت١٢٨٨) وسمّيت حركته بـ(الركنية) لأن العقيدة عندهم تقوم على معرفة الأركان الأربعة الله والنبيّ والإمام والفقيه الجامع للشرائط ، والتيار الآخر يتمثل بالكشفية الذين يعتقدون بانكشاف بعض الحقائق لهم بالحركة ، وهي التي تبعت وتابعت الميرزا حسن كوهر الحائري (١٢٦٦هـ) ثم تزعمها آل الأسكوئي وزعيمهم الحالي الميرزا حسن الأحقافي الأسكوئي المقيم في الكويت والزعامة متوارثة فيهم على ما يبدو . وعلى العموم فإن أتباع الإتجاهين موجودون في بعض مناطق إيران والعراق والخليج .

للمترجم له الشيخ أحمد زين الدين الإحسائي ديوان مطبوع ضمَّ

شعره، ونعرض هنا لبعض قصائده، فمن ذلك قوله في رثاء سيد الشهداء الحسين (ع):

لله رزءٌ جـلـيـلٌ لا يُـرى أبـداً إلاّ لتـقـطيعِ أكـبـادِ المحـبّـينا
رزءٌ له فـجـعـةٌ طمَّت فكانَ بهـا عن كل نائبـة نابتَ تآسـينا
يا للرّجـال عـجيبٌ ذا المصاب أما نَرى لنا مُسعـداً بالنوح محـزونا
لأنّه رزء سـبطٍ لا نصـيـر له بين الملاعين مَن بعـد المحـبّـينا
لهـفي لـه في رجَـال أبرقـوا وهمُ ضيا القنا وضياءٌ في الدجى حينا
كم قد سقوا فاجراً كأسَ الردى فغدا يُسقى بذلك زقـومـاً وغسلينا
وكم أبادوا من الأعـدا بضـربهمُ جمعـاً غـفيراً وإن كـانوا قليلينا
ليُـهْنِهم إذْ دعـا الداعي لحـينهمُ تصـارخـوا لمناديهم مُلَبّـينا
فَجردوا للمواضي العزمَ وادَّرعوا قلوبهم وأتوا للمـوت ماشـينا
فعانقوا لمَوَاضي البيض واستبقوا إلى الفنا بالقنا والبـيض راضـينا
بين الصفَاحِ وسمر الخطّ مصرعُهم وحزنهم في حشاشات المُحبينا
يا لهفَ نفسي لمولايَ الحسين وقد أضحى فريداً وحيداً بين عادينا
كلٌّ حـريصٌ على إتلافـه فلذا أبدوا من الحقد ما قد كان مدفونا
يدعو أما من نصير جاء ينصرنا ألا رؤوفٌ بنا راجٍ يُراعـينا
ألا سخيٌّ يبيعُ الله مُـهـجـتَـه في نصـرنا بجنان الخُلد يأتينا
نحن وَدائع جـدي عندكم فـإذا خنتم أمـانَتَـه مـاذا تقـولونا
نقـضي على ظمـأ والماءُ مـاءُ أبي ومـاءُ جـدّي وأنتم ليس تقـرونا
فحلَّ فيـهم كشَاة حل ذو لَبد فـيـهـا كـذلك هم عنه يفـرُّونا
أو أنه ملَـكٌ ينـقـضُّ من فلـكَ في كَفّـه كـوكبٌ يرمي الشياطينا
حتى قضى بالظما حرّى حشاشتُهُ في الناصرين بجنب النهر ظامينا
أفـدي له من على الميمـون حينَ هوى على الثرى عـاثراً إذ كان ميمـونا
أفـديه إذ قُطعَت أوداجُـهُ وَغـدى كـريمُهُ في القنا كـالبـدرِ تَبْـيِـيْنا
أفـديه إذ خَطَبَـتـه الخيلُ راكـضـةً حتى غدا جسمه بالركض مطحونا

عُقرت كيف خبَطت قلبَ فاطمة وحيدرِ وحشاخير النَّبيّيْنا
أبكيه ملقىً ثلاثاً لا يجهِّزه إلاَّ الأعاصيرُ تحنيطاً وتكفينا
وحولَ مصرعه غرٌّ ملائكةٌ لا يفترون وهم شُعْثٌ ينوحونا
أبكيه أم لليتامى أم لنسوته صَوارخاً حاسرات بَين سابينا
كمثل زينبَ إذ تدعو الحسين ألَاَ يا كافلي مَن يُراعينا ويَحمينا
يا نورَ عينيَّ والدُّنيا وزينتَها يا نورَ مسجدنا يا نور نادينا
واضيعتي يا أخي مَن ذا يُلاَحظُنا مَن ذا سيكفلُنا مَن ذا يُدارينا
خلَّفتنا للعدى ما بينَ ضارينا وبين ساحِبنا حيناً وسابينا
أُخيَّ هذا ابنُكَ السجادُ يعثرُ في قيوده وهو يَبكيكم ويُبْكينا
أخيَّ ها هم يريدونَ المسيرَ بنا إلى ابن مَراجانةِ عنكم ليهدونا

ومن شعره في رثاء الإمام الحسين (ع) :

سل الربعَ تُبد الحالَ ما كان خافيا وعن لهجٍ في الذكر هل كان ساليا
معاهد إن تُبلِ الأعاصيرُ رسمَها فروَّاده تُحييه بالدمع جاريا
تعاهد ربعاً بالحمى من عهادها هواطلُ لا يبدون إلاَّ هواميا
ترسَّمتُ رسماً باللّوى للأولى خلَوْ به من أحبائي وأهل وداديا
على جاليات من بقايا عهودهم تقلدتُها فيما ترى العين باقيا
يحاكين حالِي والديار أخالها وما كان قلبي منهما الدهر خاليا
خلا ربعهم منهم فشطّت بي النوى إلى كل وادٍ قد تقسَّم باليا
فإن تخلُ من عينيّ يا دمع منهم فلست بخالٍ منهم في خياليا
تقلّبت الأيام حتى تفرّقوا وأضحت مغانيهم برغمي خواليا
قضى الله أني أصطلي نار بينهم وأن لستُ أسلوهم وألاَّ ألاهيا
أوجّه أوطاري بهم كلَّ مسلَكٍ أموِّه عنهم فيهمُ متواليا
أقول رمتني النائبات بهم كما رمت بمصاب السبط منّي فؤاديا
غداةَ نحا أرض الطفوف إلى الفنا بأصحابه يزجي المطيَّ الحوافيا
فلله شوسٌ مقدمون إلى الوغى سراع إذا ما الشوس تبدي التوانيا

مناهم مناياهم لترضى عليهم دعاهم رضىً عنهم لذاك ومانيا
ضحت لهم سبل الرشاد فأبصروا وشاؤوا بعين الله ما كان شائيا
فكم عانقوا من متلفات من الفنا وما عانقوا إلاّ الضبا والعواليا
قضوا بين محتوم القضاء ومبلغ الـ ـرّضا فرضوا لله ما كان قاضيا
سقى الله أرواح الذين توازروا على نصره سحّاً من الغيث هاميا
لقد أفلحوا في الغابرات وما لقوا من الخاليات الإصر إلاّ تراضيا
وصار حسينٌ واحداً من صحابه يناديهم لم لا تُجيبون داعيا
ألا يا أُصيحابي أنادي وأنتم على القرب منّي لم تجيبوا ندائيا
أصدكمُ ريب المنون أم ارتمت بكم جاريات النائبات المراميا
أم الحال حالت أم تسابقتمُ العلى إلى الغاية القصوى لكم والمراقيا
وهذي الأعادي يطلبون أذيتي ولم أر هذا اليوم منكم محاميا
لأن كدَّر العيشَ الهنيَّ فراقكم فقد كان عيشي قبل ذلك صافيا
سلام عليكم غير أنّي تائق لمصرعكم حتى أنال التدانيا
وها أنا ماضٍ للفنا للقائكم ولم يكُ إلاّ حيث ألقى الأعاديا
فيا ليتني لمّا استغاث حضرته وكنتُ له بالروح والمال فاديا
أما ومحبيه الذين توازوروا على نصره لو كنت فيهم مواسيا
لكنت فداءً للذين فدوا له بروحي ومَن لي في الفداء وواقيا
ولكنّ حظّي حطّني غير أنّني أديم البكا فيهم وأنشي المراثيا
فأقبلت الأعداء من كلّ وجهةٍ عليه ولمّا يلقَ فيهم مواليا
فلهفي عليه إذْ أحاط به العدى وقد أشرعوا فيه القنا والمواضيا
يديرهم دور الرحى في دوائر من السوء لا يُنتجنَ إلاّ دواهيا
فدمَّر منهم ما يدمّر قاصداً وكان على حكم المقادير جاريا
كما أنزل القرآن أن (لو تزيّلوا) لعذّب منهم كلَّ من كان قاليا

من مصادر دراسته :

الأعلام : ١/ ١٢٤ ، أدب الطف : ٦/ ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، أعيان الشيعة : ٢/ ٥٨٩ ، شهداء الفضيلة : ٣١١ ، طبقات أعلام الشيعة : ق ١٣/ ٨٨ ، فلاسفة الشيعة : ١١٣ ، أعلام هجر : ١١٢ ، العبقات العنبرية : ٢٩٧ .

(٢٠)
علي الغُريفي
(/ - ١٢٤٤هـ)

السيد علي ابن السيد إسماعيل بن محمد البحراني الغُريفي . وهو أحد أعلام هذه الأسرة الكريمة علماً وأدباً وصلاحاً ، فقد كان من العلماء الأجلاء خصوصاً في علوم العربية لذلك لقب بسيبويه ، وهو تلميذ جملة من الفقهاء وخصوصاً السيد بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء وغيرهما .

ومن شعره :

من الروق ما جذته مدية عزمنا ... جذاذاً فسل عنه الغريفة والبحرا
فكم من دم اللبات طاح محليا ... معاصمنا فاستنبىء الصدر والنحرا
فنحن بنو الحمراء والبيض بيضنا ... قديماً ألا فاستخبر السمر والشقرا
أبى المجد إلاّ أن نقيم صدورنا ... على أعوجيات بنا اتخذت صدرا
رقينا رواقا طاول العرش رفعة ... بناه لنا العيوق رغماً على الشعرى
ولكنني أبكي وما كنت باكيا ... بغير حسام لم تزل عينه عبرى
(سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا ... فإنّ بها ما يدرك الطالب الوترا)
(ولست كمن يبكي أخاه بعبرة ... يعصرها من ماء مقلته عصرا)
(ولكن أروي النفس مني بغارة ... تلهب في قطري كتائبها جمرا)
(وإنا أناس لا تفيض دموعنا ... على هالك منا وإنْ قصم الظهرا)
وما سائل عني ومن ماء مقلة ... جرت أدمعا من عين قلب العدى حمرا
حمى حوزة البحرين جدي ووالدي ... وقد أوقفوني إثرهم أطلب الوترا
أقمت على حد «المنامة» قائماً ... بسيف يريك الحد مستوزراً نصرا

أيستحكم العصفور فيها وعندنا ... أصول بها الصقر المدل بنى وكرا
وقد جاءنا رأس الخليفة مهبطاً ... تقنعه منا سياط الردى زجرا
وللذكوات البيض سرنا نجوبها ... بسبح تعوم البحر سبحان من أسرى
نخوض بها بحر العلوم وإن نكن ... قديماً من البحرين نلتقط الدرا
شرينا نفوساً بالسيوف وإنها ... نفوس أبت بالبخس من [. . .] تشرى
تسيل على الخدين ماء وفي الوغى ... جبالاً ترد العين عن حدنا حسرى

توفي هذا السيد بالطاعون سنة ١٢٤٤ الذي شمل العراق آنذاك . وقد وهم الشيخ الأميني في (معجمه) حينما أشار إلى ورود ترجمة هذا السيد في «معارف الرجال» والحقّ أن معارف الرجال ذكر رجلاً آخر من آل الغريفي وليس صاحب الترجمة .

من مصادر دراسته :
شعراء الغرى : ٦/ ٢٤٩ ، الروض النضير : ٩٣ ، معجم رجال الفكر : ٢/ ٩٢٠

(٢١)
أحمد المحسني

«١١٥٧ - ١٢٤٧هـ»

الشيخ جمال الدين أحمد ابن الشيخ محمد ابن الشيخ محسن المحسني الإحسائي الدورقي الفلاحي، وُلد الشيخ أحمد في المدينة المنورة ثمَّ انتقل إلى الإحساء، ثمَّ لما حدث من اضطرابات طائفية حُورِبَ بها شيعة الإحساء هاجر الشيخ منها إلى الفلاحية حتى وفاته فيها، وما بين هذين العهدين حَلَّ الشيخ في النجف ليكمل ما حصله من علوم الإسلام في الإحساء على ما يبدو، وقد أجيز من قبل الشيخ جعفر كاشف الغطاء والسيد محسن الأعرجي والسيد جواد العاملي، حتى اكتملت لديه ملكة الفقه والفقاهة، فصار فقيهاً من فقهاء عصره الكبار ثمَّ توجه منها إلى الفلاحية، وصار فيها الرمز الديني الكبير حتى توفي. وهو والد الشيخ حسن وجد الشيخ موسى الوارد ذكرهما في هذا الكتاب. أثنى عليه أساتذته وغيرهم ممن ذكروه من المؤرخين، ووصفوه بالعلم والفقاهة والتقى والزهد والصلاح والأدب.

كان للشيخ في الفلاحية أثرٌ كبير دينياً واجتماعياً وثقافياً، ومن جملة ذلك تأسيسه لمكتبة عامرة كبيرة فيها، ضمت مكتبات بعض علماء المنطقة الماضين، وقد أضاف إليه كتباً من الهدايا وغيرها، واستمرت تنمو في عهد ولده الشيخ حسن ومن بعده أحفادهما لمدة قرن ونصف حيث أهملت فصارت طعاماً للفئران، وتلف بعضها بالحرق والمطر وما إلى ذلك من الآفات.

له رسائل علمية كثيرة أغلبها عبارة عن حواشي وتعليقات على كتب الفقه والحديث والرجال وغيرها من علوم الإسلام.

أما شعره الذي يربو على ألفي بيت فيما ضمّه ديوانه فإنه كتبت معظم قصائده بين ١٢٢٣ـ١٢٢٨هـ، وبعضها لم يدون تاريخ كتابته لها. وهذا

يعني عدم ولوعه بكتابة الشعر في سنوات عمره الأولى وإنما اهتم بهذا الأمر في هذه السنوات الخمس، وربما لأسباب نفسية أو عاطفية، ومعظمه في أهل بيت العصمة (ع) وفيه بعض القصائد الإخوانية.

ومن شعره هذه القصيدة في رثاء سيد الشهداء، وقد صدرها بمقدمة يتذكر فيها أيامه بهجر:

أيا (هجرٌ) ذكراك هيَّجَ مابيا ... وأجَّجَ ناراً وَقدُها في فؤاديا
وزاد غرامي ذكر مَن كان قاطناً ... بها من أصيحابي وأهلِ ودِاديا
ألا مَن لصحب شتَّتَ البين شملهم ... وصيَّر منهم مربَع الفضل خاليا
رعى الله أياماً تقضَّينَ مَعْهمُ ... ووادٍ به كانوا رعى الله واديا
لأشكر ليلات مضينَ بقربهم ... ومن بعدها لا أشكرنَّ اللَّياليا
ليالٍ غدا سُمّارها كلُّ فاضلٍ ... وفيٍّ لعهد ليس للخلِّ جافيا
صحَبتهمُ في الله دهراً وإنهم ... لفي القلب لَيلى أسكَنوا وفؤاديا
أخلاء صدق من كرامٍ أعزة ... لإن بعدوا لم يرحلوا عن فؤاديا
أولئكَ إخوان الصفاء فبعْدَهم ... تكدَّرَ عيشي لا أرى الماءَ صافيا
لعلَّ اجتماعاً بعدَ بينٍ وربما ... ولكن قضى الرحمن ألاَّ تلاقيا
ولا كمصاب الطف أعظم بوقعة ... بها انهدَّ في الإسلام ما كان راسيا
كأني بمولاي الحسين وقد غدا ... وحيداً ولم يلف هناك محاميا
ينادي بصوت يصدع الصخر هل فتىً ... يحامي فيلقى الله في الحشر جازيا
ولما أباد الله مَن باد منهمُ ... دعا السبط أعظم بالإله مناديا
إليه فلبَّاه فخرَّ على الثرى ... قتيلاً فديت ابنَ البتولة ظاميا
فديت له فوق الصعيد مجدَّلاً ... وتصهره شمس الهواجر عاريا
وأدبر ينعاه الجواد إلى النسا ... فأبصرنه من خيرة الخلق خاليا
فشقَّقنَ منهنَّ الجيوبَ صوارخاً ... وجئنَ حسيناً وهو يفحص داميا
فأبصرنَه وهو الكريمُ معفراً ... على صدره كان الضبابيّ جاثيا
وقلن لشمرٍ ويك يا شمرُ خلّه ... ترى عنك رب العرش في الحشر راضيا

أيا شمر هذا ابن البتولة فاطم وبضعة مَن قد بات لله داعيا
أيا شمر هذا خير ماشٍ وراكب وخير فتىً لله قد طاف ساعيا
ومَيَّز رأسَ السبط لا متأثماً وأركبه سمر اللّدان العواليا

وله في رثاء الحسين (ع) كذلك هذه القصيدة :

قف بي على الوادي المحيل نبكي لمُندرسِ الطَّلول
فعسى نُقَضّي مَأرباً وأفوزُ يوماً ما بسُولي
أنا ذو الصَّبابَة والجَوى وأنا أبو الحزنِ الطويل
ذَهَبتْ أحبّائي الأولى هم في الوغا آسادُ قيلِ
وهُمُ ذا جنَّ الدُّجى سَجَدوا لربِّهم الجَليل
من كُلّ أبيض ماجدٍ تهواه في قُللٍ وقيل
قد عزَّ في أقواله والفعْل يوماً عن مثيل
بادوا فلا أنساهُمُ في كلِّ صُبحٍ أو أصيل
إلاّ إذا اذَّكَّرتُ ما فَعلَتْ أُميّةُ بالقَتيل
سبْط النّبي المصطفى وابْن المُطَهَّرة البتول
مُلَقى على حرّ الصَّعيد مُجَدَّلاً فوق الرُّمُول
لَهْفي لفرخِ مُحمّدٍ لَهفي لذي المجد الأثيل
شلواً على الرمضاء لهفيّ للمقطّع والجديل
أفدي العفيرَ على التُّرا ب له ألاّ يا أرض زولي
بأبي المُخضَّب شيبُه بدماه في اليوم المهول
بأبي حبيبَ الله والـهادي مُحمَّد الرَّسُول
تركوه منبوذاً ثلا ثاً بالعَرا غيرَ الغَسيل
إلاّ بقانٍ من دما ه مَسيلُهُ خَير المَسيل
بأبي فديت كَريمَه يعلو على رمحٍ طَويل
يتلو الكتاب على الرّما ح فَدَيتُ معدومَ المثيل
بأبي فديت بناتِ أحـمدَ فاقداتٍ للكَفيل

تُسبى وتأسرها اللّئا م فديتها بيد الجَهُول
رُكبن من فوق المطا يا فَوقَ صعبٍ لا ذَلُول
تهدى لآل أميَّة وزياد الرجس الجهول
عجباً لها تُهدى وهُنَّ بنات فاطمَة البَتُول
وَبناتُ أحمد والوَصيِّ لها ألا يا أرض ميلي
رُزؤٌ عظيمُ ماله في كُلِّ عصرٍ من مثيل
لهفي لَهُنَّ حواسراً تشكو إلى المولى العليل
أعني عَلِيَّ بنَ الحسيـ ـن خليفة الله الجليل
أفديه في نسوانه يدعين بالويل الطّويل
ويَصُحْنَ بالمختار يا جدّاهُ يا خَيْرَ الكفيل
يا جدَّنا قتلوا الحُسَيـ ـن ووطئُوه بالخيُول
كانَ الحُسَين لَنا إذا وقف الغمام عن النَّزول
بدلاً من الغيث المُلثِّ فكان خَصْباً في المُحُول
يا جَدُّ كَم من فاضلٍ في كربلاء لَنا قتيل
في يومِ لا مِن ناصرٍ فيه لَنا يوم مَهُول
لم يتركوا في كربلا ء لنا أُميّة من دُحُول
قتلوا بها أطفالنا وبَغَوا مُحاربَة الجليل
فَكأنَّهم لَمْ يَعْرِفُو نا أنَّنا خيرُ القَبيل
يا جَدُّ ها أنْصارُهُ في كَرْبلاء على التَّلول
ما بين مَطْعُون جريـ ـحٍ أو رَميلٍ و جَديل
قُتلوا ولَيس لَهُم عَلى وَجْه البسيطة من مثيل
فكأنّهم أقمارُ سعـ ـد قد دنَت نَحوَ الأفول
أنصارُ دينِ الله أفـ ـديهم وأنصارُ الرَّسول
أنصار فَرخِ مُحَمَّد حَسَنٍ وأنصارُ البتول
أنصار مولانا الحُسيـ ـن وحُجّة الله الجَليل

لَهفي لَهم قتلوا وكُلٌّ كَظَّه حَرُّ الغَليل
يا آل أحمد أنتُمُ لعَبيدكم خيرُ الدَّليل
أنتم أماني من لَظى وعليكمُ ثقلُ المُعيل
إنّي لأحمدكُم صباحي يا هُداتي مَعْ أصيلي
فتقبّلوا ما قلتُه فَانابكم فعْلي وَقيلي
صَلّى عليكُم ذو الجَلالِ وحسبُكم مَدْحُ الجليل

وَلَهُ يندب الإمام الحجة (عج) ويذكر الإمام الحسين (ع) :

يا إمام الزّمان يا خيرة اللـه ويا مَن إليه أمرُ العباد
أنتَ سبط الرّسول وابنُ عَلي حُجةُ الله وَالدليلُ الهادي
أنتَ جنبُ الإله يا حجّةَ الله على حاضر الورى وَالبادي
أنتَ طُهرٌ من طاهرينَ كما قد جا بذا الذكرُ ما بكم من فساد
أنتَ مولى الأنام وابن الموالي سيّدٌ وابنُ سادة أمجاد
يا ابنَ أزكى الأنام بُعدُكَ عَنّا ضارمٌ في القلوب ذَات اتقاد
طالَ ذا الإنتظارُ يا خيرَ هاد لا تُرى في رُبىً ولاَ في وهادَ
فاكشف الضُرَّ يا ابن فاطمَ عَنّاً واجْلُ عنّا العَنى بغير تَمادَ
يا غياثَ الإله أنتَ المُرجّى لشفاء الصّدور من كلّ صادَ
خُذ ذُحولاً تقادَمتْ وَدماءاً قَد أريقت ما بين أهل العناد
لستُ أنسى يا ابن النبي حُسَيناً مُفرداً بين كُلّ باغٍ وعادَ
قتلوه ظُلماً على غير شيءٍ في حماة وذادة أجواد
حَملوا رأسه عُتواً كبَدرٍ مُشرق فوقَ ذابلٍ مَيّادَ
وبناتُ النّبي تُسبى هدايا للبغايا أكّالة الأكبادَ
حاسرات بعد الصّيانة والعزّ تراها عيونُ أهْل الفسادَ
صارخاتٍ هواتفاً برسول الـ ـله خير الأنامِ أشرف هادي
جد هذا الحَسينُ في ناصريه بدِمَاهُم مُرمَّلي الأجسادِ

قـــتلواهم ولم يذوقـــوا من الما ء قليـــــلاً يَبلُّ غَلّة صَـــادي
جد هذا السّجادُ حجّـةُ رب الـ ـعَرشِ ظلماً يقاد في الأصفادِ
وجرى مـا جرى بغير حساب يا إمـــامي من كلّ باغٍ وَعـــادي
قم فَدتكَ النفوس يا ابنَ الزواكي وَخُـــذ الثـــارَ من ذويّ الإلحـــادَ
أنتَ بعـــد الإله غـــوثُ البـــرايا والمرجَّى لكَشف صَـعب الشدادَ
أنـــتَ بـــابُ الإلَـــه يـــا ابـــنَ عَـــليّ والجـــواد الجَـــوادُ وابنُ الجـــوادَ
أصْلِح الحـــالَ إنّني لك عَـــبْـــد وَاهدني سيّـدي سبيلَ الرشـادَ
مـــا عليكم لو جُـــدْتُمْ لعُـــبَـيْـدٍ أمّـكــم دهــرَه وَيــومَ الـتَّــنـادَ
وخـــتـــامُ المقـــالِ صلّى عَلَيكمْ ربّكم مـــا عَـــلا عَلى الأعـــوادَ
واعظُ مـا سَرى إلى البيت سار وســـــــــلامٌ إلى بِلا الآبـادَ

وله أيضاً هذه القصيدة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام :

ما على مَن ناح في تعزية السبط الحسين وجرت من كل عضو منه في ذا الرُّزء عين
إنّه رزءٌ عظيمٌ في البـرايا ليس هَين يا بنفسي وأبي أفدي لمولاي الحسين
بأبي أفديه فرداً في فيافي كربلاء وعليه قد أحاط الكربُ فيه والبلاء
وإليه جحفل الفجّار بغياً أقبلا يا بنفسي وأبي أفدي لمولاي الحسين
لستُ أنساه وقد قام خطيباً فيهم ببليغ الوعظ واللفظ لعُجم مفهمِ
بفصيح النثر طوراً من غريب الكَلم يا بنفسي وأبي أفدي لمولاي الحسين
أو بنظمٍ يشبه السّحر بياناً مُعرباً يا لقومي فاطلبوا عمّا سيردي مَهربا
ودَعوني ورجوعي نحو جدّي يثربا يا بنفسي وأبي أفدي لمولاي الحسين
أولستُ ابنَ النبي المصطفى وابنَ علي فاطم الزّهراءُ أمّي نَسَبي فيكم جلي
جعفر الطيَّارُ عمي وكذا حمزةُ لي يا بنفسي وأبي أفدي لمولاي الحسين
راجعوا أنفسكم يا قوم فيما جئتمون عاتبوها فعساكم بعد ذا أن تدعون
لا تبوؤا بقتالي ما لكم أن تقتلون يا بنفسي وأبي أفدي لمولاي الحسين
فأبوا إلاّ ضلالاً مثلَ ما كانوا عليه وتعدَّوا حجَّةَ الله وما يدعو إليه
ورأوا قتل ابنَ بنت المصطفى مع وَلَديه يا بنفسي وأبي أفدي لمولاي الحسين

فسطا فيهم فَولّوا حُمُراً مستنفره — رأت اللّيثَ ففرّت خيفة من قَسورَه
فـهُمُ شطران للقـتـل وسطرٌ ذعَّـرَه — بأبيَ أفدي ونفسي خيرةَ الله الحسين
ما سمعنا كحُسَينٍ في الزمانِ الأوّلِ — مُـفـرداً أمَّ إليـه كـعـديد الأرمُل
جيش كفر وهو منهم في الوغى لم يجفَلِ — بل غدوا مُذْ أبصروا كرّ حسين فرقتين

وله أيضاً هذه المقصورة في التوسل بأهل البيت (ع)، مستجيباً في ذلك لطلب رجل اسمه زاهد :

يا ســادةَ الخلقِ ومـعـدنَ التُّـقى — وخـيــرةَ الله وأربابَ الوَفــا
ومَـعــدنَ العلم الإلهي ومَنْ — يُرجى بهم فـوزُ العـبـاد والنّجـا
يـا خـلـفــاءَ الله يـا آيـاتـه — يا حُـججَ الجَـبّـار يا أزكى الوَرَى
يا باب حطة التي من دَخَـلاَ — منهـا بأمْـرِ ربّه البـاري نجـا
يا مـهـبط الوحي ويا من عندهم — علوم آت وعلومُ مــا مَـضى
يا من بهم كـوَّنَ ربّي كـونَهُ — مـا هُوَ آتِ والّذي منه خَـلا
يا آل بيت المصطفى الهادي ومَن — عليـهمُ اعـتـمـادُنا بَيْنَ الوَرَى
يا مَن لهم أمـرُ العـبـاد كُلّه — وَمَـرجعُ العـبـاد في يوم الجـزا
عـبـيدكم (زاهدُ) من في حُبّكمُ — أنفقَ مــالاً وعــراه مــا عَـرَى
يرجـوكمُ في هذه الدّنيـا وفي — أخـراه مـا كـان بكم له يَرَى
وأصلحـوا حـال (أخـيـه) مَـعَـهُ — ومَـن لَـكُـمْ مِـنْـهُ الـودادُ والـولا
وبعـد صلّى الله جـبّـار السّـمـا — عليكمُ مـا بَكمُ غـيـث همى

توفي في خوزستان عام ١٢٤٧ بمرض الطاعون، وقد ناهز عمره التسعين عاماً، ودفن فيها .

من مصادر دراسته :

ظ : أعلام هجر : ٢٣٠ ، أدب الطف : ٧/ ١٤ ، أعيان الشيعة : ٣/ ٤١١ ، الذريعة : ٣/ ١٣ ، ١٦/ ٩٠ ، مستدركات أعيان الشيعة : ٢/ ٣٣ ، طبقات أعلام الشيعة : ق ١٣/ ١٠٧ ، معارف الرجال : ١/ ٦٦ .

(٢٢)
جواد زيني

«١١٧٥ - ١٢٤٧هـ»

السيد جواد ابن السيد محمد ابن السيد زين الدين أحمد العطّار الحسني البغدادي النَّجفي ، المعروف بسياه بوش والأمير سجاعي .

ولد السيد جواد عام ١١٧٥هـ في النجف ، فتعهّده والدهُ السيد محمد بالرعاية والعناية ، وقد كان أبوه من فضلاء النجف وعلمائها خصوصاً في علوم العربية التي صنّف فيها أكثر من كتاب ، وقد كان أحد أعضاء ندوة الخميس الأدبية ، بل ربما كان أحد أركانها ومؤسسيها ، فقد كان بيته مقرّاً لهذه الندوة ولغيرها وعلى ذلك نشأ ولده السيد جواد فتلقى بعض العلوم واتّجه صوب الأدب والشعر فنظم وأكثر من النظم .

غير أن قراءة تاريخ حياة هذا السيد وشعره تدلُّ عى أن هذا السيد كان قلقاً ، حاول الخروج على النجف ، فخرج منها كما خرج عليها ، فهو التلميذ المتابع للميرزا محمد الأخباريّ . لم يكتفِ بأن يواجه المجتمع النجفي بتوجهه هذا بَلْ راح يشنّ بشعره الهجوم على بعضَ رموز الدين وزعمائه الروحيين ، ومن يدري لعل هذا السيد كان يرى في متابعة الميرزا الأخباري ـ رحمه الله ـ خير مجال لإطلاق لسانه على زعماء الدين ورجاله في النجف ، وربما كان غير السيّد أيضاً قَدْ تحركوا وأصبحوا موقدين لنار هذه الفجيعة المؤلمة لأسباب هي لا علاقة لها أصلاً بمورد الاختلاف ، وإلاّ فلا معنى لأن يتحول نقاش علميّ نظري بحث إلى حالةٍ يؤسف لما وصلت إليه .

أقول : هذا السيّد لمجرد نزعة التمرد فيه أو لأسباب أخرى ، كان يحمل بسكاكين شعره ليطعن بها على علماء الأصوليين ، وكان من الطبيعي كما يحدثنا تاريخ أدب ذلك العصر أن وقف شعراء آخرون في الجانب الآخر

يفعلون مثل فعل هؤلاء أو أكثر .

لم يكتف الشاعر بما فَعَلَهُ من شتم علماء الدين في شعره ، بل هجا في شعره بغداد والعوائل البغدادية ، وهو ما يكشف عن نزعة نفسية متمردة على واقعها الذي عاشته . هل كان الرجل بتعبيرنا اليوم عدوانياً أم كان مرهف الإحساس يثور لأدنى سبب ولا يتمالك أعصابه من التعبير عن هياجها النفسي ، كما هي عادة الشعراء .

إن ناحية التمرد هذه لم تهدأ عن الشاعر ، بل جعلته ينتقل من النجف ويخرج منها كما خرج عليها ، ويذهب إلى طهران ويبقى فيه مدة غير قصيرة من عمره ، وهناك يجد في الصوفية والتصوف ملجأ آخر لخروجه عما ألفه من حياة العراق والنجف ، فيصبح صوفياً في رأيه وفي لبسه كذلك ، وهذا ما يدلُّ على نزعة التمرد لا نزعة العدوانية في نفسه بحسب تقديرنا .

عاد إلى النجف ، ولكن هل عاد لها عودة التائب عما بدر منه أم عودة من أتعبته الأسفار والغربة ، أم عودة من أراد أن يكون قريباً من موقع الإثارة بالنسب له ، فيجدد بها نشاطه المتمرد . هذا ما لا نستطيع أن نجزم به . ولكن على أية حال عاد هذا السيد إلى النجف وبقي فيها حتى توفاه الله تعالى سنة ١٢٤٧هـ ، وقيل سنة ١٢٤٤هـ ، وقيل ١٢٤٦هـ ، وذلك بسبب داء الطاعون «الثاني» الذي حلَّ في النجف الأشرف . ومن شعره ، هذه القصيدة في مدح أمير المؤمنين (ع) في قصيدة :

ألا ليس ينجي النفس من غمرة الهوى ... ولا ركن يرجى في هواه اعتصامُها
سوى حبّها مولى البرية من غدا ... بحق هو الهادي بها وإمامها
عليّ أمير المؤمنين ومن به ... تقوض من أهل الضلال خيامها
هو العروة الوثقى فمستمسك بها ... لعمري لا يخشى عليه انفصامها
وصي النبي المصطفى ونصيره ... إذا اشتدّ من نار الهياج احتدامها
له الهمة القعساء والرتبة التي ... تطلع في أعلا السماكين هامها

ومن طريف شعره قوله :

لم أقل في الرؤية المنع كمن ... قَدْ أكفّ الله جهراً بصرَة

لا ولا دنت بطنٌ أبداً مثل أرجاس لئامٍ كفره
قول جدّي المرتضى معتصمي لم أكن أعبدُ رباً لم أره

وهو معنىً مأخوذ من جواب أمير المؤمنين في آخر شطر كما يُلاحظ .

للشاعر إرث أدبي هو :

١ ـ دوحة الأنوار في الحدائق والأشعار .

٢ ـ ديوان شعر كبير .

٣ ـ معراج الأسرار في التصوف والعقائد الصوفية .

٤ ـ مجموع شعري كبير جمع فيه شعره وشعر غيره من أصحابه وبعض معاصريه .

وله هذه القصيدة التي يمكن وصفها من الناحية الفنية من عيون الشعر في ذلك العصر ، نظراً لما منح الشاعر لغته فيها من دلالات موحيه لا تقف عند حدود المعنى القاموسي بل تتجاوزه بعيداً ، فتخرج من الدلالة الأولية للمعاني إلى دلالات واسعة موحية تشكل إثارة حقيقية للخيال والفكر ، إنها قصيدة تخرج عن الكلام إلى الشعر والفنّ الشعريّ ، وهذا من أوّل خصائص الشعر وسماته ، ويلاحظ أن الذي ساهم في ذلك ثقافة الشاعر الصوفية التي تبدو واضحة من خلال أبياته هذه ، وربما كان قد كتبها بعد تصوّفه على ما نظنّ :

سطع الكأس حين وافى السّقاةُ بمدامٍ لَمْ تحوها الحاناتُ
طاف فيها النديم يسعى ولبّى للمحبّين حيث نحن دعاةُ
بمجالي أسراره آنسونا نار موسى ، وأنسنا الكلماتُ
فاْقتبسنا نوراً بذاك التجلّي هو والله للحقيقة ذاتُ
عجز الواصفون عن كنه معنا هُ ، فأنّى تحيط فيه الصِّفاتُ
إن هذا الهدى هدى الله للعشّاقِ ، فلتهتد الحماة الكماةُ
يا لأقداح وحدة جمرة اللا هوت تذكو منهَا لها جذواتُ
لاح صبح الفلاح فيها لذا دا نتْ ، لتجلي همومنا الكاساتُ

فـلأرواحنا لديهـا ارتيـاحٌ ولأشـبـاحنا لهـا نفـحـاتُ
إن تراءى لهـا الزجـاج حـجـاباً لا حـجـاباً بل ذا لهـا مـرآةُ
هكذا البـدر ليس يحـجبـه بُعْـ ـدٌ ، كـمـال من نوره الهـالاتُ
قـبسُ ذاك من سناه اسـتـعـارتْ مـزدهى صـفـو نوره النيّـراتُ
أمْ نجـومٌ تطرّز الفـلك الثـا منُ فـيـهـا أنوارها مـزهراتُ
أم ضـيـاء القـدس استنارت باشـرا ق ، وذا قـلبنا لـه مـشكـاةُ
أم نبيٍّ للحُـسْنِ قـدْ نزلت فـيـ ـه ، عليـه منه به الآيـاتُ
أمْ بريقٌ من درّ ثغـر حـبـيـب قـام يزري بالبـرق أمْ سـبنـاتُ
أجنان الفـردوس لاح عـبـيـرٌ من سـنـاهـا أمْ هـذه وجـنـاتُ
أيرى مـثله رشـيـق قـوامٍ شبـه غـصن مـالتْ به لفـتـاتُ
بشـرونا بوصله فـاسـتـضـاءت منه أرجـاء صـقـعنا والجـهـاتُ
جـمع الله فـيـه نوراً وناراً لي على مـا ادّعـيـتُـهُ إثبـاتُ
نار خـديه ثم نور مـحـيّـا هُ ، فَلِي مِنْ سناهمـا قـبـسـاتُ
وكـذاك البـيت الذي هو فـيـه مـسـتظلٌّ رقّتْ به الأبيـاتُ
سـعـرت تحـتـه الجـحـيم وفـيـه يا لقـومي الأنهـارُ والجنّاتُ
يا حـبـيـبـاً حلت بقلبي منه حين حـيـاني بالسـلاح الحـيـاةُ
مـذْ رأيت الجـمـال فـيك تناهى قلت حقّت على الحبيب الصلاةُ
قـبلتي وجـهك السنيّ فـمـالي لسـواهُ أنى أولّي التـفـاتُ
فـامنح الضمّ ثم صـاح وبالكسـ ـر تثنى فـمـا الندامى صـحـاةُ
دُمْ أمـيـراً على الملاح كـمـا البَـدْ رُ منيـراً تزهو بك الأوقـاتُ

وله مشطّراً أبيات ابن العربي :

يا قبلتي قابليني في السجود لقد والبتُ مـولًى به سـرّ الإله بدا
جـدّي مـحـمـد إنْ أُنمى إليـه وجدتُ شخصاً لشخصٍ فيَّ قَدْ سجدا
لاهوتُهُ حلّ ناسـوتي فَـقَـدَّسَني فصرتُ في ملكوتِ القدسِ منفردا

نفسي لنفس وجودي سبَّحتْ علناً إني عَجِبتُ لمثلي كيف ما عُبِدا!

وله مادحاً الوالي العثماني داوود باشا :

بحدّة السيف أفنيت الخوارج لا بالبيض واللآثم المرتابُ محدودُ
لأن الحديد لبأسٍ أنتَ مضمرهُ حتّى كأنّك يا داود داودُ

ولَهُ :

لثم الحبيب يمينه لمّا بدا في كفِّه يردٌ من الصهباءِ
ناداه : ما اسمك يا سنى شمس الضّحى فأجاب موسى ذو اليد البيضاءِ

وله في قهوة البن :

ربّ سوداء في الكؤوس تبدّتْ تهب الروح نفحةً في الحياةِ
فإذا ذقتها تحقّقْتُ فيها أنّ ماءَ الحياةِ في الظلماتِ

وقال في معنًى عن الفارسية ، وكان لَهُ كثيرٌ من هذا اللون في النظم :

إني أُحيط بوصف حب لم يكنْ يرقى لأدنى سرّه المكتومِ
كذب الذي بالميم شبَّه ثغرَهُ قد مَثَّل الموهوم بالمعلومِ
ما كان إلاّ نون تنوينٍ بَداَ بالنّطق لكنْ ليس بالمرسومِ

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ٢/ ١٤٨ ، معجم رجال الفكر : ٢/ ٦٥٤ ، ريحانة الأدب : ٣/ ١٠٦ ، الكرام البررة : ١/ ٢٩١ ، ماضي النجف : ٢/ ٣٣٤ ، معجم المؤلفين العراقيين : ١/ ٢٨٢ ، الذريعة : ٨/ ١٧٣ ، الأعيان : ٤/ ٢٨٠ .

(٢٣)
عبد الحسين الأعسم
(- ١٢٤٧هـ)

الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ محمد علي ابن الشيخ حسين ابن الحاج محمد الأعسم .

عُرف هذا البيت «بيت الأعسم» في النجف الأشرف منذ حلّ جدّهم الحاج محمد الأعسم الذي جيئ به من الحجاز إلى النجف بطلب الوالي العثماني لصدّ هجمات الأعراب عنها ـ بالعلم والفقه والأدب والكرامة . وقد زعم بعض المؤرخين أن هذا البيت قديم جداً في النجف يرجع إلى عهد عضد الدولة البويهي ، وهو أمرٌ بعيد عن الواقع .

وآل الأعسم هم حجازيو الأصل ويعرفون «العسمان» فخذ من قبيلة حرب يعرف بـ «زبدي) خلافاً لما زعم البعض من أنهم من قبيلة «زبيد» القحطانية .

هذا الشاعر الشيخ عبد الحسين الأعسم ، هو أحد فقهاء عصره الكبار ، وقد ورد ذكر أبيه الشيخ محمد علي الذي كان أيضاً فقيهاً جليلاً وأديباً فاضلاً .

الشيخ عبد الحسين الأعسم لَهُ شهرة واسعة بين أدباء عصره وعلمائه الكبار ، دَرَسَ علوم الإسلام على يد والده الشيخ محمد علي وقد شارك والده في الدراسة على بعض الفقهاء كالشيخ جعفر كاشف الغطاء والسيد بحر العلوم ، كما تتلمذ على السيد محسن الأعرجي حتى صار من فقهاء عصره الكبار الذين أثروا في الحياة العلمية تدريساً وتأليفاً ، ومن ذلك آثاره العلمية الآتية :

ـ ذرائع الأفهام ، فقه استدلالي في ثلاث مجلّدات في شرح شرايع الإسلام .

ـ شرح منظومة والده في المواريث والأطعمة والأشربة شرح منها ٥٠٨ أبيات .

ـ منسك تام في الحج .

ـ الروضة في الشعر ـ مرتبة على حروف الهجاء في نهضة الحسين «ع» . هذا موجز عن حياته العلمية . أما عن أثره في الحركة الثقافية الشعرية في عصره ، فقد كان من أدباء عصره وشعرائه الكبار المشهورين ، ومن هنا فقد كانت له مطارحات ومساجلات شعرية معهم .

نُقلت عن هذا الشيخ وشعره بعض الكرامات التي تدلُّ على عظم منزلته الروحية ، ومن ذلك ما يتعلق بقصيدته المسمّاة بالمقبولة والتي مطلعها :

نرى يدك ابتلت بقائمة العضب ... فحتى م حتى م انتظارك بالضرب

فقد عُرف أن الشيخ كان لا يخرج قصيدته لأحد بعد نظمها إلا إذا وافق أبوه الشيخ محمد علي عليها ، وقد عرض عليه هذه القصيدة فأمره بعدم إذاعتها ، فرأى في المنام أهل البيت وهم يستمعون إليها ، فأمر ولده بعد ذلك بإذاعتها وقال : هي مقبولة .

وعلى رغم ما كان للشيخ من قدسيّة وموقع دينيٍّ كبير ، فإنّ لَهُ رحمه الله روحاً مؤنسة ، ومن ذلك أنه كان كل عام ينظم قصيدة هزلية في حقّ (ابن جماعة الهندي الوثني) وذلك في التاسع من ربيع الأول ، وفي إحدى السنين لم ينظم قصيدة لانشغال باله ، فألحّ عليه أصحابه وألزموه ولو ببيت ، فأنشأ على الحال في حقّ المشار إليه :

قَدْ جُمِّعت من نطف ذاتُه ... وأُودِعَت في رحم فاسدِ
(ليس على الله بمستنكر ... أن يَجمع العالم في واحد)

ومن مراثيه في الحسين قصيدّة مطلعها :

معاذاً لأبيات الحقيقة تغتدي ... صروف الرزايا فيهم تتصرف

ومن شعره الغزلي قصيدة مطلعها :

سلبت الكرى منّي فهلاّ تُعيدُهُ ... وأمرضت جثماني فلمْ لا تعودُهُ

ومن شعره قوله :

دنا مكرها يوم الفراق يوادعه   تسابقه قبل الوداع مدامعه
وقد كاد أن يرفض شجو فؤاده   عن الصدر لولا تحتويه أضالعه
بنفسي حبيبا لم يدع لي تجلدا   لتوديعه لما غدوت أوادعه
أعانقه والطرف يرعف خاشعا   وما الصب إلا راعف الطرف خاشعه
وقد علقت كفّايَ شوقا بكفه   كما ضمت الطفل الرضيع مراضعه
أعرف بالشكوى إليه ومهجتي   تنازع من أشواقها ما تنازعه
ولما سمعت الركب حنت حداتهم   وهى جلدي من هول ما أنا سامعه
وقلت لشوقي كيفما شئت فاحتكم   لك الأمر فاصنع فيّ ما أنت صانعه
ولاح دعا للصبر من لا يجيبه   وقاد إلى السلوان من لا يطاوعه
يكلفني صبرا خلعت رداءه   وهيهات مني لبس ما أنا خالعه
فمن لمشوق لم يخض جفن عينه   غرار ولم تفتق لنصح مسامعه
إذا رام أن يخفي هواه وشت به   مدامع تبدي ما تجن أضالعه
فوا لهفتا من بين خل موافق   يراجعني في أمره وأراجعه
يواصل من واصلته غير طامح   لغيري ويغدو قاطعاً من أقاطعه
تعقبه هجر تلظى شجونه   بأحشاي حتى يجمع الشمل جامعه

وله :

ستسمع لي إذا علقت بناتي   معارفهن مطلقة العنان
أتعلم أن لي مرمى بعيدا   عليك وإن شانك غير شاني
أكلت دما إن استبقيت نفسا   تفر من الحمام إلى الهوان
سأمضي للتي إن طوحت بي   بلغت بها نهايات الأماني
بعزمة فاتك السطوات زرت   غلالته على عضب يماني
تمضمض عينه بغرار نوم   إذا امتلأت كرى عين الجبان
يهش إلى الوغى لم يحل عيش   له بسوى الضراب أو الطعان

تخال صليل قارعة المواضي ... ألذّ لديه من نغم الأغاني
ولفحة مارج الهيجاء أشهى ... إليه من ارتشاف المرغواني
وخوض غمار معترك المنايا ... أحب إليه من دعة الأمان
لترتقب العدى مني نهارا ... أعرفهم بموقفه مكاني
الثم شمسه بالنقع حتى ... الاقي تحتها حلق البطان
وكيف بهم إذا رعدت عليهم ... سنابكهن بالحرب العوان
عليها كل أغلب مستشيط ... يغض على لواحظ افعوان
نكلت عن العلى إن لم أثرها ... على الأعداء ساطعة الدخان
فاروي من رقابهم حسامي ... واركز في حناجرهم سناني
وامزج من دمائهم مدامي ... وانصب فوق هامهم جفاني

وله :

هي العزمات والهمم العوالي ... ينال بها الفتى رتب المعالي
فتى العلياء، من يسمو إليها ... بقلب بالمنية لا يبالي
وأي بعيدة لم تدنها لي ... حراب السمهريات الطوال
وما أنا قانع بتلال مجد ... إذا لم أسم شامخة الجبال
ولي نفس تجادلني إذا ما ... نهاني الحلم عن طول الجدال
تفل حدود مرهفة المواضي ... بعزمتها وتنحطم العوالي
تزيد بكل قارعة مضاء ... كما جاد الحسام على الصقال
وثبت بها إلى كسب المعالي ... كما نشط المؤبل من عقال
واصلت الحسام ولست ممن ... يهزون السيوف بلا قتال
أأملأ مقلتي كرى وفيء ... تقسم بين أوغاد النذال
علام وما بباعي من قصور ... ولا بغرار عزمي من كلال
قنعت بعيش ذل ليس يخشى ... به بطشي ولا يرجى نوالي
وكيف وإن تكن انفت يميني ... عن الأعداء أغنتها شمالي
حلمنا عنهم حتى استطاعوا ... ولاقونا بألسنة طوال

نهضت إلى اقتناء العز أقضي ... به حق المكام والمعالي
بطرف لا يغض على قذاه ... وجنب لا ينام على بلال
ورأي مثل حد السيف ماض ... تصل به الجبال على الجبال
وواصلت السرى بالسير احجوا ... وصالهما الذ من الوصال
غنتني عن قيان الحي ورق ... تغرد لي على سلم الوضال
وعن هيف القدود اعتضت سمرا ... تشابهها بلين واعتدال
سئمت العيش في زمن تولت ... شبيبته وآل إلى الهزال
علت فيه أسافله واضحت ... أسارى بين أيديه الأعالي
أرى صوراً يقال لها رجال ... ولم أر فيهم شيم الرجال
تصد عن الجميل ولا تخافي ... وتعتاد القبيح ولا تبالي
سأصلت عزمة مهما استثيرت ... تضعضع عندها شم الجبال
وأكسر غمد عضب ضج منه ... واجعل غمده قمم الرجال
وأخضب بالدما أذقان صيد ... أبت إلا التضمخ بالغوالي
بفيلق نجدة وخميس نصر ... يصول بها الرشاد على الضلال
تسايره القشاعم مربعات ... تحف به بحلٍّ وارتحال
به الرايات كالعقبان تبدو ... خوانق في عواسلها العوالي
بحيث ترى السوابغ مشخنات ... على الأبطال من شق النبال
بحيث ترى الكماة لها ضجيج ... تنادي فيه حي على النزال
بحيث ترى الجماجم عاثرات ... بهن السابقات مدى المجال
بحيث ترى الصوافن طافحات ... تفل إلى الوغى غلب الرجال

وله :

بنفسي من أفدِّيه بنفسي ... فليس لها وليس له قرين
أضن به على غيري وإني ... بمن أهوى على غيري ضنين
وأحجب وجهه عن ناظريه ... مخافة أن تناهبه العيون
ودون لقائه حرس حمته ... بآساد عواسلها العرين

تشاكينا الصبابة فاهتززنا كما تهتز بالنسم الغصون
فويح بني الغرام قضوا عطاشى وبين يديهم الماء المعين
فذلك من ضناه يكاد يخفى على عواده لولا الأنين
تحذر أن تصيخ لعذل لاح لنا دين وللاحين دين
ودار لحاظ عينك حين تعشو إلى فلق تغض له الجفون
يرد شعاعه الأبصار حسرى وكيف تواجه الشمس العيون
شكوت هواك لي فهززت غصنا تخون المرهفات ولا يخون
فكم رقت فيك عليه عتبا يكاد صفا الصخور به يلين
سقطت على جهينته فسله يجبك فعنده الخبر اليقين
كمال كامل ووفى وفي وطبع طافح وحجى رزين
متى يذكرك خامره اهتياج يخال كأن وليس به جنون
وما خان الأمين من ارتضاه أميناً لكن ائتمن الخؤون
أبيت وبين أضلاعي اشتياق تنشب منه بي داء دفين

وله يرثي الحسين (ع) :

عرجا بي فهذه كربلاء أبك فيها وقل مني البكاء
يا غريب الديار بنت عن الاو طان تخدي عنها بك الأنضاء
أين من كربلاء طيبة مثوا ك ومثوى أهليك والبطحاء
أي كرب قاسيته وبلاء عندها إذ جرى عليك القضاء
أي عذر بين الورى لعيون قل منها على الحسين البكاء
ويح قوم جنت عليه واغرتـ ـهم به الجاهلية الجهلاء
يا ابن بنت النبي غرتك بالكتـ ب علوج ضلت بها الآراء
اظهروا الود إذ دعوك فمذ وا فيت وافتك منهم الشحناء
لم يجودوا عليك بالماء حتى بخلت أرضهم به والسماء
بأبي طفلك الرضيع تلظى عطشا حين غيض عنك الماء

جئت مستسقياً به فسقته	منهم الحتف طعنة نجلاء
لهف نفسي على بناتك تستا	ق سبايا كما تساق الإماء
لهف نفسي على خليفتك السجـ	ـاد مسته بعدك الاسواء
لست أنساه في دمشق بحال	شمتت بازدرائها الأعداء
يا لها وقعة تجددها في	كل عام عليٍّ عاشوراء
تركتها مآتم باقيات	أبد الدهر ما لهن انقضاء
ليس ينسى مولاي عبدك رزأ	لك تنسى لعظمه الارزاء
لك عندي ما عشت لاعج وجد	لم تبارحه عبرة حراء
ما استعرت البكا عليك أبي الشـ	ـمّاخِ فيكم وأمي الخنساء
مستمر على رثائك لكن	ليس يشفي غليل قلبي الرثاء
ابشعري أفي رثاءك كلا	قصرت عن رثائك الشعراء

وله :

أما في هذه الدنيا نجيب	يساعدني على نوب تنوب
مصائب لا أنادي الصبر فيها	ولا أدعى إليه ولا أجيب
تناكر موقفي قومي كأني	غداة أصبت بينهم غريب
ألانت جانبي نكبات دهر	اشابتني وما حان المشيب

وله في رثاء الحسين عليه السلام :

عز غيري فلست ممن يعزى	رب رزء عزاء باكيه عَزّا
كم تأوبتني بتقريع قلبي	عن مرارم ترى به عنه عجزا
لم تجد فيه مطمعاً فاطو عنه	كلما أوجعتْهُ قرعاً وغمزاً
ويح قلبي الشجي مما يعاني	من ملام الخلي نهسا وحزا
كم وددت الردى لراحة نفس	لم أزل من حياتها مشمئزا
أي عيش يهنا لمن بين جنبيـ	ـه لظى أزت الجوانح أزا
أضرمتها في القلب ارزاء أهل الـ	ـبيت إذ ليس مثلها قط ارزا

كم حـقـوق لآل أحـمـد بزت بعـدمـا ظن أنهـا لن تبـزا
ونفـوس تجـرعت غـصص الذل وقـد كـان حـقـهـا أن تعـزا
واختلتهـا أيدي الضغـائن بالاسيـ ـياف ضـربا وبالأسنة وخـزا
وأضيـعـت دمـاؤها بعـدمـا ار وت حـضيـضـاً من كـربلاء ونشـزا
كم عـرانين أرغـمت لـم تكن تر غـم إلا لله جـل وعـــزا
ونحـور عـزت يعـز على المخـ ـتـار بعـد التـئـامـهـا أن تحـزا
ورؤوس فـــوق القنا لولاة الأ مـر تدعى باسم الخـوارج نبـزا
بأبي افـتـدي قـتـيـلا عليـه عـزيت فـاطم فلم تتـعـزا
واسـتـذلت بقـتله ملة الإسـ ـلام من بعـدمـا اكتسب منه عـزا
فليـشـق الإسـلام ثوبا على من كـان كـهـفـا للمـسلمين وحـرزاً
ويل قـوم تخـاذلوا عنه مـا اشـ ـنعـهـا سـبـة عليـه واخـزى
كـيف خـانوا نبـيـهم في بنيـه ابهـذا خـيـر النبـيين يجـزى
لهف نفـسي على الحسين فـلا زا ل فـؤادي برزئه مـسـتـفـزاً
حـسـبـوه يرضى بذل ويأبى أن يعـيش الأعـز إلا اعـزا
واسـتـشـاروا بقـتل والده الكر ار منهم عـبـاد لات وعـزى
فـاسـتجـارت منهم به بيضـة الاسـ ـلام إذا أوجـست من الكفـر وكـزا
واعـتلى طرفـه بلامـة حـرب لا ترى مـثـل طرزه العين طرزا
ودنا منـهـم وأوقـرهـم وعـ ـظا يسـوم الرواسخ الشم هزا
فـاصـم الشـقـاء منهم قلوبا حـرزتهـا ضـغـائن الشـرك حـرزا
فـانتـضى عـضبـه وشـد عليـهم شـدة الليث في أضـاميم مـعـزى
كم أرتهم عـيناه هائل فـتـك وجـدوا من نفـوسـهم عنه عـجـزا
لكن الخطب أحكمـتـه المقـاديـ ـر ولن يقـبل المقـدر حـجـزا
يا لقـوم لفـادح جـز من علـ ـيـا قـريش نواصـيـا لن تجـزا
واغـتـدت بعـده اعـزاء عـدنا ن أذلاء والأذلّ اعـــزا
واسـتطالت إلى المغـازي يدا من طالما كـان من مـغـازيه يغـزى

وتسلت عنهن هاشم وانصـــا عت مغاني غزاتها الغلب مغزى
أخـــذوا في ديارهم بعـــدمـا كـــا نوا حماة الحمى حضوراً وغزى
يا ابن بنت النبي مـا برحت احـ ـشـــاؤنا بأدكـــار رزئك ترزى
لـم تسكن غليلهـــا عـــبـــرات يحفز الثكل دمعها فيك حفزا
هجـرت جـزعـاً عليك عـزاها ليس عن كل مـيت يتـعـزى
أخلصتكم أشياعكم صفو ود ذخرته لفاقة الحشر كنزا
لك عـبـد إذا شـجـتـه الخطايا يتـسـلى بأنه لـك يعـزى
حـــاش لله أن تخـيـب اناس تخـذتكم مما تحـاذر حـرزاً

وقوله رثائه :

سخوا للمعالي بالنفوس النفائس كذا كل من يشري العلى لم يماكس
وفـازوا بهـا في النشـأتين نفـائسـاً كـبت دونهـا أنفـاس كل منافس
هي الرتبة القعساء جل مقامها لدى الله أن ترقى لهـا كف لامس
بهـا ظفـرت من الزمـوا عـزمـاتهم حـفـاظ المعالي بابتـذال النفـائس
حـدتهم إلى نـصـر ابن بنت نبـيـهـم حـمـيـة دين لم تشب بالدسـائس
فـهبـوا إلى حـرب تقـاعس أسـدها تخالس طرفاً للردى غير ناعس
تهاوت عليهم خيلهم مشمعلة كما استبقت للورد هيم الخوامسِ
وخاضوا لظاها مستميتين لا ترى عيونهم الفرسان غير فرائس
بأبيض مصقول الغرارين قاطع واسمر مهزوز المعاطف مائس
وسـابغـة من نسج داود توجت مغافرها بالبيض فوق القلانس
ضراغم غيل لم تهب رشق راجل بنبل ولا ترتاع من طعن فـارس
فلله تلك الفتية ازدلفت لها ثلاثون ألفاً بالضغون الفوارس
فـاذكت عليهم نار حرب جلاهم سناها جلاء الصبح دهْم الحنادس
وحـــفت بمولاها تجـــدل دونه اشـاوس حـرب اردفت باشـاوس
كفته عداه واغتدت مهجاتها له جنناً من نبلهـــا المتكاوس
إلى أن فـدته بالنفـوس فلم يجـد مـجـيـبـاً له غـيـر العدو المخالس

بدا مخمداً ضوضاءهم بزئيره عليهم فلم يسمع لهم صوت هامس
وأوقرهم وعظاً فلم يلف ملمسا بهم فثنى عن وعظهم عطف آيس
إلى أن جرى حتم القضا وترادفت فوادح لم تخطر على بال حادس
مصائب لم تبرح لها عكفاً على مواقف حزن اعولت ومجالس
فواظع زادتها الرواة فظاعة وإن كان ما لم ينس معشار مانسي
شجتنا فما ندري اتطوى ضلوعنا على حرق من ذكرها أم مقابس
وخامس أصحاب الكسا ما خطت لهم يد الفضل إلا جبرئيل بسادس
تمنت عداه خطمها لشهامة له شحطت عنهم على ظهر شامس
ورامت لها الويلات إذعانه لها فكيف تنال الشمس أيدي اللوامس
وهيهات أن يرضى الحسين بذلة أبتها أصول زاكيات المغارس
فحلق عنها وامتطى صهوة الردى يرى الذل أخزى وصمة في المعاطس
ويرسل من كوفان للشام رأسه إلى فاجر في غمرة الكفر راكس
وتسبى إليه الفاطميات آلفاً تشفيه في تقريعها في المجالس
فلهفي على تلك الدماء فلم تزل تلظى لها في القلب شعلة قابس
ولولا ترجي النفس طلعة ثائر بها أنا من نصري له غير آيس
لما كنت استبقي لها بعد رزئهم حياة بها ضاقت علي منافسي
إلى أن يعز الله دين الهدى بمن يجدد من آثاره كل دارس
ويخصب من ساحاته كل ممحل ويورق من أغصانه كل يابس
يجب به عرق الضلال وتكتسي به سروات الرشد أبهى الملابس
لوجهك يا ابن العسكري توجهت هداياي يذكو عرفها في القراطس
فجد لي باستنشادها جدة الرضا لدعبل باستنشاده لمدارس

وله في رثائه :

هو الهوى مهما كتمته فشا وكيف يخفى ما به الدمع وشى
شغفت حباً وتروم سلوة هيهات أن يسلو مشغوف الحشا

تشكو تجني الهوى وهل ترى ... من عاشق جرى هواه كيف شا
مستوحشاً بين أهاليك ومن ... غيل لفقد من يحب استوحشا
روحي الفدا لنازح ما خطرت ... بخاطري ذكراه إلا انتعشا
أرجو اقتراب وعده معللاً ... به فؤاد لم يزل مشوشاً
يا حبذا ساعة لقياه التي ... لا يرتجي الدين سواها منعشاً
قضيت عمري بين يوم نفضت ... على ضحاه لوعتي دجى العشا
وليلة أسهرها كأنني ... مساور خزر العيون الرقشا
أجهش فيها بالبكا لغدرة ... في الدين كل من وعاها أجهشا
خرط القتاد دون سلوها وإن ... صرت بها لشوكة مفترشا
حتى نرى آخذ ثأرها سطا ... من كل من أسسها مفتشا
لهفي ولا يشفي الجوى تلهفي ... لمن بشاطي النهر ماتوا عطشا
لم أنس يوم جعجع العدا بهم ... وأنزلوهم العراء الموحشا
تخاذلت عنه رعاياهم إلى ... أن بلغت منه عداهم ما تشا
هنالك استل ابن حيدر الظبا ... شهامة شب عليها مذ نشا
عاف الحياة والأبي الضيم لم ... يطق بدار خيمة تعيشا
واختبر الناس ببذل نفسه ... ولو يريد البطش فيهم بطشا
فهب للهيجا بجأش طامن ... لم يكترث بالكون جاش أم جشا
تطاير النبل إليه لم يكد ... يسلم عضوٌ منه إلا خدشا
ومذ دنا حتم القضا أصماه من ... قوس الشقا ذا شعب مريشا
حجت عليه الفاطميات فكم ... جيب لها شق ووجه خمشا
تجاوبت بالنوح لا تفتر عن ... طول بكى أثر فيها العمشا
ويلي على من ثكلت رجالها ... وكابدت ذاك المصاب المدهشا
تنظر منهم الرؤساء أبدلن من ... أجسامهم سمر الرماح الرعشا
وجثثا فوق الثرى ودت لها ... تكون أحداق المعالي فرشا
أضحت مزاراً للوحوش بعدما ... كان حماها يؤنس المستوحشا

يا آل بيت المصطفى حن لكم مضنى بغر قربكم لن ينشعا
هام بكم فؤاده نشوان من صفو هوى خامره حتى انتشا
لا أختشي ذنباً ولي فيكم رجا أعظم ذنب معه لن يختشى
علت لكم نار القرى فرحبوا بمن على نار قراكم عشا
فليس للجود محل غيركم إن تقفوا يقف وإن تمشوا مشى

وله في رثائه :

ما بال من أصفيته اخلاصي غاليت فيه وجد في ارخاصي
أكذا وفا الأحباب يرجع خائباً من وصلها الداني ويحظى القاضي
سيرد لي ما فات مني جاه من لم تبق شمس ولاه ليل معاصي
من رد قرص الشمس جاه أبيه في سغب نحيل الجود بالاقراص
وقضيت عمري في رثاه مؤملا برثاه من شدد الذنوب خلاصي
أفدي قتيل الطف خير من اعتلى أسراج خيل أو رجال قلاص
فزعت أمية إذ تطلع نحوهم فزع الظباء بطلعة القناص
نصرته قوم ارخصوا أرواحهم للدين والأرواح غير رخاص
فسموا بذلك رفعة كادوا بها يطأون هام النسر بالأخماص
وخطوا بأقصى كل مكرمة غدت لهم أقاصيهن غير أقاصي
فلأي عذر ليت شعري تنتحي من تدعيه بمنتهى الإخلاص
شقي ابن سعد واستبد بلعنة شملت ذؤابتها أبا وقاص
نشبت بكلكلة مخالبهم فلم تمكنه منهم فرصة استخلاص
فحمى ذمار عياله بمهند لم تحم منه سابغات دلاص
ويظل يفحص من ظماه طفلها والهفتاه لطفلها الفحاص
جزت نواصيها العلى لمصيبة لم تطف جذوتها بجز نواصِ
حتى نرى ابن العسكري يقودها شعثا يطيح بهن كل معاصي
فلتخش صولته الأعادي ويلهم اين المفر ولات حين مناص

وله في رثائه :

إن يضق في اليوم بي رحب الفضا فـغـداً يجـري بما أهوى القـضـا
قــرب الـوعــد الـذي أرقـبـــه وانتـهى التـسويف فـيـه وانقـضى
تـتــراءى لي ســيـــوف طالما أغـمـدت قـد أوشكت أن تنتـضى
ارتجــيــهــا طائر القلب مــتى لمحت عــيناي برقــا أومــضــا
ويح قـلبي مـــا بقـلبي كلمـــا نفض البـــرق رداه انتــفـــضـا
انقــضت أيام عــمــري حــســرة غـيــر مـسـتـوف بهـالي غــرضـا
كم أقـــاسي بانتظاري لـوعـــة قلبت قلبي على جـمــر الغـضـا
مــا صــغت للعــذل عنهــا اذني صــرح العـــاذل لي أم عــرضــا
مـا يفـيـد العـذل في مـثلي وكم عـــاذل أغـــرى وناه حـــرضــا
لا أرانــي الله أســلـــو مـــن لــه مـــوثقـــاً في عنقي لن ينقـضـا
ســـرنا الله بلقـــيــــاه فكم قـــد لقــينا من نواه مــضــضـاً
طلت يا ليل النوى حـــتى مـتى أترجى فـــجــرك المعــتـــرضــا
أورثتنا غللاً لـم يشــفـــهـــا غــيـــر صـمــصــام الآله المنتـضى
طـالبـــاً أوتار أهل البـــيـت مِنْ مَن أضــاعـوا فــيـهم مـا افـتـرضـا

وله في رثائه :

سلّيـا بالحـديث غـيــر فـؤادي بم يسلو عن الورود الصـــادي
بـين جنبي جـــــذوة تتـلظى مــهـجـتي فــوق جـمـرها الوقـاد
أين منهـا الخـمـود هيـهـات إلا بلقـا من لقـــاه أقــصى مــرادي
منية النفس إن نأى عن سواد العيـ ـن لم ينأ عن ســويدا الفـــؤاد
لم يفــز ناظري بلقــيــاه حــتى في رقـــادي وأين مني رقـــادي
ســهــدتني صــبــابة غــادرتني مــســتــهـام الفـؤاد في كل وادي
لم يجد مطمعاً بهـا العدل مهـما رام نقــصــانهـــا طغت بازدياد
كـيـف أصـغي لعـاذل بعـدمـا أعـ ـطيت بمنى الغـرام فـضل قـيـاد
من لقلبي بأن يفـــوز بمن يهـــوا ه بعــد التــيـــاعــة بالبـــعـــاد
حــبـذا ســاعـة الاقـيـه فـيـهـا مـا الذ السلسـال في قلب صادي

صاحبي أشرحا بندبته صدري فقد ضاق بي فضا كل نادي
بأبي والعزيز من أهل بيتي أفتديه وطارفي وتلادي
خاتم الأوصيا لخاتم رسل اللـه غوث الولي حتف المعادي
طال حمل النوى به فمتى يا فرج الله ساعة الميلاد
أي يوم يشدو البشير بمن لم يحل في غيره ترنم شادي
وتلاقي عيناي منه محيا بين عينيه نور أحمد بادي
مصلتا عضبه لاصلاح هذا الكون بعد امتلائه بالفساد
غصبوكم حق الخلافة واغتروا بظل اغتصابها المتمادي
كم رزايا في كربلا كست الـإيمان أحزانها ثياب حداد
يوم ذل الإسلام وانتسفت في أوجه المسلمين كثب رماد
وتبدت أمية تتقاضى دينها من بني النبي الهادي
أدركت بالحسين ثارات بدر وشفت منه سألف الاحقاد
عندما استفردته مستنجدا بأساً كفاه من كثرة الأنجاد
خذلته قديمة الغدر حتى أدركت منه ما اشتهته الاعادي
طمعت فيه أن يسالم لكن دون ضيم الأباة خرط القتاد
أتراه يعطي ابن آكلة الأكبـاد كف المستسلم المنقاد
كيف يستسلم الحسين وينقاد لضيم وهو الأبي القياد
الخوف الردى وليس لديه الـموت إلا تهويمة عن سهاد
أم لحب الحياة بين من اختار ت عليه يزيد وابن زياد
حاش لله أن يحوم على مرعى أبته شهامة الأمجاد
فهناك اتكى على قائم السيـف ونادى فديته من مناد
أيها الصحب ليس للقوم قصد غير قتلي فليغد من هو غاد
فأجادوا الجواب واخترطوا البيـض احتياجاً إلى جلاد الأعادي
وانثنوا للوغى غضاب اسود عصفت في العدى بصرصر عاد
أوردوا البيض دونه من نجيع الهام والسمر من دما الاكباد

حرسوه حتى احتسوا جرع المو ت ببيض الظبا وسمر الصعاد
حر قلبي عليه حين رآهم كالأضاحي على الربى والوهاد
فبكى حسرة عليهم ونادا هم وأنّى لهم بغوث المنادي
سمحوا بالنفوس في نصرة الديـ ـن وأدوا في الله حق الجهاد
صرعتهم أيدي المنايا كراماً والمنايا حبائل الأساد

توفي هذا الشيخ في الطاعون سنة ١٢٤٧هـ على أصح الأقوال .

من مصادر دراسته :

أعيان الشيعة : ٧/ ٤٥٢ ، الحصون المنيعة ٩/ ٣٢١ . شعراء الغري : ٥/ ٤٢ ، ماضي النجف ٢/ ٢٨ . معجم المؤلفين العراقيين : ٢/ ٢٣٢ . الكنى والألقاب : ٢/ ٤٣ . معارف الرجال : ٢/ ٢٤ ، ريحانة الأدب : ١/ ١٥٢ ، معجم رجال الفكر : ١/ ١٦٥ . الذريعة : ٩/ ٨٢ ، ١٠/ ٢٣ ، ١/ ٤٥٤ .

(٢٤)

محمد الدلبزي

«القرن الثالث عشر الهجري»

الشيخ حسين بن قاسم بن محمد بن حمزة الدلبزي، من أعلام وشعراء أسرته التي انقرضت في طاعون ١٢٤٧ هـ، وقد ذكره البعض من المؤرخين والأدَباء. وذكروا أن له من الآثار العلمية حواشي على كتاب «طبقات الرجال» للشيخ عبد اللطيف محي الدين.

ومن شعره في هذا الطاعون المشار إليه:

أبا حسن يا خير ماشٍ وراكب ويا خير من مَسَّتْ ثرى الأرض رجلاه

وله مستغيثاً بالإمام (ع) أيضاً قوله:

لمْ أنس ربعاً قَدْ حَوَتْ بفنائها أرباب مجدٍ طاولوا هام السَّما

وله في هذه الكارثة أيضاً:

هي الدار أضحت بالغري خروبا عَفَا رَبْعُها بعد الأنيس يبابا

وله مستنهضاً الحجة (ع)

إلى م عيونُ الخلق ناظرة إلى قدوم فتى عط القلوب انتظاره

من مصادر دراسته:

شعراء الغري: ١٠/ ٢٨٧. الكرام البررة: ١/ ٤٦١. ماضي النجف: ٢/ ٢٨٣. مصفى المقال: ١٥١.

(٢٥)
محسن المنصوري
«القرن الثالث عشر الهجري»

الشيخ محسن ابن الشيخ علي المنصوري ، هو من الشعراء المجهولين كما ذكر ذلك فى شعراء الغري .

وقد ذكر الشيخ الأميني في المعجم ، إنه الشيخ محسن ابن الشيخ محمد علي ابن الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ عبد الله بن جواد بن سالم بن برزم بن شيبة النجفي الجزائري المتوفى سنة ١٢٨٦ . . . مستدلاً على ذلك بمخطوطة موجودة في مكتبة السيد البروجردي رقم ١٣٩٥/ ١ . وقد ترجم الشيخ لرجل آخر بهذا الاسم يكاد يطابقه في الاسم والنسب وهو : محسن ابن الشيخ محمد ابن عبد الحسين ابن عبدان بن محسن بن عبدالله بن جواد بن برزم بن شيبة النجفي ، وأنه توفي سنة ١٢٤٨ .

وذكر أن الشيخ حرز الدين في المعارف قد ترجم للثاني وأنه أرادَ الترجمة للاول . .

أقول فيما يبدو أن هنالك إشكالاً ، فمن الواضح أن الاسمين هما لشخص واحد لا أكثر ، ولعلّ الوهم في تاريخ الوفاة لا أكثر .

وإليك القصيدة المروية في شعراء الغري لهذا الشيخ وفيها يهني الشاعر الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر بقران حفيده الشيخ حسين :

خليلي قوما اسقياني عقارا ... فقد ساغ شرب المدام جهَارا
أديرا لنا خمرة عتقت ... أديرت على عهد كسرى ودارا
فهذا الحبيب أتى زائراً ... وربع المسرة فيه استنارا

ووافى يميس كــغــصن النقــا بوجــه أحــال الظلام نهــارا
لقــد منّ بالوصل بعــد البعــا د فنلت الســرور به والنضــارا
كيــوم سروري بعــرس الحسين فــتى قــد زكــا محــتداً ونجــارا
به لبس الدهــر برد الســرور وعــنا بــه الهــم ولــى وســارا
فــبورك في عــرســه مــا بقي يرى العــز فــيه ويكسي الوقــارا
عــشيــة زفت إليــه فــتــاة لهــا شــرف في الورى لا يبــاري
بجــد زكت وأب مــاجــد وأعــمامهــا الغر تسمو فــخارا
كــمــا فــاق كل الأنام الحسين بجــد عظيم به العــقل حــارا
فــهنّ الحسين وجــد الحسين ومن فــيــه دين الإله اســتنارا
مــحــمــد الحسن العــالم الــ ـتقي ومن في العلى لا يجــازي
فــذاك الذي فــضله لم يزل يعم البــرايا صــغــاراً كــبــارا
وكــافل شــرعــة خــيــر الورى ونائب من عن عــــداه توارى
مليك إذا مــا بدا طالعــاً فكل له بــالثنا قــد أشــارا
وهنّ أبا صــادق بالحــسين فــتى لم يزل يتــسامى فــخارا
همــام حــوى همــمــا عــاليات تركن طوال المســاعي قــصــارا
وعــبــد الحسين الهــمــام الذي إلى الفــضل حلق طفــلا وطارا
فــتى جــد في طلب المكرمــات فلم تلحق الناس منه الغــبــارا
ودومــوا بظل جــمــال الزمــان جــميــعــاً بخيــر إذا الدهر جــارا

من مصادر الدراسة :

شعراء الغري : ٧/ ٢١٠ . معجم رجال الفكر : ٣/ ١٢٤٤ . معارف الرجال : ٣/ ٣١٥ .

(٢٦)

علي الأمين

«القرن الثالث عشر الهجري»

السيد علي الأمين . هكذا عنونه الخاقاني وذكر المصادر الأدبية التي ورد ذكره فيها . والواقع أن هناك أكثر من شخص يحمل هذا الاسم خصوصاً في العامليّين وكلهم علماء وبعضهم كان في النجف في هذا القرن .

وقد أورد له قصيدة رائية في رثاء أستاذه الشيخ جعفر ومطلعها :

أتطلبُ دنياً بعد فقدك جعفرا وتطمع فيها أن تكون معمّرا

وبعد مراجعة ذلك ثبت عندنا أن السيد المقصود به هو السيد علي ابن السيد محمد الأمين ابن السيد أبي الحسن موسى ابن السيد حيدر بن أحمد ، وهو جدّ السيد صاحب الأعيان ، ولا ندري كيف غفل صاحب شعراء الغري عن ذلك ، علماً أن الأعيان من مصادر كتابه ، ولاسيما أن القصيدة التي نقلها عن السيد علي ـ صاحب الترجمة ـ في رثاء استاذه الشيخ كاشف الغطاء المشار إليها موجودة بعينها في الأعيان في ترجمة السيد صاحب الذكر .

ومن هنا فلا بدّ من الإشارة إلى بعض أحوال هذا السيد ليرتفع الإبهام الذي قد يسبّبهُ كتاب (شعراء الغري) ، ومَنْ شاء التفصيل فليراجع (الأعيان) .

ولد هذا السيد في بلاد عاملة ، وكان يتميّز عن أقرانه بما منحه الله تعالى من ملكات الذكاء و الحفظ ، فدرس على يد أبيه السيد محمد الذي جرت له مع الجزّار قصة يتناقلها العامليون ، حيث أنه بعد إشكال حدث طُلبَ منه أن يؤدي مبلغاً من المال فاضطر لأن يترك ولده هذا (رهينة) لحين

مجيئه بالمال المطلوب منه ، فكان أن قامت بين الابن وبين بعض أبناء حاشية الجزار علاقات ودّ ، وقد درس عبد الله بك بن علي باشا الخوندار بعد ذلك عليه بعض علوم الإسلام ، وتأكدت العلاقة ، ولما صارَ والياً عبد الله هذا على عكا فيما بعد كان يحترم السيد احتراماً كبيراً .

هاجر السيد مواصلاً تلقيه للمعارف إلى النجف الأشرف فحضر عند علمائها الكبار كالسيد جواد العاملي صاحب «مفتاح الكرامة» وعلى السيد علي الطباطبائي صاحب «الرياض» والشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء والمحقّق أسد الله التستري والسيد عبد الله شبّر وغيرهم من أعلام الفقهاء ، حتى بلغ مرتبة الفقاهة وعادَ إلى لبنان فكان لعلمه ولمكانته من نفوس عبد الله باشا وغيره وسائر الناس مكانة مرموقة قلّما بلغه أحد من علماء تلك العصور من رئاسة دينية ودنيويّة ، حتى أنه كان يصله من قبل هذا الوالي من البرّ ما كان معه ذا يسار ، وخصوصاً ما حصل عليه من إقطاعه ضيعة الصوّانة ، ولَهُ بذلك أكثر من صكّ .

أمّا من حيث مؤلفاته فَلَهُ شرح منظومة السيد بحر العلوم الفقهية ، ولَهُ رسالة في التوحيد ، ورسالة في الحيض وغير ذلك .

أما من حيث الأدب ، فإنه كان شاعراً ناثراً سنورد له بعض قصائده هنا ، لأن شعراء الغري لم يتضمن سوى قصيدة واحدة له ، وسنورد له أكثر من ذلك ، فمن شعره هذه القصيدة التي أرسلها إلى أمير عصره عبدالله باشا :

أفرعها أم ظلام الليل معتكر ووجهها أم ضياء الصبح مشتهر
ما إن رأيت ولا أذني به سمعت شمسا تطلع من أزرارها قمر
دنت فنفرها عن وصلنا نفر واعتاد طرفيَ لما صدّت السهر
عهدي بها والتصابي غصنه نضر ما أن تغيرها عن ودي الغير
مت لعمري عقد الوصل حين رأت بعارضي صباح الشيب ينتشر
قالوا كبرت وغصن الحب منك ذوى أجل ولكنما في الغاية الثمر
والدمع من مقتلي والدر في فمها ضدان جاءا فمنضود ومنتثر

لهـا المودة إن صـدت وإن وصلت فـمـا لقلبي عنهـا اليـوم مـصطبر
قالوا استعار الدجى من شعرها ومن الـ ـوجه استعارتِ سناها الأنجم الزهر
فـقلت مـهـلا فـإن الأمـر مـتـضح فـمـا سـواء عـيـان المرء والخـبـر
إن التي تـشـرق الدنيـا ببـهـجـتـهـا شـمس النهـار وعـبـد الله والقـمـر
مولى لنا في الدجى من وجهه قمر وفي المحـافل من ألفـاظه درر
سـوار زند المعـالي وابن بجـدتهـا وفـرع آل بهم يسـتنزل المطر
شـهم إذا عـاينت عـيناك صـورته عاينت شخصا به قد جمع البشر
لقد كسا العدل أثواب الشباب فما الـ فـخـار إلا شـذا في برده عطر
غـيث خـلا أنه بالبـيض منسكب ليث ولكنمـا أنيـابه السـمـر
فـتى تناهى إليـه المجـد وائتلفت لعـدله في الورى الآساد والعـفـر
من ابن خاقان من عبد العزيز ومن عزيز مـصـر ومن مِنْ قبلهم غبروا
طالوا وطلت ولكن اين منك هم والبـدر لا يسـتـوي والأنجم الـزهر
حلم وعلم وإقـدام ومكرمـة ونائل نال منه البـدو والحـضـر
وسؤدد لو حوته الشـمس ما أفلت حـبـاكـه دون هذا الخلق مـقـتـدر

وله :

ألا يا رسـول الله يا خـيـر من له تشـد المطايا والمطهـمـةُ الجـرد
ويا علة الإيجـاد والكعـبـة التي تحج ولم يبرح بسـاحـتـهـا الوفـد
ويا أول الخلق الذي قـد دعـا به أبوه وقـد أودي به الذنب والجـهـد
ويا بضـعـة المختـار فـاطمـة التي على الناس من بعد النبي لها المجد
أجـيـبـا دعـا عـبـد وكـونا لذنبـه شـفـيعين إذ لا مال ينجي ولا ولد
فـإن له منكم ذمـامـا ونسـبـة وحـبـا شـديدا مـا لغـايتـه حـد
فلا تخرجاه من حريم رضاكما فـإن له حـقـاً بفـضلكمـا يبـدو

وقوله :

خـبرت بني الدنيـا فلم أر فـيـهـم سـوى حـاسـد أو شـامت أو منافق
فـابعـد حـمـاك الله عنهم ولا تكن بغـيـر اله العـرش يومـا بواثق

وسلم إلى الرحمن أمرك كله إذا خفت يوماً من نزول المضايق
وثق بولاء المصطفى وابن عمه وعترته الغر الكرام الحقائق
تجد خير كهف من حماهم ومعقل يقيك لدى الدارين شر البوائق

وله قصيدة في الرد على مروان بن أبي حفصة :

فيا راكبا إما عرضت فبلغن سلامي على خير الورى أكرم الرسل
وبث لهم حزني فإني بحبهم أجادل أقواما لئاما ذوي جهل
والأمهم مروان ذو الجهل والعمى وأكذبهم في القول منه وفي الفعل
فتى باع أبناء النبي محمد بأبناء عباس ذوي الجبن والبخل
فدونك آبائي فجئني بمثلهم إذا ما تفاخرنا وهيهات من مثل
أهارونها كالكاظم الغيظ في الحجى ومنصوركم كالصادق القيل في النبل
علية منكم أم علية منهم وكان لكم شيخ الغنا أم لهم قل لي
فهذا الأسى والله لا خطبة النسا إذا صح ما لفقت من كاذب النقل
فكيف يهم المرتضى بمحرم وكيف يسوء المصطفى طلب الحل
لئن كان والشورى أباه لجهله فخير الورى طرا أباه أبو جهل
وأصحاب هارون أبوه جميعهم عنادا وظلوا عاكفين على العجل
وتحكيمه للحاكمين كليهما دعاه إليه غدر قوم ذوي غل
وما ضره لو خالفوه وحكموا عدوين كانا بالحكومة والفصل
وما باعها سبط النبي محمد معوية إلا بخائنة الكل
وقلة أنصار لديه تفرقوا ومالوا عن العليا جميعاً إلى السفل

وأرسل إلى الشيخ محمد ناصيف هذه الأبيات

أيا ليت شعري ما أقول وإنني خبير بأقوال من العتب جمة
أيحسن منكم أن تمر بقربنا وتبخل في وصل علينا وزورة
وتمنعني عن نظرة يشتفي بها فؤاد محب صادق في المحبة
وقد زرتكم من فرط شوقي إليكم على بعد أسفاري قبيل أحبتي

ألم تر إبراهيم من صـــدق وده تشـرفت فـيـه مـرة بعـد مـرة
وكـــان جـــديراً أن يزار بربعـــه ولـكـنه ســبـــاق كل كــــريمة
فـيــا رب مـــتـــعنا بطول بقــائه وأنبت به زرع الهـدى في البسيطة
وإني لأرضى صـــادق الود والوفــا وإن كان خصما حاكما في القضية
وفي عـمه نرضى وإن كان خصمنا إذا كـــان هـذا حظنا في البــرية
وناصيف أيضـاً نجلكم وابن عـمـه وكـل الـورى مـن كـل ديـن ومـلـة
وناهيك رب دونه كـل حـــاكـم إذا وقف الخـصـمـان يوم القـيامـة
فـيــا ربنا احكم بيننا ثم نجـهـم ومن عليـــهـم يا كـــريم بتـــوبة
علـى أنني لا أدعي نقـض ودهـم ولـكـن حظـي نـاقـص فـي المـودة

وله راثياً أستاذه الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء :

أتطلب دنيا بعـد فـقـدك جـعـفـرا وتطـمع فـيـهـا أن تكون مـعـمـرا
وتركـن للدهر الخـؤون ســفـــاهة وتغـفـل عـمـا كنت تسـمع أو ترى
وتعـدلني يا جـعـفـري على البكا وتعجب من محمر دمعي إذا جرى
ألـم تدر أن العـلم جب ســـامــــه وأصبح ركـن الدين منفصم العرى
فـتى كـــان عـــزا للذليل وناصــرا ويسرا لمن قد كان في الناس معسرا
له الشـيم الغـر التي لو تجـســمت لكانت لنا شـمسا من الشـمس أنورا
وإن عـد أهـل الفـضل كـان إمامـهـم جميعاً وكل الصيد في جانب الفرا
هـو الدهر إلا أنه غـــيـــر خـــائن هـو البــحـــر إلا أنه مـــا تكدرا
هو الشمس لم تكسف هو البدر لم يغب هـو الـليـث إلا أنه لـيس أبخـــــرا
هو الدين والـدنيا هـو العلم والتـقى هـو الغــيـث إلا أنه العـلم أمطرا
فــقـــدناه فـــقـــدان النبي وصنوه علي فـــيـــا لله من فـــادح عـــرا
فـقـدناه فـقـدان الوليـد كـفـيله فــهـلا مــتم بناه وكـــان المعــمـــرا
ونغــــبـط سكان القـــبـــور لأنه أقــام بواديهـم وجـاور حـيـدرا
فـوا عـجـبـا للبـحـر يحـويه قـبـره ووا أسـفـا للبـدر يغـرب في الثـرى
لئن غـاض بحـر العلم فـينا فـإنه أفـــاض من العلم الإلهي أبحـــرا

فموسى هو البحر المحيط بعلمه فيا لك بحرا في الانام وجعفرا
حسودهم خفض عليك فإنهم بحور ندى من جانب الله في الورى
سقى الغيث قبرا ضمَّ أعظم جعفر وروى ثراه رائحاً ومبكرا

وله :

رضيت بما قَدْ قدر الله في القضا وفوضت أمري للعليم بحالي
إلى الله أشكو من زمان تكثرت نوائبه ما للزمان ومالي
وقد شبت في رق العبودية التي يفك لها رق العبيد موالي
فيا رب بالهادي النبي وآله وعترته الأطهار أكرم آل
تفضل على العبد الضعيف بتوبة تميط بها ذنبي وسوء فعال

وله في أهل البيت (عليهم السلام) :

سقى حيكم يا خيرة الله ديمة من المزن تحدوها النعامى وترعاها
ولا زالت الأيام تهدي إليكم من العز والاقبال خير هداياها
ورشتم جناحي في ظلال رياضكم فطرت إلى الدار التي كنت أهواها
ولم أطلب المجد الأثيل برحلتي ولا طلبت نفسي غنى لا ولا جاها
ولكنما الأقدار تهتف بالنوى فصبرا على تشتيتها وبلاياها
وإن زماني مولع بانعكاسه مقاديره تجري بلا متمناها
فدعها إلى حكم الاله وأمره فيقضي كما شاء الحكيم قضاياها
وإن كنت في شك من الأمر فاجتهد وبادر إلى الآثار واحك حكاياها
ألم تر أن الشمس وهي رفيعة لتجري وأفلاك السما عكس مجراها
وأن رسول الله راح بنفسه إلى الغار خوفا من قريش وأخفاها
وأن أمير المؤمنين أقامه لأمته يوم الغدير ليرعاها
فينجح كل منهم ثم ضيعوا وصيته فيه وما خيف عقباها
بني أحمد يا خيرة الله في الورى وعروته الوثقى وعلة مبداها
متى يظهر المهدي منكم محكما فيأخذ أوتارا لها عند أعداها

فيـا رب عـجل بالقـيـام لنصـره ... وإلا فـقـربني إليك بتـقـواها

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ٦/٢٥٣ . تكملة أمل الأمل : ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٤٢٩ . الكرام البررة : ١٩٤ . الحصون : ٨/١٠٢ . الأعيان : ٨/ ٣٨١ .

(٢٧)

أبو الحسن العاملي

«القرن الثالث عشر الهجري»

السيد أبو الحسن ابن السيد حسين ابن السيد أبي الحسن موسى الحسيني العاملي أصلاً النجفي مسكناً ومدفناً، الفقيه والشاعر.

أخذ العلم عن بعض علماء عصره، فَبَرَزَ في العلم والفضل، دَرَس ودرَّس، وكان لَهُ في النجف حضور واحترام. كانَ ـ يرحمه الله ـ يصلي في الناس جماعة في جامع الشيخ الطوسيّ، وكان مهتماً بنشر الثقافة الإسلامية والأحكام الشرعية بين أفراد المجتمع، فما أن ينتهي من صلاته حتى يوضع لَهُ منبر يرتقيه موجّها الناس إلى ما فيه الخير والصلاح، ولعلّ هذا الأمر سبقه إليه والدُه فسارَ على هذا المنهج الإصلاحيّ. وما زال كذلك حتى توفاه الله تعالى في النجف وذلك في النصف الثاني من هذا القرن، وقد ذكر أنه كان حيّا سنة ١٢٥٠ هـ، وذكر آخرون أنه كان حياً سنة ١٢٤٥هـ.

كان للسيد شرح على كتاب شرائع الإسلام «للمحقق الحلي»، فقد شرحه من مبحث المعاملات إلى مبحث الشروط وقد فرغ منه عام ١٢٣٣هـ، وربما كان لَهُ أثر علميّ آخر لم يذكره مؤرّخوه.

شارك السيد شعراء النجف في شعره، فَقَدْ عرف أنّ لَهُ شعراً كثيراً، ولا يُعلم أين أصبح بعده، ومن ذلك قصيدته في رثاء الشيخ محمد ابن الشيخ حسن آل كاشف الغطاء ويمدح فيها الشيخ مهدي كاشف الغطاء ويعزّيه مع إخوانه ذاكراً زعامته:

كن من زمانك في حذر ... وذر التنعم فيه ذر

مـــا الدهر إلا بغـــتـــة يقـضي به الـبشـــر الوطر
فـــيــه تفـوق أسـهـمـاً للحــــادثات يد القـــدر
تـرمـي بـهـن مـن الـورى حـجج الإله على البــشـر
وتـشـن غــــارات الـردى فـيــه فـتـحظى بالظفـر
كـم أعين ســهـــرت بـه ولكـم قــــذفن بـه الدرر
من بعـد فـقـد أخي عـلاً دين النبي به اعــتــمـر
مــتكفل أمـــر اليــتـا مى غـاب عنهم أم حـضـر
بحـــر خـــضم منه مـا نبـغت سـوى الدرر الغـرر
والبـــحـــر يجـزر مـدَّه ونداه مـــدَّ ومـــا جـزر
إن مـــرَّ بي عـــيش حـلا بوجـوده فـاليـوم مـر
وأهـــان رزءك أنـــنـــا لك في اللحـوق على الأثر
إذ لا مـحيص من القـضا ء ولا مناص ولا مـــفـــز
مـــا ضـرَّ فـقـد محـمـد وإمـــامنا المهـــدي ظهـــر
حـــبـــر أبر فـــوق كـــر سي القـضـاء قـد استـقـر
حــاوي فـضـائل جـعـفـر والمقــتـــفي منه الأثر
ولنا العـــزاء بمحـــسن علـم أبي الضـــيم بر
والماجـــد الحـسن الخليـ ـقـة من به الدهر ابتــهـر
ولـنـا الـسـلـوّ بـآلـه الـ ـصـيـد الميـامين الغـرر
وبجـعـفـر الفـضل الذي بظهـوره البـشـر ابتـشـر
حـيـا الحـيـاء ضـريحـه مــا اخـضـرَّ نبت أو زهر
أو رنحـت بمديحـــــه الورقـا على ورق الشـجـر
أو مــرَّ ذكــر مـحـمـد بين البـريَّة والبــشــر

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١/ ٣٣٠ . معجم رجال الفكر والأدب : ٢/ ٨٧٤ . تكملة آمل الآمل : ٤٣٩ . أعيان الشيعة : ٢/ ٣٢٥ . الكرام البررة : ١/ ٣٤ .

(٢٨)

إبراهيم بن نشرة البحراني

«القرن الثالث عشر الهجري»

الشيخ إبراهيم بن محمد بن حسين آل نشرة الماحوزي البحراني(*) كان الشيخ ـ رحمه الله ـ من الفضلاء الذين جمعوا إلى فضيلة العلم فضيلة الأدب والشعر، هاجرَ من موطن ولادته إلى النجف، فاشتغل بالعلم والأدب حتى توفي ودفن في النجف وقد ذكر الخاقاني أنه استدلّ على كونه حياً في عام ١٢٥٠ هـ من خلال بعض القرائن، وقال إنه يوجد له شعر مبثوث في مجاميع بعض الرجال، وذكر له قصيدتين عن رياض المديح الثناء في أهل البيت «ع». ومنها قصيدته في رثاء الحسين «ع»:

هلا وفيت بأن قضيت كما وفى ... صحب ابن فاطمة بشهر محرم
قوم ترى لسيوفهم وأكفهم ... في الخصم والعافين واضح مبسم
من كل وضاح الفخار لهاشم ... يعزى علاً ولآل غالب ينتمي
تخذ المواضي حلية وثباته ... ثقة له عن صارم أو لهذم
يتسابقون إذا دعوا لكريهة ... فكأن قرع البيض صوت منغم
وإذا هم سمعوا الصريخ تواثبوا ... ما بين سابق مهره أو ملجم
نفر قضوا عطشاً ومن أيمانهم ... ري العطاش بجنب نهر العلقمي

(*) ذكره الأميني في معجمه في ص ٢٠٣ باسم: إبراهيم بن محمد بن حسين بن شرّه، وهو خلاف ما ذكره الخاقاني (آل نشرة)، رغم أن الأميني أخذ ترجمته من الخاقاني وحده، وذكر أن له ديوان شعر، ولا ندري من أين جاء بهذه المعلومة رغم أن الخاقاني لم يذكر ذلك له بلْ يعلم نفيه لوجود ديوان خاص له.

أسفي على تلك الجسوم تقسّمت بيد الظبا وغدت سهام الأسهم
قد جلّ بأس ابن النبي لدى الوغى عن أن يحيط به فم المتكلم
إذ هدَّ ركنهم بكل مهند وأقام مائلهم بكل مقوَّم
ينحو العدى فتفرُّ عنه كأنهم حمر تنافر عن زئير الضيغم
ويسيل أبيض في الهياج كأنه صلّ تولى في يمين غشمشم
وإذا العداة تنضدت فرسانها في كل سطر بالأسنة معجم
وافاهم فمحا صفاح صفاحهم مسحاً بخط مقوَّم ومصمم
قد كان يفني جمعهم لولا الذي قد خطَّ في لوح القضاء المحكم
حتى إذا ضاق القضاء بعزمه ألوى به للحشر غير مذمم
سهم رمى أحشاك يا ابن المصطفى سهم به كبد الهداية قد رمي
يا أرض ميدي يا سماء تفطري يا شمس غيبي يا جبال تقسَّم
يا شمّ زولي يا صفاح تثلمي يا فعم غوري يا رماح تحطم
يا نفس ذوبي يا جفون تقرَّحي يا عين جودي يا مدامعنا أسجم
لم أنس زينب وهي تدعو بينهم يا قوم ما في جمعكم من مسلم
إنا بنات المصطفى ووصيه ومخدَّرات بني الحطيم وزمزم
ما دار في خلدي مجاذبة العدى مني رداي ولا جرى بتوهمي
قد أزعجوا أيتامنا قد أججوا بخيامنا هب السعير المضرم

وله مادحاً الإمام علي «ع» :

حيّا الحيا تلك المعاهد والدّمنْ وسقى العهاد عهود غمدان اليمن
وافتر ثغر البرق في أرجائها فرحاً بدمع المعصرات إذا هتن
في مربع الرشأ الذي بجماله كم مدنف حلف الأسى مثلي افتتن
رشأ رخيم الدلّ منه صادني طرف غضيض قد تكحل بالوسن
ريّان لولا البرد يمسك عطفه في مشيه من لينة سال البدن
قسماً بسين سواد عنبر خاله وبما حوى الغصن المهفهف من رعن
لو ذقت طعم الصاب من هجرانه لا والذي فلق النوى ما ملت عن

يا قلب أنت عصيتني وأطعته فاصبر على مرّ النوى فلعل أن
أعذول ليس العذل منك يروعني فيمن فتنت به ولا تدري بمن
خفض عليك فلو رأيت جماله أصبحت مثلي في الكآبة والحزن
لولا نوى الرشأ الذي سكن الحشى (يا صاح ما هاج العيون الذرفن)
متعزز متذلل متمنّع حاز البديع من الجمال بكل فن
من لام عارضه ونون حواجب إن رمت رؤيته يجاوبني بلن
لولا رسيس هوى له يقتادني ما اقتادني حلو اللمى حمر الوجن
لله من سعدي وقوة طالعي لو كان لي في لثم مبسمه أذن
ما بعته روحي سوى بوصاله وأراه يمنعني المثمن والثمن
يا حامل السيف الصقيل وطرفه في جفنه يفري السوابغ والجنن
الله في نفس امرء بك مغرم حلف الأسى يا صاحب الوجه الحسن
جاد الحيا زمناً بوصلك جاد لي يا حبذا لو عاد ذياك الزمن
أيام كنت عن الوشاة بمعزل تجلو عتيق الراح في كأس ودن
وأقول للساقي فديتك هاتها وإذا سكرت من الشراب إلي غن
والعود بين محرك ومحرق في روضة غنا بها شاد أغن
أيام نلت بها المسرَّة مثلما نلت السعادة في ولاء أبي الحسن
صمصامة الدين الحنيف ودرعه رب العلى قطب النهى محي السنن
ربّ السماحة والرجاحة والفصا حة والبلاغة والوصي المؤتمن
صنو النبي المصطفى ووزيره وشهابه في الحادثات إذا دجن
أسداً إذا اقتحم الجلاد مشمراً عن ساعديه ترى الاسود تروغ عن
هو قالع الباب القموص بساعد لو رام إمساك النجوم له هون
هو فلك نوح والذي لولاه لا صبح أضاء ولا دجى ليل دجن
هو عيبة العلم الذي من بعضه الـ ـعلم المحيط بما استبان وما بطن
يا واحد الدنيا وبيت قصيدها ومفيد أرباب الذكاءة والفطن
أصبحت في العلياء غير مزاحم علماً تقاد لك المعالي بالرسن
لو كان معبودي سوى رب السما لعبدت ذاتك حال سرّي والعلن

أنت الذي من فـوق منكب أحـمـد بالـرجل دست غـداة نكست الـوثن
شـيّـدت دين الحق منك بصــارم خــرَّت لـه شم الأنوف عـلى الـذقن
وبضعت عرق الشـرك منك بمبضع أجرى النجيع ونبضه المؤذي سكن
ونســفت طود الغي بعــد شـبـابه حـتى عـفى وكـسـرت ألوية الفتن
من مـثـل حـيـدرة الكميّ إذا سطا كـل لسطوة بـأســه يتــســتــرن

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١/ ١٢٤ . معجم رجال الفكر : ١/ ٢٣٠ .

(٢٩)

حسين نجف

«١١٥٩ - ١٢٥١هـ»

الشيخ حسين بن محمد ابن الحاج نجف التبريزيّ الأصل النجفي مولداً ومسكناً ومدفناً.

حينما تقرأ سيرة هذا الشيخ في كتب السير والتواريخ فإنك تقف أمام شخصيّة استثنائية، استطاعتْ بفضل ما أوتيت من مَلكات علمية ونفسية أن تنال من كلمات الثناء والتقدير والإعجاب ما لا تجده فِي غيره إلاّ القليل القليل. وباختصار إن كلمات الثناء في هذا الشيخ قَدْ وَصَلَتْ إلى حدٍّ رفعته عن مقامات الفقهاء الصالحين إلبى مستوى هو من مراتب الأولياء، فمنهم مَنْ يفكر في أمره وملكاته النفسية العالية، ومنهم من يرى أنه يكاد يكون في رتبة الأنبياء والأوصياَء، ومنهم من يحسبه في رتبة سلمان الفارسيّ أو يكاد.. هكذا نختصر كلمات الثناء في حقّه..

لمْ يكن هذا الشيخ قد حَصَل على كلّ ذلك عَفْواً، بلْ لما أُوتي من العلم، على أن الأستاذ الوحيد المذكور لَه هو السيد بحر العلوم الذي كان وصياً لَهُ بعد موته، ولمْ يذكر فيما أحسب له أستاذ آخر غيره وهو أمرٌ غريب!

أما فقاهته العالية التي أجمع عليها كل من ذكروه، ووصفوه بأن لا ثاني له في عصره على الأقل. فإنه لمْ يذكر له من الآثار العلمية سوى كتاب هو في العقيدة والكلام. وهو على وجه التحديد: التحفة أو الدرة النجفية في الردّ على الأشعرية ـ في مسألة الحسن والقبح العقليين، ولم يذكر له غير ذلك. وهذا أمرٌ أكثر غرابة من الأوّل!

وهنالك شيء آخر، إن هذه الأسرة كانت وما زالت ترتدي «العمة البيضاء» وهي إشارة على عدم انتسابها من جهة الأب ـ على الأقل ـ إلى سلالة بني هاشم. في حين يورد لهم البعض نسباً يوصلهم فيه إلى الإمام

السابع مولانا الإمام موسى الكاظم مروراً بالنسب الصفوي ـ الذي هو محل بحث وكلام أيضاً ـ فهلْ غفل مثل أعلام هذه الأسرة عن هنا النسب وعلمه غيرهم كما ورد ذلك في كتاب: «النور الساَطع في عقب الإمام السابع»، للسيد مهدي الوردي. وقد تابع الشيخ الأميني هذا الأمر دون توقف فيه مطلقاً وهو أمرٌ لا يقلّ غرابة عن الأمرين السابقين!

وفي الواقع هذه إشارات عابرة ليس محل الحديث عنها هذا الكتاب، وما يهمنا هنا بيان بعض ما يتعلق بأحوال الشعراء في النجف، ومنهم هذا الشيخ الفقيه الجليل، فمما لا شكّ فيه نبوغه في علوم الفقه والإسلام. ومما لا شك فيه أيضاً أن هذا الشيخ الجليل إذا قيس شعره بشعر سواه من شعراء عصره، فإنه يقف بجدارة في المقام الرفيع.

لَمْ يكن شعر الشيخ منفصلاً عن حالته الشعورية والنفسية الخاصة، بل استطاع أن يجعل منه مفاتيح لكثير مما يعتقد بهِ خصوصاً في المولى أمير المؤمنين «ع» كما ستأتي بعض نماذجه.

هذا الشيخ الذي يبدو أنّه من أهل العرفان والتجرّد وهو أيضاً من أهل العلم والأدب، ورغم عظيم هيبة الناس لَهُ لمْ يكن ـ رحمه الله ـ بعيداً عن الملاطفة والتندّر ومن ذلك مثلاً أن أحد العلماء ممن يرون حرمة التدخين (من المحدثين) أرسل اليه بهذين البيتين:

أَلتُتْنُ شيء عَبَث ... فيه كثير مفسدَهْ
فمن رأى تحليلَهُ ... عليه نار موصدَهْ

فكتب الشيخ على البديهة جواباً لَهُ:

أَلتُتْنُ شيء حسن ... فيه كثير مَنْفَعَه
فمن رأى تحريمه ... شدّ وعليه برذعَهْ

ومن ظرفه الجميل أنه كان يأكل ذات مرة مع الشيخ جعفر كاشف الغطاء طعاماً فيه كما يبدو رزٌ وفوقه لحم. فسقط اللحم إلى جانب الشيخ جعفر فقال:

عرف الخير أهله فتقدم

فأجابه الشيخ حسين نجف :

نبش الشيخ تحته فتهدَّمْ

على أن هذه الطريفة قد نقلت لغيره وأحسبها له .

وكان مرّة مدعواً في الشام إلى مأدبة ، فقال له أصحابها : إنّ أهل العراق يأكلون الفواكه قبل الطعام ، وأهل الشام بعده فماذا تأمر؟ فقال الشيخ ملاطفاً : إذا كانت المسألة محل خلاف فإنا نعمل بالاحتياط نأكلها قبل الطعام وبعده .

هذا الشيخ بهذه الروح المرحة العالية المعهودة فيه ، ما كان ليهتم بنوازل الأيام وأحداثها ففي طاعون ١٢٤٧ هـ حينما خرج معظم النجفيين من النجف ، أبى أنَّ يغادرها . وقال ما مضمونه : أنا باقٍ ما بقيت هذهِ المنارة ، وهذا تعلّق بأمير المؤمنين «ع» عظيم .

ومما قيل عنه ـ والله العالم ـ إن هذا الشيخ فقد عينه في العشرين سنة الأخيرة من حياته ولمْ يعلم أحد بذلك .

ما يمكن أن يقال في هذا الرجل الجليل باختصار : إنّه رجلٌ لَهُ منهج خاص بالحياة ، اعتنى بتربية نفسه وتهذيبها حتى بلغ مراتب الكمال والفضل ولعلّ ذلك لشدة تعلّقه بأهل البيت «ع» والإمام أمير المؤمنين خصوصاً كما يظهر في سلوكه وشعره ، ومن ذلك قوله فيما قد لا يفهمه سوى القليل من الناس ممن أوتوا بعض المعرفة بمقام الإمام «ع» :

عليٌّ حباه الله شطر صفاته ... ولولا غلوٌّ قلت فيه تمامها
تحيّرت الألباب في كنه ذاته ... وهامت وحقاً كان فيه هيامها
وغالتْ وإن كان الغلوّ ضلالة ... فَقَدْ قلَّ مني عذلها وملامُها
وإن جميع الرسل من عهدِ آدم ... به أُيدتْ حتى استمر نظامها
وما بعثة إلا وعنه انبعاثها ... وما عصمة إلاّ وفيه اعتصامها
وما شرعة الله إلاّ أقامها ... فقد قام فيه بدؤها وختامها

إلى آخر الأبيات

وله أيضاً في مدح أمير المؤمنين «ع» :

لعلي مناقب لا تضاهى لا نبي ولا وصي حواها
من ترى في الورى يضاهي عليا أيضاهى فتى به الله باهى
فضله الشمس للانام تجلت كل راء بناظريه يراها
وهو نور الإله يهدى إليه فاسأل المهتدين عمن هداها
وإذا قست في المعالي عليا بسواهُ رأيته في سماها
غير من كان نفسه ولهذا خصه دون غيره باخاها
ذنبي الليل والولاية شمس جعل الله محوه بضياها

إن هذا الشيخ يصدر عن روح ونفس شاعرة يعزّ نظيرها من حيث المعاني الدقيقة التي يطرحها، والذي أهله لذلك علمه وعشقه لاهل البيت «ع» . أخيراً نذكر أن لهذا الشيخ الجليل ديوان شعر، قال الأستاذ علي الخاقاني إنه قد استنسخه وهو في أهل البيت «ع» . مات سنة ١٢٥١ هـ فكان للعلماء والشعراء فيه قصائد رثاء كثيرة .

وإليك القصيدة الآتية :

أيا علة الايجاد حار بك الفكر وفي فهم معنى ذاتك التبس الأمر
وقد قال قوم فيك والستر دونهم بأنك رب كيف لو كشف الستر
حباك إله العرش شطر صفاته رآك لها أهلا وهذا هو الفخر
وكنت سفير الله للحق داعيا وكل الأنام الحق عندهم مر
وقد خصك الباري بما خص نفسه ومنك عرفناه فبان لنا الأمر

وفيها :

بسيفك قامت للنبي محمد شريعته ثم استقام له الأمر
قطعت رؤوس المشركين بحده وكسرت أصناما لتعظيمها خرّوا
وكم من رئيس قد قطعت وريده فأوردته ناراً تلظى لها سعر
وقد كان منهم مرحبٌ وهو مرحب ومن ضرب الأحزاب أكفرهم عمرو
وكنت دليلا للأنام على الهدى إلى الرب تهديهم وعن ربهم فروا

عن الله قــد كنت المبلغ في الورى جميع الذي قد قاله المصطفى الطهر
وقـد كنت عـينا للاءله على الورى بعلمك مـا يؤتى به الخـيـر والشـر
وكنت عن البـاري يداً مـسـتطيلة على كل شيء ضمه البحر والبر
تقط رقـــاب الكافـــرين بربهم وتغني فـقـيـراً قـد أضر به الفـقـر
عن الله قـــد كنت الأمين على الورى كـــأنك فـــيـــهم للمطيع أب برّ
وكنت على العاصي عـذاباً ونقـمة بسـيـفك تعلو قـد أو قط أو نحـر
وكنت لذي الأيمان حـصناً ممنعـاً وسـوط عـذاب للذي دينه الكفـر
وتعطي أمـــاناً للتي منك آمنت ولا تختـشي ذنباً إذا ضـمـهـا القـبر
فـإيمانهـا مـاحٍ جـمـيع ذنوبهـا ولو كـانت الأيام ليس لهـا حـصر
كـلامك كـالقـرآن نور وحكمـة وكل كـلام كـان في جنبـه هذر
فلولاك مـــا كنا لنعـــرف ربنا وما كـان للإسلام في مجلس ذكر
ولولاك مـــا صلىّ مـــصلٍ لربنا ولا حج بيت الله زيد ولا عـمـرو
بك الأنبـيـــاء المرسلون توسلت وبـاًسمك يدعوا الكل أن نابهم أمر
وأيدتهم ســراً وجــهــراً بقــوة من الله فـيهـا خصك البارىء البرّ
فـسـرّاً وجـهـراً للنبي مـحـمـد وسـائر رسل الله سـر ولا جـهـر
فـــآدم لما أنه فـــيك قـــد دعـــا أجـيب ولم تبق الخطيئـة والوزر
وباسمك أحيى الميت عيسى بن مريم وأبرأ أمـــراضـــا وشـــاع له ذكـــر
وأيوب فـــيـــه قـــد نجـــا من بلائه وعـوفي مما فـيـه وانكشف الضـر
ولولاه مـــا أعطى سليـمـــان ملكه على كل من فيـهـا له النهي والأمر
وعـيناً وعـوناً كنت للرسل كلهم بكل نبي أنت في عـصـره ظهـر
سـفـينة نوح فـيك كـانت نجاتهـا بيـوم به الطوفان قـد جاءها الأمـر
وإن خـليـل الله من نـاره نجـــا بجـاهك عند الله قـد جـاءها أمـر
إذا مـسـهم ضـر دعـوا منك ربهم متى مـا دعوه فيك ينكشف الضر
وســـائد رسل الله عند ابتــلائهم فـجاهك في صرف البلاء هو السر
متى ما دعوا فيك استجيب دعاؤهم إذا طلبـوا أمـراً قـضي ذلك الأمـر
وذلك فـضل الله يؤتيـه من يشـا على كل ذي فضل لك الفضل والفخر

وأفلاكهـا فيك استدارت بروجهـا — وسارت بهـا شمس وسار بـهـا بدر
تدور على الأرض السمـاء ومن بهـا — مطافـاً ومـسـعى والمطاف هو القـبـر
وفيك استقـرت أرضهـا وجبـالهـا — ودارت على آفـاقـهـا الأنجم الـزهر

. . . . . .الخ

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ٣/ ١٦٢ . ماضي النجف : ٣/ ٤٢٠ . معارف الرجال : ١/ ٢٥٨ . الكرام البـررة : ١/ ٤٣٢ . مـعـجم رجـال الفكـر : ٣/ ١٦٦ . أعـيـان الشـيـعـة : ٦/ ١٦ . الذريعة : ٨/ ١١٣ ، ٩/ ٣٥٠ . الفوائد الرجالية : ١/ ٦٨ .

(٣٠)
الشيخ علي كاشف الغطاء

«١١٩٧ - ١٢٥٣هـ»

الشيخ علي نجل الإمام الشيخ جعفر الجناجي الشهير باسم كتابه «كشف الغطاء» أحد علماء الإسلام الكبار، وفقهائه العظام. تصدّى للزعامة الدينية بعد وفاة أبيه وأخيه الشيخ موسى فقام بمهامها خير قيام، تخرج على اعلام عصره وخصوصاً والده الشيخ جعفر، وتخرج على يديه أعلام عظام، وفقهاء كرام، تُروى لَهُ كرامات عديدة، منها تنبؤه بالباب والبابيّة.

لقد لوحظ في سيرته العلمية عنايته بتربية العلماء ومتابعة شؤونهم، فضلاً عن تتبّع شؤون الناس وإيصال كل ما يصل إلى يديه من الأموال الشرعية إلى مستحقّيها خفية، فكان له في الأوساط العلمية والاجتماعية منزلة عظيمة، ومقامٌ سامٍ، أعرض عن التأليف بنفسه فلم يكتب سوى شرحٍ استدلالي على جملة من أبواب البيع إلى آخر الخيارات، وسوى تحشيته رسالة والده (بغية الطالب) وهي عبارة عن فتاواه كرسالة عملية للمقلّدين وله في ذلك مقولة معروفة: «أباني جيّده وأبيت رديئه»، ونقل البعض عنه أنّه بعد أنْ تصدّى للمرجعية الدينية، عمد إلى قصائد صباه وشبابه الغزلية وما إليها، فاستخرجها من باقي شعره وأتلفها، بلْ ذكر أنه أعرض عن الغزل والتشبيب مدّة مرجعيته الدينية، ولكن مع ذلك بقي من شعره الكثير، مما يعني أنّه كان مكثر النظم. والواقع أن شعره يأتي في المقام الأول بين شعر تلك العصور، فهو يمتاز بقوة السبك ودقة التعبير، حتى يخيّل إليك أنك تقرأ شعراً من قرون ازدهار الشعر العربي، وهذه سمة أساسية من سمات الشعر النجفيّ، وهي محاكات نماذج الشعر العربي القديم، صياغة وأسلوباً وفصاحةً. ولعلّنا أشرنا في غير هذا الموضع إلى أن دراسة شعر النجف في هذه العصور عند بعض أدبائها وشعرائها الكبار تؤكد أحقيتهم وأسبقيتهم

على من سواهم من شعراء العرب الموصوفين بشعراء النهضة الذين يتميزون بالعودة إلى ينابيع الشعرية العربية المتمثلة بشعراء العرب الكبار ، كأبي تمام والبحتري والمتنبي والرضيّ وغيرهم ، ونرى أن شعراء النجف أسبق من غيرهم إلى ذلك ، بلْ إنْ قيس شعرهم متانة وغزارة بمن سواهم من شعراء النهضة العرب ، لعاد الفضل إليهم دون غيرهم . ومن هؤلاء الشعراء الأعلام الشيخ علي المترجم له ، فقد تميّز شعره ، كشعر أقرانه النجفيّين الكبار ، بالمتانة والجودة والحرص على اتباع أساليب الشعر الراقي ، بعيداً عن كل ما يحطّ من القيمة الإبداعية للشعر ، الذي نَراهُ في شعر أغلب شعراء تلك العصور ، المعروفة بشعر العصور المظلمة أو المتأخرة ، وعصور الأدب المملوكي والعثماني .

وبالاضافة إلى هذه الميزات الشعرية ، نراه يرحمه الله يأتي بصور من البيان لا تقل عن الصورَ البيانية التي يأتي بها عمالقة الشعر العربي فاَقرأ قوله في رثاء الحسين «ع» :

سَلِ الليل عني هَلْ مَلَلْت سهادَهُ ... وهل ألفت جنبيّ منه المراقدُ
ولي مقلة محلولة الجفن بالبكا ... وقلبٌ على فرط الصبابة عاقد
وفي القلب أشجان ، وفي الصدرِ غلّة ... إذا رمتْ إبراداً لها تتزايَدُ
أيمسي حسينٌ بالطفوف مروّعاً ... وطرفيَ ريّان من الأمن راقدُ؟ !
ويمسي صريعاً بالعراء على الثرى ... وتوضع لي فوق الحشايا الوسائدُ؟ !

ونلاحظه هنا من الناحية المعنوية يقارب الرضي بقوله :

أتراني ألذّ ماءاً ولمّا ... يروَ من مهجة الإمام الغليلُ
أم تراني أعير وجهي صوناً ... وعلى وجهه تدوس الخيولُ

نلاحظ هنا أن استعارة «محلولة الجفن» من الاستعارات الجميلة ، وأحسبُ أنها مبتكرة ، فضلاً عن التقابل في هذه الأبيات التي تزيد من توتر المعنى الشعري . وعلى ذلك يستمر سياق القصيدة التي اختار لها بحر الطويل ، وكأنه أراد أن ينقل لنا توتره النفسي من خلال إيقاعات هذا البحر ، ويخيل إليك وأنت تقرأ هذه القصيدة إن هذا الشاعر الشيخ قد أحالك على توترّه النفسي ، واستطاع أن ينقل لك توتره النفسيّ بلْ وضعك أمام المأساة ،

أو بتعبير أدق أقحمكَ في تلك المأساة، فليست كربلاء عنده حدثاً تاريخياً يُسرد، بلْ هو موقف مهيب يحتاج إلى استعداد نفسي للدخول إلى عالمه الفريد، وقد تكفّلت قصيدته بذلك، وذلك من أبرز علامات الشاعر والشعر المبدع.

واقرأ له هذه الأبيات العاطفية في قصيدة مدح للمولى أمير المؤمنين «ع»:

وبين جفوني والسهاد تواصلٌ	وبين ضلوعي والهموم تقارعُ
ولَمْ يستطعْ كتم الهوى ذو صبابة	له فيض دمع بالتباريح صادعُ
إذا سألوا عن سرّه فهو كاتمٌ	وإن سألوا عن وجده فهو ذائعُ
وما الحبّ إلاّ عبرة مستهلة	ونار جوىً تطوى عليه الأضالعُ
وقَدْ زارني طيف الخيال فزادني	إلى الوجد وَجْداً والعيون هواجِعُ
فطيف للذّات التواصل مازح	وخلّ لإهداء التحية مانِعُ
أكان حراماً لو تدارك مهجةً	لئنْ لمْ تمت في الحبّ فهي تنازعُ
حلفت بمن وارى الستار وما هوت	إليه رقاب العيس وهي خواشِعُ
لئنْ بعدت منّا الجسوم عن الحمى	ففي ربعه منّا القلوب ودايع

وهكذا تستمر قصيدته على هذا التوهج، وبالرغم من أنّه يريد أن يتوقف بعد ذلك عند بعض معالم شخصيته الفذة وقوفاً استدلالياً على عظمته (سلام الله عليه) فإنه لا يفارق خصوصية الشعر، كما يحدث للكثيرين من الشعراء الذين يريدون إثبات عقائدهم في القول الشعري، بلْ نراه حريصاً على إيقاد شعلة الشعر في كل بيت أو يكاد.

لقد كان من شأن هذا الشاعر الكبير، أنْ أصبح عملاقاً في علوم الدين كما كان عملاقاً في فنون الأدب نثراً وشعراً، ولمكانته العظيمة تلك كان يذهب كل سنة أشهراً إلى كربلاء المقدسة، ليلقي هناك أبحاثه على طلاب الحوزة العلمية في كربلاء، وشاء الله تعالى أن تكون وفاته في الصحن الحسينيّ الشريف أثناء وجوده في كربلاء، فنقل جثمانه الشريف إلى النجف الأشرف ودفن فيها.

مختارات من شعره :

قل للمليحة من بنات الصيد قولا يذوب له حشا الجلمود
لم لم ترقي في الهوى لمتيم هل بين جانحتيك قلب حديد
أمرضت جثماني عليك صبابة وكحلت جفن العين بالتسهيد
ما غردت فوق الغصون حمامة إلا وهمت إليك بالتغريد
كم أدمع لي صوبتها زفرة عن حر قلب ذاب بالتصعيد
ومفند لي في هواك سفاهة قد ضل نهج الحق بالتفنيد
لو كان يبصر بعض ما أبصرته ألقى الزمام إلي بالتقليد
يا بنت من يروى حديث فخاره عن خير آباء له وجدود
كم ساق للعشاق خلفك موكب والحسن تحت لوائك المعقود
ما زلت في بحر الكآبة طافحا حتى استوى بي فوق متن الجودي

وله في أمير المؤمنين :

أهاجك برق في دجى الليل لامع نعم واستخفتك الربوع البلاقع
هجرت الحمى لا أنني قد سلوته فكيف ولي قلب إليه ينازع
ولكنني جانبت قوما كأنني لآنافهم مهما يروني جادع
سأشكوهم والعين يسفح ماؤها وطير الجوى بين الجوانح واقع
إلى من إذا ما قيل من نفس أحمد أشارت إليه بالأكف الأصابع
وروح هدى في جسم نور يمده شعاع من النور الإلهي ساطع
يريك الندى في البأس والبأس في التقى صفات لأضداد المعالي جوامع
أقول لقوم أخروك سفاهة وللذكر نص فيك ليس يدافع
ألا إنما التوحيد لولا علومه لما كشفت للناس عنه البراقع

وله يرثي الحسين (عليه السلام) :

سهام المنايا للانام قواصد وليس لها إلا النفوس مصائد
أنأمل أن يصفو لنا العيش والردى له سائق لم يلو عنا وقائد
ألم تر أنا كل يوم إلى الثرى نشيع مولوداً مضى عنه والد

وحسبك بالاشراف من آل هاشم فقد أقفرت أبياتهم والمعاهد
وقفت بها مستنشقا لعبيرها ودمعي مسكوب وقلبي واجد
مهابط وحي طامسات رسومها معاهد ذكر أوحشت ومساجد
وعهدي بها للوفد كعبة قاصد فذا صادر عنها وذلك وارد
وأين الالى لا يستضام نزيلهم إليهم وإلا ليس تلقى المقالد
ذوو الجبهات المستنيرات في العلى تقاصر عنها المشتري وعطارد
سما بهم في العز جد ووالد ومجد طريف في الأنام وتالد
وما قصبات السبق إلا لامجد نمته إلى العليا كرام أماجد
وأعظم أحداث الزمان بلية بكتها الصخور الصم وهي جلامد
وفي القلب أشجان وفي الصدر غلة إذا رمت إبراداً لها تتزايد
أيمسي حسين في الطفوف مؤرقا وطرفي ريان من النوم راقد
ويمسي صريعا بالعراء على الثرى وتوضع لي فوق الحشايا الوسائد
فلا عذب الماء المعين لشارب وقد منعت ظلما عليه الموارد
ولم ير مكثور ابيدت حماته وعز مواسيه وقل المساعد
بأربط جأشا منه في حومة الوغى وقد أسلمته للمنون الشدائد
همام يرد الجيش وهو كتائب بسطوته يوم الوغى وهو واحد

وله يرثي الحسين :

مررت بكربلاء فهاج وجدي مصارع فتية غر كرام
حماة لا يضام لهم نزيل أماجد برئوا من كل ذام
اسائل ربعها عن ساكنيه ولاة العز والرتب السوامي
ومثل لي الحسين بها غريبا عنائي للغريب المستضام
تكاد النفس إن ذكرته يوما تفر من الحياة إلى الحمام
يحامي عن حقيقته وحيداً بنفسي ذلك البطل المحامي
بعين للعدى ترنو وأخرى بها يرنو إلى نحو الخيام
سعى للحرب يهتز ارتياحا ونار الحرب موقدة الضرام
تقارعه الهموم فيتقيها بقلب مثل حامله همام

إلى أن خر فوق الترب ملقى	على الرمضاء عز له المحامي
ولم أر مثل يومك والسبايا	على الاقتاب تهدى للشآمِ
ولم أر مثل رزئك ليس ينسى	على الأيام عاما بعد عام
هو الرزء الذي ابتدع الرزايا	وقال لأعين الأعداء نامي
ألا يا كربلا كم فيك بدر	علاه الخسف من بعد التمام
وكم من آل أحمد من أبي	قضى ظمأ ولج الماء طامي
فهذا موثق عان وهذا	عليل لا يفيق من السقام
وذاك مجرع كاس المنايا	بضرب السيف أو رشق السهام
وأفئدة العقائل من معد	لها خفقان أجنحة الحمام
إلا من مبلغ عني قريشا	لدى البطحاء والبلد الحرام
لانتم أطول الثقلين باعا	وأبعد موطنا عن كل ذامِ
فلا حملت عواتقكم سيوفا	ورأس السبط فوق الرمح سامي
ولا ركبت فوارسكم خيولا	وصدر السبط مرضوض العظام
ولا حجبت كرائمكم خيام	ورحل السبط منهوب الخيامِ
ولا نقع الغليل لكم رواء	وسبط محمد في الطف ظام
ولا بلغ الفطام لكم صبي	ويذبح طفله قبل الفطام
وأنصار له في الله باعوا	حياة النفس بالموت الزؤام
إذا شبت لظى الهيجاء كانوا	أمام الدارعين إلى الامام
حموا وسموا فما حام وسام	سواهم مِنْ بني حام وسام
لقد نالوا المنى وجنوا ثمارا	من الشرف الرفيع المستدام
أيا ابن المقدمين على المنايا	إذا ما الصيد تحجم في الصدام
وهم حجج الاله على البرايا	بهم عرف الحلال من الحرام
تحلى بالعلى قوم سواهم	فكان نصيبهم منها الاسامي

من مصادر دراسته :

أعيان الشيعة ٤١/ ١٠١ . معارف الرجال : ٢/ ٩٣ . معجم المؤلفين العراقيين : ٢/ ٤٣٠ . الذريعة : ٦/ ٥٩ ، ٧/ ٢٧٩ ، ٤٠٠ . الكنى والألقاب : ٣/ ١٠٣ . ماضي النجف : ١/ ١٦٣ . العبقات العنبرية : ٢٥١ .

(٣١)

محمد الحويزي

«القرن الثالث عشر الهجري»

الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الله الحويزي النجفي .

من شعراء النجف وأدبائها المنسيّين ـ إن صحّ التعبير ـ قيل إنه اتصل بالشيخ حسن نجل كاشف الغطاء الكبير ، ولهذا الرجل تقريظ لكتاب وقاية الافهام في شرح شرائع الإسلام للشيخ محمد ابن الحاج مهدي الحميدي (العكام) :

أحسن ما صنّف فيما أرى ... لو أنصف الناظر هذا الكتابْ
ما فيه من عيب سوى أنَّهُ ... مهدي المضلّين طريق الصَوابْ
أبرز أبكار المعاني بِهِ ... صائب فكرٍ بعد طول الحجابْ
محمد جاء بِهِ صادعاً ... طوبى لَهُ يومَ الجزا والحسابْ

من مصادر الدراسة :

شعراء الغري : ١٠/ ٢٨٩ . الذريعة : ٢٥/ ١٣٣ . الحصون : ٢/ ٤٣٥ . ماضي النجف : ٢/ ١٨٨ . معجم رجال الفكر : ١/ ٤٥٦ .

(٣٢)
حسن كاشف الغطاء

«١٢٠١ - ١٢٦٢هـ»

الشيخ حسن ابن الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء، أحد رموز الإسلام الكبار، ومراجع الدين العظام، وممّن يتمتعون بمزايا الزعامة والرئاسة، لما عُهد عنه من علم غزير وفطنة وذكاءٍ وشجاعة في المواقف. وكيف لا وهو خريج مدرسة أبيه الشيخ جعفر وأخيهِ الشيخ موسى «مصلح الدولتين».

حمل العلم من ينابيعه الصافية الثّرة في النجف، فأخذ عن زعيم الطائفة أبيه الشيخ جعفر وأخيه الشيخ موسى والسيد جواد العاملي صاحب «مفتاح الكرامة»، والشيخ أسد الله الكاظمي، والشيخ سليمان القطيفي، والشيخ قاسم محي الدين وغيرهم من الأعاظم.

وكما أخذ عن الفقهاء الكبار فقد تخرج على يديه فقهاء عظام نذكر منهم على سبيل المثال: الشيخ مشكور الحلاوي، والسيد مهدي القزويني، والشيخ حسن المامقاني.. إلى غيرهم من الفقهاء الذين تخرّجوا عليه، على أن تلامذة الشيخ صاحب الجواهر هم تلامذته على الأغلب، بلْ ذكر أن مجلس درسه كان الأبرز في حياته على الإطلاق.

وكما دَرَسَ الشيخ ودرّس، فإنه أضاف إلى المكتبة الإسلامية جملة مهمة من التآليف القيمة التي هي موضع عناية العلماء والباحثين، وفي مقدمة ذلك كتابه «أنوار الفقاهة»، الذي عرف بكثرة الفروع التي اشتهر بها الشيخ فقيل كان تفريعه على المسائل بشكل ملفت للنظر، مما يدلّ على تبحره في العلوم والمعارف، وله تكملة كتاب «بغية الطالب» وتكملة شرح كتاب القواعد للعلامة، لوالده الشيخ جعفر، وكذلك شرح مقدمات «كشف الغطاء» لوالده، فضلاً عن رسائل في الفقه الاستدلالي في عدة أبواب من

الفقه كالزكاة والخمس والصوم، وله رسالة عمل لمقلّديه وأجوبة على الرسائل الكثيرة التي كانت ترد إليه، وقد عرف عنه سرعة ردوده عليها، لأنه كان حاضر البديهة مستحضراً للمسائل العلمية.

كان الشيخ وقت زعامة أخيه الشيخ علي قد أقام في بعض نواحي الحلّة (المزيدية) وكان له فيها بيت ومكتبة، ويقال ألف كتابه (أنوار الفقاهة) كله أو بعضه فيها، وما أن توفي أخوه الشيخ علي، حتى عادَ إلى النجف سنة (١٢٥٣) فورثه في المرجعية الدينية، وكانت آنذاك بينه وبين الشيخ محمد حسن صاحب «جواهر الكلام».

واجه الشيخ حسن بعض الأحداث الكبرى في عصره، وكان من أكثرها خطورة وفاجعة، تلك الحرب الشعواء الدامية التي شنتها قوات العثمانيين بقيادة «نجيب باشا» الذي انتهك حرمة كربلاء المقدسة سنة «١٢٥٨»هـ، فقتل من أهاليها وفقهائها ما يزيد على عشرة آلاف على ما قيل، وكان ذلك بدائع طائفيّ اجرامي، والدليل على ذلك وعلى أن عدد القتلى بلغ هذا الحدّ من الكثرة أن الجريمة قد حصلت في يوم مناسبة عيد الغدير «غدير خم» وسُمِّيَ ذلك اليوم باسم «غدير دَمْ» لما سفك فيه من الدماء، وبعد ذلك أرسل هذا السفّاح نجيب باشا إلى الشيخ حسن وهو في حضرة أمير المؤمنين «ع» كتاباً وفيه «سنفرغ لكم أيها الثقلان» فعلم الناس بهذا التهديد فخرج النساء وكبار السنّ إلى بساتين الكوفة والحيرة وذلك سنة ١٢٥٩هـ، وراح «نجيب باشا» يعدُّ العدَّة لذلك، فجمع عساكره العثمانيين وضمَّ إليهم بعض رؤساء العشائر من خارج كربلاء ليتوجه إلى النجف والحيرة وباقي مدن العراق الشيعية.

وعندما بلغت الأزمة هذا الحدّ راح الشيخ يعدّ القوة العسكرية لذلك دفاعاً عن الإسلام والمسلمين. وخرج رحمه الله متوجهاً إلى كربلاء حيث نجيب باشا وجيوشه، وكان يصحبه بعض أهل الفضل والدين، ولكن لـمّا أشرفوا على كربلاء ورأوا جيوش الوالي وعدّتها، رجع البعض منهم، وثبت آخرون، ومن جملتهم العالم الورع الشيخ حسن الفرطوسي، الذي ثبت مع الشيخ، فدخل الشيخ ومن معه عسكر الوالي، فأخبر الوالي بذلك وجلسوا في خيمة نصبت لهم، فلما قدم الوالي أُعلم الشيخ حسن ومن معه بقدوم

الوالي، فلم يقم لاستقباله بل بقي جالساً في مكانه، وقد نهر مَنْ معه ممّن طلبوا منه القيام لاستقبال الوالي، فدخل الوالي والشيخ جالس في مكانه، فانزعج الوالي من عدم احترام الشيخ له. فقال له لم لمْ تؤدِّ حقَّ الوافد بالقيام؟ فأجابه الشيخ بكل ثبات وعزّة: إني بالنسبة إلَيك كالسلطان بالنسبةَ إلى الرعيَّة، فقال الوالي وكيفً؟ وإذا بالشيخ حسن كاشف الغطاء يقول بصوت مرتفع لكي يسمع ضباطه وجيشه: أنا أخو الشيخ موسى المصلح بين الدولتين (الإيرانية والعثمانية) ونحن لنا الفضل عليكم، ولولا أخي لاحتُلّ أهل اسطنبول، ثمَّ أخذ يحرِّض الآخرين، وذلك بأنه أخافه من تراجع قواته عن غزو النجف وعدم امتثال أوامره ـ وهو يُسمع الجيش والرؤساء ذلك ـ لأن النجف كما قال له بلد يضمُّ جسد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بطل الإسلام والمسلمين والنجف بلد العلم والدين، ثمَّ كلَّم الشيخ الضبّاط والرؤساء وسألهم فيما إذا كانوا يطيعون الوالي باحتلال النجف، فكان الجواب كلاّ، وهنا اسقط ما في يد الوالي المجرم. فقال: عفونا عنكم، فقام إليه الشيخ مصافحاً، ولقد أرادَ الوالي الدخول إلى النجف بجيشه سلماً وقد ثناه الشيخ عن ذلك بحجّة أن لا معنى للعفو إذا دخلت القوات النجف، بلْ أشار عليه بدخولها ضيفاً عليها وعلى الشيخ وأنهما يذهبان إليها لزيارة أمير المؤمنين، وفعلاً تمّ هذا، فزار الوالي المرقد المقدس واستقبلهُ (السدنة) وهم يحملون المصاحف الشريفة والاعلام على عاداتهم باستقبال الملوك، فنزل الوالي ومعه أربعمائة من جنوده ضيوفاً على الشيخ ثلاثة أيام في داره الكبيرة، وهكذا نجت النجف ومدن العراق الأخرى من بطش هذا الطاغية، بفضل حنكة وشجاعة وإقدام الشيخ رحمه الله.

هذه حادثة، وهناك حادثة أخرى تدلُّ أيضاً على حنكة الشيخ وحسن رأيه وهي باختصار: أن ممثل الباب «علي محمد رئيس البابية» قدم إلى بغداد في عهد «نجيب باشا» أيضاً داعياً إلى عقيدته الفاسدة وذلك سنة (١٢٦٠)هـ فجمع الوالي له علماء الإسلام للمناظرة، فكان علماء بغداد برئاسة المفتي محمود أفندي الألوسي، ووفد كربلاء برئاسة السيد إبراهيم صاحب «الضوابط» ووفد النجف برئاسة الشيخ ـ رحمه الله ـ الذي أصبح في المؤتمر ممثل كل الشيعة وانضم الجميع إليه.

وبعد المناظرة وإبطال دعوى وحجج ممثل الباب الذي انبرى له الشيخ خصوصاً . أراد الألوسي ومَنْ معه الحكم بردة الباب والحكم بقتله ، وقد كتبوا بذلك كتاباً لأنهم زعموا أن لا توبة لهُ ، فرفض الشيخ حسن هذا الأمر مستدلاً بالفقه الحنفي نفسه حيث أن أبا حنيفة يقول بقبول توبته ، فبهت الجميع ، فجاء الوالي بكتاب فتاوى أبي حنيفة فاستخرج لهم الشيخ الفتوى واطّلعوا على الرأي ، فأفحمهم جميعاً ، وعمد إلى الكتاب فمزَّقه . ثمّ تلا قوله تعالى : **﴿وعمدنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثوراً﴾** ، وقيل إن امتناع الشيخ عن ذلك إنما هو لسدِّ الباب بوجه كل من يريد أن يكفر مسلماً ولكي لا تصبح سنة يتلاعب بها وعّاظ السلاطين فتنتهك أعراض المسلمين ، ويُعرّض علماء الإسلام للقتل بحجّة أو أخرى . فعظم الوالي الشيخ وكبر في عينه .

هذه بعض التحديات التي واجهها الشيخ ـ رحمه الله ـ وربما شاهدنا من بعض قصائده التي أرسل بها إلى السيد كاظم الرشتي الذي ما برح يخالف النجف خصوصاً وعلماء الطائفة عموماً ـ أمراً ملفتاً للنظر . أحسب أن الشيخ أراد إصلاح ما فسد من الأمور بتقريب العواطف الطيبة بين أفراد الأمة ، نظراً لهذه التحدّيات الكبيرة التي واجهت الإسلام في عصره وإليك هذه الأبيات مراسلاً السيد كاظم الرشتي :

شقيق أراه معرضاً عن شقيقه كأنّ طريقي كان غير طريقهِ
لك الخير لا يذهبْ بجودك عاذلٌ يفرّق منّا شائقاً عَنْ مشوقهِ
يحنُّ إلى ذكراك في كل ساعة كما حنّ وجداً عالقاً لعلوقِهِ

وله مشطراً أبيات أحد ولاة بغداد في مجلس عام وقد عجز جميع الأدباء عن تشطيرها لارتباط أعجازها بصدورها :

(المرتقى للمصطفى نفسه) وَقُلْ تعالَوا فيه نصٌّ قويّ
يتبع من أحكامه ما بها (يهدي البرايا لصراط سويّ)
(لكنّه في حكمه تابعٌ) يتبعُهُ في كلّ لَفظٍ رويّ
مستوجب للنصبِ من بعدهِ (لأنه تأكيدهُ المعنويّ)

وَلَهُ في النجف الأشرف :

أرض الغـــري وبوركت أرضـــاً أرضي ولست بغـيـــرها أرضى
شطت فـعـيني بعـد فـرقتـهـا لم تستطع أجفـانهـا الغـمـضـا
خلفت فـيـهـا من شـغـفت به ومـحضـته صفـو الهوى مـحضـا
فـــرض على قلبي مـــودّته ويرى عليـه مـودتي فـرضـا
عـجل فـديتك باللقـا فلقـد ذهب البـعـاد بأنفس مـرضى
إن جـدت قـدمـا بالوداد فـقـد صـيّـرته في ذمـتي قـرضـا
قلبي قـبـضت زمـامـه حـذراً من أن يميل فـأحـسن القـبـضـا
إن شط جـسـمي عن حـمـاك فلي قلب بغـيـر حـمـاك لا يرضى

وله متغزلاً :

تـرفـق بـي ودع عـنـك الملالا وصل مـضنى الفـؤاد ولو خـيـالا
مللت من البكا وأذاب جـسـمي مـلالا فـيك مـا ألف الملالا
أجب بنعم سؤال الوصل واسمح فـمـثلك لا يجـيب بلا ، سـؤالا
فـديتك هل تعـيـد على كـئيب ليـيـلات بهـا اغـتنم الوصـالا
جنيت بهـا ثمـار الوصل ممن بدا قـمـراً وحـيـاني غـزالا
فـيـا اسـفي على زمن تقـضّتْ ليـاليـه وقـد سلفت عـجـالا
رشـا شـفـتـاه تحكي لي عـقـيـقـا ويـحـكـي ثـغـره دراً تـلالا
يميل بـه الهـوى طربا وقـلبي تميل به الصـبـا من حـيث مـالا
صـبـرت على الأذى فـيـه إلى أن رأيت الصـبـر قـد عـزم ارتحـالا
وخـالفت العـواذل في هـواه ولـم أسـمـع لهم أبداً مـقـالا
جـفـا جنبي المضـاجع واسـتدارت على الأحـشـاء لوعـاة قـتـالا
وأوقـد في الحـشـا ناراً إذا مـا نأى تزداد في كـبـدي اشـتـعـالا
وأبعـدني على ظمـأ وأوفى إليـه من ابتـغى عنه انفـصـالا
رمى قلبي بسـهم الهـجـر حـتى كـأن دمي لديه غـدا حـلالا
أدر ذكـر الحـبـيب ودع مـلامـا تروم بنشـره طلبـا مـحـالا
إذا مـا مـسني ظمـأ سـقـاني تـردد ذكـره الماء الـزلالا
وكـم من عـاذل بي قـال اخلع شـعـار الحب عنك فـقـلت لالا

وانى لي أجـانب ذي جـمـال قـد ازداد الجـمـال به جـمـالا
تكامل حـسنه خلقـا وخلقـاً فـفـاق مـحـاسنا وزكـا خـلالا
ولو تلقى الجبـال الميـد مـا قـد لقـيت بحـبك انثـالت رمـالا
عليـا كـم تجـور فـدتك نفـسي ومـا ملكت يدي عـزاً ومـالا
وتمنحني الصـدود ولست أدري مـلالا كـان صـدك أم دلالا
وأوسع صـده بحـشـاي جـرحـا سـريا مـا رجـوت له اندمـالا
أقـول لمن لحـاني في هـواه أرانـي تحـت طـرتـه هـلالا

من مصادر دراسته :

معارف الرجال : ١/ ٢١٠ . شعراء الغري : ٣/ ٥٦ . روضات الجنات : ٢/ ٣٠٦ . شهداء الفضيلة : ٣٨٣ . الكرام البررة : ١/ ٣١٦ . الأعلام : ٢/ ٢٠١ . الأعيان : ٥/ ٣٥ . الكنى والقـاب : ٣/ ١٠٣ . ريحـانة الأدب : ٥/ ٢٦ . الذريعـة : ٢/ ٤٣٦ ، ٤/ ٤١٢ ، ١١/ ٢٠٥ ، العبقات العنبرية ٢٩١ ، نبذة الغري في أحوال الحسن الجعفري ٢٩٣ .

(٣٣)
صدر الدين العاملي
«١١٩٣ - ١٢٦٣هـ»

السيد محمد صدر الدين ابن السيد صالح ابن السيد شرف الدين ابن السيد إبراهيم الموسوي العاملي الفقيه الجليل الذي تنتسب إليه أسرة آل الصدر المعروفة في لبنان والعراق وإيران .

هاجر مع أبيه إلى العراق (بغداد) فراراً من جرائم أحمد «الجزار» ووقعته المشؤومة بالمسلمين وعلمائهم في جنوب لبنان آنذاك . ومنها انتقل هذا السيد إلى النجف الأشرف بعد تلقيه المبادىء الأولية على يد أبيه في بغداد ، دخل النجف فوجد عصره مليئاً بالأساطين فأخذ من أساتذتها العظام كما أخذ في كربلاء العلم أيضاً ، وكان من جملة أساتذته السيد بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء الذي زوجه إبنته ، وغيرهما من علماء عصره ، حتى أنه كان يروي عن أكثر من أربعين عالماً .

بقي السيد في النجف الأشرف حتى برز بين فقهائها ، فسافر منها إلى أصفهان حاملاً علوم الإسلام ومعارفه ، ثمَّ عاد قبل وفاته بسنة إلى النجف مواصلاً البحث والتدريس فيها وذلك عام ١٢٦٢ ، وفي سنة ١٢٦٣ لبّى نداء ربه بعد أن ترك علماً وعملاً صالحاً وأبناءً قدّموا للإسلام خدمات جليلة لا تنسى . لقد كان هذا السيد أديباً وشاعراً وروي أنّ السيد بحر العلوم عرض عليه (درّته) ليراجعها لما علم فيه من موهبة أدبية كبيرة .

أمّا آثاره العلمية فهي في علوم الإسلام المتنوعة من فقه وأصول ورجال وغيرها ، لما عهد عن السيد من موسوعية في فكره .

ومن شعره الذي يدل على عظيم ولائه لأهل بيت العصمة (ع) قوله في الإمام عليّ :

عليّ بشطر صـــفـــات الإلـ ـه حُـبـيـتَ وفـيك يدور الفَلَكْ
فلولا الغلوّ لكنت أقــو ل جـميـع صفـات المهيمن لَكْ
ولما أراد الإلـه المثـــا ل لنفي المثــيل لَهُ مــثّلكْ
فـمن عـالم الذرّ قـبل الوجـو د لقــول بلى الله قــد أهّلكْ
وقــد كنت علّة خلق الورى مِن الجنّ والإنس حــتى الملكْ
وعلّمت جـبـريل ردّ الجـواب ، ولولاك في بحـر قـهـر هَلَكْ

هذا الأدب الراقي ، الذي لا يقف عند حـدود الصـورة البلاغـيـة الفضفاضة ، بل يتجاوز ما هو خيالي إلى ما هو واقعيٌ في عالم المعرفة الحقيقية التي تحتاج إلى تأمّل كبير لا تقوى عليه العقول القاصرة . والذي يمثل حقيقة التوحيد لا كما قد يفهم بعض السُّفهاء أو السطحيِّين . ويمثل هذا التدفّق (العرفاني) الخالص يتوجه إلى المولى أمير المؤمنين في مقطوعة أخرى :

أمـــيـــر المؤمنين ومن ينادى ســـواك بيـا أمـيــر المؤمنينا
ندبتك واســتـجـرت ومن تجـره يجـد سـهم القـضـا درعاً حـصينا
وكـــونك علة الإيجــاد يعطي قـضـاؤك في القـضـا أن لا يكونا
وليس لبـاسط كـفـا جـواب لديك ســوى أنيلوه اليـمـينا

وله في ولادة الإمام الحسين بن علي «عليهما السلام» :

فدت شـهر شـعبانها الأشـهر فـمن بينهـا يمنه الأشــهــر
طـوى الـهم عـنـا وزال الـعـنـا وبشـــر الهنا بيننا ينشــر
لئـــالئـــه في رقـــاب الأنا م أياد لـعـــمـــرك لا تنكر
فـــصـبح الولاء بميـــلاد ســبـ ـط هادي الأنام به مـــســفـر
وباب النجـــاة الإمـــام الذي ذنوب العــبـــاد به تغـــفـر
وغـصن الإمــامـة فـيـه سـمـا جني هدايتــهـــا يثـــمـر
وروض الـنـبـــوة مـن نـوره سني ومـن نـوره مـــــزهـر
لتــهن بميــلاده شـيـعـــة لهم طاب في حــبـه عنصـر
غـــذاه النبي بإبـهـــامـــه فـمـا زال عن ربهـا يصـدر

بـه الله رد عـلـى (فـطـرس) مـقـامـاً به في السـمـا يذكـر
أكـان من النصف مـثل الحسـيـ ـن شـفـيع الخـلايق إذ تحـشـر
ومن هو ريحـان قلب النبي ثلاثاً على التـرب لا يقـبـر
تعـادى عليـه جـمـوع ابن هنـ ـد بأسـيـافـهـم جـهـرة ينحـر
بميـلاده بشـر المصطفى وفي قـتله حـرب تسـتـبـشـر
ومـا زال يؤلمه إن بـكى وكـان بتـسكيـتـه يأمـر
فـكيـف إذا مـا رآه لـقى وفي التـرب خـديه قـد عـفـروا
بنفسي الذي يسـتغيث العـدا ة ويدعـو النصـيـر فـلا ينصـر
ويسـتـعطف القـوم في وعظه وهل يسـمع الوعظ مـسـتكبـر
ورأس أبى غـيـر رفع الفـخـا ر يؤبّنه ذابـل أسـمـر
وكف لهـا الوكف في المرمليـ ـن برفـد يجل فـلا يحـصـر
غـدت في (النواويس) مـقطوعـة لهـا مع خـاتمهـا خنصـر
فـأين سـراة بني هـاشم وحـمـزة أو عـمّـه جـعـفـر
كـجـزر الأضـاحي دروا بالحسـيـ ـن وأسـرته بالظبـا تجـزر
وأبدانـهـم وهـي المتـرفـا ت بشمس الهجير غدت تصـهر
وأرؤسـهـم فـوق عـالي السنا ن إلى الشـام من حنق تشـهـر
ونسـوتهـم وهـي الخـفـرا ت بأذرعـهـا عنهم تسـتـر
ديار بني أحـمـد أوحـشت وربعـهـم منهم مـقـفـر

وله في وصف النارجيلة قوله :

ومحـبوبة حـازت عناصر أربعـاً وفـيـهـا المواليـد الثـلاثة تعلم
تنادم كـبّـار الملوك ومـالهـا لسـان فكانت صـامـتـا يتكلم
تردد ألحـان الغنا وكـأنه غنا الغنيـات الفـارسيـات مبـهم
لها مثل كسرى تاج تبر مرصع ونور عليـه سـور نور مـجـسم
وبين يديه سـاحب الذيل كـوكب يهـم بشـيطان الهـمـوم فـيـهـزم
وتحسبه أفعى فإن سار حولها تلاطم خـوفـاً قلبـهـا فـتـهـينم
فأعجب بغرقى دمعها في فؤادها وجمرتها في الرأس لا القلب تضرم

وأحسن بشمس فوق بدر تكفنا كواكب إذ ما أزبد الماء تنجم
يذكر مطعوم الجنان دوامها وبطلان برهان التسلسل توهم

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١٠/ ٢٩٠ ، تأسس الشيعة : المقدمة : ١ ، معجم رجال الفكر : ٢/ ٨٠٣ ، التكملة : ١٦٠ ، الذريعة : ١/ ١٦ ، ٢/ ٣٥٩ ، الكرام البررة : ١٦١ ، الحصون : ٩/ ٣٣٦ ، الروض النضير : ٧٣ ، الأعلام : ٦/ ٢٣٩ ، الأعيان : ٧/ ٣٨٤ ، ريحانة الأدب : ٣/ ٤٢٤ ، مصفى المقال : ١٣٠ ، معارف الرجال : ١/ ٢٤٩ ، معجم المؤلفين العراقيين : ١/ ٣٢٠ ، نقباء البشر : ١/ ٤٤٥ .

(٣٤)
الشيخ أحمد الدجيلي
(/- ١٢٦٥هـ)

الشيخ أحمد ابن الشيخ عبد الله بن أحمد بن عبد الله الدجيلي النجفي ، من الأسرة العلمية المعروفة في النجف الأشرف حيث هاجر أبوه الشيخ عبد الله إلى النجف بصبحة الفقيه الشيخ جعفر كاشف الغطاء حينما مرّ في طريق زيارته إلى الإمامين العسكريين في سامراء ، فنزل عند جدّهم أحمد الذي كان رئيساً لعشيرة الخزرج فصحب معه الشيخ عبد الله ولده لما رأى فيه من نباهة وفطنة ، وفعلاً كان هذا التوسم صادقاً ، فقد أصبح الشيخ عبد الله أحد علماء النجف الأعلام ، وتبعه على طريقه ولده الشيخ أحمد هذا ، فدرس على علماء عصره العظام لا سيما أبناء الشيخ جعفر : الشيخ حسن والشيخ علي ، حتى نبغ في دراساته العلمية فصار واحداً من فقهاء النجف العظام ، يُرجع إليه لحلّ المشكل من المسائل العلمية ورأيه نافذ ، وقوله ماضٍ ، فله مكانة اجتماعية مرموقة ، يزينها العلم والصلاح والتواضع ، وكان مَنْ شأنه العلمي العظيم ، أن تتلمذ عليه بعض الفقهاء الأعلام كالشيخ محمد رضا والشيخ مهدي آل كاشف الغطاء .

شارك هذا الشيخ الفقيه شعراء عصره فيما نظموه ، فكانت له مشاركة طيبة في نظم الشعر .

ومن هنا فالشيخ أحمد من رموز هذه الأسرة العلمية التي أنجبت فقهاء وأدباء عظاماً ، على أنه ينبغي التنبيه إلى أن أسرة آل الدجيلي هذه هي غير الأسرتين المعروفتين في النجف بنفس اللقب (الدجيلي) وإن كانت بينهم مصاهرات عدّة .

والشيخ أحمد على عظيم منزلته العلمية هذه لا يُعلم عن آثاره العلمية

أو الأدبية شيء، إما لأنه لم يصنّف وهذا بعيد جداً، أو لأن آثاره لم تجد من يعتني بها بعده، وهذا أبعد أيضاً، لأنه أنجب أبناءاً علماء وأدباء منهم الشيخ حسين والشيخ حسون والشيخ طاهر والشيخ محسن. ومن كان له وريث في العلم لا يضيع تُراثه عادةً.

ذكر عن الشيخ أحمد مما يدلُّ على ذكائه وطرافته أمر غريبٌ هو مثار الإعجاب والإكبار، وذلك أنّه كان يصعد المنبر أحياناً فيلقي القصيدة الطويلة باللهجات العامية العراقية والشامية أو الفارسية والدزفولية والتركية والهندية. وفي هذا أمرٌ يثير الإعجاب والتقدير لذكاء وتفنن هذا الشيخ الفقيه.

لقد شارك الشيخ شعراء عصره في ما نظم، على أنّه كان مقلاً في نظمه ومما روي له:

يا معرضاً عني سلبت رقادي ... وتركتني جسداً بغير فؤاد
وتركت جفني لا يملّ من البكا ... والسقم أخفاني عن العوّادِ
أفهلْ بدا ذنبٌ لديك جنيتُهُ ... حتى تكون قطعت حبل ودادي
أو كان ذنبي فيك فرط تلهّفي ... فرميتني بالصدّ والإبعادِ
أو ما علمت بأنه كتب الهوى ... سطراً على قلبي بغير مدادِ
هذا أسير هواك مذ خلق الهوى ... والشاهدان: مدامعي وسُهادي
قَسَماً بجمرة ريقه وبصارمٍ ... مِنْ لحظه الفتّاك في الأكبادِ
إنْ لَمْ يكفّ عن النميمة عاذلي ... ويخلّني في لوعتي ورشادي
لأشنّهُ في كل يوم غارة ... بسوابقٍ قبّ البطون جيادِ

من مصادر دراسته:

شعراء الغري: ١/ ٢٥٤، معجم رجال الفكر والأدب: ٢/ ٥٦٣، معارف الرجال: ١/ ٧٢، الكرام البررة: ١/ ٩٥، أعيان الشيعة: ٩/ ١١، ماضي النجف: ٢/ ٢٦٩.

(٣٥)
جعفر القزويني
(/- ١٢٦٥هـ)

السيد جعفر ابن السيد باقر ابن السيد أحمد ابن السيد محمد بن مير قاسم الحسيني القزويني النجفي .

ولد في النجف الأشرف وأخذ العلوم الإسلامية عن علمائها ، ولكنه فيما يبدو مال إلى الشعر والأدب ، فكان من شعرائها الكبار ، ولو واصل درسه العلميّ لكان من علمائها الكبار أيضاً ، ومع ذلك فهو من أهل الفضل والصلاح ، وهو واحدٌ من أبناء هذه الأسرة الجليلة التي بلغت أسنى مراتب الفضل علماً وأدباً وجاهاً وشرفاً .

هذا السيد الكريم النفس واليد ، ضاقت به الدُّنيا وابتلي بالحاجة التي ألجأته إلى مغادرة النجف الأشرف ، بعدما كان بيته وبيت أبيه السيد باقر قد أبلى بلاءً حسناً أيام الطاعون الثاني سنة ١٢٤٧هـ ، فإذا به يجد نفسه في ضيق وعُسْر ، فتوجه صوب سلطان عمان رجاء أن يحصل منه على ما يسدّ حاجته ويقضي ديونه كما يقول هو نفسه في قصيدته التي توجّه بها صوب السلطان ، والتي تكشف عن معاناته رحمه الله ، قال لسلطان مسقط :

لما رمـــانـي الـدهـر بـالـ ـــنوب الشـدائـد والهـزاهزْ
وألان صــعــدتـي الـتـي صلبتْ ومـا لانت لغـامـز
ودعـانـي الـزمـن الخـؤو ن بأهله : هَلْ من مـبـارزْ !
قــالـت لـي الآراء والـ ـفكر الثـواقبُ في الغـرائزْ
شَــرّقْ وَسَلْ عن مـاجـدٍ يعطي الجـواهر بالجـوائزْ
فـإذا بلغت إلى «سـعـيـ ـدٍ» في «عـمـان» فـلا تجاوزْ

واعـلـم بـأنَّ أبـا هـلا ... ل عن مـرادك غـيـر عـاجـزْ
يـوليك مـا ترجـو ولا ... يثنيـه عنه غـمـز غـامـز
فـتـعـود مـقـضيّ الديو ... نِ إلى العـراقِ وأنت فـائزْ
ويجـيـز مـا ترجـو ببـذ ... لِ صـادق الدفـعـاتِ ناجـزْ

على أننا لا ندري، أحصل فعلاً على جوائز هذا السلطان التي هي جواهر كما ذكر السيد أمّ لا!.

يبدو أن ذلك لمْ يحصل، لأنّ السيد وبينما كان في مسقط وإذا بالمِنّة قَدْ حل حينها، فاختطفته من آماله وآلامه معاً، فعاد به إلى النجف عبده (نصيب) الذي رافقه في سفره هذا جثةً هامدةً، وهو الأمر الذي حرّك نفوس محبّيه فرثوه بشعرهم، كالشيخ إبراهيم قفطان، والسيد حيدر الحلي والسيد محمد علي نجله وغيرهم.

لَقَدْ هاجر هذا العالم الأديب عن النجف فيما يبدو كرهاً لا طوعاً، ولو وجد فيها ما يسدّ حاجته لَمْ يُهاجرْ، ويبدو أنه توجّه إلى مَنْ بيدهم قضاء حاجاته غير مرّة، ولكنْ يبدو أيضاً أن الخناق كان شديداً عليه، فإمّا لكثرة ديونه، وإمّا لقلة ما كان يصله، وهو السيد السخيّ الذي ربما لا يستطيع أحدٌ في النجف كلها تلبية حاجاته، فما كانت حاجته ـ فيما يبدو ـ مما يمكن تلبيتها، وكما تقدم كان يطمح إلى جواهر السلطان العماني، وهل في النجف جواهر أو يواقيت!.

نَعَمْ رجا من الفقيه الشيخ علي نجل الشيخ جعفر كاشف الغطاء أن يلبّي صرخته التي أطلقها في إحدى قصائده، وأن يوفي له بوعوده التي يصفها بالومض الذي لم يعقبه سحاب، إذْ يتوجه إليه بقوله مادحاً معاتباً:

فـيا من صبا للمجد وهو بمهده ... وحازَ العلى طفلاً وما اختطّ شاربُهْ
إلام يمنّينا الوعـود ولا نـرى ... سوى ومضِ برقٍ لمْ تدرّ سحائبُهْ
أرِحْنا بمنعٍ أو ببـذلِ مـعـمـل ... فوعدك قبلَ اليوم قَدْ حان واجبُهْ
فـأنت الذي لمْ نلقَ غَيـرك سيّداً ... نناجيـه في حاجـاتنا ونخـاطبُـهْ

من المؤكد أن هذا السيد الشريف لم يخرج من النجف إلاّ بعد يأسه من بلوغ غايته فيها ، ولا شكّ أن نفسه الكبيرة كانت تصارعه في توجّهه إلى السلاطين وغيرهم ، وهو يرى في نفسه أنه من سلالة أشرف الخلق وأنبلهم ، وأن لأسرته العلمية من المجد والشرف والرفعة ما يمنعه من ذلك ، وكيف لا وهو يقول :

ألستُ من البيت الذي فخرت به ... قريشٌ وسارت في معد مناقبُهْ

وإليك القصيدة كلها ، وهي في تقديرنا من عيون شعر ذلك العصر ، لأنّها تصوّر قلق ذات الشاعر وتصدر عن هذا القلق ، وبذلك تعكس تاريخاً صادقاً عن شؤون تلك الفترة من تاريخ الأدب والنجف :

أتعلم سلمى أي حر تعاتبه ... وأي عزيز للهوان تجاذبه
تحذرني غدر الزمان وما درت ... بأني الذي ما لان للدهر جانبه
تقول تغرب للثراء فلم تضق ... على الحر إلاّ بالثواء مذاهبه
ألست ترى أن المقل من الورى ... تضيع معاليه وتبدو معايبه
وأن قليل المال ما بين أهله ... سواء له أعداؤه وأقاربه
فلا تخلدن للعجز يوماً فإنما ... أخو العجز ما زالت تذم عواقبه
فشمر وسر شرقاً وغرباً فقلّما ... أصاب الفتى من لم تشمر ركائبه
وقم واختبط جو الفلا بطمرة ... لديها سواء قفره وسباسبه
وجد للثرا فالبر عندك جمة ... ركائبه والبحر تسري مراكبه
فكل كريم ترتجيه وتبتغي ... لديه نوالاً لم تفتك رغائبه
ألست من البيت الذي فخرت به ... قريش وسارت في معد مناقبه
فقلت لها أسرفت في لوم ماجد ... وتأنيب قرم لا تنال مراتبه
ألا فاقصري عني فما الذل شيمتي ... ولا كسب عندي غير ما أنا كاسبه
فما المال يا سلمى سوى الحظ فاعدلي ... عن اللوم إن اللوم تؤذي عقاربه
وإلاّ فما ناب يظن به الغنى ... ولو بالسما إلاّ وكفي ضاربه
ألم تعلمي أني قصدت ابن جعفر ... وذاك الذي ما خاب في الدهر طالبه
وسيرت من نظم القريض غرايباً ... إليه وأغلى الشعر مهراً غرايبه

فما نفعت إلاَّ بوعد مزبرج ولا نلت منه بعض ما هو واهبه
وكان رجائي منه بذلاً أعده لقربي أباهيه وخصم أجاذبه
فلو كان ذا بخل عذرت ولم ألم مقاماً مضى عمري وإني لهائبه
ولكنه البحر الذي كلما طما ضفا وحلت للناس غيري مشاربه
فعتبي على حظي عداه فإنما يحق لهذا الحظ أني أعاتبه
فيا من صبا للمجد وهو بمهده وحاز العلى طفلاً وما اختط شاربه
إلام يمنينا الوعود ولا نرى سوى ومض برق لم تدر سحائبه
ارحنا بمنع أو ببذل معمل فوعدك قبل اليوم قد حان واجبه
فأنت الذي لم يبق غيرك سيداً نناجيه في حاجاتنا ونخاطبه

إن هذه الأزمة التي عاشها الشاعر، والتي كانت مصدراً من مصادر إلهامه الشعري، كان من شأنها أن تساهم في إبداعٍ شعري يتمتع هذا الشاعر بملكاته : لغةً وصياغة وخيالاً، لو أن الدهر احتفظ له بشعره، فها هو في موقف الغزل والنسيب لا ينسى معاناته الاجتماعية المقلقة، فهو يقول لمن يرجى وصله :

إني لأعجب من صدودك والجفا من بعد ذاك القرب والإيناسِ
حاشا شمايلك اللطيفة أنْ تُرى عوناً عليَّ مع الزمان القاسي

ولنقرأ له هذه الأبيات التي يبدع في تصوير ذاته المتأزمة، إذ بلغه عن بعض أصحابه العتب، ويبدو أنّه كان يؤمّل منه ما يفكّ به قيد معاناته وأحزانه، فيرقى بشعره إلى مستوى رفيعٍ من الصياغة والتصوير الفني :

لقد جاءت الأخبار أنك عاتب فهاجت شجوني والهموم القواتل
وضاقت عليّ الأرض حتى كأنني لعظم اختصاري ما تضم الأنامل
وقالت لي النفس العروف بحظها رويدك أقصر إن سعدك آفل
إلى أن بدا لألاء وجهك مشرقا تضيء به الدنيا وتزهو المحافل
هنالك بشرت الأماني بالغنى ولاح لحظي بالسعود دلائل
وهل كان بيني إذ لقيتك حاضراً وبين الغنى إلاَّ ليال قلائل

إن البيت الثاني ؛ وضاقت عليّ الأرض . . . هو بيت طافح الدلالة ، مفتوح الأفق على المساحة النفسية التي تحملها عن ذاته ألفاظه وموسيقاه اللفظية ، والتي ينقلها الشاعر في هذا البيت ، إن ذاته الواسعة في شأنها تبدو ضيقةً لهذا الحدّ الذي يصوره (ما تضمّ الأنامل) ، وفي هذا التعبير (تضمّ الأنامل) إيحاءٌ دلاليّ بالاختناق والصِّغر والانكماش . وهو الأمر الذي يتعارض مع طبيعة ذاته التي يعتزُّ بها الشاعر ، وهي الذات الشاعرة التي من شأنها السعة والشمول والإنفلات .

إننا هنا أمام أحد أهم شعراء النجف في ذلك العصر ، ولو أن لنا من النصوص ما نستطيع أن نقف عنده طويلاً ، لاستطردنا في دراستنا هذه ، ولكن نكتفي بهذا القدر ، على أمل أن نحصل مستقبلاً على تراث هذا الشاعر الشعريّ لنطلع أكثر على صورة من صور الإبداع الشعري في النجف ، بل على صورةٍ من تاريخ الأدب والحياة العامة في هذه المدينة المقدّسة .

ومن شعره في رثاء سيد الشهداء :

ألِمّا وإن أصغى الغمام وألّما ... على طلل أقوى ونؤيٍ تهدما
وَعوجا على الرسم المحيل وأعربا ... سؤالكما فيه وإن كان أعجما
خليلي من سعد العشيرة أسعدا ... فؤاد شج مغرى بعلوة مغرما
ترومان إسعافي وحزوى من الدمى ... بياناً وكم تهمي جفونكما الدما
دعاني فلي طرف دعاني عند ما ... تراءت له حزوى لهمل عندما
قفا بي أفق من سكرة البين إنني ... تجرعتها في فيَّ صاباً وعلقما
ولا تعذلوني في البكا بعد علوة ... فشأن شؤوني أن تسح وتسجما
أتحتكما مني حمى النسر بالحمى ... فإن شئتما بوحاً وإن شئتما كتما

ومن شعره هذه المقطوعة (في الغزل) :

كم أرى غربتي وطول انتزاحي ... وغدوي على الأسى ورواحي
تارة أنتحي لحزوى وأخرى ... نحو بان اللوى وتلك النواحي
يا لحا الله كف دهر رماني ... ببعاد عن خلتي وانتزاحي

ويك يا دهر كم تركت جفوني ترعى زهر النجوم حتى الصباح
ورميت الحشى بسهم فراق أوقفتني على القضاء المتاح
كم شجتني ببانة الجزع ورق صدعت فوق غصنها بالنواح
ذكرتني عهود نجد وسلع مع تلك الغوينيات الملاح
حيث بتنا ولا عذول لدينا نختشيه ولا رقيب ولاح

وله متغزلاً :

لا تجمعن عَلَيَّ صدك والنوى حسب المحب عقوبة أن يهجرا
لو عاقبوني في الهوى لسوى النوى لرجوتهم وطمعت أن أتصبرا
عبء الصدود أخف من عبء النوى لو كان فيّ الخير أن أتخيرا
ماذا على طيف الأحبة لو سرى وعليهم لو ساعدوني بالكرى
جنحوا إلى قول الوشاة وأعرضوا والله يعلم أن ذاك لمفترى
يا معرضاً عني بغير جناية إلا لما نقل العذول وزورا
ما بعد بعدك والصدود عقوبة يا هاجري ما آن لي أن تغفرا

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ٢/ ٢٧ ، معارف الرجال : ١/ ١٥٨ ، معجم رجال الفكر والأدب : ٣/ ٩٨٤ ، معجم المؤلفين العراقيين : ١/ ٢٥١ ، ماضي النجف وحاضرها : ٣/ ١٠٨ ، أعيان الشيعة : ٤/ ٨٦ ، ٤/ ١٣٦ ، الحصون المنيعة (خ) : ٢/ ٥٥٧ ، الكرام البررة : ١/ ٢٤٦ .

(٣٦)
حسن الأصمّ

«/ - ١٢٦٥هـ»

السيد حسن ابن السيد باقر بن إبراهيم بن محمد العطار الحسني البغدادي ، الأديب الفاضل أحد أفراد هذه الأسرة الحسنية المهاجرة من بغداد إلى النجف والتي تعرف ببيت البغدادي ، ومنهم أيضاً آل زيني ، كما أشرنا إلى بعض رجالاتها الشعراء في هذا الكتاب .

عاش هذا الشاعر في بغداد ، كما عاش في النجف ، فكان من رموز الشعر في العراق ، فهو من سلالة علمية وأدبية كما لا يخفى .

أثنى عليه مؤرخو الأدب في العراق ، وكان له حضورٌ أدبي مهم في النجف ، شارك في مناسباتها العديدة ، فمدح وهنّأ ورثى إلخ . . .

يُعدّ شعره من الشعر الذي يجنح نحو الرقّة لفظاً ومعنًى ، وهو ما نشاهده فعلاً من خلال النصوص الشعرية التي بين أيدينا وذلك قياساً لشعر ذلك العصر ، ولعلَّ هذا يتجلى في بعض شعره العاطفيّ كمثل قوله :

لا تكلني إلى صدود وهجر ... وملال وجفوة لا تكلني
أمن العدل أن أروح بوجه ... تتشفى به العواذل مني
أنا عبد لمن تملك عبداً ... كف عنه سيف الأذى والتجني
وإذا ما دهته يوماً خطوب ... صانه مشفقاً عليه فصني
قال لي كيف أنت قلت بخير ... إن تحقق ببذل وصلك ظني
قال ماذا دهاك قلت حبيبي ... لا تسلني وسل فؤادك عني

ومن ذلك أيضاً :

أأحبابنا لا تنسبوني إلى القِلى ... فإني على ما تعهدون من الودّ

ألا إن دهري قـد رمـاني بحـادثٍ ... فـأبدى بمرآة الخيـال لكم بعـدي

ومن ذلك وصفه للقهوة :

كـأنّمـا السـوداء مـهـمـا امـتلت ... منهـــا الفناجين بكفّ النديمْ
عــيــون صبٍّ بات في فكرةٍ ... يرعى السُّـهى في جنح ليلٍ بهـيمْ

وله في القهوة أيضاً :

وقهوةِ بُنٍّ في الصباح بدت [كذا] ... تجلى فناجينها في كفّ سـاقيـهـا
فقلتَ ليل بدا صـبحاً فقيل أجل ... هي ابنة البن قـد زفّت لحاسيـهـا

وله مقرضاً قصيدة الأديب حسن ابن أخي عبد الباقي العمري على الروي والقافية :

حــبــذا واخـدات تلك النيـاق ... حـيث وافت بكتـبكم للعـراق
حـامــلات من الخليل طروسـا ... هيـجت نار لوعـتي واشـتيـاقي
فـتلقـيـتـهـا بفـرط احـترام ... حـال وضعي لها على الأحـداق
ثم قـبلتـهـا لشـدة شـوق ... كـان مني لهـا وعظم احـتـراق
شـمت منها فـرائداً ليس يحـصى ... مـادح حـصر وصـفـهـا في نطاق
أسكرتني لما حــســوت طلاها ... وحـلا عـذب طعـمـهـا في مذاقي
غـادة لو رأت مـحـاسنهـا الشمـ ... ـس لما سارعت إلى الإشراق
أو رأى البـدر وجـهـهـا لتـوارى ... من حــيــاء به بسـجف المحـاق
أو رأى الغــصن قــدها يتــثنى ... لـذوى عـــــارياً عـن الأوراق
حــيث زفت إلى إمـــام همــام ... سـبط خيـر الورى على الإطلاق
وسليل البــتـول بضــعـة طه ... صـاحب الحـوض واللوا والبـراق
أيهـــا المـاجـــد الأديب المجلي ... في غـراص العلى بيـوم السبـاق
مـتـحف السـيد الشـهـيد بنظم ... هـو لـلخـــود حليـــة الأعـناق
رق لفظاً وراق مــعناه فـاعـجب ... لكلام بســـحـــره هـو راقي

وله يهنئ العلامة السيد حسن ابن السيد مهدي المسابچي بزواجه من

إبنة الشيخ موسى ابن الشيخ جعفر ويؤرخ عام القران وذلك ١٢٢٨ هـ قوله :

بشراي إنّ شمس أفق الجمال زفت إلى بدر العلى والكمال
وإن بكر المجد قد أقبلت من خدرها تختال أي اختيال
وقد أديرت بين كل الورى راح التهاني بكؤوس الوصال
ومنهل العيش صفا واغتدى رواه للناهل عذباً زلال
وطائر السعد غدا شادياً وهزت الأغصان ريح الشمال
وذاك في عرس فتى قد سما بفخره أوج العلى والجلال
موسى حليف الفضل من قد غدا في العلم والحلم عديم المثال
علامة العصر ومن قد حوى علوم آل المصطفى خير آل
فارس ميدان المعالي الذي تخافه الآساد يوم الجدال
تلقاه مثل الليث ذعراً إذا ما دعيت يوم نزال نزال
هو الكريم الأريحي الذي طوق بالجود رقاب الرجال
له اليد البيضاء يوم الندى لكنه الليث بيوم النزال
أعظم به مولى له عزمة بذي العوالي والسيوف الصقال
وهمة عالية هامها نال من العلياء ما لا ينال
من ذا يضاهيه ويا طالما قد لثمت منه الملوك النعال
تلقاه إن حفت به صحبه كهالة حفت ببدر الكمال
ناهيك عرساً فيه صحب الهنا زار وركب الهم والغم زال
قران سعد فيه عنا انجلى حيث تجلى كل خطب عضال
فيا لها من فرحة أصبحت تبسم عن ثغر الهنا والوصال
يا طالب التأريخ أرخه (يا بدر النهى زوجت شمس الجمال)

وله يهنئ الشيخ موسى ببناء دار والده الكبيرة في زمان أبيه قوله :

دعني فقد ملك الغرام عناني والهجر من ريم الكناس براني
تخفي هواه جوانحي وتذيعه عيني غداة تجود بالهملان

الله ساجي الطرف كم قبلي على ... أسد سطا بصوارم الأجفان

لم أدر إلاّ مذ بليت بحبه ... أن الأسود فريسة الغزلان

لا تخدعنكم فتور لحاظه ... ففتور لحظ الغيد سحر بيان

لم أنسه يختال في سفح اللوى ... سحراً كما يختال خوط البان

مع كل بدر تحت فرع دجنة ... من فوق قبضان على كثبان

عذب اللمى فكان لؤلؤ ثغره ... قد ضمه صدف من المرجان

فغدوتُ أرشف من كؤوس لثاته ... خمراً كمثل الأري للصديان

راح غداة شربت منها خلتها ... دبت مدب الروح في جثماني

وجنيت ورداً لاح في وجناتها ... منه تغار شقائق النعمان

قد فاق بالحسن الظباء كمثلها ... قد فاق موسى الناس بالإحسان

فرد الزمان وحيده المولى الذي ... تسطو به إن جار صرف زمان

عمار هذا العصر من بصلاحه ... يسمو على كنز التقى سلمان

محي علوم أئمة لولاهم ... ما ميز بين الكفر والإيمان

مولى تسامى في الفخار محله ... كمحل «بسم االله» في القرآن

الفخر من أدنى مراتب مجده ... والفخر أعلى رتبة الإنسان

يرتاح إن سام الوفود ببابه ... فتخاله غصناً من الريحان

لا عيب فيه غير أن يمينه ... تسمو على الهطال والهتان

فسل الورى عن جوده ويمينه ... فيمينه والجود مقترنان

يا خافض الجهل الوضيع وناصب الـ ... ـعلم الرفيع ورافع الإيمان

خذها إليك أبا المكارم غادة ... تلقي بجيد الشعر عقد جمان

حسناء تهزأ بالفرزدق إن بدت ... وتجر طمريها على حسان

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ٣/ ٤٠ ، أعيان الشيعة : ٢٦/٥ ، الحصون المنيعة : ١/ ٤١٩ ، الكرام البررة : ١/ ٣٠٩ ، معجم المؤلفين العراقيين : ٣١٣/١ ، معجم رجال الفكر : ١/ ٢٤٧ ، العبقات العنبرية : ٢٢٤ .

(٣٧)
يونس النجفي
«القرن الثالث عشر الهجري»

الشيخ يونس بن مظفر النجفي ، هو من المجهولين ، ذكره الشيخ الطهراني وذكره الخاقاني بناءاً على ذلك كما ذكره صاحب الأعيان ، وله هذه القصيدة في رثاء صاحب الجواهر (المتوفى سنة ١٢٦٥هـ) :

جلل ألمّ على الكرام فهالا ... وأمال عرش المكرمات فمالا
جلل له أسود البلاد وأرجف الـ ... ـسبع الشداد وزلزلت زلزالا
لو أنه بالشهب حل لقضها ... أو بالجبال لقلقل الأجبالا
يوماً به ألوى القضا بمحمد الـ ... ـحسن الزكي مآثراً وفعالا
قل للألى شدوا الرحال فلا أرى ... أحداً تشد له الأنام رحالا
قد كان بحر ندى وغاض عبابه ... فالناس تحسو بعده الأوشالا
علم سوى المعروف لم يُعرفْ ولم ... يعقد على غير التقى سربالا
ويعول في أهل الزمان تكرما ... فكأنهم كانوا عليه عيالا
يا صارف الأهوال عنا من بنا ... خلفت بعدك يصرف الأهوالا
هل كيف لم تعول شريعة أحمد ... حزنا وكنت لها حمى وثمالا
ولكم ضربت من العلوم جواهراً ... مثلاً فعزت في العلوم مثالا
ذهبت فضيلتها بكل فضيلة ... للعالمين أواخراً وأوالا
تنبيك عن حكم الجليل كأنما ... جبريل أنزل آيها إنزالا
وكأنما خطت على ألواحها ... أقلامه التفصيل والإجمالا
تلك الجواهر ما وردت بحارها ... إلاّ سقتك نميرها السلسالا
كانت تلألأ في وجودك بهجة ... واليوم بعدك حزنها يتوالى

لولا بنوك قضيت فيك وإنما شاهدت نورك فيهم يتلالا
هم صفوة المجد المؤثل والألى شرعوا حراما للوى وحلالا
قامت قنا الإسلام فيهم واكتسى أهلوه فيهم عزة وجلالا
كالندب إبراهيم والمولى الذي مدت يداه على الأنام ظلالا
وشقيقه عبد الحسين ومن به نالت بنو الدنيا أعزّ نوالا
قرم حوى ما في أبيه ولم يزل في كل شيءٍ يحتذيه مثالا
والماجد السبط الحسين معظم تعنو له عظماؤها إجلالا
وأخي العلا الأسني علي والذي عم الأنام بفضله إفضالا
لكم التسلي بالتقي محمد أسخى بني الهادي وأكرم آلا
والمرتقي في العلم أعلى منزل لو طاولته النيرات لطالا
علامة العلماء من أضحت له الـ ـعلماء تسحب بالهنا أذيالا
لا أنفك صوب العفو يسقي تربة فيها انطوى الأبكار والآصالا

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١٢/ ٤٤٤ ، الأعيان : ١٠/ ٣٣١ .

(٣٨)
قاسم الجصّاني
«القرن الثالث عشر الهجري»

قاسم الجصاني . . . هو من الشعراء المجهولين ذكر له الخاقاني هذه القصيدة في رثاء الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر المتوفى سنة «١٢٦٥هـ» :

الله أكبر ركن الدين قد ظعنا ... والعلم من بعده تالله قد دفنا
خطب عرا فأصاب الدين فادحه ... وأورث المسلمين الثكل والحزنا
رزء عظيم له الشم الجبال هوت ... وانهد من شامخات العلم كل بنا
وأصبحت عرصات العلم دارسة ... من بعد فقد الذي كانت له وطنا
قضى الذي كان بحراً للعلوم ومن ... قد ناب في عصره عن عترة أمنا
لله من فادح فت القلوب ومن ... رزية أورثتنا الوجد والمحنا
يا دهر خلفتنا من بعد فقد أبي ... عبد الحسين بأشجان وطول عنا
رديتنا وجميع المسلمين معاً ... والدين والعلم والنقوى رداء ضنا
من مبلغ العلماء اليوم أن به ... عميدهم عنهم بالكره قد ظعنا
من مبلغن بني الآمال كلهم ... قضى الذي جوده قد أخجل المزنا
تالله مات الندى من فقده ولقد ... قضى الهداة وها في قبره دفنا
قبر حواه حوى زهداً حوى شرفاً ... حوى علوماً فيا بشرى له وهنا
يا قبره عجباً واريت بدر هدى ... أبى يواري من البدر المنير سنا
يوم به قذ قضى ما كان أعظمه ... على الروى وعلينا حين حل بنا
يوم به الدين قد هدت دعائمه ... يوم به الصبر ولى والأسى قطنا
أوقدت يا يومه بين الضلوع أسى ... ولوعة ألبستنا الحزن والشجنا

لي حسـرة أبداً تترى ولي كبد حرى وحزن مقيم أنحل البدنا
ولي مدامع من عظم المصاب جرت دمعاً عليه ولي جفن أبى الوسنا
إن بحت أومت وجداً أو بكيت دماً هيهات يجدي البكا دهراً ولازمنا

وله يرثيه أيضاً :

وادي الغريين كم واريت من درر نفيسة هي كانت حلية الزمن
تالله واريت علماً كان من علم يبث في سائر الأقطار والمدن
وذاك ليس عجيباً من فعالك قد واريت في تربك المولى أبا حسن

والغريب من الشيخ الأميني حينما ترجم له في معجمه بقوله : «فاضل شاعر أديب جليل متتبع كثير العلم بالأدب واللغة والتاريخ ، أحبّ الشعر وشارك حلباته ونظم الكثير من المدائح والمراثي» ، وهو أمرٌ لا أصل له خصوصاً وإن مصدره الوحيد هو شعراء الغري الذي أكّد على ما ذكرناه في أوّل الصفحة !

من مصادر دراسته :

شعراء الغري ٧/ ٧١ ، معجم رجال الفكر والأدب : ١/ ٣٥٣ .

(٣٩)

محسن خنفر

«١١٧٦ - ١٢٧٠هـ»

الشيخ محسن ابن الشيخ محمد بن خنفر بن حمزة بن عكاب العفكاوي النجفي . كان الشيخ محسن خنفر من عظماء فقهاء عصره ، بَلْ عن أهل الفقه ومحققيه أنه كان أجلّ الفقهاء المعاصرين له وأعلمهم ، بارعاً بالعلوم والمعارف النقلية والعقلية ، فهو من رجال الإسلام الموسوعيين ، أستاذٌ في الفقه والأصول والرجال والحديث والطب والرياضيات وغيرها وغيرها .

عُرف عنه أنه كان يحفظ كتاب الوسائل متناً وسنداً مع التحقيق العميق ، حتى أنه كان يضبط مواضع الإشتباه في العطف بين الفاء والواو ، يباحث في دقائق المسائل وفروعها ، وربما استغرق منه التحقيق في بعض المسائل المتفرعة أياماً أو أسبوعاً كاملاً ، باحثاً فيها عن بلاغتها وفصاحتها وحقيقتها ومجازها ومسندها في الكتاب العزيز وتحقيق رجال سند الرواية ، وفقه الحديث وما يشترك معه في الدلالة من الأخبار ، إلى غير ذلك .

وكان «رحمه الله» زاهداً متقشفاً منقطعاً إلى الآخرة آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، مبتعداً عن الرئاسة والظهور ، رغم أن أهل التحقيق الصالحين في عصره كانوا يرون فيه الأهلية التامة والمطلقة على كل مَن في عصره من الفقهاء وهم أجلاّء .

درَّس علوم الإسلام والفلسفة والأدب العربي والتاريخ ، كما كان متخصصاً بتدريس ما سواها من علوم الطب اليوناني والرياضيات ، وقد كان يدرس كتاب القانون لابن سينا . روي له شعر في بعض المناسبات .

قيل إنه كان يَرى الولاية العامة للفقيه المجتهد العادل ، وهذه من المسائل التي اختلف معه بها بعض فقهاء عصره ، ونقل عنه القول بوجوب البقاء على تقليد الميت بشروط اشترطها ، كما نسبت إليها أشياءٌ أخرى أراد البعض

من نسبتها إليه إقصاءَهُ عن الرئاسة التي كان يبعد نفسه عنها . تتلمذ على جملة من فقهاء عصره كالشيخ جعفر الكبير وولده الشيخ موسى ، وقد تخرج من تحت منبره عظماء الفقه ، وقد أصبحوا مراجع للتقليد من بعده ، ومنهم الميرزا حسين وأخوه الشيخ علي الخليلي ، والسيد محمد الهندي ، وجدّنا الشيخ حسين وولده الشيخ علي الخاقاني ، والشيخ محمد لائذ ، والسيد أبو طالب القائني وغيرهم ، وقد كتب جدّنا الشيخ حسين الذي لازمه طويلاً عنه دروسه في الفقه والأصول وربما غيرها ، وهي موجودة عندنا في مكتبتنا الخاصة .

أصيب الشيخ بالحمى العامة التي أصابت أهالي النجف سنة ١٢٧٠هـ فانتقل إلى رحمة الله تعالى ، وقد رثاه جملة من الشعراء .

من شعر الشيخ محسن خنفر تخميسه لأبيات أحمد الرفاعي المتصوف ، في مدح النبيّ «ص» :

تجوش نفسي لقرباكم فأسألها انظار ميسرةٍ منكم أؤمّلُها
لكنما خدمتي لا زلت أوصلها في حالة البعد روحي كنت أرسلها
تقبل الأرض عنّي وهي نائبتي

كم من رياحٍ بردح اللطف منك جرَتْ وكم سحاب بماء المزن قَدْ مَطَرَتْ
وكم مضتْ دولٌ للروح وابتدَرَتْ وهذه دولة الأشباح قد حضرتْ
فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

وله مخمساً :

تميّزتُ مِنْ غَيْظ وكِدْتُ لديهمُ أفوهُ بما لم يفضِ صدري إليهم
بقوم تسامى الكُفَر بين يديهمُ إذا قيل لي فضّلْ علياً عليهم
فلستُ أقول الدرّ خيرٌ مِن الحصى

أغــيّــاً وهذا الحقّ أعــلام رشــده تلوح لسـار ضلّ عـن نهج قـصـده

وأين الثـرى والبدر في أوج سـعده ألَمْ تَرَ أنّ السـيف يزرى بغـمـده

إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

من مصادر دراسته :

معارف الرجال : ٢/ ١٧٥ . أحسن الوديعة ١/ ١٩ . الأعيان : ٤٣/ ١٧٧ ، ماضي النجف : ٢/ ٢٥٩ . مصفّى المقال : ٢٠٧ . معجم المؤلفين : ٨/ ١٨٣ . ريحانة الأدب : ٢/ ١٦٣ . معجم رجال الفكر : ٢/ ٥٣١ .

(٤٠)
محمد الصَحّاف
«القرن الثالث عشر الهجري»

محمد بن علي الصَّحّاف النَّجفي، أحد شعراء هذا القرن، لمْ يوقفْ على نسبه على جهة الحقيقة، وذلك من حيث السيادة أو عدمها فقد صرّح في القصيدة الآتية بانتسابه إلى الحسين، ولكن منشأ التردد - في الواقع - هو ما ذكره الأستاذ علي الخاقاني في «شعرائه» حيث ذكر أنه رويت هذه القصيدة في المجاميع ونسبت لصاحبها مرّةً بالسيادة ومرّة بالمشيخة (سيد/ شيخ)، وهي دلالة على عدم السيادة في الإنتساب إلى آل رسول الله (ص)، وقال ربما كان هناك من يشاركه في الاسم، والواقع أن هذا غريب منه، إذ لو كان هنالك مَنْ شاركه في الاسم فما معنى ورود القصيدة لأكثر من واحد، إلاَّ أن يقال إن هناك شخصين يشتركان بالاسم واللقب وهذه القصيدة هي لأحدهم، وقد نسبت إلى الآخر خطأ، وهذا - عندي - كله بعيد. فإمّا أن يكون هذا الشخص غير مقطوعٍ بسيادته عند البعض، فذكر بالشيخ أو يكون أمره مجهولاً أصلاً عندهم فظنه البعض سيّداً وظنه آخرون غير سيّد. أو وقع خطأ في تحديد نسبه عند البعض وتابعه الآخرون عليه، على خلاف الواقع الذي ربما ذكره أيضاً واحد أو أكثر مباشرةً أو عن بعضهم البعض. وعند مراجعة القصيدة اتضح لنا بما لا يقبل الجدل أن هذا الرجل انتسب إلى حسين وهو اسم أبيه لا الإمام الحسين (ع) وهذه عادة جارية عند شعراء ذلك العصر في ذكر أسماء آبائهم، فما أكبر الوهم الذي وقع فيه الأستاذ الخاقاني.

وعلى كل التقديرات، إن هذا الشاعر لو كان له أثرٌ كبير في الحياة العلمية أو الأدبية أو الاجتماعية في النجف آنذاك لما وقع هذا الإشتباه، ولا

نعني بذلك سوى الشهرة ، إذْ لا نقصد أنه لمْ يكن على مستوى أدبيٍّ رفيع ، فلا علاقة مطردة بين الأمرين كما هو معلوم . ويؤكد هذا مستوى القصيدة المذكورة له ، فهو إن كان شعره بهذا المستوى الذي عليه القصيدة فإنه لا يقلّ عن شعراء عصره المعروفين أو على أقل تقدير لا يقلّ مستواه عنهم كثيراً .

نعم له تقريض من الشِّعر والنثر دلّ على بلاغته العالية ـ بوصف الخاقاني لهما ـ على أرجوزة تحفة النساك للفقيه الشيخ طاهر الحجامي المتوفى سنة ١٢٧٩هـ وبناءً على تقريضة يكون حياً في سنة ١٢٧٠هـ .

أما قصيدته المشار إليها فهي :

بمدحكم الأقلام تفرح والحبر ... وطرس به من حسن أوصافكم سطر
يفوز سواكم بالقوافي وإنها ... تفوز بكم إذ كان منكم لها فخر
فليلة قدر ليلتي بمديحكم ... لأني إذا أحييتها يرفع القدر
يضيع قصيدي حال قصدي سواكم ... وفيكم يضوع النظم بل يكسب الأجر
كساد بسوق الشعر في غير أهله ... وفي أهله نثر الكلام له سعر
بواقيه دمعي مع ذراري تفكري ... لكم ذي لها نظم وتلك لها نثر
أمستظهري عن سر قلب حوى الجوى ... يذيع بديع النظم ما يكتم الصدر
فلا كان في غير الرسول ورهطه ... أولي الأمر لي مدح ولا قدر الأمر
ولكنه كنز لفقري وفاقتي ... فهل غيرهم عند المعاد لنا ذخر
فحبهم الإيمان والشهد مدحهم ... وذمهم صبر وبغضهم كفر
إذا ما ذراع مد منهم لشانىء ... يود له مخباً ولو أن شبر
هم عشرة مع أحمد ثم أربع ... تلتهم بليل التم شوله البدر
فمن كانت الزهراء فاطم أمه ... فلا شك فيهم أنهم أنجم زهر
فما الشهد عيشي عند ذكر صفاتهم ... وعند شهيد الطف من مره الصبر
فلا نجل سعد نال سعداً بقتله ... حسيناً ولا في ذبحه أنصف الشمر
ولا ابن زياد زاد ملكاً بما جنى ... وفي عمره قد صار من أمره قصر
أرادوا حسيناً أن يبايع فاجراً ... ودعواهم من أصل منشئها نكر
أبى السبط إلاّ أن يكون متابعاً ... وعق حسيناً ليس في ضمنها ختر

فسلت سيوف الجور أيدي تجبر فيا ليتها شُلّتْ وليس لها جبر
بلا ضجر قامت إلى نصر عصبة كأن قلوب القوم عند اللقا صخر
إذ القتل قبل السبط للروح راحة ووافقهم صبر ورافقهم نصر
إلى أن فنوا ما بين بيض وأسمر وجوههم بيض وأبدانهم حمر
فصال حسين كالهزبر على العدى يفرق جمع الزور من بأسه الزبر
لخطيه نقط وللسيف خطة وفي قلب أهل النصب من سهمه كسر
فما هم بقوم يغلبون ابن غالب ولكن بعلم الغيب قد قدر الأمر
فوافقه سهم حشى السم نصله وقد كان سهم النحر إذ قطر المهر
من الشام أردت ظامي الطف نبلة أساعد راميها أساعدك الدهر
أنبلته هلا أصبت سوى الهدى قد استنكر المعروف واعترف النكر
بنفسي جواداً إذ هوى عن جواده على الأرض شلواً دأبه الحمد والشكر
يخوض بحور الحتف من شدة الظما فيركس بالإغماء مما به ضر
ويؤلمه نزع السهام من الحشا ويأخذه من طعم طعن القنا سكر
وأودى به ضعف الضعيف جراحه بأبيض فيه قد تحكمت السمر
قد اصفر وجه البيض من يوم ذبحه ومن جرم سيف الشمر حاربها الفخر
بنفسي رويداً كان ورداً لأحمد يحز وما للمصطفى غيره عطر
فدى الله إسماعيل بالكبش وحده فليت الردى أضحى فداه له جزر
بنفسي نسوان الحسين بدمه تضمخ منهن الترائب والنحر
لهن بأرض الطف هالة مأتم كشهب السما بالليل إذْ خسف البدر
وزينب ما بين النساء حزينة وقد شربت صبراً وليس لها صبر
وقد ملأت منها المدامع حجرها وقد ألمت من سوط من لا له أجر
تشير إلى أرض الحجاز بخدها وخد بدمع العين في خدها نهر
تقبل نحر السبط طوراً وتارة تنادي أيا جداه قد عضنا الدهر
حبيبك يا جداه في الأرض عارياً وقد رض منه الصدر بالخيل والظهر
حبيبك محزوز الوريد من القنا وجثته في الترب ألمها الصخر
حبيبك في قاني الجراح مغسلا وليس له ماء القراح ولا سدر

حبيبك في نعش من النبل والقنا ... وفي قلب من والاه أضحى له قبر
وأيتامه مثل الثريا تجمعت ... رؤوسهم شعث وأبدانهم غبر
وقد خفقت منهم قلوب كأنها ... سهيل إذا ما اشتد من خوفهم ذعر
بنفسي أطفال سهى الطرف منهم ... وجوههم من زبرة المعتدي صفر
بنفسي رأس ابن البطين على القنا ... وإكليله شمس وجبهته بدر
بنفسي رضيعاً راضع السهم عضه ... فلا در للأعداء من بعده در
ذراع العدا دع عنك قوس شماتة ... تصيب بها قوماً هم السادة الغر
فلا بد من حرب أيا حرب يرتجى ... بعصر يريك النجم من بؤسه الظهر
ظهور سمي المصطفى وسليله ... إمام همام طيب طاهر طهر
يثور لأخذ النار من بيت ربه ... فيومئذ يختصه النهي والأمر
أبا صالح المهدي أدرك موالياً ... حياتهم موت ودنياهم قبر
أيا شمس يوم الانتظار فإننا ... بليل اختلاف لا صباح ولا عصر
تدارك عبيداً لا فكاك لأسرهم ... إلى أن تراك الناس يزهو بك الحجر
عرفنا بيوم الغم لا منقذ لنا ... ولا سفن نحو النجاة ولا جسر
إليكم هداة الخلق تهدى خريدة ... لها فطنتي أمٌّ ووالدها فكر
أنا القن يا آل الرسول محمد ... سليل حسين زانه منكم النجر
عليكم صلاة الله ما نار نير ... بدا في رياض زار نوارها القطر

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١٠/٣٠٦ ، معجم رجال الفكر والأدب : ٢/٧٩٨ .

(٤١)
عبد الحسين محي الدين
(/ - ١٢٧١هـ)

الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ قاسم ابن الشيخ محمد ابن الشيخ أحمد آل محي الدين .

نحن هنا أمام شاعر احترف الشّعر والأدب ، وكان الشِّعر عنوانه الأبرز ، تلقى مبادىء العلوم كعادة أقرانه وأفراد أسرته في النجف الأشرف ، ولكنه انصرف انصرافاً تاماً إلى الشعر والأدب ، أتقن أسرار هذا الفنّ فكان أحد رموز الحركة الثقافية في عصره على مستوى العراق كلّه ، وكما أخلص للشعر وفنونه وأسراره فقد رفعه الشعر إلى مكانة اجتماعية كان بلا شكٍّ طامحاً للوصول إليها ، فكانت له بفضل الشعر العلاقات الاجتماعية الواسعة والكبيرة ، مع زعماء عصره الدينيين و(الدنيويين) من حكام آل عثمان ، ومع شيوخ العشائر العراقية ، وربما كانت له العلاقات الوطيدة بين الزعماء المتصارعين على السيادة والنفوذ ، وهو ما كان يوقعه أحياناً في غضب البعض وعتابه .

كان هذا الشيخ يحمل بضاعته ويطوف بها على أولئك الزعماء ، حتى إذا ما كان ـ في أواخر أيامه خصوصاً ـ يرى أن «سوق» الشعر قد كَسَدَتْ كان يقول : هل من يشتري الشِّعر بالشعير ! .

إذن كان هذا الرجل من الأدباء المتكسبين ، وفعلاً حَصَلَ لَه الكسب بهذا التكسّب مدى حياتِهِ ، ولمْ يكن التكسّب بالشعر آنذاك أمراً مرفوضاً كلياً .

لا نريد أن نصوّر الشاعر بصورة أدباء العصر العباسي المتكسبين بالشعر على حساب كرامة نفوسهم وعقائدهم أحياناً ، فهذا الشيخ لم يكن ينزل إلى هذا المستوى ، بَلْ كان رجلاً فيما عُلِمَ عنه صاحب صلاح ودين ، ولكن ما حيلتُهُ وهو فيما يبدو يعاني الفقر وليس له من بضاعته غير الشعر؟ بل ربما

كان يجد في قربه من أولئك الزعماء وسيلة إلى إيصال صوته وصوت الآخرين الذين وراءه إليهم ، وربما كان هذا الشيخ ـ وإن لم تسعفنا النصوص كثيراً ـ يريد من مدحه لممدوحه أن يصوغ منه صورة النموذج في القيم والأخلاق والتدين كذلك ، كما نلاحظه في مدحه للشيخ «وادي بن شفلح» زعيم (زبيد) والذي كان أميراً من قبل العثمانيين ، وهو الذي بنى «الديوانية» في العراق فهو يقول له :

وتبـذل كل مـا يُرجى ولكنْ — تصون العِرْض بالعرض المهانِ
لَو انَّ الجود فارق منك كفاً — لجدتَ به على بخل الزمانِ
ولولا ما ائتلفت من المعالي — لسرت إلى الطعان بلا سنانِ
وتلهي السمع عن ضرب المثاني — بذكر الله والسبع المثاني

على أن الشيخ كان مستجيباً دائماً لفطرته الدينية التي يعبر عنها بمدائح ومراث كثيرة لعلماء عصره الأجلاء ، بَلْ إن في شعر الولاء والتمسك بعقيدته الخالصة ما يشفع لهذا الشاعر من شطط خياله أمام ممدوحيه (الدنيويين) ، فله في رثاء ومدح أهل البيت قصائد هي دالة على عظيم ولائه وصدق عقيدته فيهم ، فلا غرو إن رويت لَه هذه الكرامة : وذلك حينما خرج جماعة من العلماء للاستسقاء بعد جفاف مُجدب ، فلم يُسْقوا وخرج مرةً أخرى مع الصلحاء فأنشد مرتجلاً بيتين من الشِّعر ، فما كان إلاّ أن سقاهم الله تعالى المطر الكثير ، وهذان البيتان هما :

أباري الورى شفِّعْ حفاةً قواصداً — نداكَ بسقيا من سحابك فايضِ
أخاف إذا لم تَسقهم قول شامت — (أبى الله سقيا وبله للرّوافضِ)

كان هذا الشيخ فيما عُلم من سيرته أيضاً مداحاً وهجّاءاً ، فأولئك الذين مدحهم ربما هجاهم ، والعَكس يحصل أحياناً ، فَقَدْ هجا زعيم خزاعة «ذرب بن شلال» الذي تغلب بقوة السيف على العراق آنذاك رجاء رضا ممدوحه الأوّل «وادي» بقوله :

ألا لبستْ خزاعة ثوب ذلٍّ — غداة غدا ابن شلاّل أميرا
طويلٌ ما به طولُ ولكنْ — غدا عن كل مكرمةٍ قصيرا

ولكن الأمير هَدَرَ دمه ، فجاءه مستشفعاً بقصيدة يذمُّ عدوّه فيها (وادي) ، ويمدحه بقوله «سدت الفرات بعزمة الإسكندر . . .» فأكرمه غاية الإكرام .

ومن شعره في الغزل قوله :

هل القلب يرجى راحة من خفوقه إذا شاقه ذكر اللوى وعقيقه
خليلي هل تحنو الليالي تعطفا علينا فتدني شائقاً من مشوقه
وهلي لي إلى ذاك الحبيب وسيلة تعرِّفني كيف اتباع طريقه
أحن إليه والمفاوز بيننا حنين فصيل فاقد لعلوقه
يميل هواه بي كما ماله الصبا سحيراً بمياس القوام رشيقه
له بين أضلاعي على القرب والنوى غرام حريق النار دون طريقه
وعهدي به إن زرته ظامياً إلى لقاه تلقاني بخمرة ريقه
ورحب بي بعد التحية جاليا همومي بوضاح المحيا طليقه
وزودني منه حديثاً يفوح لي شذاه بمشمول النسيم رقيقه
فكيف بصب اتبع الركب مهجة يحن وراء الركب حنة نوقه
يرق له قلب الخلي وربما بكت لأسير الركب عين رفيقه
يقلب في شكواه طرف مفارق يرى الحتف أحلى من فراق رفيقه
له الله من ظام تلظى وعنده من البارد السلسال أسنى رحيقه
هو الشوق كم لي رية من صبوحه تكر عليها رية من غبوقه
بنفسي من ملكته القلب جاريا هواه به مجرى دمي في عروقه
يذكرني بدر السماء جبينه وتذكره عيناي عند شروقه
رعى الله من يرعى على القرب والنوى حقوقي وإن لم أرع فرض حقوقه
فتتخذ المجد الذي فاق فيه من سواه أبا لم ينتسب لعقوقه
يجل مقاماً أن يشق غباره لدى السبق للعلياء غير شقيقه

وقال يرثي الشيخ محمد إبراهيم الكرباسي :

قفا بي وإن أضنى الوقوف على الدار ولا تحبسا منهل دمعكما الجاري

وحطا رحال العيس بين رسومها عسى أنني أقضي بها بعض أوطار
وقفت بها من بعد عشرين حجة أسائل مغناها عن الأهل والجار
فما زادني إلاّ جوى وصبابة سؤال رسوم دراسات واحجار
فكم رفعت فيها مصابيح للقرى نضا ضوؤها صبغ الدجنة للساري
غدت بلقعا بعد الخليط وأصبحت معالمها الطولى على جرف هار
تذكرت عيشاً بالغوير وذي قار فهيج مني كامن الوجد تذكاري
سلام على دار لعلوة باللوى وإن كان لا يجدي السلام على الدار
إلام أسوم العيش كل تنوفة وأطوي الموامي البيد شوقاً لسمار
أروم لِقا آرام رامة بعدما رمت كبدي عمداً بأسمر خطار
أثار بقلبي لاعجاً رمل عالج بلا ترة كانت عليّ ولا ثار
سفحت دماً دمعي على سفح رامة وأقريت بالأشجان أطلال ذي قار
حزنت وما حزني على الجزع والنقا ونحت وما نوحي لدار وديار
وما جزعي وجداً على الجزع والحمى ولكن على ندب بقية أبرار
محمد إبراهيم من حاز مفخراً غداة غدا في العلم زاخر تيار

وقال يجيب الشيخ مهدي ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء عن أبيات أرسلها إليه :

وهواك ما خطر السلو بخاطري كلا ولم يطمح لغيرك ناظري
وأنا الذي لم أرع غيرك بالهوى أبداً ولا أرضى سواك مسامري
أزعمتني عن عهد ودك ساليا وضرام نار الوجد بين ضمائري
أو ما ترى وجدي وكامن لوعتي ولهيب أشواقي وفيض محاجري
فلئن صبرت على الفراق فإنني وهواك لست على الفراق بصابر
ولقد أتاني منك عتب ساءني من حيث أنك لست فيه بعاذري
وأسرني إذ ناب فضل عتابكم عن وصلكم وعن الخيال الزائر
قسماً بأعلام المحصب من منى وبحازم والأبرقين وحاجر
إن ملت عن عهد التصابي والصبا فعلى هواك لقد طويت سرائري

وله في شيخ زبيد المشار إليه :

سد الفرات بعزمة الإسكندر (وادي) يمد نداه مد الأبحر
قل بأس (وادي) لا تقل كسرى ولا سابور يفتح في مدائن قيصر
سد بلا كلس أقيم وإنه عن سد ذي القرنين لما يقصر
أرسى بسورته مباني دونها الـ ـهرمان في مصر وذاك بمنظر
أما العزائم هكذا أولا فلا لو شاء حك بها السهى والمشتري
عكفت على أهل العراق فذللت من جانبيه كل صعب أعسر
وسطت بأوله فجازت واسطاً منها لعباداان سطوة قسور
سيف فما اليزني سيف بالغ مما يحدث عنه علوة مفخر
من حمير اليمن الكرام ومن به فخرت أعاظم تبع في حمير
من قائدي الخيل العتاق شوازبا يمشون في ظلل الوشيج الأسمر
ملك ملوك الأرض قاد زمامها في أبيض عضب ولدن أسمر
أنست وقائعه وقائع وائل في تغلب يوم العديد الأكثر
ومكارم أنست مكارم حاتم وبني البرامك في النوال الأغزر
قرن قد اقترن الزمان بسعده فزماننا أضحى سعيد الأعصر
نفس الزمان به فلما جئته قصد الوفادة قلت يا نفس ابشري
يا أيها الملك المطاع ومن له خبر السماع أراه طبق المنظر
أهدي إليك من القريض مدائحاً ما حاز غايتها نظام البحتري
أنزلتها قصد القبول ولم أكن أرجو المطامع في الزمان الأعسر
أرضى بأن ترضى وتعطف نظرة فرضاك خير من نوال أغزر
فاسمع سمعت الخير خير قصيدة من آل محيي الدين جيرة حيدر
واسلم سلمت من الخطوب ملاقيا مني السلام بكل يوم أزهر

وقال أيضاً بعد ما عفا عنه وادي :

من مبلغ النجف الأعلى وجيرته قومي الذين علاهم غير مجحود
مبشراً عن غريق البحر أنقذه إحسان وادي أخي الإحسان والجود

طافت سفين رجائي كل ناحية حتى استوت من أياديه على الجودي

وقال أيضاً في مدحه :

أرى أن خيراً من مقامي تغربي وأجمل من مكثي بداري تجنبي
إذا المرء لم يؤثر زماعاً على الثوى لجم احتمال الضيم نزر التشعب
نجاح الفتى أن لا يراح لسعيه يروح ويغدو بين شرق ومغرب
إذا البئر لم تنفذ مجاريه غورت أجاجاً وإن يدأب بمجراه يعذب
فدعني أخض حر الهجير مواجهاً به حروجه مر لم يتهيب
على حرة وجناء لا تشتكي الوجى إذا وطئت حصباء ذات تلهب
أيممها طوراً حجازاً وتارة شآما وأخرى بين حزوى وكبكب
عسى الله أن يقضي بألطاف جوده فيبلغ بي واد وذا خير مطلب
لقد كنت أوفي الدهر عتباً فإن وفى لي الدهر من مغناه قل تعتبي
فلست براج بعدُ عزاً وبلغة لما شد من إزري ومد بمنكبي
مليك عراقينا ولو قلت إنه مليك بني الدنيا إذا لم أكذب
أخو عزمات ترجع الطير في السما إذا قال والأقدار : يا طير أوّبي
وذو نفحات تورث المجتدي غنى وتعقبه يسراً لنسل معقب
إذا حركته هزة المجد سكنت عطاياه روع الخائف المترقب
إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها وفاخر بالطائي أبناء يعرب
وطالت بنو شيبان فخراً بمعنها وزادت فخاراً في عديد وموكب
أرى حميراً أعلى فخاراً ورتبة بواد إذا عدته من كل منسب

وكان وادي قد سقط فصدعت رجله فدخل عليه المترجم وأنشده مرتجلاً :

عجبت لرجل السبق في حلبة العلى لواد تشكي في الأنام ضرارها
أليست هي الرجل التي تحت ما جد إذا تعثر الدنيا أقال عثارها
وأجرى لنا شط الفرات على يد نرجي عطاياها ونرهب نارها

وقال أيضاً في مدح وادي شيخ زبيد:

من كان قبلك من ملوك الأعصر أو جاء بعدك لم يصلك بمفخر
وإذا هم وزنوا ببأسك في العلى كانوا بجنبك قطرة في أبحر
دع عنك أخبار الرواة وهاك ما نصب العيان بمسمع وبمنظر
عزم إذا بلغ السراة حديثه غلب السماع به سرايا العسكر
وأراع ما بين الجزيرة والحسا وسرى إلى أقصى منازل قيصر
هذا هو الفخر الذي لا ينتهي أبداً ولم يبلغه ذو فخر سري
وندى إذا سكبت عزالى غيثه كبس البلاد بكل غيث ممطر
وحمى به أمن المروع وجانب بحماه يرفل كل ظبي أعفر
يا أيها الملك الذي أيامه تكسو الزمان أهلة في الأشهر
إن الممالك ما تقوم أهلها إلا وقمت بها مقام العنصر
(وإذا تباع كريمة أو تشترى فسواك بائعها وأنت المشتري)
وإذا تدرعت الخلافة درعها أصبحت فيها بيضة في المغفر
وأراك كنت يمينها ومعينها ومعينها الجاري بعذب الكوثر
وسنانها ولسانها ورهانها وعنانها في العاديات الضمَّر
وقوامها وحسامها وسهامها ولهامها جم العديد الأكثر
ونفيسها ومسيسها ورئيسها وخميسها بوطيسها والعثير
وأراك نعمان الذي أيامه نعم وليس كعادة ابن المنذر
بل أنت هارون ويحيي كفك الـ ـيمنى وفي يسراك راحة جعفر
بل أنت مأمون الملوك أمينها عضد الخلافة ناصر المستنصر
أما الثناء فلا يليق لماجد إلا عليك فخذ مقالي أو ذر
والله قلدك الأمور ولا أرى منا عليك لغير ربك فاشكر
فعليك قصد قصائد ونشائد وفرائد بقلائد من جوهر
قد قلت للركب المجد بسيره يفري الوهاد وكل فج مقفر
مهلاً فلست عن العراق بمقلع ولغير عذب فراته لم أنظر
حسبي به والله يقضي بالمنى واد فلست سوى نداه بممتري

مـا بين أقطار الجنوب إلى الصبـا ملك سوى وادي المكارم فاقصر
ملك إذا بخل السحـاب بقطره جـادت أنامله بعشرة أبحـر
ونرى له غسق الظلام إذا عـدا وإذا بدا فلق الصبـاح المسفـر
لا زلت في العيش الرغيد منعما تبقى سعيداً آمناً لم تحـذر

وقال في تهنئته :

ليهنك مـا بلغت من الأمـاني بحكم المشرفيـة واللدان
زحفت إلى العدى في غيم حتف بوارقه الأسنة واليمـاني
بفرسـان يرون الطعن فرضـا وحفظ النفس من شيم الغواني
سراة لو علوا هام الثـريا لكان لهم به خفض المكان
إذا اكتحلوا فمن نقع المذاكي أو اختضبوا فمن دم كل شاني
وإن لبسوا الرياش فمن حديد لزينة عيدهم يوم الطعـان
وخيل سابقت خيل المنايا فحازت في الوغى سبق الرهان
تتوج في سنابكهـا رؤوسـا نواصيهـا صبغن بأرجوان
وأسيـاف تشق إلى قلوب لتتضح الضغائن بالعيـان
مواض لو توهمهـا معـاد لأضحى الدهر مجروح الجنان
ونبل لو رميت بهـا المنايا لأضحى الناس منها في أمـان
تفاءل باسمك الأحزاب يمنا فكان النصر لاسمك في قـران
وقد نعب الغراب بما دهاهم وغنى طير سعدك بالتهـاني
أيا و ادي المعالي إن شعـري لجيد علاك عقد من جمـان
لعمري قد تمنى كل عضـو بمدحك أن ينوب عن اللسـان
وإن يك عن مديحك ضاق ذرعي فقد أغنى العيـان عن البيـان
وإن تك في الأنام بلا قـرين فحسبك في الإخاء النيـران
وإن زأرت أسود الحرب يومـا ظننت زئيرها صوت الأغـاني
وتبذل كل مـا يرجى ولكن تصون العرض بالعرض المهـان
لو أن الجود فارق منك كفـا لجدت به على بخل الزمـان

ولولا ما ائتلفت مع العوالي لسرت إلى الطعان بلا سنان
وتلهي السمع عن ضرب المثاني بذكر الله والسبع المثاني
فدم في رفعة ورغيد عيش هنيء ما سرى البرق اليماني

ودخل المترجم على وادي يعوده من حمى أصابته وبالمترجم أثر رمد فسأله وادي عن سبب حمرة عينيه فقال :

وادي العراق علمت لم لا أعيني أغضت على فرط القذى أجفانها
شكت العيون لما شكوت وكيف لا تشكو ومنها قد شكا إنسانها

وقال في رثاء وادي :

عفت الديار معاهد ورسوم فعفت قلوب بعدها وحلوم
لله أيام بها قضيتها لو أن أيام السرور تدوم
غصن الصبا غض المعاطف يانع فيها وعيش نضرة ونعيم
يا سعد ساعدني على فرط الأسى لم يبق غيرك لي أخ وحميم
أتظنني بالدار شجوي لا ومن هو بالذي تخفي الصدور عليم
لادار أشجتني ولا آثارها لكنما خطب ألم جسيم
يوم قضى وادي المكارم إنه يوم على أهل الزمان عظيم
الماجد القرم الهمام ومن به يحمى المروع وينجع المحروم
فليبكه الشرف الرفيع فكم به لرفيع أعمدة العلى تقويم
ألقى إليك حمى العراق قياده من حيث أنت له حمى وزعيم
علمتك حمير واحداً من فضله أبداً وما أحد سواك كريم
أقسمت بالشرف الرفيع الية ما من عُلاً إلاّ لَهُ مقسوم
لولا القضا المحتوم جانبه الردى أنى له لولا القضا المحتوم
فليمض يفعل ما يشاى فإنما من بعده لم يبق ثم عظيم
ما رمت بعدك سلوة كلا ولا حزني على أحد سواك يدوم
كيف السلو ولا سلو وقد غدا وجد بأحشائي عليك مقيم

أتذوق طعم النوم بعـــدك أعين فـقـئت إذاً إن عـادها التـهـويم

من مصادر دراسته :

أعيان الشيعة : ٧/ ٤٤٥ ، تكلمة أمل الآمل : ٢٥٥ ، الحالي والعاطل : ١٩٦ ، الكرام البررة : ٢/ ٢٣٣ ، الحصون المنيعة : ٧/ ٩٧ ، مكارم الآثار : ٦/ ١٩٩٠ ، الذريعة : ٩/ ٦٨٤ ، شعراء الغري : ٥/ ٨٣ ، ماضي النجف : ٣/ ٣١٢ ، معارف الرجال : ٢/ ٢٧ ، معجم المؤلفين العراقيين : ٢/ ٢٣٣ .

(٤٢)

محمد معصوم

«القرن الثالث عشر الهجري»

السيد محمد ابن السيد مال الله آل السيد معصوم القطيفي النجفي الحائري .

هو أحد أدباء القرن الثالث عشر الهجري وشعرائه ، عُرف بالشعر والنياحة الحسينية واشتُهر فيهما ، وقد كان أحد المعمرين .

أثنى عليه المؤرخون ووصفوه بالتديّن والصلاح وأنه ممن كان يعيش في ذاته ووجدانه محبة أهل البيت (ع) في كل آن ، وله فيهم مدائح ومراث كثيرة ، كما لَهُ قصائد يرثي بها علماء عصره كالشيخ محسن خنفر والشيخ موسى نجل كاشف الغطاء ، وكذلك له مراث لزعماء الشيخية ومؤسسيها الشيخ أحمد الأحسائي والسيد كاظم الرشتي .

ذكر أنه ـ يرحمه الله ـ كان من العمرين وأنه توفي في حدود سنة ١٢٧١هـ ، وقد ترك ديوان شعره ورسالة عن أستاذه السيد عبد الله شبّر صاحب المؤلفات الكثيرة ، ومنها تفسير شبّر والذي رثاه بالقصيدة الآتية :

أروح وفي القلب مني شجن ... وأغدو وفي القلب مني إحن
ولم يشجني فقد عيش الشباب ... وليل الصبا ولذيذ الوسن
ولا هاجني منزل بالحمى ... ولا ذكر غانية أو أغن
ولكن شجتني صروف الزمان ... بأهل الرشاد ولاة الزمن
بموسى الكليم بدت بالردى ... وكم فيه رد الردى والمحن
وثنت بمن لم يكن غيره ... إماماً لدنيا يقيم السنن
فأخنى الزمان بنجل الرضا ... وألبسني منه ثوب الحزن

وناعـــيـــــه لما نعـــاه إلي أذاب الفـــؤاد وأفنى البـــدن
نعى العـــالم الهـاشـــمي التـقى نعى من له الفـضـل في كل فن
فـــلا غـــرو أن بكت المكرمـــات بدمع جـــرى فـــيـضـــه للقنن
على من ســرى ذكــره في البـلاد وشــاع بذكــر جــمــيل حــسن
فــيـا طود فـضل هوى في الثـرى وغـــــيب في بطـنه أو بطـن
ويا راحـــــلاً عن ديار الغـــرور فـــذكـــر جــمــيلك فــينا قطن
قــضــيت الذي كــان منك يراد لتـــجـــزى بذلك من ذي المنن

وله :

أســــفي لربّات الحـــجـــال بـــرزن لا يـــأوين كـــنـــا
تبكي أخـــا كـــرم شـــمـــردل طـــالمـــا أغـــنـــى وأقـــنـــى
شـــيخ العـــشـــيـــرة ذا الحـــمى مـــا مسّ منه الضـــيم ركنا
والمســـتـــغـــاث إذا الخطوب تراكـــمـت كـــالليل دَجْنا
أوَ لـــمْ تـــكـــن أنـــت الـــذي بـأمـــورنا في الدهـر تـعنى
أو مـــا ترانا بعـــد حـــفظك في يـد الأســـواء ضـــعـنا
ونعـجّ نهـــتـفُ والشـــجى يبـدي خـفـايا مـا اسـتكنّا
أمـــجـــشـــمـــا فجّ الفـــلا مـــا لا يعـــد الحـــزن حـــزنا
عـــرج بطـيـــبـــة مـــبلغـــا بـعـض الـذي بـالـطـف نـلـنـا
مـــأوى الشـــجـاعـة والسـمـاح وكل مـــعـــروف وحُـــسْنى
قـــوم إذا حـــمي الطعـــان فـــهـمْ أحـــرّ القـــوم طعنا

وله في رثاء الإمامين الجوادين «عليهما السلام» :

خلهـا تدمي من السـيـر يداها لا تعـقـهـا فلقـد شق مـداها
مـــا هوت في الدو إلا وانثنت تلتقي الحصبا كما تفلي فلاها
هزها الشـــوق فـــأبراها الضنا فـانبـرت تحـمـد بالشوق ضناها
رضـيت حـر الهـوى مـاءاً كـمـا رضـيت مـتلفـة السـيـر غـذاها
عـمـيت عن كل مـا يشـغلهـا عن هداها وهداها في عـمـاها

عكرت رحب الفضا مما أثا رته فالتف دجاها بضحاها
قصدها الكاظم موسى والذي غمر الناس يداً بعض نداها
قف فدتك النفس واغنم أجرها حيث تحييها سلاماً من فناها
مبلغاً جل سلامي لهما طالباً للنفس ما فيه هداها
قل لمن كلم موسى باسمه ولمن من جوده نال عصاها
أشهيدي جانب الزوراء هل زورة تطفي عن النفس لظاها
أم لعيني نظرة ممن رأى جدثي قُدسكما تجلو جلاها
لم ير الله أناساً غيركم للشهادات فأنتم شهداها
بل ولا نال اغتراباً غيركم مثل ما نلتم فأنتم غرباها
جدكم أعظم قدراً وأذى فحسوتم بعده كأساً حساها
وساقكم ثدي أخلاق بها عطر القرآن من عطر شذاها
يا ذواتاً أكملت علة إيـ ـجاد ذي العرش الورى والبدء طاها
ما رجا راج بكم إلاّ نجا كيف والراجي الميامين فتاها
ثم عج يا مرشد النفس إلى أرض (سامراء) ننشق من ثراها
واعطها مقودها حتى ترى قبة فيها رجاها ومناها
فعلى نورَيْ عُلاً حلاّ بها من صلوة الله والخلق رضاها
والق عنها حلس وعثاء السرى وقل البشر فقد زال عناها
واطلب الحاجات تحظى بالإجا بة في حال بقاها وفناها
ثم انهضني فلا قوة لي من هموم أبهضتني من عداها
نحو سرداب حوى خوف العدى عصمة العالم والمعطي رجاها
وامش بي رسلاً فما تدري عسى الـ ـله لبى دعوة في مشتكاها
وادخلن بي خاضعاً مستشفعاً لي بأن أسعد يوماً بلقاها
نقرأ التسليم منا عد ما خلق الله إلى يوم جزاها
يا ولي الله والمعطي مدى أمد الأيام أقليد عطاها
والنصير الشاهد الحاكم في الـ ـخلق والموصي له من نظراها
قم على اسم الله أثبت ما بقي من رسوم فالعدى راموا انمحاها

طهـــــــر الأرض بـأجناد أبت أن يرى مــبــدؤها أو منتــهــاهــا
وابسط العـدل بعـيسى الروح والـ ـخضر محفـوفاً بأمـلاك سمـاهـا
إن دوحـــات الرجـــا قـــد أذنت بانحـسـار فـمـتى خـضـراً نراها
والأمـــانيُّ حـــبـــالي هل ترى منك يومـــاً بوليـــد بشـــراهـا
جـــرد السـيـف لثـارات بني أمك الزهراء واجـهـد في رضـاهـا
جلب القـوم عليـهم جـحـفـلا كـــالدجى لكن دراريه ظـبــاهـا
تلتـقي جـيش العـدى ضـاحكة والمـواضي مـن دم طال بـكـاهـا
أبلغـوا للدفع عن حـامـيـة الـ ـدين يوصي الكل كـلا بحـمـاهـا
لم يزالوا في الوغى حـتى جـرى من يد الأقـدار مـا حـم قـضـاهـا
جـرعـوا كـأس المنايا عندمـــا كــرعــوا مج ضــيــلات قناهـا

وله في رثاء الشيخ حسين نجف :

ألا قل لنار الفـؤاد اسـعــري شـجـوناً وللعين فـاسـتـعـبـري
فـقـد طرق الدين بعـد الطفـوف شـجى مـثله الذكـر لم يذكـر
مـصـاب أعـاد مـصـاب الحسين بعـاشـور في كـربلا والغـري
جرى في القـضـا اسـمه باسـمه فـغـالهـمـا اشـأم الأشـهـر
فـذاك بعـاشـره قـد أصـيب وهذا بثـانيـه فـاسـتـشـعـر
وذاك مـضى من أذى البـارقـات وهـذا مـضى من أذى المفـتـري
وذاك رمـــتـــه يد المنكرين وهـذا رمـــتـــه يد المنكر
فلم أر من مـات رهن الفـراش سـواه ومـصطلم العـسـكر
فـقل لعـيـون الهـدى والندى لمنظوم درِّ الشـؤونِ انثـري
ويا طائر البين من بعـد أن علقت به في البـرايا طر
فلست بمسـتـمـسك مـثله فطول بما شـئت أو قـصـر
ويا حـادثات الزمـان انكفي فلو رمت شـرواه لم تظفـر

من مصادر دراسته :

الأعيان : ٥٨/١٠ ، شعراء الغري : ٢٩٥/١٠ ، الحصون : ٥٨٢/٥ ، الروض النضير : ٣٦٦ ، الكرام البررة : ٣٦٨ ، التكملة : ١٠٢ ، ١٨٩ ، ٢٨٣ .

(٤٣)
الشيخ حسن المحسني

« ١٢١٣ - ١٢٧٢هـ »

الشيخ حسن ابن الشيخ جمال الدين أحمد ابن الشيخ محمد ابن الشيخ محسن الأحسائي الفلاحي .

كانت ولادة هذا الشيخ في الإحساء ، وقد انتقل مع أبيه الشيخ أحمد إلى الدورق (الفلاحية) فنشأ وأخذ عن أبيه فيها مبادىء العلوم وعلى غيره كذلك .

أقام مدة في كربلاء ، وعلى أثر الأحداث الدامية فيها التي حدثت من قبل الوالي العثماني داود باشا ـ فيما يبدو ـ خرج منها ، وقد دوّن هذه الحادثة بشعره :

أسليل المصطفى حتى متى ... نحمل المكروه في حق جوارِكْ
طبْتَ نفساً عن مواليك لما ... أسلفوا أم لم تطقْ منعةَ جارِكْ؟ !
أم تعرضت اختباراً صبرنا ... أنت تدري ما لنا عشر اصطبارِكْ
أكرمْ الضيف وإن جاء بما ... لست ترضاه إذا حَلَّ بدارِكْ
أنت تدري ما لنا من مطلبٍ ... غير أنْ نأوي إلى مأوى قرارِكْ
قُمْ أخا الغيرةِ واكشف ما بنا ... ضاقت الأفكار عن وجه اعتذارِكْ

التحق بالحوزة العلمية في النجف ـ بعد ذلك ـ فحضر عند الفقهاء : الشيخ صاحب الجواهر والشيخ خضر شلال الفكاوي والشيخ محسن الأعسم . حتى برز كأحد الفقهاء والأفاضل ، والأدباء والشعراء الذين أسهموا في واقع الحركة الثقافية في عصره شعراً ونثراً .

أما مؤلفاته العلمية فهي في الأغلب حواشٍ وتعليقات على كتب الفقه

والأصول والحكمة والحديث وله منظومة في أصول الفقه .

عاد الشيخ إلى خوزستان «الفلاحية» وكان له فيها أثرٌ طيب في توجيه الناس وإرشادهم وتوزيع المعونات عليهم ، خصوصاً وأن الحكومة آنذاك قد خصصت له لهذا الغرض مبلغاً من المال بشكل سنويّ ، لما كان له عندهم من موقع طيّب .

توفي في خوزستان ونقل إلى النجف ودفن فيها ، وخلف أولاداً من بينهم الشاعر الشيخ موسى الذي يرد ذكره في هذا الكتاب .

للشاعر ديوان شعر يقرب من ألفي بيت ، جُلّ مواضيعه تدور في مدائح ومراثي أهل البيت (ع) . وقد تنوع في النظم من حيث الشكل الشعري ، فكتب القصيدة الخليلية (العمودية) وله في التشطير والتخميس والبند شعرٌ كثير .

ومن شعره متوسلاً بالله تعالى ورسوله الكريم وأهل بيته (ع) ، ويتخلص فيها لرثاء الحسين (ع) :

أطار كراي ما أحصى الكتاب ... فعذبي قد غدا وهو العذاب
رأيتُ نفائساً يذهبن مني ... من الأعمار ليس لها إيابُ
خلت لم أتخذ نفقاً وإني ... علمت لكل ذاهبةٍ حساب
فأي العذر أبدي حين أُدعى ... وجلُّ صحائفي العَمل السراب
وقد حُشدت إلى العدل البرايا ... تجلّى الله وانكشف الحجاب
وكلٌّ مفَردٌ قد جاء يسعى ... بطائره تقلدت الرقاب

إلى أن يقول :

بَلَى قد لذتُ معتصماً وحسبي ... بربّي حينَ يرتفع النقاب
خلعتُ الندَّ عنه ودنت ألاَّ ... سواه ، إليه عودي والمآبُ
وبين يديَّ قد قدَّمتُ خلقاً ... بهم قد قامت السبع القِباب
محمدُ والأعاظمُ من بنيه ... بهم يستفرح الدَّنفُ المُصاب
همُ سفنُ النجاة لراكبيها ... همُ السَّبُلُ المطهرة الرِّحاب

فوا لهفي بهذي السبل عاثت | كلابٌ ذلكَ العجب العجاب
ألا يا غيرة الرحمن ضاقت | بنا هذي الأباطحُ والشِّعاب
ألم يأنِ لهذا الخطب يُجلى | وتكشف هذه الكرب الصِّعاب

ومنها في رثاء الإمام الحسين عليه السلام :

مضى ما بلّ غلّته ولكن | له من ماء مهجته شراب
وعرياناً تردَّى ثوبَ عزٍّ | تُسَتِّره عن النظر الحِراب
فإن يُظفر به فلكم تَردّى | بحدّ شفاره أُسْدٌ صِعاب
ألم يبلغكَ ما فعلت ضِباه | غداة الطفّ إذ نعبَ الغَراب
كساهم حلةً للخزي تبقى | عليهم ما مشت أبداً ركاب
فإن يقتل مضى حراً كريماً | قضى حقَّ الحفاظ ولا يعاب
ألا لُعنت أميةَ ما أتته | عظيمٌ ليس يحصيه خطاب
أجنبَ الله قد جنبوا بنيه | ولا يُرعى لهم فيه جَناب
أحلّوا في القنا منه كريماً | تجلّى في الدّجى وهو الشهاب
عدوا ببقيَّة البيت المعلّى | عليّ بن الحسين وما أنابوا

وله في مدح الإمام علي عليه السلام :

أميرَ المؤمنين علوت قدراً | تقاصر عنه عيسى والكليم
تخاطبكَ الوحوش بكل لحنٍ | وأنتَ بذلكَ الحبر العليم
فكم من مبتلٍ فرجتَ عنه | وقامَ بأمركَ الميت الرَّميم
وكشّاف الكروب إذا أرجحنت | بسيفكَ قام ذا الدين القويم
وأرغمتَ الأنوفَ إذ اشمَخرَّتْ | لذاكَ ونالت الأرضَ الجسوم
علت فعلا صليل السيف منها | لها منها له وقعٌ صميم
فشيبة والوليد تركتَ جذراً | وعَمْرَهُمُ الغضنفرة الهَجوم
وخيبرة أبحتَ لها رتاجاً | فمرحبهم لأرضهم أديم
ويوم حنين إذ ضاقت عليهم | فجاج الأرض وانهزم العموم
أمير المؤمنين وسعتَ فضلاً | وساد الخلق فضلكم العميم

ألستَ المستغاثَ به إذا ما | عرى الخلق البلايا والهموم
وإني يا عليُّ رهينُ دهرٍ | وبي من وقع أنيُبِه كلوم
بعيد الجسم عنكم أقعدت بي | من الإعسار نائبة عقيم
مددتُ يدي لباريها وإني | مسيءٌ وهو غفار رحيم
خلعت الندَّ عنه ودنتُ أن لا | سواه وأنه الله العظيم

وله أيضاً في رثاء الإمام الحسين عليه السلام :

أترى في المعاد تُسعِدُ سُعدى | أم تنجّيكَ زينب في اللّحودِ
فالحذار الحذار من فتك دهرٍ | فهو للوصل معقبٌ بالصدودِ
واصرف الهمَّ عن هواهنَّ واذكر | ما تلاقي في يومكَ المعهودِ
يوم لا مال نافع وبنون | غير عفوٍ من الغفور الودودِ
واتصالٍ بآل أحمد مَن هم | علل الكائنات سرُّ الوجودِ
فَبِهم قامت السموات والأر | ض ومَن فيهما بأمر الحميدِ
ولهم تسجد الملائكُ لمّا | أُمرت من لدن عزيز مجيدِ
وَحَّدوا الله حين ليس سواهم | فَهمُ الأصل قبلُ في التوحيدِ
قصرت ألسنُ الخلائقِ عمّا | قد حووا من مكارم التمجيدِ
أحمدُ الجدُّ والبتولةَ أمٌّ | وعليٌّ أبٌ فهل من مزيدِ
فإذا ما عراكَ حادث دهرٍ | وجرت منك أدمع في الخدودِ
فتذكر مصابهم واحبس الدمـ | ـع وقل للعيون هيّا فجودي
هو حزن أسداه عاشور لما | طَرَدَ السّبطَ فيه نغلُ الطريدِ
ما حماه البيت الحرامُ فلهفا | ه عليه من نازحٍ مطرودِ
ليتني في الطفوف كنت شهيداً | فأُحامي عن الغريب الشهيدِ
ما سمعنا بمثله في نزالٍ | من قريب الزمان أو في البعيدِ
نصرتْهُ هناك أُسْدُ عرينٍ | ما عليها في المجد من مستزيدِ
راعوا المصطفى وما أخذ اللـ | ـه له منهم وثيق العهودِ
وازروه وليتني كنتُ فيهم | وارداً ما لقوا من التنكيدِ

شـربوا الموت ضـحـوةً ذلكَ اليـو م وأمــســوا وهم بدار الخلودِ
ورووا سلسـبـيل بعـد سـغـوبٍ ســاعــةً فــالهنا لهم بالورودِ

ومن شعره أيضاً هذه القصيدة في رثاء أبي الفضل العباس عليه السلام :

يوم أبو الفضل بن حيدر صاح في صـور الطفـوف فطاشت الأحـلام
السـمـر تمضغ لحمَ كلِّ مُـدجَّجٍ والبـيض تقطر والخيـول صـيـام
والرعـدُ زَمـجـرةُ الوغى والنقع من ركض الصواهل في السماء غَمام
لله درّ ابن الوصي فكم عــلا مـجـدٌ هناكَ له وعـزٌّ مـقـام
هبلت أمـيـةَ الهـوابل مَن لقـوا جَـبلٌ أشمٌّ ومـقـضب صـمـصـام
ليث بجنب عـرينه طاوي الحشى ذو أشــبـل أودى بـهـن أوام
تأبى الكريمة نفـســه فـراً ولو أنَّ القــضــاء ذَوابل وحـسـام
مـتـسـربل من نسج داود وفي يمناه عَـضب خُطَّ فـيـه حـمـام
لفّ المقــدم بالمؤخّــر وانثنى مـرحـاً كمن قد عـاقرته مدام
أطغى الشريعةَ من دماهم بعدما سـدّت قنا منهم لهـا وسـهـام
فـأقـام مـالكَ صـفـوها وبقلبـه من حـرّ نيـران الظمـاء ضـرَام
ورأى كـأن الماء قـبل أخـيـه والـ أطفـال مـحـضـور عليـه حرام
فـمـلا مـزادته ومـرَّ كـأنّه برقٌ فـأرعـد خلفـه الأقـوام
فـهـراق ودقُ سـهـامـهم لمزاده وانتــابَهُ منهـا لذاك كـلام
أوهى القـوى منه تذكـر أهله عطشى وأعـينهم إليـه قـيـام
فلذلك انتـهـزت به الفـرص التي من قـبل ذا لم تدرها الأوهام
عُـصَب لحـرب أمـيـة ملتـفـة جـيشٌ يغصّ به الفـضـاء لهام
فـتـحـاوشـوهُ فـيـا ليَوم أشأمٍ راح الأبيُّ الضَّـيْمُ فـيـه يُضَام
قطعـوا يديه فخـرَّ يشرب ماء مهـ جـتـه ربى لما هوى ورغـام
ودعـا غيـاثَ المستـغيث أخاه أد ركني فـبي مـوت ألـمَّ زؤام
فـعليكَ مني يا حـسين تحـيـةٌ مـا قـام من هذا الوجود قـيام
وعليّ عـزّ أخي انفـرادكَ بين مَن لـم يُرعَ إلاّ مـنهـم وذِمــام
فانقض قطب رحى الحروب عليه ذا قلب شجٍ وقـد اعـتـراه حِـمـام

فـانصـاع يفـتك بالأولى فتكوا به ... فـتْكَ الوصيّ غـداة فـرَّ طغـام
يدعـو أخي يا خـيرَ مَن يرجى إذا ... جَـبُن الكمي وفُلّلَ الصمصام
والمرتجى في يوم لا من مـرتجى ... يلجى إليـه والخطوبُ جسـام
تنعـاكَ أفـراس المغـار تعطّلت ... وأضـرّ بعـدكَ جسمَهن جَمام
تنعى عليك فـواطم لك ثُكَّلٌ ... أودى بهـا داء ألمَّ عُـقام
إنسـانَ عين أخيكَ يا عبـاس قد ... أضحى ضياها اليوم وهو ظلام
لُويت لويٌّ مـقـامُـهـا ولهاشمٍ ... قـد جُبَّ بعـدكَ غـاربٌ وسَنام
وغدت شيوخ بطاح مكة ناكسي الـ ... أذقـان أُوْدي شيخُـهـا المقـدام
لله أيَّة وقـعـة عـرت الهُـدى ... فـعلى عـراه تحلّلٌ وفـصـام
ويقلب كلّ مـوحِّـد من أجلهـا ... جـرح رُقـاه الدهر ليس يرام
يا آل مـخـتلف الملائك والأولى ... بالفـخـر سـادوا من نماه سـام
لسنا وحق ولائكم ناسينَ مـا ... قـد نالكم حـتى ونحن رمـام
فـبمـا جنتـه أمـيّـة وسـميّـة ... يبـقى المصاب وتَنمحي الأعـوام
فـمتى يُرى المرجـو للثـارات من ... عُصب النفاق السيِّدُ الضرغام
يستـأصل الأحيـا ويبـعث منهُم ... مَن في القـبـور وتنفـذ الأحكام
فـهنا تُبـرِّد أعينُ سـحَّت لنا ... منهم وأكـبـادٌ بهنَّ ضـرام
ثب سيّدي شمَتَ العدى قالوا متى ... لكُمُ يؤوبُ من المغـيب إمـام
يا مـالكي رقّي وحسبي مَفخراً ... مـا طابَ في نادي الفـخار كـلام
أبوايَ والأجـداد من طرفـيهـمـا ... عـرفـوا الولا والخـالُ والأعمـام
وكـذلكَ الأبنا هدىً من ربِّنا ... فله بذاكَ الفـضل والإنعـام
ونظمت فـيكم كلَّ غـاليـة بدا ... بعـقـودها الإتقـان والإحكام
واليـتكم بدليل عـقلٍ قـاطعٍ ... لا يعـتـريه الريب والأوهام
وأخذت شرع فروع أصل الدين من ... تأصـيلكم إذ تاهت الأفـهـام
وقـد اقـتـفـيت بكلِّ ذا آثاركم ... فـعليّ جـهـلاً يفـتري الأقـوام
فـأنا وليّكم البـريءُ من العـدى ... والله ربِّي والصـلاة خـتـام

من مصادر دراسته : أعلام هجر : ٢٧١ ، معارف الرجال : ١/٣٤٣ ، أنوار البدرين : ٤١٣ ، طبقات أعلام الشيعة : ق ١٣/٣٠٤ ، أدب الطف : ٧/٦٦ ، أعيان الشيعة : ٥/١٦ ، الذريعة : ٣/١٣ .

(٤٤)
أحمد الفحّام الأعرجي
(/ - ١٢٧٤هـ)

السيد أحمد ابن السيد صادق الفحّام الأعرجي ، هو شاعرٌ مجهول الحال ، نعم ورد ذكر شعره في الحصون ، وفي بعض المجاميع الشعرية ، كما ورد في الأعيان الثناء عليه .

وقال عنه الأستاذ علي الخاقاني إنه ابن الشاعر المعروف السيد صادق الفحام وأورد له بعض المقاطع الشعرية في شعراء الغري . وجاء في المعارف أن للسيد صادق ولداً اسمه محمد .

ورأينا الشيخ محمد هادي الأميني في كتابه (معجم رجال الفكر والأدب في النجف) ، يترجم لـ (أحمد بن محمد صادق بن علي بن الحسين الحسيني الفحام المتوفى ١٢٧٤هـ) وهو ربما يعني شاعرنا المترجم له ، ولكن يُلاحظ اختلاف اسمه ونسبه عن شاعرنا المترجم له ، فبناءً على أنه ابن السيد صادق الفحام فاسمه يكون هكذا (أحمد بن صادق) إلا أن يراد به التفخيم ،لا «محمد صادق» ، ابن علي بن حسن لا «الحسين» كما عند الأميني ، خصوصاً وأنه ذكر في ترجمة السيد صادق النسب وهو مطابق لهذا النّسب ، ولكن لا ندري من أين وقع هذا الاشتباه عند الشيخ ، نعم في ترجمة أبيه السيد صادق وقع ـ ولعلّه من باب الخطأ المطبعي ـ اسم أحد أجداده هاشم فسمّاه هشام . ولم يشر الأميني إلى أن السيد أحمد هو ابن السيد صادق هذا ، فلعلّه وهم أنّه غيره ، والواقع هو نفسه لا غيره لعدة قرائن ومنها الاتفاق في سنة وفاته .

وعلى كل حال فقد ورد للسيد أحمد شعر منه :

سأقضي بقرب الدار نحبي على أسًى | عليك وحاجاتي إليك كما هيا
أرى جارماً مالي وما ملكت يدي | وجـمـعـتـه من طارفي وتلاديا
لقاً بأعالي الرمل من حصن سامة | مسجًى على يأس الرجا من حياتيا
تقلبني أيدي العوائد رأفة | بحالي وتبكي رحمة لشبابيا
وشف الهوى جسمي فلا قمت واقفاً | على مدرج الريح استقرت مكانيا
وما أم رسلان ببطن مفازة | نأى السرب عنها ساعة الركب طاويا
ولما تناءى الركب عنها انثنت له | فألفته مقصوص الجناحين طاويا
بأوجد مني يوم أصبحت صارما | حبالي وقد كنت الخليط المصافيا

وله :

ثلاثة أشياءٍ فروح مضاعة | ورابعها أيضاً تضمن في الكتب
فدين بلا عقل ومال بلا ندىً | وعشق بلا وصلٍ وبعد بلا قرب

وله راثياً سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي «عليهما السلام» :

ما بال عيني أسلبت عبراتها | قاني الدموع وحاربت غفواتها
ألذكر دار شطر جرعاء الحمى | أمست خلاءاً من مهى خفراتها
أم فتية شطت فغادرت الحشى | تطوي على الصعداء من زفراتها
لا بل تذكرت الطفوف وما جرى | يوم الطفوف فأسبلت عبراتها
يوماً به أضحت سيوف أميةٍ | بالضرب تقطر من دماء هداتها
يوماً به أضحت أسنتها تسيـ | ـل نفوسها زهقاً على صعداتها
وعواري أجساد على الرمضا تقـ | ـلبها أكفّ الوطي من قباتها
صرعى مصفقة على أشلائها | أيدي سوافيها برحب فلاتها
سقيت أنابيب الوشيج على الصدى | فقضت على ظمأ دوين فراتها
وعقائل الهادي تقاد ذليلة | أسرى بني الزرقاء في فلواتها
حسرى تجاوب بالبكاء عيونها | قرع الزجاج على نفير طلاتها
تعبات أبدان ببهرج سيرها | ريس المقيد أوسعت خطواتها
في أي جد تستغيث فلا ترى | إلا التقنع في سياط طغاتها

أترى درى خـيـر البـريّة شـمله عـصـفت به بالطف ريح شتـاتـهـا
أترى درى المختـار أن أمـيـة قـد أدركت في آلـه ثاراتهـا
تلك البـدور تجللت خسفاً وقد سقطت بكف يزيد من هالاتها
أبدت غـروباً في الطفـوف يديرها فلك المعـالي في أكف بغـاتها
أسعى بها ابن أبيه بغياً فاغتدى يده مـقـصّـرة مدى غاياتها
تلك الستور تهتكت قسراً وما رعيت حمايتها بقتل حماتها
تلك الخيام تقشعت نهباً وقد وطنت أمية ضرب مقصوراتها
نسل العبيد بآل أحمد أدركت ثاراتهـا أشـفت به إحناتها
ويل لها أرضت يزيد وأغضبت خيـر الورى في قتلها ساداتها
لهفي لها جرعت كؤوس حمامها حزى الجوانح في أكفّ عداتها
لهفي لزينب وهي ما بين العدى مرعوبة تبكي لفقد كفاتها
بعـداً ليـومك يا ابن أمي إنه أنضى النفوس وزاد في حسراتها
بعداً ليومك يا مفدّى أحمد فلقد قضى فيه قضا آياتها
يا جـدّ إنّ أمـيـة قد غادرت بالطف شمل بنيك رهن شتاتها
هذا الحسين بكر بلا متوسداً وعر الصخور لقى على عرصاتها
تحت السنابك جسمه وكريمه بيد الهوان يدار فوق قناتها
الله أكـبـر إنهـا لمصيبـة تتقطع الأكباد في خطراتها
أبناء حرب في القصور على أرا ئكهـا وآل الله في فلواتهـا
يمسون قتلى كربلا وأميـة تمشي نشاوى سكبها راحاتها
يا سادتي يا من بحبهم النفو س تقال يوم الحشر من عثراتها
مـاذا أقول بمدحكم وبمدحكم وافى جميل الذكر من آياتها
صلّى الإله عليكم مـا إن بدت وضح الصباح وقد جلت ظلماتها

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١/ ٢٥٦، معجم رجال الفكر والأدب : ١/ ١٦٠، الأعيان : ٣/ ٦٤، الحصون : ٢/ ٥٣١، معارف الرجال : ١/ ٣٦٦ .

(٤٥)

صالح حجي «الحويزي»

«القرن الثالث عشر الهجري»

الشيخ صالح ابن الشيخ قاسم ابن الحاج محمد الحويزي النجفي .

إن أوّل مَنْ حَلّ في النجف من هذه الأسرة هو الشيخ قاسم والد الشيخ صالح ، فكان له فيها من بعده أثرٌ طيّب من حيث أولاده وأحفاده . وإذا ما كان الشيخ قاسم من فقهاء عصره ، فإن في هذا البيت من سار على نهجه ، فكان من بينهم ولده الشيخ صالح الذي ورث عن أبيه العلم والصلاح .

درس الشيخ صالح في النجف وربما كان حافظاً للقرآن الكريم ، ابتُلي بفقد بصره بعد مدّة من عمره ، فجنح إلى الشعر كتعبير عن أحاسيسه ومشاعره ، فجمع بذلك بين العلم والأدب .

ذكره مؤرخو الأدب وأثنوا على علمه وصلاحه وتقواه وشعره ، واختلفوا في تحديد سنة وفاته ، فهو قد توفي سنة ١٢٧٥هـ ، أو ١٢٦٠هـ .

من شعره في مدح الرسول محمد (ص) :

يا نبي الهدى وما الأنبياء	منك إلا أرض وأنت سماء
إنما الأنبياء مبدء فيض	ولك الإبتداء والانتهاء
بل بأسماك سبحوا الله في الذر	وفي البعث في صفاتك جاءوا
عرفوا منك بعض معنى فتاهوا	فيه لو لم يكن بكَ الإهتداء
فإذا كان حالهم ذا فما حا	ل سواهم وما هم أنبياء
غير أني أقول إنك باب الـ	ـله فيه السراء والضراء

وله راثياً السيد حسن الخرسان :

إلام تطيل يا ورق إلى ما بكاك فلن تنيم ولن تناما
تنوح على المقام لفقد إلف وما إلفاً فقدت ولا مقاما
رويدك هل أصبت كما أصبنا فهجت جوى كما هجنا هياما
وهل أصمتك أيدي الدهر يوماً بأسهمها فكنت لها سهاما
يفوّق كل يوم ألف سهم ولكن لم يصب إلا إماما
رمى الهادي فكوّر منه شمساً وغال من الهدى قمراً تماما
جواد عمّت الدنيا يداه فأخصبت الأباطح والأكاما
تنزه في الفضائل عن شريك وشارك في فواضله الأناما
تسامى منزلاً في العلم أعلى تقاصر عن علوّ من تسامى
تطوف المرملون به فتغدوا عكوفاً عند حضرته قياما
فيا لنوائب عظمت علينا فهوّن وقعها النوب العظاما
شجت أهل الحجاز أسى وأبكت عراقيها وروعت الشئاما
فعزّ بني المعالي والعوالي به وانع المكارم والكراما
وحسبهم بإبراهيم عنه فتى ألقى الزمان له الزماما
أخو همم يطول على الدراري وعزم يسبق العضب الحساما
وحلم لو توازنه الرواسي لضعضع من رواسيها الشماما
تشاهد في شوارعه البرايا خضوعاً فاستلاما والتزاما
وبالعباس معتصم وكهف وحسبهم به وكفى عصاما
تقمَّص حلة المعروف طفلاً وأدرك غاية العليا غلاما
حمى حوز العلى وسما إليها فساد بني العلى حاما وساما
وموسى مَنْ به قد قام ركن الـ ـعلى من بعد زيغ فاستقاما
يزيد على التقى يوماً فيوماً وينشر في النهى عاما فعاما
وجعفر من رقى في الفضل حتى أقام من العلى أعلى مقاما
أجلّ بني العلى بيتاً وأعلى وأرأفها وأوفاها ذماما
هم آل النبي وخير آل بهم ويجدهم نلنا المراما

إذا مـــا منـهـم أودى إمـــام أقـام على الهـدى علمـا إمـامـا
وروت مـضـجع الحـسن الغـوادي وقـد أهدى السـلام لـه السـلامـا

من مصادر دراسته :

شعراء الغري ٤/٢٥٨ ، الحصون المنيعة : ١/ ٤١١ ، ٢/ ٥٦٩ ، ٩/ ٢١٢ ، الكرام البررة : ٢/ ٦٥٨ ، أعيان الشيعة : ٧/ ٣٧٦ ، معجم المؤلفين العراقيين : ٢/ ١٢١ ، معارف الرجال : ٣/ ١٠٦ .

(٤٦)

إبراهيم نصر الله العاملي

«القرن الثالث عشر الهجري»

الشيخ إبراهيم ابن الشيخ نصر الله ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ يحيى العاملي .

كان من العلماء الصالحين في هذا العصر ، جمع إلى فضيلة العلم فضيلة الأدب والشعر ، قتله عرب الفضل لما غزوا البلاد العاملية في قرية عشترون ، وذلك سنة ١٢٧١هـ ، أو سنة ١٢٧٥هـ ومن شعره يمدح السيد محمد ابن السيد علي ابن السيد محمد الأمين :

أهلاً بضيف في الدجنّة أوّبا ... حَيًّا فأحيا المستهام وأطربا
لله ليل بات فيه مضاجعي ... ظبيٌ لواحظه لها فعل الظبا
وأغنّ حيّاً بالمدامة فتية ... جعلوا لهم شرب المدامة مذهبا
فكأنه إذْ قام يحمل كاسه ... في كفّه بدرٌ تحمّل كوكبا
ظبيٌ يصيد الليث سحر جفونه ... ولقد عهدنا الليث يصطاد الظبا
لله جارك قد بنيت مراتباً ... نظر الزمان سموّها فتعجبا
ما سحّ جودك بالجهام وما غَدَتْ ... للسائمين بروق وعدك خلّبا

من مصادر دراسته :

ماضي النجف وحاضرها : ٣/ ٥٤٤ .

(٤٧)

عباس الملاّ علي

« ١٢٤٢ - ١٢٧٦هـ »

الشيخ عباس ابن الملاّ علي ابن الملاّ ياسين النجفي البغدادي .

هذا الشاعر بغداديّ الأصل ، فقد ولد في بغداد سنة ١٢٤٢هـ وقيل ١٢٤٤هـ ، ورحل مع أبيه إلى النّجف لغرض الدراسة ، فكان الأب قد أخذ من النجف نسكها وقدسيتها ، فعرف بذلك ، وهذا الأمر انغرز في ذات هذا الطفل فشب على حبّ المعرفة والأدب .

درس الولد الصغير وهو ابن خمس سنوات ، وما أن شبّ عن الطوق حتى عُرف بالفضل والصلاح والتقوى . وكان لأساتذته ـ فضلاً عن البيئة الأدبية العامة ـ أثرٌ في نزوعه نحو الأدب والشعر ، فأساتذته هم من الأدباء العلماء كالسيد حسين بحر العلوم والشيخ حسن قفطان والشيخ موسى والشيخ عبد الحسين آل محي الدين والشيخ إبراهيم صادق العاملي وكلهم أهل علم وأدب وصفاء .

هذه الظروف والأجواء كانت سبيلاً لا حباً يسلكه الشاعر الشيخ عباس ويتقدم فيه بذاته الشاعرة ، حتى ينال إعجاب شعراء العراق آنذاك ، فكتب وشارك في الحياة الثقافية شعراً ونثراً ، وصار من رموز الحركة الشعرية في العراق كلّه .

ومن شؤون هذا الشاعر الخاصة التي ذكرت عَنْهُ : أنّهُ عشق فتاةً لأحد (الكبار) الذين يتصل بهم هذا الشيخ فلم يزوّجه إيّاها ، فظلّ هائماً بها حتى أصابه السلّ وتوفي على أثره .

أقول هذا العشق الكبير لَوْ لَمْ تصادفه من الشيخ عفّة وصلاح، لكان من شأنه أن يولّد قصائد هي من عيون شعر الغزل والنسيب، ومع ذلك كان بعض شعره العفيف الذي نظمه الشيخ هو مما تناقلته الألسن، ومن ذلك قصيدته النونية المعروفة:

عديني وامطلي وعدي عديني ودِيني بالصبابة فهي ديني
ومني قبل بينك بالأماني فإن منيتي في أن تبيني
سلي شهب الكواكب عن سهادي وعن عد الكواكب فاسأليني
صلي دنفا بحبك أوقفته نواك على شفا جرف المنون
أما وهوى ملكت به فؤادي وليس وراء ذلك من يمين
لأنت أعزّ من نفسي عليها ولست أرى لنفسي من قرين
أما لنواكم أمد فيقضي إذا لم تقض عندكم ديوني
وكنت أظن أن لكم وفاء لقد خابت لعمر أبي ظنوني
هبوني أن لي ذنباً ومالي سوى كلفي بكم ذنباً هبوني
ألست بكم أكابد كل هول واحمل في هواكم كل هون
أصون هواكم والدمع يهمي دماً فيبوح بالسر المصون
وتعذلني العواذل إذ تراني اكفكف عارض الدمع الهتون
أعاذلتي دعي عذلي وذوقي بهم ما ذقته ثم اعذليني
يميناً لا سلوتهم يميناً وشلت أن سلوتهم يميني
جفوني بعد وصلهم وبانوا فسحي الدمع ويحك يا جفوني
لقد ظعنوا بقلبي يوم ساروا فها هو بين هاتيك الظعون
فمن لمتيم أصمت حشاه سهام حواجب وعيون عين
إذا ما عن ذكركم عليه يكاد يغص بالماء المعين
رهين في يد الأشواق عان فيا لله للعاني الرهين
إذا ما الليل جن بكيت شجوا وطارحت الحمائم في الغصون
ولو أبقت لي الزفرات صوتاً لا سكت السواجع بالحنين
بنفسي من وفيت لها وخانت وهيهات الوفي من الخؤون

أضن على النسيم يهب وهناً   بـرياها ومـا أنا بـالضنين
فـإن أك دونهـا شـرفـاً فـإني   لا حـسب هامـة العـيوق دوني
ومن مـثلي بيـوم وغى وجـود   وأي فـتى له حـسبي وديني
ومن ذا فـي المكـارم لـي يـداني   وهل لي في المكارم من قـريـن
وكم لي من مـآثر كـالدراري   وكم فـضل خـصصت به مـبين
فـمن عـزم غـداة الروع مـاض   كـحـد السيف تحـمله يميني
وحـلـم لا تـوازيـه الـرواسـي   إذا مـا خف ذو الحلم الرزين
وبأس عند مـعـتـرك المنايا   تقـاعس دونه أسـد العـرين
فـهـا أنا مـحـرز قـصب المعـالي   ومـا جـاوزت نصف الأربعين

وله :

الأم تسـر وجـدك وهو باد   وتـلـهـج بـالـسـلـو وأنت صـب
وتخـفي فـرط حبك خـوف واش   وهـل يخـفى لأهل الحب حب
ولولا الحب لم تك مـستـهـامـا   على خـديك للعـبـرات سكب
وإن ناحت على الأغـصـان ورق   يحن إلى الرصـافـة منك قلب
تحن لـهـا وإن لحت اللـواحي   وتذكـرها وإن غـضبوا فـتـصبـوا
وتصـبـو للغـوير وشـعب نجـد   وغـيـر الصب لا يصـبيـه شـعب
نعم شب الهـوى بحـشـاك ناراً   وكم لـلشـوق من نار تـشب
تشب ومنزل الأحـبـاب دان   فـهل هي بعـد بُعـد النار تخـبـو
أجل بـان التـجلد يوم بـانوا   واظلم بعـدهم شـرق وغـرب
فلي من لاعـجب الزفـرات زاد   ولي من سـافح العـبرات سـرب
وبين القلب والأشـجـان سلم   وبين النوم والأجـفـان حـرب
وليس هـوى المهى إلا عـذاب   ولكن العـذاب بهن عـذب
لحـا الله الحـوادث كم رمـتني   بفـادحـة لهـا ظهـري أجب

وله أيضاً :

شـام بالابرقين برقـا فـهـامـا   وامق هاج صـبـوة وغـرامـا

ذكـــرته الصـــبـــا ليـــالي أنس سلفت بالحـــمى فـــزاد هيـــامـــا
حـــبـــذا بالحـــمى زمـــان تقـــضى بين تلك الشـــعـــاب لو كـــان دامـا
كم به جـــاد لي الحـــبـــيب بوصل وبه نـلـت من زمـــانـي المرامـــا
أفـــتـــدي شـــادنـاً إذا مـــا تثنى أخـجل الســمـر والغـصـون قـوامـا
قـــام يسـعى بأكـــؤس كـــالدراري للندامى تنقض جـــامـــا فـــجـــامـــا
فســقــاني كـأسـاً به عـدت حـيـا بعـد مـا كـدت أن ألاقي الحـمـامـا
كـــــاس راح تريح قـلـب المعنى إن تجلت له وتبـــري الســـقـــامـــا
فـــترى الشـــمـس إنْ أدار مـدامـا وترى البـــدر إن أمـــاط لثـــامـــا
هاتهـــا هاتهـــا فـــقـــد حللتـــهـــا حـرمـات الهـوى وكـانت حـرامـا
ذمـــة للـهـــوى إذا لم تراعـــيـ ـهـا فـمن ذا الذي يراعي ذمـامـا
ســعـــد غـن لي بذكـــر الغـــواني فـــالعنا زال والســـرور أقـــامـــا
أو مـــا تبـــصـــر الرياض ابتـــهـاجـا أطلعت من جـيـوبهـا الأكـمـامـا
وغـــصـــون الهنا تميس ارتيـــاحـــا وثغـور الســعـود تبـدي ابتـاسـمـا

وله :

حي بالرقـــمـــتين حـــيـــا أقـــامـــوا حـــبـــذا منزل لهم ومـــقـــام
أنعـــمـــوا بالوصـــال عـــيني زمـــانا ثـم صـــدوا فـــصـــد عنهـــا المنام
وصـــلاني حـــتى إذا ملكوا القلـ ـب جفوني فاعتاد جسمي السقام
لم يراعـــوا حقّ الوداع ذمـــامـــا لمحب وللمــــــحب ذمـــــام
أمـن العـــــــدل أنهـم يوم بـانوا أيقظوا جـفني القـريح ونامـوا
ضـــربوا في ربى زرود خـــيـــامـــا لا تناءت تلك الربى والخـــيـــام
مـــــا حنيني إلى زرود ولا را مـة لولاكم مـا بهـا لي مـرام
إنما أنتم المنى حـــيـث كنتم ولقلبي أنّى أقـــمــتم هيـــام
فـــســلام على الغـــمـيم إذا مـــا فــيـه كنتم ولا عـداه الغـمـام
وإذا في دار الســـلام أقـــمـــتم فـــعلى ذلك المقـــام الســـلام
يا خليلي والهـــوى خليـــاني إن مـــثلي على الهـــوى لا يلام

وأسعداني على البكا فجفوني نزفت ماءها الدموع السجام
لست أصغي لا والهوى لعذول كيف يصغي لعاذل مستهام
أهل ودي هل يسمح الدهر يوماً بلقاكم وتسعف الأيام
عللونا ولو بطيف خيال علّ يطفا بين الضلوع أوام
قد سئمنا من الحياة وملت لنواكم أرواحها الأجسام
لم يدع قط صد كم لي حياة إنما الصد للمحب حمام
نم دمعي على هواكم وللدمـ ـع على كل ذي هوى نمام
شاطرتكم عواذلي بعذابي فتقاسمن جسمي الأسقام
بي من الوجد والصبابة ما لو بشمام لماد منه شمام
كبد بالجوى تشب وجسم ناحل شفه الجوى والسقام
وجفون قريحة وسهاد وعويل وزفرة وضرام
وفؤاد يحن شوقاً إليكم كلما ناح في الغصون حمام
لي فيكم بدر سباني سناه لو تجلى للناسكين لهاموا
بظلام من فاحم الشعر داج وجبين ينجاب عنه الظلام
وقوام تخاله الغصن لينا إن تثنى سباك ذاك القوام
لا تطيب المدام عندي ولكن من لمى ريقه تطيب المدام
كم رمتنا ألحاظه بسهام ما درينا أن اللحاظ سهام
مقل كالحسام تفتك لكن ليس تنبو يوماً وينبو الحسام
يا حبيباً لديه قتلي مباح في سبيل الهوى ووصلي حرام
منك شمس الضحى استمدت سناها واستعارت ألحاظها الآرام
لي قلب يغرى بحبك مهما عنف العاذلون فيك ولاموا
يعذب اللوم فيك وهو عذاب فليلمني بحبك اللوام
أنت دون الأنام مالك رقي وقيادي وتحت رقي الأنام
لك ألقى الهوى زمامي وقدما أنا ممن يلقى إليه الزمام
كيف يستامني الزمان هوانا أو مثلي على الهوان يسام
لي نفس تأبى المقام على الذل ولو أنها [هلاها] الحسام

وقوله من قصيدة :

غواني الخيف عن نعت غواني ... وعانيهن لا ينفك عاني
غوان لا يزار لهن مغنى ... ولكن في القلوب لها مغاني

يقول فيها :

ثماني للعلى شرفي وفضلي ... إذا قال الغبي أبي ثماني
كفاني أنني لعلاي دانت ... بنو العلياء من قاص وداني
وحسبي أنني من حيث أبدو ... أشار الناس نحوي بالبنان

وقوله :

صبرت على ما لو أطل قليله ... على هذه الدنيا أحال نهارها
فلله دهري ما أشد اعتداءه ... ولله نفسي ما أجل اصطبارها

وقوله :

لذ إن دهتك الرزايا ... والدهر عيشك نكد
بكاظم الغيظ موسى ... وبالجواد محمد

وقوله :

أيها الخائف المروع قلبا ... من وباء أولى فؤادك رعبا
لذ بأمن المخوف صنو رسول الـ ... ـله خير الأنام عجما وعربا
واحبس الركب في حمى خير حام ... حبست عنده بنو الدهر ركبا
وتمسك بعزّه والثم التر ... بخضوعاً له فبورك تربا
وإذا ما خشيت يوماً مضيقا ... فامتحن حبه تشاهده رحبا
واستشره على الزمان تجده ... لك سلماً من بعد ما كان حربا
فهو حصن اللاجي ومنتجع الآ ... مل والملتجى لمن خاف خطبا
من به تخصب البلاد إذا ما ... أمحل العام واشتكى الناس جدبا
وبه تفرج الكروب وهل من ... أحد غيره يفرج كربا
يا غياثاً لكل داع وغوثاً ... ما دعاه الصريخ إلاّ ولبّى

وغـمـامـاً سـحت غـوادي أياد يه فـأزرت بواكف الغـيث سكبـا
كيف تغضي وذي مواليك أضحت للردى مـغنمـاً وللمـوت نـهبـا
أو ترضى مـولاي حـاشـاك ترضى أن يروع الردى لحـزبك سـربا
أو ينال الزمـان بالسـوء قـومـاً أخلصتك الولا وأصـفـتك حـبـا
لست أنحـو سـواه لا وعـلاه ولـو أنّي قـطعـت إرباً فـأربا
في حـمـاه أنخت رحلي علمـاً أن من حل جنبـه عـزّ جنبـا
لست أعـبـا بالحـادثات ومن لا ذ بآل العـبـا فـذا ليس يعـبـا

وقال يمدح السيد حسين ابن السيد رضا ابن السيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي :

تذكـرت بالزوراء عـهـداً تقـدمـاً فسالت دموعي عند ذكراه عندما
فكم لي على الزوراء حسرة مغرم وهل حسرة تغني على البعد مغرما
وكم لي بهـاتيك المعـاهد وقـفـة حبست بها ركبي عشيا مسلما
أبث بهـا وجدي وتعرب عن جوى دموعي فيغدو الرسم بالنقط معجما
خليلي عـوجاً بالركاب على حمى نأى لا نأى حيا الحيا ذلك الحمى
قـفـا بي ولـو لوث الإزار لعلمـا نروي ثراها بالدمـوع لعلمـا
قفـا علناً نقضي ولو بعض حقـهـا وننشـد أطلالا تعـفت وأرسـمـا
نناشـد عـجـماً من طلول دوارس وهل لفـصيح أن يناشـد أعـجـمـا
لعل زمـانـاً بالرصـافـة عـائد وهل نافع قـولي لعل وليـتـمـا
سقاها الحيا مـا كـان أطيبـهـا لنا ومـا كـان أهنا العيش فيـهـا وأنعمـا
ونسم في أرجـائهـا نفس الصبـا يضوع أريج المسك من حيث نسما
فـيـا طالما دهري بهـا كـان مشـرقـاً وإن هو أمسى بعدها اليوم مظلمـا
ليـالي بتنا لا نراقب عندهـا رقـيـبـاً ولا نخشى وشـاة ولومـا
فـيـا لفـؤاد غـادرته يد الهـوى للحظ عـيون العين نهبا مقسمـا
ومن ذا لأجفان على السهد عودت وحـاربهـا طيب الهوى أن تـهـومـا
وقـائلة خـفض عليك فللهـوى شـؤن وإن كنت المشوق المتيـمـا
لئن صـد حـيناً من تحب فطالما عليك بوصل جـاد دهراً وأنعـمـا

ويا رب أمر ساء ليلاً فما انجلى لها الصبح حتى عاد بالبشر معلما
وهل يستطيع الصبر صب متيم أخو مقلة عبري جرى دمعها دما
ألم تعلمي أني وإن جئت آخرا إذا عُدَّ أهل الحب كنت المقدما
أما والهوى العذري حلفة صادق يبر إذا آلى يميناً وأقسما
لئن خانني في الحب من لا أخونه فودي له هيهات أن يتصرما
لحا الله دهراً لو أصابت يلملما حوادثه يوماً لهدت يلملما
أيحسبني أرضى بعيش مذمم وما الموت إلاّ أن أعيش مذمما
ولي نفس حر لو رأت أن ريها يشاب بضيم لاستمرت على الظما
ولا حملتني الخيل إن لم أخض بها غمار المنايا وهي فاغرة فما
وإن لم تغص البيد مني بفيلق فلا حملت كفي لدى الروع مخذما
لي الله كم لي وقفة بعد وقفة مع الدهر ردت عالي الدهر أجذما
على أنها الأيام لا در درها إذا منحتك الشهد دافته علقما
ومذ لم أجد في الدهر من ملجأ سوى أبي محسن يحمي النزيل ولا حمى
أنخت به رحلي على رغم حاسد وما زلت آناف الحواسد مرغما
مليك له ألقى الزمان قياده فأشرق من داجيه ما كان مظلما
هو البحر زخاراً هو البدر مشرقاً هو الغيث هطالا هو الليث مقدما
أخو راحة تهمي وتلثم تارة فما خلقت إلاّ لتهمي وتلثما
فتى لم يزل مغرى بمجد وسؤدد إذا كان مغرى غيره في هوى الدمى

وله :

ألا بأبي من تيم القلب حبها وأسقمني والحب يضني ويسقم
مهاة بنفسي أفتديها وأسرتي وإن لامني فيها وشاة ولوم
من العدل أن لا سهم لي من وصالها وفي كبدي منها على البين أسهم
فهل علمت ماذا يقاسي بحبها أخو كلف فيها معنى متيم
براه هواها وهو يكتم ما به من الوجد لو أن الهوى كان يكتم
يروح ويغدو من هواها على جوىً ممض ودمع فاض أكثره دم
فما بين دمع من دم القلب مسبل ونار جوى بين الجوانح تضرم

بها لم يزل بادي الصبابة مغرما / وما كل من أبدى الصبابة مغرم
تخالف منه القلب والجسم مذ نأت / فذا منجد شوقاً وذياك متهم
لقد كان يرضى بالخيال مسلما / ولكن جفا حتى الخيال المسلم

وله :

من لصب لا يرى عنكم براحا / سامه الدهر على الرغم انتزاحا
بحشاه لعبت أيدي الهوى / فغدا في طاعة الشوق وراحا
شد ما أمسى يعاني دنف / أثخنته أسهم البين جراحا
تترامى قلص العيس به / فربى طوراً وأطواراً بطاحاً
ود من طول النوى لو أنه / قبلها مات ولو مات استراحا

وله :

حبذا العيش بجرعاء الحمى / فلقد كان بها العيش رغيدا
لا عدا الغيث رباها فلكم / أنجز الدهر لنا فيها الوعودا
ولكم فيها قضينا وطرا / وسحبنا للهوى فيها برودا
يا رعى الله الدمى كم غادرت / من عميد واله القلب عميدا
ولكم قاد هواها سيدا / فغدا قسراً على الرغم مسودا
وبنفسي غادة مهما رنت / أخجلت سرب المها عيناً وجيدا
جرحت ألحاظها الأحشاء مذ / جرحت ألحاظنا منها الخدودا
رصدت كنز لئالي ثغرها / بأفاع أرسلتهن جعودا
وحمت ورد لماها بظبا / من لحاظ تورد الحتف الأسودا
يا مهاة بين سلع والنقا / سلبت رشدي وقد كنت الرشيدا
ولقتلي عقدت تيهاً على / قدها اللدن من الشعر بنودا
ما سبتني البيض لولاك وإن / كن عيناً قاصرات الطرف غيدا
يا رعاها الله من غادرة / جحدت ودي ولم ترع العهودا
منعت طرفي الكرى من بعدما / كان من وجنتها يجنى الورودا
ما الذي ضرك لو عدت فتى / عد أيام اللقا يا مي عيدا
وتعطفت على ذي أرق / لم تذق بعدك عيناه الهجودا

كم حسود فيك قد أرغمته فعلام بيَ أشمتّ الحسودا
جدت بالنفس وضنت باللقا فبفيض الدمع يا عيني جودا
نظمت ما نثرته أدمعي من لئال كثناياها عقودا
يا نزولاً بزرود وهم في سويداي وإن حلوا زرودا
قد مضت بيضاً ليالينا بكم وغدت بعدكم الأيام سودا
كنت قبل اليوم أشكو صدكم ثم بنتم فتمنيت الصدودا
هل لأيام النوى أن تنقضي ولأيام تقضت أن تعودا
أوْقَدَ البين بقلبي جذوة كلما هبت صبا زادت وقودا
عللونا بلقاكم فالحشا أوشكت بعد نواكم أن تبيدا
وإذا عنَّ لقلبي ذكركم خدد الدمع بخدي خدودا
شد ما كابدت من يوم النوى أنه كان على القلب شديدا
ناشدوا ريح الصبا عن كلفي إنها كانت لأشواقي بريدا
أنا ذاك الصب والعاني الذي بهواكم لم يزل صبا عميدا
حلت عن نهج الوفا يامي إن أنا حاولت عن الحب محيدا
وإذا ما أخلق النأي الهوى فغرامي ليس ينفك جديدا
لم يدع بينكم لي جلدا ولقد كنت على الدهر جليدا
من عذيري من هوى طل دمي وصدود جرع القلب صديدا
بي من الأشجان ما لو أنه بالرواسي الشم كادت أن تميدا
لو طلبتم لي مزيدا في الهوى ما وجدتم فوق ما بي مزيدا

من مصادر دراسته :

الاعلام ٤/ ٣٦ ، الأعيان : ٧/ ٤١٩ ، الحصون ٧/ ١٤ ، ٩/ ٣١٦ ، الذريعة ٩/ ٦٧٩ ، شعراء الغري ٥/ ٢٥ ، معجم المؤلفين العراقيين ٣/ ٢٠١ ، نهضة العراق الأدبية : ٢٠٢ ، مجلة العرفان : س ١٢/ ١٤٨ ، الكرام البررة : ٢/ ٦٨٩ ، معجم رجال الفكر : ١/ ٢٤٣ . معجم الشعراء العراقيين : ١٩٠ . تاريخ الأدب العربي في العراق ٢/ ٣٢٢ . العراقيات : ١/ ١٥١ . ديوان الشيخ عباس الملا علي البغدادي النجفي ، المقدمة بقلم المحقق الشيخ محمد علي اليعقوبي .

(٤٨)
علي نظام الدولة

«١٢٢٢ - ١٢٧٦هـ»

علي محمد خان نظام الدولة ابن عبد الله خان أمين الدولة ابن محمد خان الصّدر الأعظم للسلطان فتح علي شاه .

هذا الرجل الجليل من الرجال القلائل في الدنيا ، الذين يعزّ نظيرهم ، فهو أمير وابن أمراء وصهر الشاه القاجاري على ابنته الملقبة بشمس الدولة . كان والياً من قبل السلطان على أصفهان ثم كاشان ، ولأن نفسه الزكية فُطرتْ على حبّ الدين وأهله ، ولكثرة مطالعاته وشغفه الحقيقي بالعلم ، وبعد كل ما حصل بين يديه من بهارج الدنيا وزخارفها التي يطمح إليها كل البشر ، ترك كل ذلك وتوجّه صوب النجف الأشرف مجاوراً لبطل الإسلام علي بن ابن طالب ، آخذاً من نمير علوم آل محمد «ص» ، ترك زوجته بنت السلطان هناك في إيران وجاء إلى النجف في عام الطاعون ١٢٤٧ هـ ، فأخذ يهذب نفسه وسلوكه فيها حتى صار من عباد الله الأولياء . وانتهل المعارف الإسلامية من مصادرها حتى صار من فقهاء عصره الأجلاء . حَضَر على الشيخ صاحب الجواهر والميرزا حسن ابن الملا علي النوري وغيرهما ، فكان فقيهاً متكلماً عارفاً له معرفة بالحساب والكيمياء وما إلى ذلك .

حَرَص على جمع الكتب فكانت له مكتبة نفيسة تضم عشرين ألف مجلد تلف معظمها بعده . كتب في علوم الإسلام فكانت له آثار طيِّبة في الأصول والفقه والكلام والرجال والعرفان والتصوف وغيرها من الآثار العلمية فيما يزيد على العشرين مجلداً .

هذه الحياة التي عاشها جعلته يرفض العودة إلى الحكم والحكومة في إيران ، برغم كثرة إلحاح السلطان عليه في طهران بالعودة ، حتى أرسل إليه

مرّة : لا أترك الحياة الاخروية للأمور الدنيوية .

لم يكتف هذا العالم الجليل بكل هذا ، بلْ كان يتوفر على ملكة كبيرة أخرى وهي ملكة الأدب والشعر ، فكان ناثراً وشاعراً في اللغتين العربية والفارسية كذلك ، ومن شعره :

من مبلغن حمامات ببطحاء فيم الإقامة يا جسمي بزوراء
فكيف حال عديم الروح ذي شجن وجسمه واصل بالسقم والداء
شفاء أسقامنا من سقم مقلتها حتام حتام تدبير الأطباء
عيون خشفي كفت حتفي فما جزعي من غير هاتين أسقامي وأدوائي
فاعجب بقلب جزوع من عيون مهى وليس يجزع من آساد هيجاء
عيني رأت ظبية باللحظ تقتلني لله عيني وإن تسعى بافنائي
حيات أصداغها تسعى بوجنتها وسمها بين أكبادي وأحشائي
ازورّ عني بزوراء السرور فما لقيت فيها سوى أصناف ضرّاء
عشق وسقم وأحزان وأعظمها قرب العدات وهجران الأحباء

وله من قصيدة يمدح بها الإمام عليا «ع» قوله :

على أمير المؤمنين إمامنا ومن نبتغي في حبه أجزل الأجر
ومن بعده شبلاه أشبال شبله الأبي الضيم بالبيض والسمر [كذا]
إلى أن تردى الموت حمراً ثيابه فبدله ذو العرش بالسندس الخضر
من الله فيهم ظاهر كل آية على ما له منهم من السبر في الستر
فطوبى لمن حاز السعادة فائزاً بتصديق ما لله فيه من السر
هم خير خلق الله بعد نبيه وهم بالخصوص في النصوص أولو الأمر
فهل يهتدي في الدين إلا من اهتدى بنور علي ثم أولاده الطهر

ومنها يقول :

مقام علي يوم أحد وخيبر ومن قبل ذا عند الهزاهز في بدر
وفي يوم أحزاب وقد جد جدهم مقام علي حيث قام إلى عمرو
وقد بخ من أفراغه في صماخهم قوارع يبعثن النميري للكر
علاه بلا مهل بسيف كأنه شهاب يضيء الداجيات متى يسري

فخر صريعاً كالثبير مجدلاً وصيره شفعاً بضربته الوتر
يسابق امضاء القضاء مضاؤه وفيه قضاء الله حتما بذا يجري
وضربته النجلاء بالنص فضلت على كل أعمال العباد إلى الحشر
إليك من النار الحريق فرارنا فأنت قسيم النار والخلد بالأمر
وأنت الذي لم تلق خصمك عاريا فكيف بالقاء الولي على الجمر
عليك سلام الله يا صهر أحمد وأولادك الابرار والانجم الزهر

وقوله :

لحا الله اخوانا كثيراً عدادهم وإن كنت منهم واحداً لا أخاليا
أعادي صديقي إن عرتني مضاضة وأحباب كذب أن تكثر قاليا

وقوله :

تغيرت عن ودي إذ جدَّ هازل وكنت أرى أن لا يغيرك الدهر
بلى نوب الأيام يبدين خافيا ويكشفن عن أشياء من دونها ستر
وإن بحي العامرية جؤذر تذيب قلوب الأسد أحداقها النجل
لحاجبها قوس رهين إصابة محال عليها أن يرد لها نبل

من مصادر دراسته :

أعيان الشيعة : ٨/ ٣٣١ . شعراء الغري : ٦/ ٢٧٦ . ماضي النجف : ١/ ١٥٥ ، ٣/ ٤٩٠ . معجم رجال الفكر : ٣/ ١٢٩٢ . الذريعة : ٤/ ٣٨٢ ، ١٢/ ٢١٢ . نقباء البشر : ١/ ٢٣٤ .

(٤٩)

حسين الجواهري

«/ - ١٢٧٧»هـ

الشيخ حسين ابن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر النجفي .

وُلد هذا الشيخ في النجف الأشرف ، وتربى في حجر والده الفقيه المعظم الشيخ محمد حسن ، غير أن نفسه مالت إلى الأدب والشعر جملة ، فنظم الشعر الكثير حتى صار من شعراء عصره الكبار .

توفي في مرض «النسر السام» في ١٢٧٧ أو ١٢٨٠ هـ على اختلاف في الأقوال . ومن شعره :

يا من أباح غداة البين سفك دمي ... عطفاً وإن كان حسن الصبر من شيمي
أشكو له عظم ما ألقى فينشد لي ... وهل على عربي يعطف العجمي

وله من أخرى :

إذا ضاق من نفسي الخناق زجرتها ... بعزم كحد السيف والسيف قاطع
أقول لها لا تجزعي من ملمة ... فما جزع الإنسان ويحك نافع
ويا عين كفي من دموعك إنما ... تثير الجوى بين الضلوع المدامع
علام البكا لو تعقلين أفي الورى ... خليل يفي في وده لا يصانع
أغرك جفن ناعس فوق وجنة ... كأن عليها كوكب الأفق واقع
أم القامة الهيفاء أشرق فوقها ... سنا قمر من غيهب الشعر طالع
طمعت بود صادق من مماذق ... واتعب شيء للنفوس المطامع
تقضى زمان الوصل بيني وبينها ... وما كل مفقود من المرء راجع

ومن شعره :

هو الحب لو تدري بما يصنع الحب ... لأعذرت مضنى في الهوى دمعه سكب
أتزعم نصح الصب حين تلومه ... وتحسب أن النصح يقبله الصب

يغالطني اللاحي فأصبو لذكره ... وإما لما يهذي فحاشاي أن أصبو
فلله دمعي يوم رقه النوى ... بعينين لا يخفى ولا هو منصب
تكفكفه كفي مخافة عاذل ... وفي القلب نار للاحبة لا تخبو
فللّه قلبي إذ تقفّى ركابهم ... ينادي بهم مهلا وقد بعد الركب
أسائلكم رفقاً فإن وراءكم ... فؤاداً إذا ما الشوق أنهضه يكبو
وإني إذا هبت صباً تستفزني ... فأرق أجفاني وقد رقد الصحب
تذكرني أيام لهو قضيتها ... بعصر شباب لا يرجًّى له قرب
سلوا ربعكم كم قد سقته مدامعي ... غداة عليه بالحيا ضنَّت السحب

إلى أن قال :

يقايسني فيمن سواي من الورى ... أكل ضروب الناس في نصله ضرب
فإني وإن كنت الحليم على الأذى ... فللبطش أسياف لعمرك لا تنبو
ألست من القوم الذين بنوا لهم ... بيوتاً على العلياء من دونها الشهب
ومن معشر سادوا الأنام بفضلهم ... فظلت تغني فيهم العجم والعرب

* * *

سأركبها جرداً أخوض بها الردى ... وترسب بي آناً وآونة تربو
أجوب الفلا نصلا بعزمي مفردا ... وليس معي إلا الذوابل والحدب
فإن الفنا للمرء أصدق صاحب ... وأخلص خل بعدها للفتى القضب

ولَه :

سلو الليلة الأولى التي بنتم بها ... عسى يعرف الوجد المبرّح بالصبّ
بكيت بها حتى اشبت قرونها ... عليكم بوجد يحفز القلب من جنبي
وخلّو عن الأخرى فأيسر خطبها ... وددت بأني قَدْ قضيت بها نحبي

من مصادر ترجمته :

شعراء الغري : ٣/ ١٧٥ . ماضي النجف : ٢/ ١٠٧ ، الحصون : ٢/ ٢١٩ .

(٥٠)

محمد حرز الدين

«١١٩٣ - ١٢٧٧» هـ

الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ حمد الله ابن الشيخ محمود حرز الدين المسلمي النجفي. أحد أعلام هذه الأسرة الكريمة في النجف الأشرف، التي برز منها علماء وأدباء صالحون.

ولد في النجف وفيها نشأ على العلوم والمعارف الإسلامية، حتى كان واحداً من فقهائها البارزين وزان ذلك العلم بأدبه وشعره، عُرف عنه الصلاح والسّعي في قضاء حوائج المؤمنين.

تتلمذ على جملة من علماء عصره، ومنهم الشيخ علي صاحب الخيارات المتوفي ١٢٥٣ هـ والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، والسيد مهدي القزويني والشيخ محمد حسين الكاظمي. لَهُ مؤلفات عدّة منها كتاب الحج في الفقه الاستدلالي، وكتاب الحاشية في المنطق، وهو شرح على الشمسية. وكتاب المصباح وهو في الأدعية والأوراد، وكتاب في تاريخ مقتل الإمام الحسين «ع»، ومجموع أدبي تضمن شعره وبعض شعر غيره من معاصريه، وله كتاب شرح الحديث وهو شرح لكتاب استاذه السيد مهدي القزويني الذي هو شرح لنظم السيد بحر العلوم في مضمون الحديث. تتلمذ عليه جملة من الأفاضل ومنهم الشيخ إبراهيم السوداني.

ومن شعره:

قف بالديار وسل عن جيرة الحَرَمِ ... أهل أقاموا برضوى أمْ بذي سَلَمِ
أمّ يمّموا الصعب قوداً نحو قارعة ... ومحنة رسمت في اللوح بالقلمِ
أمْ للردى شمّرتْ تسعى ركائبهم ... تطوي القفار كنسر البيد مِنْ هِمَمَ
أمْ قَدْ غدا في لظى الرمضاء ركبُهُمُ ... نحو الردى والهدى لله من حكمِ
يستنهض السير نحو الموت متّشحاً ... برد المكارم والتبجيل من كرمِ

ويقول فيها :

غرثى عطاش على الأعداء قد هدرتْ هدر الأسودِ على الآسادِ والغَنَمِ
فوق الثوى غودِروا صرعى على ظمأً والماء خفّ بعوج البيض والخذمِ
يستقبلون المواضي والقنا طَرَبا ما بين منتدبٍ شوقاً ومبتسمِ
في كل معتركٍ تحكي صوارمهمْ جزر المدى بيد الجزّار للنعمِ
يقتادهم بطلٌ في ظهر سابحة تجري بموج من الأبطال ملتطمِ
إنْ شمّرتْ للردى في الكون عادية أرنى كليث على الأعداء مبتسمِ
كأنَّهُ وهو في فردٍ عجاجتها ليث يشدّ على الأبطال في الأجمِ

وله في رثاء مسلم بن عقيل «ع» :

ألِلْدارِ أبكي إذْ تحمّل أهلها أمْ السيد السجاد أمْ أبكي مسلما
هَمام عليه الكون ألوى عنانهُ وخانت به الأقدار لما تقدّما
تجمّعت الأحزاب تطلب ذحلها عليه وفيها العلج عدواً تحكّما
كأني به بين الجماهير مفرداً يحطّم في الحامين لدنا ولهذما

ولَهُ مخمّساً أبيات الجزيني الكناني في مدح زيد ابن علي «عليهما السلام» :

أبيٌّ يرى أن المصاليت والقنا لديها المعالي في الكريهة تجتني
تولت حيارى القوم تطلب مأمنا ولما تردى بالحمائل وانثنى
يصول بأطراف القنا والذوابل
فتى كان لا يهفو حذاراً جنانه وقوع العوالي في الكريهة شانه
ولما انثنى للشوس يعدو حصانه تبينت الأعداء أن سنانه
يطيل حنين الأمهات الثواكل
همام إذا ما القعضبية في اللقا تحوم تراه في الكتيبة فيلقا
ولما علا ظهر المطهم وارتقى تبيّن منه مبسم العزّ والتّقى
وليداً يفدى بين أيدي القوابل

وقال راثياً ولده جعفر وكان شاباً بقصائد عديدة منها :

عليّ الدهر بالنكبات صالا وفاجأني بنكبته اغتيالا
وأوهى جانبيّ فصار جسمي لما ألقاه من زمني خلالا
وآلم ما لقيت من الرزايا فراق أحبة خفوا ارتحالا
ومن شأن القروح لها اندمال وقرحة جعفر تأبى اندمالا
أروم سلوه فتقول نفسي تخيل مقتلي منه خيالا
أراني كلما أبصرت شيئاً رويدك لا تسل مني محالا

من مصادر دراسته :

معارف الرجال : ٢/ ٣٤٠ . شعراء الغري : ١٠/ ٥١٣ . ماضي النجف : ٣/ ١٦٦ . مشهد الإمام : ٣/ ١٠٣ . معجم رجال الفكر : ١/ ٤٠٦ .

(٥١)

حسين البروجردي

«القرن الثالث عشر الهجري»

السيد حسين ابن السيد محمد رضا الحسيني البروجردي . الفقيه الأصولي المفسر الرجالي الشاعر ، درس في النجف على علماء عصره مثل الشيخ حسن بن الشيخ جعفر وغيره حتى بلغ مرتبة الفقاهة ، فعادَ إلى وطنه الأصلي بروجرد مواصلاً بحوثه العلمية ، وتدريس الشريعة الإسلامية هناك حتى توفي فيها سنة ١٢٧٧ هـ وقيل غير هذا .

له من الآثار العلمية :

١ ـ نخبة المقاول منظومة في علم الرجال .

٢ ـ مقباس الدراية في أحكام الولاية .

٣ ـ تعليقات على تفسير البيضاوي .

٤ ـ رسالة الأمر بالشيء لا يقتضي النهي عن ضدّه .

٥ ـ تعليقات في الأصول .

٦ ـ تفسير سورة الأعلى .

٧ ـ تفسير سورة النور .

٨ ـ المستطرفات .

٩ ـ تفسير سورة البقرة .

ومما نأسف له أننا لم نعثر له على شعر ، على أنه كان من شعراء عصره ، ولَهُ منظومة في الرجال يذكر في جملتها اساتذه كالشيخ حسن بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء ، والشيخ صاحب الجواهر والشيخ محمد حسين صاحب كتاب الفصول كما في هذه الأبيات :

وشيـخنا ابن الشيخ جعفـر حسن　　منه اســتــفــدنا برهةً من الزَّمَنْ
ثمّ مـحـمـد حـسن بن البـاقـرِ　　شـيخ جليل صـاحب الجـواهر
أخـــو الـنقيّ قـــدرة الـفـــحـــولِ　　مـصنف الفـصـول في الأصـولِ

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ٣/ ١٧٨ . الحصون المنيعة : ٤/ ١٥٩ . الأعيان : ٦/ ١٨ . أحسن الوديعة : ٢/ ١٥٠ . نقباء البشر : ٣/ ١٠٧٨ .

(٥٢)
باقر الكاظمي

«/ - ١٢٧٨» هـ

الشيخ باقر ابن الشيخ هادي الكاظمي ، من فضلاء أدباء النجف وشعرائها الكبار في عصره ، أثنى على شعره وفضله وصلاحه المؤرخون لَهُ ، وذكروا أنه كان لا يتكسب بشعره .

اشترك في الندرة الأدبية التي عقدت في النجف سنة ١٢٦٦ هـ ، مع كوكبة من أدبائها وشعرائها ، كالشيخ موسى محي الدين الذي يبدو أنه المؤسس لها ، والسيد محمد بن معصوم ، والشيخ أحمد العاملي والميرزا صالح القزويني وغيرهم . فكان لشاعرنا الشيخ باقر حضور مهمٌّ فيها ، كما كان له حضور أدبي في الأوساط الأدبية عموماً .

من شعره ، هذه القصيدة التي تثني على (تقرض) موشح السيد صالح القزويني المعروف ، وهي تظهر رقةً وشاعرية طيبة خصوصاً إذا ما نظرنا إلى عهدها الذي كتب فيه :

عقد نظم أزرى بسمط الجمان ... ضاق عن وصفه نطاق البيان
يا له من موشح راقت الالـ ... ـفاظ منه لرقة في المعاني
يتلالا سناً كأن عليه ... فلقاً قد أمده النيران
اعجزت آي المجاري سفاها ... هل تجارى آي من القرآن
فات سبقاً عن مدح من مدحوه ... ليت شعري ماذا يقول لساني
فائز بالسباق في حلبات الـ ... ـفضل والمكرمات يوم الرهان
ما دعت باسمه المروعات الا ... كن من حادث الردى في أمان
لا تطل في نعوته إن في عيـ ... ـن عياني غنى عن التبيان

وله يرثي الشيخ محمد ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء:

من البس العليا حدادا ومن الهدى ركنا أمادا
يوم به للدين اعـ ـظم محنة دهت العبادا
يوم به أودى محمد من لربع العلم شادا
فليبكه الليل البهيـ ـم فكم جفا فيه الوسادا
فارقت عيشاً فانيا وتخذت خير الزاد زادا
لولا عزاء النفس بالـ ـمهدي من سن الرشادا
علم الهدى بحر الندى من طاول السبع الشدادا
وبجعفر رب النهى من جاد بالنعمى فسادا
لقضت علي لواعج سكنت من الجسم الفؤادا
ما تبصر العينان إلاّ محسنا منكم جوادا
قامت بكم للعلم سو ق بعدما شكت الكسادا
من حاد عنكم إنما عن نهج دين الله حادا

ومن شعره:

حتام تجفو مُعنّى القلب حتّاما وما اجترحت بشرع الحب آثاما
لي مقلتا سهر لولاك ما همتا ولي فؤاد شج لولاك ما هاما
أصفيتك الود من قلبي وتمنحني قلى وتمنح جسمي منك اسقاما
رفقاً بمهجة صب أنت ساكنها يا مُتلفي كلفا وجدا وتهياما
يلومني منك صاحي القلب من كلف لو كان بشرب كأس الحب ما لاما
لو لم يكن في خلال اللوم ذكرك لم أصغ فاسمع عذالا ولواما
من لي بقرب غزال اهيف غنج إن منَّ بالوصل يوما صدّ أعواما
يا بانة المنحنى حيتك غادية ويا زمان النقى بوركت أياما
كم مالت النفس ما تهواه من أرب وغازل الطرف مني فيك آراما
يا حبذا لفتات للنعيم خلت كأن أيامها قد كن أحلاما
وحبذا عودة للدهر ثانية ألم فيها سرور النفس الماما

في عرس إنسان عين المجد أكرمها أباً وجداً وأخوالاً وأعماما
فليهنك الفخر إذ أصبحت سبط فتى أرسى على هامة العيّوق اقداما
يعطي العطاء المهنا وهو مبتسمٌ تراه عند ازدحام الوفد بساما
قد شاع فضلك بين الناس قاطبة وسار في الأرض انجادا واتهاما
فكم هديت أناسا للطريق وكم أطلقت من ربقة التقليد اقواما
يا نعمة عظمت قدرا على ملأ لولاك ما عرفوا لله أحكاما
جزيت عن أحمد خير الجزاء فقد أحكمت شرعته الغراء أحكاما
واسلم حليف سرور لا يكدره ريب الزمان ونعمى ظلها داما

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١/ ٣٥٥ . معجم رجال الفكر والأدب : ٣/ ١٠٦ . أعيان الشيعة : ٣/ ٥٣٩ . الكرام البررة : ١/ ١٩٦ . معارف الرجال : ٣/ ٤٣ .

(٥٣)
ناجي قفطان

« / - ١٢٧٨هـ »

الشيخ ناجي ابن الشيخ محمد ابن الشيخ علي ابن الشيخ نجم «آل قفطان» السعدي النجفي .

كان أحد أدباء النجف في القرن الثالث عشر الهجري وكتابه الأدباء ، عُرف بحسن الخطّ وبرعَ في هذا الفن . إن هذا الشيخ الشاعر هو أحد الخطاطين البارعين الذين ما تزال مآثر فنهم شاهدة على ذوقهم العالي وفنهم النفيس الراقي ، ومن ذلك الكتابة التي طوقت طرف الصحن الأعلى ، وكذلك - وبحكم عمله - نسخ بعض الكتب العلمية بحيث صارت من حيث جودة الخط وحسنه من نفائس المخطوات ، ومن ذلك ديوان السيد صالح القزويني البغدادي المسمّى بـ (الدرر الغروية) ، وقيل إن إبداعاته الفنية في (خطّ الديواني) كانت مما عُرف بهِ هذا الشيخ الأديب .

لقد أعقب هذا الشيخ الأديب الفنان (الخطاط) ولداً هو الشيخ باقر الذي كان أيضاً أديباً وفناناً (خطاطاً) معروفاً ، وقد نسخ بعض الكتب .

أما أخوه الشيخ محمد علي فقد كان من الأفاضل والأدباء الأمائل ، وكان حسن الخطّ أيضاً ، ومن هنا فقد نسخ بعض الكتب بقلمه ، وقد أعقب الشيخ كريم الذي كان خطاطاً أيضاً ونسخ بعض الكتب .

كان الشيخ ناجي شاعراً وخطاطاً كما أسلفنا ، وقد جمع كلا الفضيلتين في لوحة فنيّة دالة على توفيقه لخدمة الحرم العلوي المقدّس وعلى توجيه فنه بما يناسب شخصيته الدينية والاجتماعية ، أعني بذلك تلك الأبيات التي نظمها في أمير المؤمنين وخطّها بالكاشي في أعلى (باب الطوسي) للمشهد الشريف ، وهي :

يا زائراً جــدث الوصيّ المرتضى لُذْ في حـمـاهُ وقف بجـانب بابه
وٱخـضـع لعـزّ جنابه وٱلثم ثرى أعـتـابه وانشقْ عـبـيـر ترابه
وٱدخل بآداب السكينة وٱستلمْ أركـانه عند الطواف بغـابه
وقل السـلام عليك يا مَنْ حـبُّـهُ كلّ الخطايا في غـدٍ تمحى به
ومليك فـازعـةِ المعـادِ إيابُه وحـسـابه وثوابه وعـقـابه

من مصادر دراسته :

معارف الرجال : ٣/ ١٧٢ .

(٥٤)

إبراهيم قفطان

(١١٩٩ - ١٢٧٩هـ)

الشيخ إبراهيم ابن الشيخ حسن ابن الشيخ علي بن نجم قفطان السعدي الرياحي النجفيّ .

شاء الله تعالى أنْ يكون مولد هذا العالم خارج مدينة آبائه وأجداده النجف ، فقد فرّت أُسرته على أثر الطاعون الذي حلّ بالنجف إلى منطقةَ الحسْكة (الحسچة) من المناطق الفراتية وكانت ولادتُهُ هناك ، ومن ثمَّ يعود مع أسَرته إلى النجف الأشرف ، فينشأ نشأة أبناء الأسر العلمية ، في تلقي مبادىء العلوم الإسلامية ، ويترقى في المعارف فيدرس على يد علمائها العظام ـ كالشيخ علي والشيخ حسن الشيخ جعفر الكبير ، وكذلك على يد الاستاذ الأعظم الشيخ محمد حسن صاحب الموسوعة الفقهية الجليلة (جواهر الكلام) ، وعلى الشيخ عبد الحسين الطريحي ، والشيخ مرتضى الأنصاري وغيرهم من الأجلاء . . كما تتلمذ عليه بعض أولاد العلماء مما يعني وفور حظّه من المعرفة والعلم بعرف الدراسة النجفيّة آنذاك .

عُرف ـ رحمه الله ـ بالعلم والفقاهة والورع والأدب ، بلْ عُرف عنه أنه كان له في كل علم مهارة ، ومنها حسن الخط الذي عُرف به بعض أفراد أسرته . ومع كل ما لديه من العلم والمعرفة ، فقد كانت له روح شفافة ، وفكاهة معلومة وطرائف مسطورة .

ومن آثاره :

١ ـ مسوّدة كتاب في الرهن .

٢ ـ رسالة في : أقلّ الواجبات في حجّ التمتع ـ اختصرها من مناسك

الحج لاستاذه الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر وعرضها على الشيخ الأنصاري ، وعلّق عليها ما هو طبق فتواه .

٣ ـ رسالة في : حلية التمتع ، كتبها بطلب الشيخ صاحب الجواهر ، ردّاً على شبهات العامة حول التمتع .

٤ ـ قاطعة النزاع في أحكام الرضاع ، رسالة فقهية استدلالية منسوبة لَهُ .

٥ ـ ديوان شعره ، وهو ضائع ، ومن هنا أثبت له الخاقاني ما استطاع أنْ يجمعه له من شعره وفق منهجه .

كان العصر الذي عاشه شاعرنا ـ يرحمه الله ـ يعجّ بالشعراء والأدباء ، ولذا لمْ ينل من شهرة الأدب ما ناله الآخرون ، ومع ذلك فله شعر كثير في مواضيع شتى ، خصوصاً مدائحه ومراثيه لعلماء عصره ، كما له مراثٍ عديدة للحسين «ع» وسنأتي على ذكر بعضها .

ومما يروى عنه من النكات الأدبية : إن الشيخ خرج في بعض السنين إلى منطقة الجعارة في مكان يسمى «أبو الدبيغ» فلاقى فيه صعوبة فأرسل إلى صديقيه السيدين محمد وحسين من آل زوين بهذه الأبيات :

شكوت لسيديّ مقام أرضٍ ... تجنب أهلَها العيشُ الرغيدُ
نزلت «أبا الدبيغ» فأندبغنا ... به مُذْ كظّنا البرد الشديدُ
ترى سبخاءهُ بيضاء ملحاً ... وأوجهنا من الدّخّانِ سودُ

كما كتب شاعرنا شعراً على طريقة البند .

ومن شعره هذه الأبيات في رثاء سيد الشهداء :

أنيخت لهم عند الطفوف ركاب ... وناداهم داعي القضا فأجابوا
ولما استطابوا من سما الحرب نقعها ... أثارته شيب منهم وشباب
يقودون للحرب العوان شوازباً ... لها بين أرجاء الفضاء هباب
تقل عليها من لويّ فوارس ... شداد على وقع النصال صلاب
لقد شغفوا بالبيض وهي صوارم ... وفي نغم الشادين وهو ضراب
لهم حسب زاكي الفخار وهاشم ... لهم نسب لا عامر وكلاب

مواض مواض قد تحلوا بمثلها أسود لها زرق الأسنة غاب
ينيلون من قد نال منهم فلا يرى لهم بسوى الرفد العميم عقاب
وثابت إلى نصر ابن بنت نبيها ضراغم غيل في الهياج غضاب
هوى لثواب الله منهم وطالما إلى كل ما فيه الإثابة ثابوا
إذا ظمىء الخطي في حومة الوغى فليس سوى ماء القلوب شراب
وإن جانب الهندي في الحرب غمده فما الغمد إلا هامة ورقاب
يميسون شوقاً للمواضي كأنما حدود المواضي مبسم ورضاب
كأن قناهم وهي تخترق الكلى لها بين أفلاذ الضمير طلاب
إلى أن هووا فوق الثرى فتسنمت عليهم من المجد العريق قباب
بنفسي بدوراً بالنواويس أشرقت علاها وحاشاها الافول فغابوا
وجاءت بنو حرب تخوّف أصيداً من الموت ضلوا في السبيل فخابوا
رأوا أنه يعطي الدنية خشية الـ ـمنية كلا إن ذاك سراب
فديت الذي يستعطف القوم عتبة وكيف وهل يثني العتات عتاب
ويقرع بالوعظ الجميل مسامعاً وهل يسمع العجم الرعاع خطاب
يناديهم هل من نصير فلم يكن سوى السمر والبيض الرقاق جواب
فجر عليهم من كتائب عزمه كتائب حرب دونهن حراب
وأذكى لظى الهيجا عليهم وقد غدا على الشمس من نسج العجاج حجاب
وسامهم عضب الشبا فكأنهم فراش ومصقول الفرند شهاب
كأن لعينيه المواضي خرائد لها من دماء الدارعين خضاب
إلى أن دنا ما حتمته يد القضا وما خطه في العالمين كتابُ
فخر على وجه الثرى علة الورى فلله خطب قد عرا ومصاب
بنفسي عار بالعراء وللعدى ذهاب على جثمانه وإياب
كرائمه للظالمين غنيمة وأمواله للناهبين نهاب

وله يرثي الإمام الحسين (ع) :

سفه وقوفك بين تلك الأرسم وسؤال رسم دارس مستعجم
يا ربع مالك موحشاً من بعدما قد كنت للوفاد محشد موسم

أفكلما بالغت في كتم الهوى غلبتك زفرة حسرة لم تكتم
هلاّ وفيت بأن قضيت كما وفى صحب ابن فاطمة بشهر محرم
قوم ترى بسيوفهم وأكفّهم في الخصم والعافين أوضح ميسم
من كل وضاح الفخار لهاشم يعزى علا ولآل غالب ينتمي
تخذ المواضي حلية وببأسه ثقة له عن صارم أو لهذم
يتسابقون إذا دعوا لكريهة فكأن قرع البيض صوت منغم
وإذا هم سمعوا الصريخ تواثبوا (ما بين سافع مهره أو ملجم)
نفر قضوا عطشاً ومن إيمانهم ريّ العطاش بجنب نهر العلقمي
أسفي على تلك الجسوم تقسمت بيد الظبا وغدت سهام الأسهم
قد جلّ بأس ابن النبي لدى الوغى عن أن يحيط به فم المتكلم
إذ هدَّ ركنهم بكل مهند وأقام مائلهم بكل مقوم
من كابن فاطم يوم حاطمة الوغى والشوس بين مطرسم أو محجم
ينحو العدى فتفرّ عنه كأنهم حمر تنافر من زئير الضيغم
ويسل أبيض في الهياج تخاله صبحاً تبلج تحت ليل مظلم
ويهزّ أسمر في الكفاح كأنهم صل تلوى في يمين غشمشم
وإذا العداة تنضدت فرسانها في كل سطر بالأسنة معجم
وافاهم فحمى صحاف صفاحهم مسحاً بخط مقوَّم ومصمم
قد كاد يفنى جمعهم لولا الذي قد خط في لوح القضاء المحكم
حتى إذا ضاق الفضاء بعزمه ألوى به للحشر غير مذمم
سهم رمى أحشاك يا ابن المصطفى سهم به كبد الهداية قد رمي
يا أرض ميدي يا سماء تفطري يا شمس غيبي يا جبال تقسي
يا نفس ذوبي يا جفون تقرحي يا عين جودي يا مدامعنا اسجمي
لم أنس زينب وهي تدعو بينهم يا قوم ما في جمعكم من مسلم
إنّا بنات المصطفى ووصيّه ومخدرات بني الحطيم وزمزم
ما دار في خلدي مجاذبة العدى مني رداي ولا جرى بتوهمي
قد أزعجوا أيتامنا قد أججوا بخيامنا لهب السعير المضرم

وله :

لما نصبت شركاً يا ظبية الوادي في ذلك النادي
هدّت فؤاداً قيدته نغمة الشادي فهل له فاد
لله روض قطفت من جنتي عاد عاد بن شداد
بي سعة أطلب أن تطبق أعضادي حبالة الشادي
لم يرني على ضنى جسمي عوادي من لي بعوّاد
وحيثما كان هواك فرض تسهادي ألفت تسهادي
أقول للظعن وقد حدا به الحادي الحادي بالحادي
فلا مقيم أيها الحادي ولا هادي بالقمر الهادي
أصخ بسمعيك إلى رقيق انشادي من بعد إنشادي
عن مهجة لي تبعت ركابك العادي بالرشأ العادي
جهد الهوى جسم نحيف فوق اقتاد رهين اقياد
بريقك العذب المحلى يرتوي الصادي وقلبي الصادي
زرني ولو طيف خيال فيه إسعادي هيهات إسعادي
عهدي بها بين المطايا ساقها الحادي لا أفلح الحادي
شهدت ميثاق الهوى فكان إشهادي من قبل ميلادي

وله أيضاً قوله :

تمسكت بالتقوى لدى كل مطلب ومن يتق الله استتمت مطالبه
وكم هددتني بالليالي جحافل من العسر تعدو بالشتات سباسبه
وحكت على عزمي كلا كل روعها وقد كاد أن ينقض منه جوانبه
فعارضها ثبت الجنان بصارم من العزم ماض لا تفل مضاربه
أقول لها والحرب قامت قناته وبالصبر يستدني السلامة صاحبه
حذارك من بأس امرء لا تروعه على الدهر من قبل الفطام نوائبه
تعوّد مسّ الضرّ في الدهر مذ نشا فما الرعب لو دارت عليه مصائبه
إليك عن القرم الهجان الذي له يد البطش تدميراً على من يغالبه

وله مادحاً الشيخ موسى كاشف الغطاء :

صبوت إلى الفيحا ونشر خزاماها ... سقاها مُلثّ الغاديات وحياها
وأيام جمع قد تصرم شطرها ... فما كان أنآها الغداة وأدناها
وأكواب وصل ما ألذ رسيسها ... سلافته مختومة نتعاطاها
تطعمت من لذاتها شهدة الهوى ... فبتنا نداماها وكنا نشاواها
ولي في شعوب الجامعين منازل ... برغمي أن لا يكحل العين مرآها
أصيخ بسمعي عند نشر حديثها ... وأهتزُّ من شوق لها عند ذكراها
ربوع تنازعنا بسفح ظلالها ... مدام دم الصب المتيم حلاها
عليها لدفع المستهام فواقع ... وصفو وداد العامرية صفّاها
دعوني وأرض الجامعية إن تكن ... تلاعاً وأيم الله لا أتعداها
وهب تحبسون الركب عن وقفة بها ... فهل تمنعون القلب أن يتمناها
تدبُّ كما دبُّ الهوى في مفاصلي ... سلامية واهاً لجيرانها واها
وقفنا بها ميل الرقاب كأنما ... لها حكم داعي الله كشاف جلاها
تراقبه صيد الملوك وإنه ... ليأمرها فيما يشاء وينهاها
ويعرب عن علم عزيز وحكمة ... وينطق عن وحي بليغ إذا فاها
إذا مر في واد العفاة سحابه ... سقاها من التبر المذاب فأحياها
إذا شاء أمراً كان غير مراقب ... سوى الله فيه لا وزيراً ولا شاها
وثعبان موسى يوم ألقت حبالها ... لإبطال دعواه فأبطل دعواها
ودانت له عبادة العجل صورة ... نفاقاً ولولا الصفح عنها لأخزاها
ويجزي بحسناء عن السوء آفة ... وهل فتية تجزي عن السوى حسنانها
تغذى ثمار العلم من دوحة التقى ... ولا غرو ممن مذ نشا قد تفياها
وأجرى حدود الله وفق حدودها ... ومن غيره حد الحدود فأجراها
رقى رتبة في عزه ونواله ... وسؤدده فوق السماكين مرقاها
أطاعته رغماً فتية جد سعيها ... بحطته لكنها ضل مسعاها
وعذراً معيد العدل غضاً فإن لي ... رواحل عجفاً عذر الدهر مسراها
ليهن بني الفيحا إقامة سيد ... أقام عماد الدين فيها وقواها

إذا همَّ بي عـــزم إليك يصـــدّني كـــوالح دهر لا رعى الله مـــغناها

وله مهنئاً ابن عمّ له لمناسبة قرانه :

هنيئاً فـقـد نارت لنا أنجم السعـد فأوضحن ما يخفي الحبيب وما يبدي
وهل كـان ذو ودٍّ كـتـومـاً لسـره ولكنه لو لـم يكن مـــا ذق الود
سـقى الدار دار العـامـرية حـالك أجش ملث ذو حـيـاً خـارق الحـد
ديار لغـادي الريح عـيث بوردها إذا هبّ من نجـد فـآهاً على نجـد
وأغـصـانهـا طوراً تصيخ كـأنهـا أخو صبوة أصغى لذكرى هوى هند
وتهـتـز طوراً كـالنشـاوى بخـمـرة أهاجت عليهم كامن الشوق والوجد
رعى الله من قـد أسلم الصب للهـوى وخلف قلبـاً دائم الخلد في الوقـد
أهيم إذا جــرّت علي جــحــافل من الليل سـدَّت لي المناهج بالجند
أبا الحق أن تروي العيون من الكرى وعـيني عبـرى وهي دائمـة السـهـد
سـألتك قل لي مـا يضـرك أن تزر مُعنّى ولو طيفاً وإن كـان لا يجدي
وفـاتكة العـينين قـتـالة الهـوى مـوردة الخـدين مـائسـة القـد
إذا سـفـرت أبدت نـهـاراً بوجـهـهـا وتسلخـه إن أرسلت فـاحم الجـعـد
تعللني بالـوعـد والشـوق لـم يزل ينازعني في أن أعـيش إلى الوعـد
فـليس لنا إلا التـمني بوصلهـا إذا حضرتني صرت في جنة الخلد
ويا صـاحـبيَّ اليـوم مُـرّا بدمنة غـدت عند أرباب الهوى غاية القصد
بنفـسي غـزالاً في رباها عـهـدته رماني بسـهـمي مقلتيه على عمد
سقـاني عـقاراً أشبـهت طعم ريقه وتحكي لما في وجنتـيـه من الورد
مـشـعـشـعـة تحكي وجـوهاً كـأنها دنانيـر قـد أبلين من كـثـرة النقـد
وجـوهـا لقـوم أورثوا الجـود والتُّـقى وعند الـوغى يوم الكريهـة كـالأسـد
فسيـماهم عند التقى في وجوههم وعند الندى والمجد من كثـرة الرفد
خليلي هلاّ جـئـتـمـا لتـهـنيـا أخـا المجـد لا بـل قطب دائرة المجـد
تقي كـريم يخـجل السـحب كـفـه نقي سليم منذ قـد كـان في المهـد
بعرس حـبيبي وابن عمي وموئلي وتاج فـخـاري مـده الله بالعـقـد

فعوجا على تلك الديار وجددا عهودي وإن لم ترعيا ذمة العهد

وله مادحاً الشيخ محمد ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء وضمّنها مدحاً للوالي العثماني داود باشا على إثر قتله لبعض الجماعات (المتمردة) وذلك عام ١٢٢٤ هـ:

ربوع الجامعين استوقفيني سقاك مضاعف الغيث الهتون
أُجدد للهوى عهداً وأقضي على رغم العذول بها شؤوني
يحركني الهوى شوقاً إليها فيمسي في معالمها سكوني
ألا من مبلغ عني سلاماً إلى حيّ بجانبها قطين
أنست بأهله وأقمت فيهم زماناً أتّقيه ويتقيني
وأطعمني الهوى شهداً وغنت به ورق السرور على الغصون
أهيم إذا سمعت حنين ليلى إلي فأبلغوا ليلى حنيني
وحيوا حيها عن مستهام تحية مولع فيها ظنين
وردّي يا أميمة لي بقايا فؤاد في منازلها رهين
جنون العامري يدور حيناً واطبق في الهوى ليلا جنوني
أميمة عند ذاك الحي ربع تنازعتا به سفك الدنون
مداماً دبّ في رأسي هواها كما دب الرقاد على جفوني
تذكرني فقاقعها أكفاً فقاقعها من الدر الثمين
وتشبه في تشعشعها لُجيناً يذب به ابن جعفر عن ديوني
محمدها واحمدها صفات وأرشدها إلى نهج اليقين
وأمجدها وأجملها ثناءً وانداها بكالحة السنين
وهل عذب الثنا في غير فرد تعالى عن نظير أو قرين
غني في العلى عن رسم حد مطاع في الملا ملك مكين
عليم ينتهي في كل علم إلى نفثات جبريل الأمين
يفيض العلم عن بحر غزير وينفق منه عن كنز دفين
مناقب قد عقدن عليك عزاً تكل لديه باصرة العيون
سمت في دولة الملك المفدى حسام الدين والعضب اليمين

وربّ طوائف مـالت سـفـاهاً معـاطفـهـا على علج خـؤون
يزخـرف من وسـاوسـهـا أمـان تمر على المسـامع كـالطعين
فـعـالجـهـا أبو حـسن بجـيش يثج صـواعق الحـرب الزبون
وأغـمد في جمـاجـمها حسـاماً أقلتـه يدا ليث العـرين
حسـامـاً في لظى الهيـجاء يتلو على فـرسـانهـا يا نار كـوني
فـتلك رجـالهم صـرعى وأسـرى تجـزر في السـهـول وفي الحـزون
وسـام حـصـونهم ردمـاً فـأمـست تنادي أين سكان الحـصـون
فـيـا من طالت الأفـلاك فـيـه وخـبـرها عن الرسم المبين
رجـوتك والكليم أخـاك عـوناً على ديني المبـرح بي وديني
فـحـال الدهر دون أخـيك عني فـيـا للدهر صـاعـقـة المنون
وأبقـاك الزمـان عليّ ظلاً ظليـلاً عن نوائبـه تقـيني
لك السـبق الجليّ بكل مـجـدٍ على حلبـات أسـلاف القـرون
ظننت بك الجـمـيل فـلا تخـيّبْ وحـقق أيهـا المولى ظنوني
إليكم أيهـا الغـرمـاء عني دعـوني إن لي أمـلاً دعـوني
ركنت إلى الندى كـهـلا وطفـلا فكان إليك في أملي ركـوني

من مصادر دراسته :

ماضي النجف وحاضرها : ٢/ ١٠٠ . الطليعة (خ) : رقم ١ . شعراء الغري ١/ ٢٧ . الأعيان : ٢/ ٢٣٧ . ٢/ ٤٦٠ . العبقات العنبرية ٢٣٧ .

(٥٥)

حسن قفطان

«١١٩٩ - ١٢٧٩هـ»

الشيخ حسن ابن الشيخ علي بن نجم السعدي المعروف بـ «قفطان»، أحد رموز الفقه والأدب في النجف. وهو أحد أسرة آل قفطان التي عُرفت بالعلم والأدب والصلاح في النجف، فبرعَ غير واحد منها في كل ذلك، وفي كتابنا هذا ذكر لأدبائها وشعرائها

كان الشيخ في موقع متقدم في الفقه والفقاهة، درس على صاحب الجواهر وصاحَبَه، ودرس على الشيخ القمي صاحب «القوانين» في المنطق، وكان له في مراجعة وتصحيح كل من الكتابين أثرٌ كبير، بل قيل لولا مراجعته للجواهر لقلّ الانتفاع بهذا الكتاب الجليل. تتلمذ أيضاً على الشيخ علي ابن الشيخ جعفر الكبير، ولا أدلّ على مكانته مما روي عنه من قصّة دارت لَهُ مع الشيخ الأنصاري في مسجد الكوفة بحضور الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، وقد طال النقاش العلمي بينهما حول مسألة طرحها الشيخ حسن من المغرب حتى منتصف اللّيل.

له آثار فقهية هي في مجلدات وكراريس عدّة، ربما لمْ تخرج إلى البياض. والشيخ محقّق لغوي، فله في اللغة أكثر من كتاب، وربما دارت جلّ كتبه اللغوية على معجم المقاييس، وكذلك له افادات وإضافات على كتاب (المصباح المنير) للفيّومي، إلى غير ذلك مما نقل عنه، ولا أدل على تضلّعه باللغة أنه ذكر في أحد كتبه مراجعته لسبعين مصدراً منها: كتاب المثلثات، والأضداد، والأفعال اللازمة المتعدية في الواحد وغيرها، كما عني بالأدب والشعر، فكتب في ذلك بعض الكتب، منها مجموعة ضخمة ذكر فيها بعض مشاهير أهل الأدب والعلم.

وكما برز الشيخ في مجالات الفقه والأصول واللغة والآداب، فإنه أسهم إسهاماً كبيراً في إثراء النشاط الأدبي والحركة الشعرية في عصره. فكان من رموزها الكبار وقد كتب نثراً وشعراً وفي مواضيع عدّة تدلّ على الاحتراف لا على مجرد المشاركة كما هو شأن أكثر الفقهاء، وله في شعر البند نصيب.

للشاعر الشيخ حسن قصائد في أغراض متعددة، وقَدْ جنح في بعضها إلى التعبير عن همومه الذاتية، وبذلك يكون ألصق بالفن الشعري، ومن ذلك قصيدته التي تكشف عن معاناته المادية إبّان إصابته بحُمّى تدعى بـ «شطر الغب» وهي من القصائد التي تكشف لنا جانباً من واقع الحياة النجفيّة آنذاك:

لمْ أدر أيّ مكارم الأخلاق ... مَلَقٌ وتمويه وحظ نفاق
وجفاً وإعراض وسوء قطيعة ... فكأنما ما في المعادِ تلاقِ
لا ناشد لا وافد لا عائد ... منكم ولو في عارضِ استطراقِ

وهي قصيدة تصوّر بعض ما كان، وربما هو كائن في المجتمع العام ومنه المجتمع الديني للأسف، حيث يرتقي بعض أهل النفاق إلى مراتب ليستْ من شأنهم، في حين يعاني بعض أهل الفضل والعلم معاناة أقلّها الجفاء والتجاهل..

ولربَّ بعض عادني وحديثُه ... عندي تشكّيه من الاملاقِ
يمضي عليه العام يحوي رزقَهُ ... بجناحه الخفّاق في الآفاقِ
جبلٌ عَلَيَّ بشكله وبجهله ... لا يعرف المفهوم في المصداق
قلت اُسمعنْ واُمننْ عَليّ أيا سَمَا ... سُدّي عَلَيّ منافذ الأرزاقِ

هذا أعظم ما كان يعانيه الشاعر، بسبب وجود طبقة انتهازية لا تعرف على حدّ تعبيره (المفهوم في المصداق) ومع ذلك تعيش بترف ونعيم، بينما الآخرون من أهل الفضل يعانون فقدان أبسط ما يمكن أن يتوفر لهم خصوصاً أيام محنتهم.

ويشتدُّ الحنق بالشيخ حسن فإذا به يتوجه إلى أستاذه وصاحبه زعيم

الأمة آنذاك الشيخ محمد حسن الجواهري بلهجة فيها من الشدّة ما لا يخفى فيقول لهُ :

يا كافلاً أيتام آل محمد بعلومه أو كافل الأرزاقِ
قلْ لي ومثلك في المقالة صادقٌ أكذا تكون مكارم الأخلاقِ
هَجْرٌ وإعراضٌ وفرط تقاطعٍ فكأنما ما في المعاد تلاقي
هذا جزائي إذ قَصرت عليكم صَفْو الودادِ وسالفَ الأَشواقِ
ما كنت أحسب أنْ يطول بي المدى حتى أكابد علّة الإملاقِ
هي شطر (شطر الغب) تعقب رعدتي عيا يترجم عن خفاق بصاقِ
ويزيدني سقماً تذكر صبيتي من جانبيّ فواكه الأسواقِ
ولربّ قائلة لهم يكفيهُمُ عن كل ذلك ناعم السمّاقِ

إنها قصيدة تشكل حضورها ، لما بما تضمنته من صور بلاغية تقليدية ، بَلْ بما استمدّته من صدق التجربة الواقعية التي صدر عنها الشاعر .

ومن هذا المنحى الواقعي الصادق قصيدته في رثاء ولده الشيخ حسين الذي فجع به في أسبوع زفافه وذلك سنة ١٢٦٦ هـ :

إبني إني زرت قبرك باكياً فبللت من فيض الدموع ثراه
عذراً إليك فقد هجرتك لا قلىً أو يهجر الأب قالياً إبناه
حتى تداول بين ناس قولهم ما كان أقساه وما أجفاه
عين رأت غصن الشبيبة يانعاً لم تستطع عند الذبول تراه
إن كنت تسمع فوق قبرك رنة أو عولة من واجد فانا هو

أما الجانب الآخر الذي تلمحه في شعره فهو الجانب العقائدي ، فله في أمير المؤمنين «ع» هذه الأبيات :

يا علة الايجاد يا مَن حبُّه لجميع أعمال الخليقة روحُ
لولاك ما أدّى الرسالة آدم كلا ولا نجى السفينة نوحٌ
سجدت لك الأملاك لا بسواك بلْ أحيى بإذنك في الحياة مسيحُ
ما رقَّ مدحٌ فيك إلا فاقَهُ للّه مدح في عُلاك صريحُ

وله هذه القصيدة التي يبدؤها بذكر عقيدته في المولى أمير المؤمنين «ع» :

علي فأما الولاية والـ ـحكومة في النشأتين فَلَكْ
قليل بشأنك إني أقو لُ لطوع يمينك دور الفَلَكْ
أتدري حسين أخيف فسا ر بأهليه في أيّ وادٍ سَلَك
وكاتبه رؤساء العرا ق هلمّ نبايعك لَنْ نخذلك

وله في رثاء أبي الفضل العباس ابن أمير المؤمنين «ع» :

هيهات أن يجفو السهاد عيوني أوْ أنَّ داعية الأسى تجفوني
وأرى الخوامس في الهواجر كلّما حنّت لوردٍ فهو دون حنيني
كلا ولا الورقاء رِيع فراخها عنْ وكرهنَّ أنينُها كأنيني
إني ويوم الطفّ أضرم في الحشا جذوات وجدٍ من لظى سجّينِ
يوم أبو الفضل استفزّت بأسه فتيات فاطم أو بنو ياسينِ
في خير أنصار براهم ربّهم للدين أول عالم التكوين
متقلداً عضباً كأنّ فرنده نقش الأراقمِ في خطوط بطونِ
وأغاث صبيته الظما بمزادة من ماء مرصود الوشيج معينِ
ما ذاقه وأخوه صادٍ باذلاً نفساً بها لأخيه غير ظنينِ

... الخ .

ومن شعره في رثاء الحسين عليه السلام :

نفسي الفداء لسيد خانت مواثقه الرعية
رامت أمية ذله بالسلم لا عزت أمية
حاشاه من خوف المنيـ ـة والركون إلى الدنية
فأبى إباء الأسـ ـد مختاراً على الذل المنية
وحموه أن يرد الشريـ ـعة بالعوالي السمهرية
فهناك صالت دونه آساد غيل هاشمية
يا ابن النبي ابن الوصي أخا الزكي ابن الزكية
الله كم في كربلا لك شنشنات حيدرية
بأس يُسرُّ محمداً ومواقف سرت وصيه

يوم ابن حـــيــــدر والموا ضي عن مـغـامـدها عـرية
يطفـــو ويرسب في الألو ف بمهـجـة حـرى ظمـيـة
ويـرى أخـــــاه وابـن وا لده على الرمـضـا رمـيـه
ملك الشـريعـة سـيـفـه والماء تحت القـعـضـبـيـة
وشـئـى السـراة بعـزمـه لم يثنهـا غـيـر المشـيـة
سلبت مــحــاسنه القنا إلا مكارمـــه السنيـــة
يا ســادة ملكوا الشـفــا عــة والمعـالي السـرمـدية
حـــسن وليـكـم ومـن في الحشر لم يصحب وليه
إن الخـطـايـا أوبـقـــــتـ ـه وحـبكم يمحـو الخطيـة
وعليكم مــــا دام فـــضـ لكم على الناس التحـيـة

وله في رثاء الحسين عليه السلام من قصيدة :

بعـثت له والغـدر في ميـثـاقـهـا عـصب النفـاق تحثـه أن يقـدمـا
حـتى إذا وافــاهم ســامــوه امـ ـما أن يخوض الحرب أو يستسلما

وله :

سلي جبل الريان عن مدمعي الجاري فـإن سـؤال الجـار ينبي عن الجـار
حـبـست عليـه العين طلقـا تمده بدمع كــأفـــواه المزادة مـــدرار
مـغــان عـهـدناهن فـردوس جنة وروضـــة نوار وكـــعـــبـــة زوار
منازل منهـــا للخليين عن هوى حـــبـائل أتراب كـــواعب أبكار
واسـدلن ليل الشـعـر لكن بأفـقـه دراري أقـراط بهـا يهـتـدي السـاري
أمـولاي يا ابن العسكري إلى متى على الدين من أعداك أسمال أطمار
بيـــوم به وجـــه الشـــريعـــة ابلج وفيه مقيل الشـاة والأسـد الضـاري

وقال[١] راثياً الشيخ محمد ابن الشيخ علي كاشف الغطاء :

يا ظـاعنـاً عنا وخلف جـــذوة في قلب كل مـوحـد تتـوقـد
أمـــحـــمـــد ومن الذي خلفـتـــه فـينا يغيث المسـتـغـيث وينجـد
يا آل جـعـفـر أنتم البـحـر الذي هو للعـــوالم في العلوم المورد

(١) نسب صاحب العبقات هذه القصيدة للشيخ إبراهيم قفطان ص٢٤٧ .

لكم المساعي الغر والمدح التي ... فيهن ألسنة الثناء تغرد
لا يستهل وليدكم إلا بما ... فيه شعار الدين ساعة يولد
أثر المفاخر في سواكم مرسل ... أبداً ومفخركم صحيح مسند
إن غاب عنا سيد منكم يقم ... فينا باعباء الإمامة سيد
بالرأي في فصل الخطاب مؤيد ... بالوحي في علم الكتاب مسدد

ومن شعره :

توسمت الديار فذكرتني ... زماناً قد تقضى في رباها
إذا نظرت منازلكم عيوني ... جرى منها على الوجنات ماها
على أن النوى لا ضير فيها ... إذا هي جردت عما سواها
حننت إلى لقاك كذات طفل ... ترجيه وقد قطعت رجاها
أحاذر أن تموت ولن تراني ... وذل النفس إنك لا تراها

من مصادر دراسته :

أعيان الشيعة : ٥/ ١٩٩ . الحصون : ٩/ ١٩٠ . شعراء الغري : ٣/ ١٠ . ماضي النجف : ٣/ ١٠٩ . الكرام البررة : ٣٣٩ . معارف الرجال : ١/ ٢١٩ . معجم المؤلفين العراقيين : ١/ ٣٢٨ . معجم رجال الفكر : ٣/ ١٠٠٤ . الروض النضير : ٢/ ٣١٥ . العبقات العنبرية : ٢٤٧ .

(٥٦)
طاهر الحجامي المالكي

«١٢٠٠ - ١٢٧٩» هـ

الشيخ طاهر ابن الشيخ عبد علي ابن الحاج عبد الرسول الحجامي المالكي .

يلقب الشيخ طاهر بالكبير تمييزاً لَهُ عن حفيده الشيخ طاهر ابن ولده الشيخ عبد علي ، أما الشيخ طاهر هذا فهو أحد أعلام هذه الأسرة الذين تلقّوا بالنجف معارفهم حتى نالوا المراتب العالية . فهو من فقهاء عصره ، الذين أخذو عن الشيخ الكبير جعفر كاشف الغطاء وغيره مدّة ثلاثين سنة . ثمَّ عادَ إلى الجنوب العراقي ليواصل عمله في الإرشاد والوعظ وتوجيه الأمة ، وكان له أثرٌ كبير هنالك ، لما له من علم ووجاهة وخلق وإخلاص .

لَهُ آثار علمية منها :

- الكوكب الدريّ - أرجوزة في المنطق .
- سلّم الوصول إلى علم الأصول .
- حاشية على الباب الحادي عشر .
- حاشية على المدارك .

وغيرها ، ومنها مؤلفات سُرِقَتْ مع ما سرق من داره في سوق الشيوخ .

أما شعره فإنه لمْ يذكر له إلاّ القليل ، وربما لم يكن ينظم كثيراً . وكان جلّ اهتمامه متوجهاً لنظم الأراجيز العلمية ، والطريف - فيما يبدو - من أراجيزه وأشعاره العلمية أنه ربما صاغها أوْ صاغ بعضها بأسلوب قصصيّ محبّب ، ومن ذلك مثلاً أربعة أبيات تضمنت سؤالاً فقهياً :

ما الحكم في أهل بيت مات سيدهم فأصبحوا يقسمون المال والحللا
فقالت امرأة من غيرهم لهم إني سأسمعكم أعجوبة مثلا
في البطن مني جنين طاب رشدكم فأحرزوا المال حتى نعرف الحبلا
فإن يكن ذكراً فالمال مالكم وإن يكن غيره أنثى فقد حصلا
لها من المال ثلث ليس ينكره من كان يقضي بحكم الله إذ نزلا

الجواب :

يا سائلا عن بيان المشكلات فذا شخص رماه الردى حتى إذا انجدلا
أوصى بثلث من الأموال أجمعها للحمل أنثى فشخص وأعرف الحبلا
فبان حرمان ما في البطن من ذكر لكونه لم يكن ممن له انتقلا

ومن شعره :

وقائلة ما لي أراك منكدا وما لجفون العين بالدم ترعف
فقلت لها كفي فمثلي لم يُلم على مثلها فالحظّ مبك ومدنف
فراحت وزند الوجد يقدح بالحشى لها عبرات كالسحائب وكَّف

من مصادر دراسته :

الذريعة ٢/ ٤٧٧ ، ١٢/ ٢٢١ ، ١٥/ ١٣ . شعراء الغري : ٤/ ٣٧٩ ، ماضي النجف ٢/ ١٤٧ . مشهد الإمام : ٣/ ١٢٣ معارف الرجال : ١/ ٣٨٧ . الكرام البررة : ٢/ ٦٨٠ . معجم رجال الفكر : ١/ ٣٩٩ .

(٥٧)
موسى محيي الدين
(/ - ١٢٨١هـ)

الشيخ موسى ابن الشيخ شريف ابن الشيخ محمد محيي الدين .

أحد أفراد هذه العائلة العلمية الأدبية ، أخذ العلوم الإسلامية عن بعض علماء أُسرته ، وبرز كَواحد من شعراء عصره الكبار ، وهو أحد المشاركين في الندوة الأدبية ـ التي أشرنا إليها سابقاً ، المنعقدة سنة وفاته صاحب الجواهر في النجف عام ١٢٦٦ هـ وكانت له علاقات أدبية واسعة ، ولذا كان يتردد كثيراً على بغداد للقاء أدبائها وشعرائها .

يطالعك هذا الشاعر الجليل في كثير من شعره بصورة الشاعر المنتمي إلى الصورة الكلاسيكية للشعر العربي القديم أيام ازدهاره سبكاً وصياغةً وصورة ، فهو ـ بتقديرنا ـ من الأدباء الكبار الذين أعادوا للشعر روحه وأسّسوا لما جاء بعده . شعر هذا الشاعر دليل آخر على أن عصر النهضة الأدبية قد بدأ من العراق ومن النجف تحديداً ، إذْ كان من سماتها الأساسية العودة إلى ينابيع الشعر العربي القديم ، ومحاكات النماذج الأدبية المعهودة عند شعراء العرب القدماء ، وتجاوز الواقع الشعري في العصور الأخيرة المسماة بالعصور المظلمة ، وهو نفسه يفخر بمكانته الشعرية في غير موضع من قصائده .

للشيخ شعر كثير جداً ، ومن ذلك براعته في كتابة الشعر وفق فنون الشعر السائدة في عصره ، وإن كان في مقامٍ عالٍ منها لا يدانيه في ذلك إلاّ القلائل الذين أشرنا إليهم في هذا الكتاب ، ومن ذلك شغفه بفن التخميس الشعري ، ولا أدلّ على براعته في ذلك ـ بحسب مقاييس هذا الفن ـ من تخميسه لقصيدة ابن دريد المعروفة بالدريدية وهي في مدح المولى أمير

المؤمنين «ع» وقد رويت في شعراء الغري .

لا نريد الإطالة في دراسة شعره ، بل يكفينا عرض بعض النصوص الشعرية من تراثه الشعريّ الذي نظم الكثير منه في المناسبات الاجتماعية العامة في النجف وكذلك غيرها . ومن ذلك رثاؤه للوزير عبدالله خان أمين الدولة سنة ١٢٦٣ هـ ، بقصيدة مطلعها :

تعرّفت منهم بالغريين أربعا ... مواضع بعد المستقلّين خشّعا

ومن شعره قوله مادحاً السيد حسين آل بحر العلوم الطباطبائي ويصف فيها السماور :

أحيت فؤادك ذات الخال والشنب ... غداة حيتك جهراً بابنة العنب
وروحت منك قلباً قد أضر به ... طول السقام وفرط الوجد والوصب
يا حبذا طيب أنس قد نعمت به ... في مجلس هو لولا الراح لم يطب
لا عيب فيه سوى أن السرور به ... يفتر عن ظلم ثغر بارد الشنب
أنس تطلّبته حتى ظفرت به ... حيث السماور فيه منتهى طلبي
كأنه الشمس إذ تبدو أشعتها ... للعين من بين شباك من الذهب
وإن نضا لك نار القلب تحسبها ... طرف السنان بدا في كف مختضب
أودى به الوجد حتى أنّه سَفَهاً ... اسال احشاءه من مدمع صبب
بكى وما كل باك إن بكى انبجست ... منه العيون بمثل اللؤلؤ الرطب
ولا هبت بزلال طعم راحته ... أحلى من العسل الماذي ومن ضرب
متيم ما بكت عيناه من وصب ... إلا وروح قلب الصب من نصب
حفت به أنجم تحكي أشعتها ... زهر النجوم إذا بانت من الحجب
فلو تراها وقد لاحت نضارتها ... وفوقها اللؤلؤ الطافي من الحبب
رأيت شمسا تجلت في يدي قمر ... في كوكب قط لم يأفل ولم يغب
في مجلس أرجت أرجاؤه وزهت ... أكنافه بأريج المندل الرطب
يجلو به الشمس بدر التمِّ حين بدا ... يسعى بها في قوارير من الشهب
ساق غدا قلبه قاس ولا حرج ... إذا أحل دمي قاس بلا سبب
حلو الشمائل قاني الخد ذو هيف ... طلق المحيا رخيم بالجمال حُبي

بديع حسن إذا ما هز قامته ... يكاد ينقدُّ من لين ومن طرب
فلا تلمني إذا ما ملت من طرب ... وارتاح جسمي من تيه ومن عجب
فقد أنست بقوم لا نظير لهم ... بين البرية من عجم ومن عرب
قوم لهم شرف يعزى إلى مضر ... وهم ولا فخر أهل العز والرتب
آل النبي وخير الناس سابقة ... من كان جدهم في الناس خير نبي
آل الرضا والرضا من شأن مفخرهم ... والحلم يكسر منهم سورة الغضب

وله مخمساً مقصورة ابن دريد المعروفة :

أوهى القوى كتم الهوى وصونه ... وخانه يامَيّ فيك عونه
يا من بها رأسي شع جونه ... أما ترى رأسي يحاكي لونه
طرة صبح تحت أذيال الدجى

ولى الصبا وما وفى بعهده ... وخامر القلب جوى لفقده
وحان وخط الشيب بعد بعده ... واشتعل المبيض في مسوده
مثل اشتعال النار في جزل الغضى

صاح بأرجاء شباب مغدف ... صبح مشيب شبه در الصدف
وقبل قد كان كليل مسدف ... فكان كالليل البهيم حل في
أرجائه ضوء صباح فانجلى

لما ذكى حبي بقلبي ونما ... وذاع من مكنون سري ما اكتمى
أفاض ماء عبرتي هم طما ... وغاض ماء شرتي دهر رمى
خواطر القلب بتبريح الجوى

وأصبح الدهر الخؤون طاوياً ... مجاسنا وناشرا مساويا
وقد غدا ربع السرور خاوياً ... وآض روض اللهو يبسا ذاويا
من بعد ما قد كان مجاج الثرى

أتاح لي فرط التنائي صبوة ... ما تركت قط لقلبي سلوة
وأوهن الإعراض مني قوة ... وضرم النأي المشيب جذوة
ما تأتلي تسفع أثناء الحشا

فكيف لا يذوب قلبي كلفـــا ولا يســيل دمع عـيني أسـفـا
والوجـد قـد صـيـر قلبي كنفـا واتخـذ التـسـهـيد عـيني مـألفـا
لما جـفـا أجـفـانهـا طيف الكرى

هم وحـــزن وعـنـاء وكــدر مـتـصل ومـدمع عينٍ منهـمـر
إني وإن لـم تحص مـا بي من فكر فكلمـا لاقـيت منه مـغـتـفـر
في جنب مـا أسـأه شـحط النوى

لا تلحني إن ذاب قلبي سـقـمـا أو إن قـضـيت أسـفـا والما
ولا تسل إن سـال دمـعي عندمـا لو لابس الصـخـر الأصم بعض مـا
يلقـاه قلبي فض أفـلاذ الصـفـا

مم البكا بعـد التـجـافي ولمن والدهر قـد ضن بما أعطى ومن
وقـد لحا عـودك صرف ذا الزمن إذا ذوى الغـصن الرطيب فـاعلمن
إن قـصـاراه نفـاد وتُوى

وفيها يقول :
وإن غـدا الحـادي بهن مـدلجـا لم تر رحب الأرض إلا رهجـا
وإن طوين نفنفـا وسـجـسـجـا أخـفـافـهن من حـفـا ومن وجى
مـرثومـة تخضب مبيض الحصى

من كل وجناء نفـور خـضـرف يجبن كل جـفـجف وصـفـصف
يـفـللـن كـل نـاحـف ذي كـلـف يحملن كل شـاحب محقـوقف
من طول تدآب الغـدو والسـرى

قـد ارتضى رب العلى إيمانه من بعـد مـا أناله أمـانه
حـر قـضى يطوي الفـلا أزمـانه بر برى طول السـرى جـثـمـانه
حتى غدا كـالنبع مـحني القرى

قـد خـاض تيـار الفـيـافي وفـلا ناصـيـة البـيـد ومـا تملمـلا
وكم من الشـوق الملح أرمـلا ينوي التي فـضلهـا رب العلى
لما دجى تربتـهـا على البنا

وخف فـيـه شـوقـه وارقـلا إلى التي فـضلهـا رب العلى

وحن لما أن دنا واعـــولا حتى إذا قابلها استعبر لا
يملك دمع العين من حيث جرى

وفيها قوله :

كم حلبةٍ يوم الوغى مرهوبة رددتها بعزمة مشبوبة
وكم لها سعيت في مثوبة فإن سمعت برحى منصوبة
للحرب فاعلم أنني قطب الرحى

ولم أزل أسعى بقلب يقظ لحفظ ما لولاي لما يحفظ
أنا الذي تخشى العدى تيقظي وإن رأيت نار حرب تلتظي
فاعلم بأني مسعر ذاك اللظى

دع نفس حر لا تزال تغرة تخوض للموت الزؤام غمرة
وخلها جهراً تسيل حسرة خير النفوس السائلات جهرة
على ظبات المشرفي والقنا

جبت العراق وعره وسهله وقد وردت عله ونهله
فقلت مذ لم تر عيني مثله إن العراق لم أفارق أهله
عن شنأ أصدني ولا قلى

كلا ولا شاهدت مذ صادقتهم سواهم ناساً ومذ رافقتهم
أصفيتهم ودي وما نافقتهم ولا اطبا عيني مذ فارقتهم
شيء يروق العين من هذا الورى

رافقت منهم من إذا خطب عرا كانوا شآبيب الندى لمن عرا
هم المحاريب الوثيقات العرى هم الشناخيب المنيفات الذرى
والناس ادحال سواهم وهوى

بنو الألى أولهم عليها دان لهم من الورى عليها
هم الغيوث ساكب ماذيها هم البحور زاخر آذيها
والناس ضحضاح ثغاب واضا

قوم سموا هام السهى بجدهم وقد علوا هام العلى بجدهم
لا والذي اتحفني بودهم إن كنت أبصرت لهم من بعدهم
مثلا فاغضيت على وخز السفا

ولم تكن تبصر عيني أبداً من الورى أكرم منهم محتدا
ولم أجد أعظم منهم سؤددا حاشا الأميرين اللذين أوفدا
عليَّ ظلا من نعيم وغنى

هما سليلا أحمد خير الملا الحسنين الأحسنين عملا
هما اللذان انقعا لي غللا هما اللذان اثبتا لي أملا
قد وقف اليأس به على شفا

فقدت من شرخ الصبا ريّقه أيام يرعى ناظري رونقه
ومذ أحال الدهر ما رقرقه تلافيا العيش الذي رنقه
صرف الزمان فاستساغ وحلا

هما اللذان أورداني موردا عاد به روض المنى موردا
وانعشاني بعدما كنت سدى وأجريا ماء الحيا لي رغدا
فاهتز غصني بعدما كان ذوى

هما اللذان رفعا نواظري وأعليا قدري على نظائري
وعندما قد نفدت ذخائري هما اللذان سموا بناظري
من بعد إغضائي على لذع القذى

كم ردني بعد الرجاء خائبا من خلته أن لا يرد طالبا
وحين أصبحت له مجانبا هما اللذان عمرا لي جانبا
من الرجاء كان قدما قد عفا

وأولياني ما به النفس اقتنت عزاً به عن درن الدنيا اغتنت
وعوداني عادة ما امتهنت وقلداني منة لو قرنت
بشكر أهل الأرض طراً ما وفى

بل كل من فوق الثرى عنها نكل وحاد بل أعيا عن البعض وكل
بل لم يف لسان كل من شكل بالعشر من معشارها وكان كالـ
بحسوة في آذي بحر قد طما

أحمد ربي الله ما أعاشني إذ في ولاء المرتضى قد راشني
فلم أقل وهو بخير ناشني إن ابن ميكال الأمير انتاشني
من بعد ما قد كنت كالشيء اللقى

ومــذ وفى لي بالذي له ضــمــن وخـــــصني بما به قـلـبي أمن
قلت أبو السـبطين بالوفـا قـمن ومـد ضـبـعيَّ أبو العبـاس من
بعـد انقبـاض الذرع والباع الوزى

ذاك علي المرتضى عـقـد الولا وصنو طه المصطفى خـيـر الملا
ذاك الذي رام المعـالي فـعـلا ذاك الذي لا زال يسـمـو للعلى
بفـعله حـتى عـلا فـوق العلى

ومـذ عـلا بالرغم من حـسوده بجـوده الضـافي على وفـوده
قلت وحق القـــول من ودود لو كـان يرقى أحـد بجـوده
ومـجـده إلى السـمـاء لارتقى

إن كنت تشكو من أوار مـتلف فـرد نداه بفـؤاد شـغف
وثق إذا مـا كـنت ذا تـلهـف مـا إن أتى عـبـر نداه مـعـتـفي
يشـكـو أوار عـــيم إلا ارتـوى

فـعـد إلى مـدح الحسين والحسن تأمن في مـدحـهـمـا من الزمن
وقل إذا مـا فـزت منهـمـا بمن نفـسي الفـداء لأمـيـريَّ ومن
تحت السـمـاء لأمـيـري الفـدا

كـم قلت من حـسن الثناء آمـلا عـد سـجـايا لهـمـا ونائلا
وحين أعـيـيت غـدوت قـائلا لا زال شكري لهـمـا مـواصـلا
لفظي أو يعـتـاقني صـرف المنى

فـارقت من بينهـمـا ذوي عـلا لـم أر منهـم قط إلا مـــوئلا
فـارقـتـهـم لا قـاليـا بعـد ولا إن الأولى فـارقت من غـيـر قلى
مـا زاغ قلبي بعـدهم ولا هفـا

وله يهنىء الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر بعرس ابن ابنه الشيخ حسين :

زارت على رغم الأعـادي هـيـفـاء صـادقـة الوداد
وتـرنمـت ورق الـهـنـا طرباً بعـرس أخي السـداد

الواضح الحسب الحسين شفاء ملهوف الفؤاد
إنسان عين المكرمات وغرّة الشرق التلاد
ندب سما شرفاً بجدّ سابق وأب جواد
وحوى مكارم لم تزل في كل يوم بازدياد
فنعمت في ظل الإمام محمد غيث العباد
لولا جواهر علمه لم يلف للعلماء هاد
بوجوده وبجوده يحيى ويُروى كل صاد
يا حجة الإسلام وال‍ ‍هادي إلى سبل الرشاد
ما في الأنام سوى علا ك لحاضر يرجى وباد
بك قد رسا ركن الهدا ية واغتدى سامي العماد
سمعاً مدايح مخلص ما حاد عن سنن الوداد
واسلم ودم في نعمة أبد الزمان بلا نفاد

وقال يرثي الميرزا محمد حسين صاحب الفصول :

تلكم معاهدهم من بعدهم دثر لم يبق منهن لا عين ولا أثر
سرعان ما عبثت أيدي الزمان بها وغيرتها كما شاءت بها الغير
أخنى عليها وقد محى جوانبها مر الجنائب فيها حين تعتور
وقفت فيها كأني بعض أرسمها أكاد عن لمحة الأنظار استتر
أحفي السؤال رسوماً عندها درست وهل تجيب سؤالي الأرسم الدثر
ورب مغرية باللوم ما وجدت وجدي ولا خاض جفني طرفها السهر
إلى م تبكي الرسوم الدراسات أسى وتطبيك جفون زانها حور
دعها ودع ان تبكيها وجيرتها أما بناهي النهى عنهن مزدجر
فقلت والناظر المنهل يبدرني بمدمع من سحاب الجفن ينهمر
لم أبك إلا لأعلام نووا ظعناً والعلم خلفهم يقفو ويبتدر
ألووا لبين فلا بحر الندى عذب غداة ألووا ولا عود العلى نضر
أكلّ يوم لنا منهم هلال دجى تطوى عليه على رغم العلى الحفر

لم تنس ارزاؤه الاولى وما ذهبت أشجانها إذا دهت ارزاؤه الاخر
قضى علي وقد أودى الرضا وكفى ثم انطوى بالحسين الماجد القدر
العالم العلم الحبر الذي اشتهرت أيامه فأقر البدو والحضر
والمتقي الله في سر وفي علن يأتي الجميل وفي أحشائه ذعر
لم يخش في الله لوماً في هدايته فمنتهى منه عن نهي ومؤتمر
فلتبكه أعين العلم التي قذيت لأجله واعتراها بعده الحسر
ولتبكه بيضة الإسلام ثاكلة عليه ولتبكه الآيات والسور
ولتبكه علماء الدين قاطبة فقد مضى ناصر للدين منتصر
من مبلغ شانئينا غير ضائرنا إذا ذوى الغصن ما لم يخضد الشجر
فإن فينا الذي من رشح نائله كان الذي كان ما سارت به السير
محمد الحسن الأفعال أكرم من عليه ألويه العلياء تنتشر

وله في مدح الإمام الكاظم (ع) :

يا كاظم الغيظ يا جد الجواد ومن عمت جميع بني الدنيا مكارمه
ومن غدا شرع خير المرسلين به سامي الذرى وبه شيدت دعائمه
الحق لولاك ما بانت حقائقه والشرع لولاك ما قامت قوائمه
وفيك ينكشف الكرب العظيم إذا جاشت علينا بلا جرم قشاعمه
إمام حق أبان الحق وانتشرت أفعاله الغر مذ نيطت تمائمه
فعالم الدين خير الناس عالمه وكاظم الغيظ خير الناس كاظمه
مولى غدا من رسول الله عنصره أكرم به عنصراً طابت جرائمه
به وآبائه زان الوجود وفي أبنائه الغر قد شيدت معالمه
من أمّ مغناك يا أزكى الورى نسبا للازم كيف لا تقضى لوازمه
فيا خليلي والخل الخليل إذا حبا الخليل بأسنى ما يلائمه
لا تحسبا كل شوق يدعى عبثا فالشوق إن هاج لا تخفى علائمه
ولا تلوما إذا مارحت ذا كلف والدمع من مقلتي فاضت سواجمه
أنا المشوق المعنى بازديار حمى موسى بن جعفر صب القلب هائمه

فعللا قلبي العاني الضعيف به فإن في ذكره تقوى عزائمه

وله يرثي السيد عبد الرشيد سليل السيد محمد باقر :

هي الدار أما القلب عنها فسائل وأما عليها دمع عيني فسائل
تعرفت بعد النكر منها منازلا لهن فؤاد المستهام منازل
جدايد أبلاها الجديدان فانثنت أعالي مبانيها وهن أسافل
أوانس بالعين الأوانس أصبحت وهن من العين العواطي عواطل
وقفت بها والعيس تسقي عراصها هواطل تهمي أثرهن هواطل

إلى أن يقول :

فقل للردى إن غال بدراً لهاشم رويداً فماذا بعد هذا تحاول
فقل ما تشا بعد الذي نلت منهم فليس يبالي بعدما أنت فاعل
قضى وهو ذو عمر قصير يزينه طويل على سام الدعام وطائل
وحامل فخر لم يقم فيه غيره كما لم تقم عن مثله الدهر حامل
تحمل والازراء فينا مقيمة وسلواننا والمكرمات رواحل
وأودى فأودى مفخر فخرت به على من سواها من لوي قبائل
فيا حاملا نعش التقى كيف نلته ونعش السما من دون ما أنت حامل
ويا قبره كيف استطعت تضم من فضائله ملء الفضا والفواضل
ويا غاسليه جنبوا الماء من له بأدمعه من خشية الله غاسل
وحنطه نشر الثنا وهو عاطر أريجاً وحلاه العلى وهو عاطل
وضمته احناء الضلوع وأطبقت عليه جفون هاميات هوامل
فماذا على الأيام لو عدن بعده ليالي تكسوها لهن غلائل

من مصادر دراسته :

الأعيان : ١٠/ ١٨٦ . شعراء الغري : ١١/ ٣٦٥ . معجم رجال الفكر والأدب : ٣/ ١١٧٣ . الحالي والعاطل : ١٤٨ . دائرة المعارف : ١/ ١١٥ . تكملة الأمل : ٤٠٦ . معجم المؤلفين العراقيين : ٣/ ٣٥٣ . معارف الرجال : ٣/ ٢٢ . الذريعة : ٤/ ١٣ .

(٥٨)
طالب البلاغي
(/ - ١٢٨٣) هـ

الشيخ طالب ابن الشيخ عباس ابن الشيخ إبراهيم بن حسين البلاغي النجفي . أحد علماء عصره الكبار ، جَمَعَ إلى فقاهته الزُّهد ورحابة الصّدر والتواضع الجمّ ، فَضْلاً عن أدبه وشعره ، ومن هنا كانت الندوة التي عُقدت في سنة «١٢٦٦» هـ قَدْ تجذّرَت واثمرت بفضل جهود هذا الشيخ وملَكاته النفيسة .

هذا الشيخ كما وصفه بعض أصدقائه كان يضيق صدره أحياناً حتى بأصحابه وأصدقائه الأدباء ، وذلك حينما يكون في عسر وفاقة ، فيميل صوب بغداد لعلّه يجد هناك ما يسدّ رمقه أو ينسيه همومه ، بَلْ ربما سئم أحياناً من سماع شعر الرثاء ، وتاقت نفسه إلى سماع ما يبهج النفس من الأحاديث وشعر السَّمر والأُنس ، بَلْ ربما مالت نفسه أحياناً إلى سماع شعر الهجاء ، وكأنه بذلك يعبّر عن مكبوت نفسي في ذاتِهِ لذمّ حال الدنيا التي يحياها .

هذا كله على جلالة قدره بين علماء وأدباء زمانه ، ولاسيما وهو خريج مدرسة النجف الأشرف وحلقات أستاذه الشيخ محمد حسن الجواهري العلمية ، والذي كان من نتاجه هذا الأدب الذي لديه ، وبعض كراريس في الفقه والأصول .

ومن شعره :

يا سفح عاملة إليك حنيني ... ولواعجي وتأوهي وأنيني
ولأنت قصدي إن أقل رمل الحمى ... أو إن ذكرت السفح من يبرين

يا أيها السفح المعظم قدره أشكو إليك أحبة هجروني
فإذا بكيتهم فهم بمسرة وإذا وصلتهم فقد قطعوني
فكأنني ما كنت بين رباعهم وكأنهم يا سفح ما عرفوني
في عامل أفنيت شرخ شبيبتي وقضيت عيشا لم يكن بالدون
قسما بعيش قد مضى في عامل فيه السرور منادمي وقريني
إن شمت لبنانا لألتثم الثرى فرحا ومن لي أن تبر يميني
فهم هم قصدي وإن تركوني وهم هم سؤلي وإن هجروني
لا أنثني عن حبهم أو ينثني عن مجده حلف التقى والدين
العالم الأواه عبد الله من أضحى له المعروف خير قرين
مولى سما بين الورى بعلومه وأحاط بالمفروض والمسنون
وإذا ذكرت عهود أنس قد مضت فمن التذكر هزة تعروني
قد كان محسن في حنايا أضلعي مثواه بل هو في سواد عيوني
فمضى وخلفني حليف صبابة ولواعج وتأوه وأنين
فلئن ثوى تحت التراب فإنه في مهجة الولهان خير دفين
مهما ذكرت عهوده اشتاقها ولذكرها عمر المدى يشجيني
ولكاظم أصفيت ودي في الهوى مولى له المعروف خير قرين
مولى نظرت إلى جليل صفاته فرأيت خير مهذب مأمون
مولاي عبد الله أنت مؤملي وإليك من دون الأنام ركوني
واسأل فؤادك عن غرامي فيك إذ هو شاهد لي في الهوى يكفيني

وقال :

وكم اخطأت ظنا في أناس وفي عبد الإله أصاب ظني
ذكرت بسفح لبنان زمانا تقضى لي ففاض لذاك جفني
أدار أحبتي هل بعد بعد إليك الله رب العرش يدني
وهل يوم أراني في رياض صنوف الزهر منها كنت أجني
وهل ورق الحمام أرى بعيني على الأغصان تنشد كل لحن

وقال وبعث بها إلى المرحوم الشيخ عبد الله نعمة عام ١٢٧٤هـ :

ألا من مبلغ لبنان عامل ... بأن الشوق في الأحشاء عامل
وهلا قد درى حياه غيث ... بأن الجسم من ذكراه ناحل
وهلا قد درى بالدمع مني ... على الوجنات مثل الغيث هاطل
أسفح أحبتي هل بعد بعد ... أراك وأدركن ما كنت آمل
وهل تلك الرياض أرى بعيني ... وأقطف زهرها تلك الخمائل
وهل يوما أرى أو بعض يوم ... أرى تغريد هاتيك العنادل
وهل يوما بجنبك سفح صحبي ... أرى تسجيع هاتيك البلابل
وهل مر النسيم أرى بعيني ... بجنبك في الغدو وفي الأصائل
وهل زهر الأقاح ترى أراه ... وكيف به النسيم الغض فاعل
وهل من نظرة لعميد قوم ... على هام المجرة عاد نازل
أبي حسن ونجل سراة قوم ... لحفظ العلم والأيتام كافل

وقال :

صب إذا ذكرت مرابع عامل ... وفد الجوى يسعى إليه بلبه
قسما بلبنان وجيرة سفحه ... وأقاحه ومياهه وبهضبه
والنرجس العطر الشذى وشقائق الـ ... ـنعمان والورد الجني بشعبه
إني إذا أم السفيح وأهله ... ركب العراق فمهجتي مع ركبه

قال وأرسلها إلى الشيخ إبراهيم صادق :

لو كان يعلم نجل صادق ما بي ... لأزال ذياك الخليط عذابي
يدري فدته نفوس أرباب النهى ... إني من الوجد القديم لما بي
فلكم قضيت زمان أنس قد مضى ... في عامل مع جملة الأحباب
هلا رعى للمستهام بعامل ... أيام شرخ شبيبة وتصابي
يا ابن الجحاجحة الكرام ومن غدوا ... فصلا لكل قضية وخطاب
من معشر أحيوا شريعة أحمد ... وهدوا بني الدنيا لنهج صواب
قوم إذا أم النزيل ربوعهم ... يلقونه بالبشر والترحاب
والماجد الفذ الذي من فضله ... لا زال يأتينا بكل عجاب
إني أطيل لك العتاب فهل ترى ... يوما فديتك سامعا لعتابي

وأطيل مدحك في القريض فهل ترى يوماً تشرفني برد جواب
فاعطف علي بحق ود سابق في عامل وبحق شرخ شباب
واذكر زماناً بالسفيح لنا مضى أفديك يا ابن السادة الأطياب
يا حبذا بلد الخيام ومرجها الـ ـزاهي وعهد الأنس والأطراب
بل حبذا عصر بعامل قد مضى ما بين قوم سادة أنجاب
لو قيل طالب ما يريد من المنى لأجبت ذكر العاملي طلابي
أبقاك ربك لي ملاذاً دائماً وسقى ربوع السفح صوب سحاب

من مصادر دراسته :

الأعيان : ٧/ ٣٩٣ . معارف الرجال : ١/ ٣٢٥ . مجلة الغري : س ٣/ ١٨٤ . ريحانة الأدب : ١/ ٢٧٧ . شعراء الغري : ٤/ ٤١٩ . الكنى والألقاب : ٢/ ٩٤ . ماضي النجف وحاضرها : ٢/ ٧١ . معجم المؤلفين العراقيين : ٢/ ١٩٢ . الكرام البررة : ٢/ ٦٧٦ .

(٥٩)
صالح الغُرُيْفي
«القرن الثالث عشر الهجري»

السيد صالح الغُرَيْفي ، ذكره الأستاذ علي الخاقاني نقلاً عن مجموعٍ آل بحر العلوم وذكر أنه كان حياً ١٢٨٣ هـ . ولمْ يَصل إلى معرفته ، فهو من الشعراء المجهولين ، لاسيما وأننا بحثنا عنه في كتب التراجم والسير المتحدثة عن علماء النجف فلم نجد له ذكراً كذلك . وقد روى له في شعراء الغري هذه القصيدة عن المجموع المذكور وهي في رثاء السيد هاشم ابن السيد علي بحرَ العلوم :

أراك عصي الدمع عينك لا تجري ... كأنك في أم الحوادث لا تدري
ألم تدر أن الدهر أصمى بسهمه ... هلال بني بحر العلوم بلا عذر
فقم للعزا وابك فكم من مصيبة ... لعمرك قد جلت على العبد والحر
وخطب جليل أفجع العلم والتقى ... بفقد زكيٍّ الأصل والكوكب الدري
نعاه التقى والعلم والخلق والنهى ... وأضحت بنو العليا مدامعها تجري
فوا أسفي لم يجد فيه تأسفي ... قضى الدهر ما قد شاء آه من الدهر
وأظلم أفق العلم من بعد فقده ... وقلب الهدى أضحى أحرّ من الجمر
قد اشتاقه بحر العلوم لأنسه ... فلباه مشتاقاً وراح له يسري
فللناس طود العلم يجلو كروبها ... ويكشف عنها من بلاء ومن ضرّ
علي العلى غوث الورى حجة الهدى ... هو العلم السامي وعلامة الدهر
كذاك التقي الماجد الفاضل الذي ... أفاق بعليا قدره كل ذي قدر
إذا جاد كالغيث الهطول بكفه ... وإن عم جدب كان للناس كالبحر
فيا سادة الإسلام صبراً على الأذى ... فلا شيء عند الله خير من الصبر

وإن عـــمكم رزء جليـل وقــوعــه كذا الدهر لا ينفك من حيل الغدر
سقى الله قبراً ضم جسم فقيدكم ورحمته لا زال تهمي على القبر

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ٤/ ٢٧٦ .

(٦٠)
راضي القزويني
(١٢٣٥ - ١٢٨٥) هـ

السيد راضي ابن السيد صالح ابن السيد مهدي ابن السيد رضا الحسيني القزويني . أحد أدباء هذه الأسرة التي أشرنا ونشير إلى بعض رجالاتها من العلماء والأدباء ، والسيد راضي هذا هو من أدبائها الشعراء الكبار .

ولد في النجف الأشرف وتلق علومه الأولية فيها ، ومن ذلك علوم الأدب ، حتى إذا ما انتقل أبوه إلى بغداد انتقل معه وهو يحمل من النجف ما سما به بين الأقران ، وجعله يحتل موقع الصدارة من أدباء بغداد والعراق . ومن جملة ذلك أنه أصبح رفيقاً للوالي العثماني مدحت باشا يصحبه معه في أسفاره لما عهد فيه من الصفات العالية والأدب الجمّ ، وهكذا كانت له حضوة واحترام عند ناصر الدين شاه القاجاري أيام اقامته في إيران .

شاعرنا السيد رضا لم يكن شاعراً يكتب للمناسبة دون غيرها ، بلْ كان بتعبير اليوم شاعراً محترفاً ، انصرف بكل قواه النفسية إلى الشعر والأدب ، فكان لَهُ حضور قويٌّ وفعال في الحركة الثقافية في العراق آنذاك ، لما يتميز به من ثقافة عالية وموهبة وفطنة كبيرتين

لكلّ ذلك ، كان السيد راضي يرى في نفسه كبرياءً وشموخاً ، فترى الخيلاء بشخصه وبأدبه كبيراً ، ولعلهُ محقٌ في ذلك ، فهو سليل أُسرة عريقة حسباً ونسباً ، وربما كان يرى من نفسه (ربّاً) للبلاغة والفصاحة كما يصرّح بذلك في شعر :

قلمي يُتَّـــقى سطاه وكم مِنْ — كَلِمٍ دونه كلومُ الحســـامِ
وأنا المصـــقِعُ الذي نطقت في — مـــعجــزاتي صــوامت الأقــلامِ

سلْ ببغداد والحجاز ومصر ونواحي عراقها والشآم
أنا فيها ربّ البلاغة والأقـ ـلام رسلي بالوحي والالهام

هكذا يرى الشاعر نفسه، وإذْ جعل لنفسه كل هذهِ المكانة فهو من خياله لا شكّ. ولَهُ في هذا المضمون:

وقائلة لِم غزتْكَ الهمو م ويُجلى بك الهمّ مهما أدلهمْ
وأمركَ ممتثل في الورى ونهيك مزدجر في الأمَمْ
فقلتُ ذريني على غصّتي فمثلي على مثلها لم يُلمْ
ولا تنكري هم ذي همّة فإن الهموم بقدر الهِممْ

لا شكّ أن بعض هذا القول هو من أوهام الشاعر، فما نعلمه سلطاناً وملكاً تمضي نواهيه وزواجره، وإنما نعلمه شاعراً لَهُ احترام عند بعض الحكام والوجهاء والأدباء.

حقاً، إن ذلك من جنوح الشاعر إلى خياله، وقد يبلغ هذا الخيال حدّاً من الإسرافِ يُلام فيه عليه كمثل قوله:

كل ذي حسن مليح حَسَنٍ قلبُهُ قاسٍ ولو كان نَبيْ
وزليخا لمْ تَنَلْ مِنْ يوسفٍ غير نيران الأسى من أرَبِ

وعلى أيّة حال، فإننا أمام شاعرٍ ينتمي إلى هذا القرن في جزء كبير منه، ولكنّه يتجاوزه في أحيانٍ أُخرى، من حيث المستوى الفَني، وغالباً ما يتجاوزهُ من حيث المستوى الموَضوعي، وذلك حينما يقترب بشعره من ذاته، بلْ بتعبير أدق: حينما ينطلق في شعره من ذاته، وهي تتوق إلى الجمال والحرية والإنفلات، فها هو يتمنّى مجلساً من مجالس الأنس التي ربما قرأ عنها في ليالي ألف ليلة وليلة:

أشتكي وحشةً بمجلس أُنسٍ لك يا أيُّها الجليسُ الأنيسُ
بكر خمرٍ تسعى لها بكر خدْرٍ وعروس بها تحيّي عروسُ
مجلس من سلاف كأسٍ ولَعْسٍ أشرقتْ فيه أنجمٌ وشموس

لا ندري لو أنّ هذا الشاعر عاش زمن العباسيين أو الأندلسيين ماذا كان لقريحته أن تنتج .

وبرغم هذا التوق إلى «الإباحية» في نفس هذا الشاعر والذي يؤكده في قصائد عديدة لَه ، إلا أنّه أحياناً يتقمّص ثوب العفة والوقار ، وكأنه يعود إلى القداسة التي ألفها في أسرته في النجف أيام دراسته الأولى ، وكأنه يصدرُ عن ذات الشريف الرضيّ أو المرتضى :

وخلعتُ العـــذار في خلواتٍ بين شكوى الهوى ونشر عتابِ
ورثى رحـمـةً لقلب مـذابٍ ويكى رقـةً لصبٍّ مـصـابِ
واعتنقنا حتى الصيـاح بليلٍ فيه زُرَّتْ على العفافِ ثيابي

يفسح الشاعرُ في شعره لذاكرته أفقاً واسعاً ، فتراه في كثير من شعره يحنُّ إلى ماضي آيامه ، سواء ما يذكره منها في عهد الهوى والتصابي ، أو ما يشدُّ بقلبه إلى ديار الوطن والأهل في العراق والزوراء ، ومن ذلك قصيدته التي قالها وهو في «تبريز» تلك المدينة التي قضى نحبه فيها بعد سفره إليها . ومما يزيد من شوقه إلى العراق بغضه لهذه المدينة ولأهلها الذين بسببهم راح هذا الشاعر في شعره عن يصدر موقف كان له من العمومية أن هجا كل الاتراك ، وفضّل عليهم العرب ، وهو موقف قومي ربما لا نجد له ما يبرّره مع هذهِ العمومية وهذا الإطلاق في قصيدة له ، مطلعها :

أحـبَّـتنا بزوراء العـراقِ لقد طال النّوى فمتى التلاقي

هذا جانب من شعره ، وهناك جانب آخر مهم وهو الجانب الذي يبدو أنه يشكل جزءاً كبيراً من ذاكرته وبنائه النفسي ، وهو جانب كربلاء ومأساتها ، فقد نظم شعراً كثيراً في هذهِ المأساة .

نماذج من شعره :

ليت شعري كم خضت للشعر بحرا منه توجت مـفـرق الدهر درا
وبشعري لما اكتسى الكون فخرا قيل لي أنت أشعر الناس طرا
في فنون من الكلام النبيه

مـثلمـا رق في الزجـاج مـدام رق مـعنى له وراق انتظام
وكـمـا ضـاحك الرياض غـمـام لك من جـيـد الفـريض نظام
يثـمـر الدر في يدي مـجـتنيـه

كم مـعـان أبرزتهن شـمـوسـا بمـبـان زينت فـيـهـا الطروسـا
كنت حـقـا لدرها قـامـوسـا فلمـاذا تركت مـدح ابن مـوسى
والخـصـال التي تجـمـعن فـيـه

خل مـا قلت مـن بديع نظام ودواعي تشـوق وغـرام
واصنع المدح في أمـام همـام قلت لا أسـتطيع مـدح أمـام
كـان جـبـريل خـادمـاً لأبيـه

وله مخمساً :

رب نفس رقت من العلم مـرقى تركت مـعـشـر المعـالي أرقـا
فـإذا رمت مـفـخـرا لك يبـقى هـذب النفس بالعلوم لتـرقى
وتـرى الكل فـهـي للكل بيت

هي كـالنور في الزجـاجـة اشـرق أو كـتـاج مـرصـع فـوق مـفـرق
غـيـر بدع إذا تجلى بهـا الحق إنما النفس كـالزجـاجـة والعـقـ
ـل سـراجٌ وحكمـة ا؛ زيتُ

وهي تلك السـراج إمّـا مَلِيّ صـحنهـا زيت حكمـه أو خلي
لك فـيـهـا يمتـاز رشـد وغي فـإذا أشـرقت فـإنك حي
وإذا أظلمت فـإنك مـيـت

وله مخمساً :

أترجـو أن تبل صـدى رجـاء ببـحـر كـالسـراب لعين راء
فـوالهـفي لامـال ظمـاء مـتى تصل العطاش إلى ارتواء
إذا اسـتـقت البـحـار من الركـايا

تصـدرت الصـغـار بكل ناد وسـادت في الكبـار بلا سـداد
وقـد جنح الصـلاح إلى فـسـاد فـمن يثني الأصـاغـر عن مـراد
إذا جلس الاكـابر في الزوايا

إلام تسومني بالذل سوما ولم تقبل لي الأيام لوما
فكم رفعت من الوضعاء قوما وإنَّ ترفّعُ الوضعاء يوما
على الرفعاء من أدهى الرزايا
تساوى الناس منخفض وعال وذو نقص يعد كذي كمال
فزر يا موت أرباب المعالي إذا استوت الاسافل والأعالي
. . . .
وله أيضاً مخمساً :
خل الخمول لمن أضل سبيله واختار في ظل الهوان مقيله
يأبى الكريم مع النزيل خموله وإذا الكريم يرى الخمول نزيله
في منزل فالحزم أن يترحلا
مالي أراك سئمت عيشك راقدا ومنعت عينك أن تطيب مواردا
ومكثت من كدر الدنيئة واردا ساهمت عيسك مر عيشك قاعدا
أفلا فليت بهن ناصية الفلا
نفس الكريم الحر لا ترضى بما يرد المذلة أو تموت مع الظما
فإذا اشتكت فقراً ألمّ فطالما للقبر لا للفقر هبها إنما
مغناك ما أغناك أن تتوسلا
فصل المفاوز نفنفا في نفنف صلت المضارب كالحسام المرهف
وإذا تخطتك المنى في موقف فارق ترق كالسيف سل فإن في
متنيه ما أخفى القراب واخملا
فذر الاقامة واخطب العليا وفِ بعهودها وبدونها لا تكتف
فالمجد لم يكمل بغير تكلفَ كالبدر لما أن تضاءل جد في
طلب الكمال فحازه متنقلا
ما الموت إلا أن تعيش رضا بما يروى لقوم كالسراب مع الظما
فاقطع بهرهم القفار لتغنما وصل الهجير بهجر قوم كلما
أمطرتهم شهدا جنوا لك حنظلا

فاركب إلى العلياء صعب المركب وانهض بعزم في الأمور مجرب
واهنأ بضاف من أبا مستعذب سفهاً لحلمك إن رضيت بمشرب
رنق ورزق الله قد ملأ الملا

أنا كالحسام يروق جوهر نصله كل يقر بفضله وبفصله
هيهات لا يأتي الزمان بمثله لله علمي بالزمان وأهله
ذنب الفضيلة عندهم أن تكملا

غيري بإبرام الزمان ونقضه يرضى مخافة خفضه أو نفضه
هيهات لم أعط القياد بقبضه أنا من إذا الدهر ما هم بخفضه
سامته همته السماك الأعزلا

ذهب الأولى قد كان يحمد سيرهم لطلاب كل علا ويؤمل خيرهم
قوم حووا كرم الطباع وغيرهم طبعوا على لؤم الطباع فخيرهم
إن قلت قال وإن سألت تقوّلا

هل من فتى يرعى الوفاء بعهده زاكي المغارس في أبيه وجدّه
حتّام أجزى في الوفاء بضده من غادر خبثت مغارس ودّه
وإذا محضت له الوفاء تأوّلا

قال مخمسا بيتي صفي الحلّي :

بين طرفي والنوم أوريت حربا ترك القلب للصبابة نهبا
أنت يا من لم تبق لي قط لبا يا مريض الجفون أمرضت قلبا
كان قبل الهوى صحيحا سويا

عن رقادي عوضتني بسهادي وعن القرب بالنوى والبعاد
أنت إن لم تجد بنيل مرادي لا تعذب بناظريك فؤادي
فضعيفان يغلبان قويا

وله وقد مر بالسماوة قادماً من بغداد :

سقى الغيث أكناف السماوة إنها مراح لآرام النقا وملاعب
توهمها طرفي سماء محاسن كواكبها البيض الحسان الكواعب

فمن ناظر منها على الحسن ناضر ... ومن حاجب عن أعين الناس حاجب
وأهتز شوقا كلما اهتز عطفها ... كما اهتز مرتاح من الراح شارب
أجارتنا هل تنجزين مواعِداً ... تصدق فيهن الأماني الكواذب
أجوب الفلا شرقا وشوقي مغرب ... ففي الغرب لي قلب وفي الشرق قالب

وله متغزلاً:

بدت تختال مسفرة دلالا ... فأخجلت الغزالة والغزالا
ومن سكر الشباب تهز قداً ... كغصن البان لينا واعتدالا
وفي الخدين نار من راها ... يجد بين الضلوع لها اشتعالا
لئن ضاقت معاضدها عليها ... فإن وشاحها في الخصر جالا
دهتنا والحميا والمحيا ... نرى بهما الكواكب والهلالا

وله يرثي العباس ابن أمير المؤمنين علي (عليهما السلام):

أبا الفضل يا من أسس الفضل والإبا ... أبى الفضل إلا أن تكون له أبا
تطلبت أسباب العلى فبلغتها ... وما كل ساع بالغ ما تطلبا
ودون احتمال الضيم عزا ومنعة ... تخيرت أطراف الأسنة مركبا
لقد خضت تيار المنايا بموقف ... تخال به برق المنية خلبا
وفيت بعهد المشرفية في الوغى ... ضرابا وما أبقيت للسيف مضربا
وليث وغى يأبى سوى شجر القنا ... لدى الروع غابا والمهند مخلبا
وتحسب في ليل القتام حسامه ... لرجم شياطين الفوارس كوكبا
يذكرهم بأس الوصي وكلما ... رمى موكبا بالعزم صادم موكبا
ولما أبت أن يشرب الماء طيبا ... أمية لا ذاقت من الماء طيبا
جلا ابن جلا ليل القتام كأنه ... صباح هدى جلّى من الشرك غيهبا
وقفت بمستنّ النزال ولم تجد ... سوى الموت في الهيجا عن الضيم مهربا
إلى أن وردت الموت والموت عادة ... لكم عرفت تحت الأسنة والظبا
ولا عيب في الحر الكريم إذا قضى ... بحد الظبا حراً كريماً مهذباً
رعى الله جسماً بالسيوف موزعا ... وقلبا على حر الظما متقلبا

ورأس فخارٍ سيم خفضا فما ارتضى سوى الرفع فوق السمهرية منصبا
عجبت لسيفٍ قد نبا بعد ما مضى فراعا ولولا قدرة الله ما نبا
وطرف عُلاً قد أحرز السبق في الوغى كبا ليته في عرصة الصف لا كبا
وزندٌ خبا من بعد ما أضرم الوغى وأورى ضراما في حشى الدين ما خبا
بنفسي الذي واسى أخاه بنفسه وقام بما سن الاخاء وأوجبا
رنا ظامياً والماء يلمع طاميا وصعد أنفاسا بها الدمع صوبا
وما همه إلا تعطش صبية إلى الماء أوراها الاوام تلهبا
على قربه منها تناءى وصوله وأبعد ما ترجو الذي كان أقربا
ولم أنسه والماء ملء مزاده يقلب طرف الطرف شرقا ومَغْربا
تصافحه بيض الصفاح دوامياً وتعدو على أشلائه الخيل شزَّبا
وما ذاق طعم الماء وهو بقربه ولكن رأى ورد المنية أعذبا
مصاب لوى عليا نزار بن غالب وخطب كسا ذلا نزاراً ويعربا
وروع قلب المصطفى ووصيه وضعضع ركن البيت شجوا ويثربا
وللخفرات الفاطميات عولة وقد شرق الحادي بهن وغربا
لها الله إذ تدعو أباها وجدها فلم تر لا جدا لديها ولا أبا
مضت بالهدى في شهر عاشور نكبة لديها العقول العشر تقضي تعجبا

وله يرثي الشيخ محمد بن علي بن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء :

خلت المدارس يوم خف مقيمها وعفت هناك طلولها ورسومها
واحسرة الإسلام بعد محمد لما عراه من الخطوب عظيمها
قد أمحلت أرض العراق وكم غدا يزهو بواكف راحتيك أديمها
يا كافل الايتام بعدك من ترى يأوي إليه من الأنام يتيمها
هذي حدود الله إن تك عطلت فالله بالمهدي سوف يقيمها
أيشاد ركن العلم فيك وإنما نادى المؤرخ فيك غاب عليمها

وكانت للشيخ جابر الكاظمي الشاعر المشهور بنت صغيرة يحبها كثيراً فتوفيت ، فقال السيد راضي يرثيها :

أقول لجابر صبراً جميلاً   ستجزي الأجر بالصبر الجميل
فتاة كالزهور سنا أضاءت   فغالتها النوائب بالأفول
تطول على الخطوب إذا ألمّت   بباع للعزائم مستطيل
لفرقة نبعة طابت فروعا   كذا طيب الفروع من الأصول
ويا عضبا يمانيا صقيلا   أحدّ من اليمانيّ الصقيل
تعز وصر اشد الناس صبرا   أخا ثقَة لدى الخطب الجليل
فحكم الموت في الأيام جار   بكل الخَلق جِيلاً بعد جيل
وما فقد البنات أراه إلا   من الفضل الجزيل من الجليل
وما عهدي بأنك للرزايا   تطاطىء ضارعاً شبه الذليل

وكتب إلى عبد الباقي العمري :

فسل فصحاء هذا العصر عني   أنا ابن جلا الفصاحة والكمال
وقومي في القبائل خير قوم   وآل المصطفى المختار آلي

وقال وهو في تبريز ، في مرضه الذي توفي فيه :

إليك ذنوبي مثل سبعة أبحر   ولكنها في بحر عفوك كالبلل
ولولا اعتقادي أن فضلك واسع   وأنت كريم ما قدمت على زلل

توفي الشاعر في تبريز في حياة والده في محرم ١٣٨٧ هـ ونقل جثمانه إلى النجف فرثاه والده كما رثاه غيره من الشعراء .

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ٤/ ٩ . أعيان الشيعة : ٦/ ٤٤١ . الحصون المنيعة : ٩/ ٢٠٦ . الذريعة : ٩/ ٣٤٧ . الكرام البررة : ٢/ ٥٢٥ . ماضي النجف : ٣/ ١٩٦ . معجم المؤلفين العراقيين : ٢/ ٤٥٧ . نهضة العراق الأدبية : ٣٢٤ . معجم رجال الفكر والأدب : ٣/ ٩٨٧ .

(٦١)
عبد الحسين شكر
(/ - ١٢٨٥) هـ

الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد بن شكر النجفي الحياوي .

أحد شعراء عصره الكبار ، ذاع ذكرُهُ وعَلَتْ مكانته في الأوساط الاجتماعية المختلفة ، وذلك لما كان فيه من فضيلة الأدب والشعر الذي أكثر من نظمه ، خصوصاً في أهل بيت العصمة «ع» ، ومنه كثير يتلى على منابر الحسين «ع» ، ومن تليت له قصائد على منابر الحسين «عليه السلام» يكون له من الشهرة ما لا يكون لغيره .

اتصل بالملوك والامراء ومدحهم ونال جوائزهم ، ومن جملتهم ناصر الدين شاه القاجاري حاكم إيران في عصره الذي عيَّن له مرتباً سنوياً ، فعاش عيشة راضية في كربلاء ، ثم رجع إلى طهران وبقي فيها حتى مات .

حاول الأستاذ علي الخاقاني في (شعراء الغري) أنْ يرد على صاحب الحصون فيما يتعلّق باتهام أبيه الشيخ أحمد بالانخراط في سلك الشيخية التي تحدثنا عنها عند ذكرنا للشيخ أحمد الإحسائي ، إذ أن صاحب الحصون وغيره أدرى به والله العالم بحقائق الأمور . وذلك من الاستاذ علي في غير محلّه .

أما أن الولد على سر أبيه ، فهو عندي من أوضح الواضحات ، ويظهر ذلك جلياً من خلال رثائه للشيخ أحمد الإحسائي حيث يقول :

لأحمد نجل زين الدين نورٌ حكى خير الورى والغرّ آله
ومُذْ كملتْ زجاجته صفاءاً به أبدى الإله لنا جماله
لسبحات الجلال أراد كشفاً فأظهر للورى فيه فعاله

أراد تجلّياً للخلق فيه	فألقى في هويّته مثاله

ورغم أننا لا نجد في عرضه لعقيدته شعراً ما يُلام الشيخ عليه وإن اتفق بذلك مع بعض آراء الشيخية، خصوصاً قصيدته السينية موضوع الشبهة والتي نراها من أجمل القصائد ـ وهي كثيرة ـ التي سجلَتْ معجزة أمير المؤمنين في (سَعْي) ذلك الناصبي (التي عرضناها في غير هذا الموضع)، والذي أراد دخول الحرم العلوي المقدس بنعليه فخرجت (كفٌّ) من الضريح فـ(سَطَرَتْهُ) فمات بعدها، وكانت أن سجّلها شعراء ذلك العصر، وذلك سنة ١٢٧٥هـ، ومنهم الشيخ عبد الحسين شكر ومطلعها:

ورجس زنيم رام يوطىء نعله	على قدس أرض بل على حضرة القدس

لشاعرنا الشيخ عبد الحسين موهبة أدبية تتجلى لا في شعره فحسب، بل بنثره أيضاً، ولاننا هنا نعتني بالجانب الشعري فحسب، فننقل عنه بعض النصوص الشعرية دون غيرها.

فمن شعره في رثاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع):

عرا المكارم خطب شيب بالكدر	لم يبق من بعده للمجد من أثر
رزء له العروة الوثقى قد انفصمت	والشمس قد كورت تبكي على القمر
لله من فادح أبكى الهدى بدم	مذ حل بالدين كسر غير منجبر
لله يوم له أغرت قطام به	أشقى مراد فكانت عبرة العبر
شق المفارق من قرم بضربته	قد شق فرق الهدى والمجد والخطر
لهفي لشبليه كل قائل ولهاً	من بعد جودك في الدنيا لمفتقر
من بعد فقدك مأمول لذي أمل	ومن عقيبك مذخور لمدخر
لم يبق بعدك يا غوث الصريخ حمى	كلا وليس يرى فخر لمفتخر
من المعزي نبي الكائنات بمن	أقام دعوته بالبيض والسمر
بالأنجم الزهر أبناه الذين بهم	قد أشرق الكون لا في الأنجم الزهر
لهفي على خفرات الوحي حين بدت	تدعو بقلب حليف الوجد مستعر
يا غوث كل الورى في النائبات ومن	في كل دهر هو الايسار للعسر
واضيعة الدين والدنيا وأهلهما	حل الذبول بعود للندى نضر

ومن شعره في الغزل قوله :

لي شــادن يرتع حب الحــشــا يفــعل فــيــه لحظة كــيف يشــا
قــد صــادني بلحظه ولفظه واعــجــبا مــثلي يصــيده الرشــا
أما اختشى ظبي يصيد ضيغما ظبي يصيد ضيغما أما اختشى

ومن شعره في الحماسة قوله :

بالظبـا يوم تسـعـر الهـيـجـاء لا بوصل الظبـا تنال العـلاء
بعناق الكعــاب لا الكاعب الـ ـهندي لعـمـري تجاوز الجـوزاء
رب يوم أشــلاؤه فــيــه أرض واشـتـبـاك اللدان فـيـه سـمـاء
وقــتــام الجـيــاد فــيــه ظلام وبروق الحـداد فـيـه ضـيـاء
تصدح البيض في الرقاب كما تصـ ـدح في أوج وكــرها الورقــاء
لي فـيـه مـواقف يقـتـفي الحـتـ ـف بهـا إثر صـارمي والقـضـاء

توفي الشيخ في طهران سنة ١٢٨٥ قبل وفاة والده الذي توفي بعده بسنة في كربلاء سنة ١٢٨٦ هـ، وقد طبع ديوانه بتعليق الشيخ اليعقوبي .

من مصادر دراسته :

ديوان عبد الحسين شكر، تقديم وتعليق الشيخ محمد علي اليعقوبي : (المقدمة) . أعيان الشيعة : ٧/ ٤٣٨ . الذريعة : ٩/ ١٨٣ . شعراء الغري : ٥/ ١٣٣ . ماضي النجف : ٣/ ١٠٤ . معارف الرجال : ٢/ ٣٣ . معجم المؤلفين العراقيين : ٢/ ٢٢٩ . الكرام البررة : ٢/ ٧٠٦ . الروض النضير : ١٩٠ . الحصون المنيعة : ٩/ ٣١٧ . معجم الشعراء العراقيين ٢٢١ .

(٦٢)

أحمد كاشف الغطاء

«القرن الثالث عشر»

هو الشّيخ مير أحمد ابن الشيخ موس ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء ، من فضلاء هذه الأسرة وأُدبائها ، كان أليفاً دافئاً في حديثه محبّباً في شمائله ، أنيقاً في هيئته ، نظم الشعر ولكنَّهُ أسلم الروح إلى بارئها وهو في ريعان شبابه في العقد الثالث منه وقد كان حياً عام ١٢٨٥هـ ، ومن شعره هذه القصيدة التي يمدح بها أخاه الشيخ محمد رضا ويهنيّه لتولّيه الزعامة ويردُّ على مَنْ ناوَآهُ :

ألا حيّها جاءت موردة الخد ... إليك على وعد بعهد من الجد
رأتك لها كفواً فنضت قناعها ... لديك ولم ترض بعمرو لا زيد
رأت بك أنواراً لموسى جلية ... وآياته التسع التي للورى تهدي
رأت بك أخلاقاً حساناً ومنعة ... وعلما وحلما ناء في كفة الطود
نوالاً بلا سؤل جمالاً بلا حلاً ... دلالاً بلا غيّ جلالاً بلا جند
رأت لك كفا يخجل السحب نوؤها ... سوى أنها من غير برق ولا رعد
مكارم أخلاق مشارق مفخر ... لأنوار علم أو لأنوائها تبدي
وفيك صفات لو أبين بعضها ... يقولون غالى في مجاوزة الحد
فإنك فينا حجة وابن حجة ... ومن حجج غرّ ضياغمة أسد
وإنك بعد الله للناس موئل ... وإنك فينا صاحب السيف والبرد
بلى يا ابن موسى أنت حجة عصرنا ... وإنك أولى الناس بالحل والعقد
ضروري شكل منتج موجباته ... ولا يتك الكبرى على العكس والطرد
وآيات فضل ميزتك بنصها ... بها الذكر مشحون من الناس للحمد

عذرتك أن أمسيت محسود معشر غداة بهم أصبحت واسطة العقد
رعى الله أرحاماً يرون لك الولا كإبنَيْ علي شيخنا وبني المهدي
رجال إذا استنجدتهم في ملمة يثورون فيها ثورة الأسد الورد
أناس ولكن لا يضام نزيلهم وقوم ولكن جاوزوا ذروة المجد
أزاهير أمثال النجوم سواطعاً بهم يهتدي الساري إلى منهج الرشد
عواضد أن تشدد بهم أزر ساعد بطشت بكف منك واثقة الزند
ألا يا أبن أُمي والزمان لفضله كمالك أومى اليوم بالطرف واليد
لك الخير لو انصفتني لوجدتني أبرّ الورى رحماً على القرب والبعد
وربَّ فتىً يبدي هواه تملقا ولكنه يخفي خلاف الذي يبدي
ولست كمن يمشي الهوينا تختلاً ليبصر فينا فرصة الرمي للصيد
ولكن أرى حق الولا واجباً لكم وطاعتكم فرض على الحر والعبد
بني جعفر أنتم عصامي ونخوتي ففيكم وإلا لا أعيد ولا أبدي
يميناً لأنتم خير من وَطَأ الحصى وأندى البرايا راحة بالندى تندي

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١/ ٢٦١ . ماضي النجف : ٣/ ١٣١ . معجم رجال الفكر والأدب : ٣/ ١٣٦ .

(٦٣)
حمد آل السيد محمد
«القرن الثالث عشر الهجري»

السيد حمد آل السيد محمد، هو من الشعراء المجهولين، وإنما ذكره صاحب شعراء الغري بناء على ذكر الشيخ هادي آل كاشف الغطاء له وثنائه عليه بالعلم والفضل والبيان، وقد أورد له قصيدة في رثاء إمام جمعة كرمانشاه تلبية لرغبة الشيخ مهدي كاشف الغطاء حين عودته من هناك وبذلك يكون حياً سنة ١٢٨٥ هـ:

العذل أولى بالعذول ... في الوجد للخطب المهول
والطرف أجدر بالهمول ... لذي المصاب من السيول
والصب أولى بالعكو ... ف وبالوقوف على الطلول
يوم استفز البين ضعـ ... ـن المكرمات إلى الرحيل
وهوت دعامات العـ ... ـلى بعد الصعود إلى النزول
واستأصلت نوب الزما ... ن مفاخر الشرف الأصيل
وكبت جياد المجد بعـ ... ـد السيد السند الجليل
سبط النبي محمد الـ ... ـهادي الأنام إلى السبيل
وغياث أرباب المعا ... لي الغر معدوم المثيل
والوارث العلياء من ... آبائه آل الرسول
والواضح الفخر القديـ ... ـم المستديم المستطيل
والعالم العلم الشهيـ ... ـر بكل قطرٍ أو قبيل
ألوى فأضحت ملة الـ ... إسلام فاقدة الكفيل
وقضى فقوّض يوم قو ... ض شامخ المجد الأثيل

يـا دهـر ويـحـك بـل واف دائـم لـك مـن خـلـيـل
حـــتـــام تقـــرع بالنوا ئب والردى هام الفـحـول
وإلى م تـعـــبث بالكرا م الغـــرّ أبناء البـتـــول
حـتى كـأن لك ويل غـد رك من ترات أو ذحـــول
لا صـبـر أن عظم المصـا ب وجل بالصبـر الجـمـيل
لكـنـمـــا قـــد برد الـ آلام مـن لـهـب الغـلـيـل
ان صـار جـار الواحـد الـ ـمـتـفـضل الصـمـد الجليل
وغـــدا مـجـاور جـده الـ ـمـخـتـار في ظلٍّ ظليل
يســقي بكأس في القـيـا مـة مـتـرع من سلسـبـيل
ولـنـا الأسى بـالمـرتـضـى ذي الفخر والفضل الجزيل
وأجل من رمق السـهـا عليـاه بالطرف الكليل
تروي مناقب فـضله الـ أعـلام جـيـلا بعـد جـيل
وسقى الحيا جدثاً حوى مـــولى تنزه عن عـديل
والـلـطـف لا يـنـفـك عـنـ ـه في الصباح وفي الأصيل

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ٣/ ٢٦٧ .

(٦٤)
أحمد شكر

«القرن الثالث عشر الهجري»

الشيخ أحمد ابن الشيخ حسين شكر النجفي، أحد العلماء الكبار في عصره، وصفه صاحب الحصون بأنّه مرجع للأحكام، أقام مدة في كربلاء ودرس عند السيد كاظم الرشتي، كما قيل: إنه تتلمذ على أعلام عصره في النجف الأشرف، وقد عُدَّ من رجال العرفان، كما كان لأصحاب كريم خان التفاف حوله، وله عندهم قدسية وإكبار.

لهُ بعض الرسائل في التاريخ والأخلاق والتهذيب. روى عَنْهُ صدر الشريعة الشيخ بهاء الدين بن نظام الدين والشيخ محمد تقي المامقاني.

ذُكر أنّ وفاته كانت بعد عام ١٢٨٦ هـ، وجاء في شعراء الغري أنه كان حياً سنة ١٢٧٩ هـ، ولعلّ الأوّل أقرب، وإن كان الجمع بينهما وارد إلاّ أن المقصود بكونه حياً.. أو توفي بعد...، إن هذا التاريخ هو أقرب تاريخ يستظهره صاحبه من القرائن لوجود الشخص أو وفاته. لَقدْ مرَّ معنا في ترجمة ولده الشاعر الشيخ عبد الحسين بأنه توفي قبل وفاة والده بسنة وذلك عام ١٢٨٥هـ.

كان الشيخ أحمد قَدْ ساهم في الفن الشعري. فنظم قصائد شعرية، قيل كانت جلّها في أهل البيت «عليهم السلام».

والذي يجدر ذكره أن آل شكر هؤلاء هم غير الأسرة الأُخرى الموجودة في النجف والتي لم يظهر فيها علماء أو شعراء بلْ هم من الكسبة ويمتهنون ـ قديماً ـ البناء وهم أناس عرفوا بالصلاح.

على أن الأسرة العلمية من آل شكر ـ ومنهم المترجم له ـ قد انصرفوا

بجملتهم بعد مدة من الزمن عن مواصلة العلم والأدب ، متجهين إلى أعمال التجارة وخصوصاً الصيرفة التي اشتهروا بها على مستوى الاقتصاد العراقي كله .

وأخيراً نورد للشيخ أحمد هذه القصيدة مهنئاً بها الشيخ مهدي والشيخ جعفر آل كاشف الغطاء لمناسبة زواج أخيهما الشيخ عباس :

إليك تَنحّيْ يا ابنة القوم عن عذلي فلي باقتناء المجد شغل عن الوصل
وإني بتفجيري عيون مكارمي لعمرك في لهو عن الأعين الكحل
فلن تعقل الخود الحسان بحيها قلاصي عن طي العلى ومعي عقلي
تركت عفافاً ما يمرُّ طلابه واعنقت جرد العزم أطلب ما يحلي
تسنمت عزمي شاحذاً حد فكرتي عن الأدهم الشملال أو أبيض النصل
ولي مقول كالسيف أجرت فرنده يد القين يرمي الاخطل الفحل بالخطل
يصدقني النظم البديع بأنني فتى قوله فصل وما هو بالهزل
ولست الذي بالنظم يفخر بعدما تعرفت لولا يوم عرس أبي الفضل
فذلك أجرى من لساني مطهما يريك مجاري السيل عن صيب الوبل
له الله يوما انحل المجد والعلى قداما حلا طعما فأوحى إلى النحل
بعرس فتىً إن امتدحه فإنما تخط بناني ما مكارمه تملي
تخال على آبائه في جبينه فرنداً جلاه القين في صفحة النصل
له الفضل والعلياء عنهم وراثة (وحسن فعال المرء طيب عن الاصل)
ليهن به المهدي والعيلم الذي قضايا الهدى كم فيه انتجن من شكل
أخو هِمَمٍ ترمي الجبال بمثلها وتخرس أصوات الرعود عن الزجل
وكم من يد بيضاء تهدي بومضها بها شرعت للشرع واضحة السبل
أعر سمعك الداعي الصدوق لكي ترى بفيه ازدحام المدح في قوله الفصل
به عقد الشرع المبين لواءه وقاد إليه الأمر في العقد والحل
يكذب بالصفح الوعيد وإنه إذا قال وعداً صدّق القول بالفعل
تطاول وكف السحب جود أكفه فتدرك عدم الخصب في سنة المحل
ليهن ويهن الصادق القول جعفر أخو مكرمات كل جزئيهما كلي

تسنّم من قبّ المعـالي مطهـمـا / به حار من دون الورى قصب الفضل
تذكـرنا أيديه في الناس هاشـمـا / وتنسي ابن مام وابن سهل أخا الفضل
جداول مدَّت من شريعة جعفر / فكم صـادر عنهن بالعل والنهل
مناقب لا تحصى عـداداً وهل ترى / فتى رام قبلي حصر منقطع الرمل
فـلا برحت أنواؤه مـستـهلة / تطاول منهل الغـمـائم في الهطل

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١/ ٢٥٩ . ماضي النجف : ٣/ ١٠٤ . معارف الرجال : ٢/ ٣٣ .
أعيان الشيعة : ٢/ ٦٠٣ .

(٦٥)
دخيل الحجامي

«١٢٤٥ - ١٢٨٧» هـ

الشيخ دخيل ابن الشيخ طاهر ابن الشيخ عبد علي ابن الشيخ عبد الرسول الحجامي المالكي . كانت ولادة هذا الشيخ حيث مقرّ عشيرته في سوق الشيوخ «جنوب العراق» فتربى في حجر والده الذي كان من العلماء الكبار ، ثمَّ انتقل إلى حوزة النجف العلمية فدرس على علمائها الكبار كالشيخ مرتضى الأنصاري حتى كان من فقهاء عصره .

جمع الشيخ دخيل بين فضيلتي العلم ـ خصوصاً العقليات والفقه ـ وفضيلة الأدب شعراً ونثراً ، فكانت له تصانيف مهمة أثنى عليها العلماء وقرّضوها ، كما كانت له رسائل نثرية ومساجلات أدبية دلَّتْ على أنه أحد أدباء عصره الكبار ، ولَهُ شعر يتوفر على جوانب الفن الشعري من السبك والخيال والمتانة .

من آثاره العلمية:

- كتاب في الفقه الإستدلالي يقع في سبع مجلدات .
- رسالة في الردّ على المحدّثين .
- تحفة اللبيب في المنطق .
- تحفة النساك ، وهي أرجوزة في مناسك الحجّ .

وله تآليف أخرى متنوعة .

ومن شعره ما أرسله إلى الشيخ عباس ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء وضمنها بعض أبيات عبد الباقي العمري .

سلام مثل أنفاس الخزامى   يضوع شذا باذيال النعامى

تنطم نشـــره أيدي مـــحب ... مـشـوق كـاد أن يقـضي غـرامـا
أذابت قلبـــه جـــذوات وجـــد ... تـؤجج بين جنبـيــه ضـرامــا
فـلـم يهـنـأ لـه أبداً طعـــام ... ولا عـــرفت نواظـره المنامـــا
إلى مـلـك يـهــــاب الدهر منه ... ونـدب عـم نـائلـه الأنـامـــــا
له عـــزم كـــأشـــفـــار المواضي ... وكف يخـجل الغـيث انسـجـامـا
نتـيجـة مـعشـر ضـربوا فـخـارا ... على هام الضـراح لهم خـيـامـا
أمـــاثل قـــد توارثت المعـــالي ... أمـام للـهـدى يقـفـو أمـامـا
لهم كـشف الغطاء ولا عـجـيب ... بأن يجلو سَنا الشـمس الظلامـا
إلى ملك تهـــد الشم بأســـا ... عـــزائمـه فـيـذريهـا رغـامـا
وأذهب بأســـه صـــرف الليـــالي ... وقـد أضـحى الزمـان له غـلامـا
ونال من المســـائل مـــا تمنى ... فـقـــام بهـــذه الدنيـا إمـــامـا

ومما كتبه جوابا على كتاب كتبه إليه الشيخ عباس المذكور :

من مـغـرم أنحله فـرط الجـوى ... وشــيق أذاب قلبـــه النوى
أرقـــه الحب وأضنى جـــســـده ... وأشــمت الحبّ به من حـــســـده
فـبـات بين السـقم والسـهـاد ... يـبـكي بـدمـع رائـح وغـــاد
وبعـــده أن لا عج الفـــراق ... أذاب مـــهـــجـتي من الآفـــاق
لا عـــبـــرتي ترقى ولا حنيني ... لـولا تمني القـرب حـــان حـيني
فـقلت والقلب إليكم قـد صـبـا ... (هذا الكتـاب المنتـقى والمجـتنى)
دق وراق نـظـمــــه كـــــأنـه ... (في نعت أهل البيت أصحاب العبا)
(بالقلـم الأعلى بكف قـــدرة) ... تـخـــاله خط بهـــا وهـذبا
وتحـسب النثـر لحـسن نظمـه ... (في اللوح من مداد نور كـتـبـا)
(ريح الصبـا تضـخـمت بطيبـه ... بطيبـة تضـخـمت ريح الصـبـا)
ومنكب العليـــاء منه كم طوى ... حـــقـــائبـــا تزري بأزهار الربى
من طيـبـه يفـوح قـبل نشـره ... نشـــر العـــوالي ونوافح الكيـا
فـــعطرت أنفـــاسكم ونده ... كل البـرايا مـشـرقـا ومـغـربا

وضمن كتاباً آخر إليه هذين البيتين :

حتى إذا استنشقت من نشرك ما تضمنت طيبا به ريح الصبا
تحمله منك إلي أسطر كأنها في الطرس أزهار الربى

ومن شعره قوله :

المجد والفخر والعلياء من أربى والحزم والعزم والاقدام من حسبي
ولي مناقب فضل قد شهدن بها بيض من القضب مع سود من الكتب
وهمة قد سمت هام السماك عُلىً بعزمة كذباب الصارم الذرب
ولم تزل ترتقي بي للعلى همم حتى سموت مناط الأنجم الشهب
إن كان ساءك مني ملبس خلق باد ففي طيِّه ماض من القضب
والسيف يحسن ما تمضي مضاربه وإن نبت لم تفده حلية الذهب
إن الجواد وإن تخلق شكيمته ينال في جريه الأقصى من الطلب
والشمس تبدو ولا تخفي محاسنها وإن علتها جلابيب من السحب

وقال مصدراً بها كتابا لبعض أصحابه في النجف :

سلام يلبس الروض الوسيما مطارفَ تملأ الدنيا شميما
تخال نظامه نثر اللئالي وتحسب نثره عقدا نظيما
إلى ذي فكرة كالسيف حدّاً وكف تخجل الغيث العميما
مزايا لو نشرن على الدياجي أحال ضياؤها الليل البهيما

من مصادر دراسته :

أعيان الشيعة : ٦/ ٣٩٤ . شعراء الغري : ٣/ ٣٨٦ . معجم رجال الفكر : ١/ ٣٩٩ . الذريعة : ٣/ ٤٦٤ . معارف الرجال : ١/ ٣٠٤ . الكرام البررة : ٢/ ٥٢٤ . مكارم الآثار : ٤/ ١٢٥٠ . مشهد الإمام : ٣/ ١٢٤ . ماضي النجف : ٣/ ١٥٥ .

(٦٦)

إبراهيم صادق

(١٢٢١ - ١٢٨٨هـ)

الشيخ إبراهيم ابن الشيخ صادق ابن الشيخ إبراهيم بن يحيى بن محمد بن سليمان المخزومي العاملي، حفيد الشيخ إبراهيم بن يحيى أحد المترجمين له في هذا الكتاب.

رحل إلى النجف سنة ١٢٥٢ هـ وبقي فيها سبعة وعشرين عاماً، آخذاً عن علمائها الكبار، لاسيما الشيخين مهدي وعلي ابني الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وكذلك الشيخ الأنصاري، وبعض آل القزويني. تميّز هذا الشيخ بميزات علمية عالية: أدباً وفقهاً ونفوذاً، فكان محطّ اعجاب رؤساء الدين والدنيا في النجف الأشرف وخارجها كأرباب الدولتين العثمانية والإيرانية، وكذلك زعماء الجنوب اللبناني من آل الأسعد، ومن هنا نجد ديوانه الشعري يعجّ بذكر كثير من الشخصيات العلمية والسياسية آنذاك، ومن آثاره التي تركها في النجف الأشرف قصيدة عينية في مدح أمير المؤمنين «ع» كتب بعضها بحروف من الفضّة على شباك ضريح المولى أمير المؤمنين «ع» الذي أهداه للحرم الطاهر مشير الدولة الإيرانية سنة ١٢٩٨ هـ، هذا وقد عاد المترجم له إلى بلاده الطيبة وذلك سنة ١٢٨٠ عالماً فقيهاً له مكانة رفيعة عند الناس والأعيان.

آثاره:

١ ـ منظومة فقهية كبيرة تقرب من ألف وخمسمائة بيت.

٢ ـ مجموعة أدبية فيها شعره ورسائله ويبدو أنها فقدتْ.

ومن طرائفه الأدبية: كان ذات يوم جالساً عند الأمير علي بيك، فشكا

علي بك البرغوث فقال مرتجلاً :

أتخشى لسع برغوث حقير وفي أثوابك الغرّاء لَيْثُ
فَلَمْ يدنو لك البرغوث إلاّ لأنّك للورى بَرٌّ وغَوْثُ

فأجازه الأمير بمئة ليرة .

وفي منطقة الكفل ، كانت الدائرة قد أحاطت به هو حيث عانى البرغوث والبقّ معاً .

فإذا غطّى رأسه في منامه كان للبرغوث وجهه ، وإذا كشف عنه الغطاء تناوله البقّ ، بما يعهد منهما ، فأنشد في ورطتيه هاتين :

وليلة باتت براغيثها ترقص إذ غنّى لها البقُّ
قَدْ كدتُ من حزني وأفراحها «أنشقُّ» لولا الفجرُ ينشقُ

ومن شعره :

على غفلة لا في زحام كريهة له سددت كف الردى أسهم الغدر
لك الويل يا أشقى ثمود ابن ملجم فتكت بطلاع الثنايا إلى النصر
دسست له تحت الظلام غوائلا بها أصبح الإسلام محدودب الظهر
فألفيته كالبدر يزهو جبينه بدائرة المحراب يصدع بالذكر
يصلي وأملاك السماء تحاشدت تصلي عليه والهدى كامل البشر
فلقت بحد السيف هامة فيصل وخضبت وجهاً دونه هالة البدر
قتلت به دين الإله ووحيه وهدمت أركان الإنابة والسر
لقد عجت الأملاك في ملكوتها صراخاً عليه فهي ثكلى إلى الحشر
ونادى بصوت يملؤ الدهر دهشة أمين الهدى جبريل في الملأ الغر
قواعد دين الله قسراً تهدمت وأعلام حزب الله دانت إلى الكسر
وعروته الوثقى أباحوا انفصامها وحال صباح الدين في غسق الكفر
بقتل إمام خصه الله للورى لاهدائها للرشد والحمد والشكر
تسلّب هذا الدهر أبراد بشره وخاض الورى في مجهل أبد الدهر
وهبّت رياح زلزل الكون وقعها فطبقت الآفاق بالحالك النكر

فويل لقوم أسلموه إلى الردى كأن لم يكن في ودّه كالأب البر
قتلتم به فرض الصلاة وندبها وغادرتموا فرض الصيام بلا شهر
تقمصتموها حيث بؤتم بعارها ملابس ذل ليس يبلى إلى النشر
فلله ما لاقت حشاً خفراته لدى نعيه الأملاك من فادح الأمر
له انشق في ظفر الرزايا فؤادها أسىً قبل أن ينشق ملتمع الفجر
ولما وعى شبلاه من جانب الحمى نعيّ أبي الأشبال مستنزل السفر
ألمّا وقد أودى الأسى بحشاهما وقالا وقيت النائبات أبا الغر
فدتك الورى يا خير من وطأ الثرى من اغتال ليث الغاب في ليلة القدر
جرى دمعها هدراً بمجرى دمائه فها هي بعد اليوم مطوية البشر
فصوّب طرفاً نحو شبليه قائلاً علام البكا فالصبر أجمل بالحر
فيا فلذة الأحشاء يا حسن التقى بسم العدى تقضي خلياً من الأمر
وقرَّة عيني يا حسين لأنت في خيار الورى صرعى على جانب النهر
عطاشى ولم تبرد بشيء سوى الظبا قلوبهم والماء من حولهم يجري
وفوق العوالي السمر تجلى رؤوسهم وتهدي لداعي الكفر في السر والجهر
وخيل العدا قسراً تروح وتغتدي بأجسامهم خبطاً برمضاء كالجمر
وتنهب من تلك الخيام رحالها وتحرق في مشبوبة الشرك والكفر
وتسبي على النيب المهازيل حسراً ربيبات وحي صانها الله بالخدر

وله يهني الشيخ محمد ابن الشيخ علي كاشف الغطاء بقران ولده الشيخ محسن وذلك عام ١٢٦٧ هـ قوله :

حيتك بالورد النضير حوراء فاقدة النظير
غراء تهزأ إن بدت بالشمس والقمر المنير
تزهو بنور جمالها لا بالدمقس ولا الحرير
ويضوع لا ينفك من أنفاسها أرج العبير
أرج بنشر عبيره هب الرفاة إلى النشور
وإذا مشت سجع الحليّ مرجعاً سجع الطيور
وقوامها غصن النقا لا بالطويل ولا القصير

ما غاب بدر جمالها إلا بديجور الشعور
رود لها جيد المهاة ومقلة الظبي الغرير
يا محسن الأقوال ياذا العلم والفضل الغزير
وسليل أكرم من تجلـ ـبب بالفخار المستنير
زفت إليك بأسعد الأ يام في خير الشهور
غراء خير عقيلة ضربت لها كلل الستور
وكريمة تنمى لوا لد شبر وأبي شبير
علوية طالت ذوي الـ ـعلياء بالنسب القصير

وله يهنىء الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ صاحب الجواهر بختان أولاده وأخويه قوله :

تهن وسائر البشر بطهر الخمسة الغرر
بنيك ذوي العلى وابني حليف المجد والخطر
أبيك أجل خلق اللـ ـه من بدو ومن حضر
وأعلم من أحاط بسرٍّ علم الآي والسور
نهجت سبيله فحللـ ـت فوق الأنجم الزهر
ولما سرت سيرته غدوت عميد كل سري
وقد أصبحت للأيا م ملء السمع والبصر
وأحرزت الفخار فلم تدع فخراً لمفتخر
ألا آسعد بالسرور وبت من النعمى على سرر
وضع وارفع وصل واقطع وضر وآنفع وخذ وذر

وله يمدح الإمام أمير المؤمنين علياً «ع» وهي طويلة تزيد على ١٥٠ بيتاً منها قوله :

هذا ثرى حط الأثير لقدره ولعزه هام الثريا يخضع
وضريح قدس دون غاية مجده وجلاله خفض الضراح الأرفع
أنى يقاس به الضراح علاً وفي مكنونه سر المهيمن مودع
جدث عليه من الإله سرادق ومن الرضا واللطف نور يسطع

ودّت دراريُّ الكواكب أنهـــا بالدر من حـصـبـائه تتـرصع
والسبـعـة الأفـلاك ودَّ عليّـهـا لو أنه لثـرى عليٍّ مـضـجع
عـجـبـاً تمنى كل ربع أنه للمـرتضى مـولى البـرية مـربع
ووجـوده وسع الوجـود وهل خلا في عـالم الامكان منه مـوضع
كشاف داجية القضاء عن الورى بعـزائم منهـا القـضـاء يروّع
هزّام أحـزاب الضـلال بصارم من عـزمـه صبح المنايا يطلع
سبـاق غـايات الفـخـار بحلبة فـيها السواري وهي شهب تطلع
عم الوجـود بسـابغ الجـود الذي ضـاقت بأيده الجـهـات الأربع
أنى تسـاجله الغـيوث ندى ومن جـدوى نداه كل غـيث يهـمع
أم هل تقـاس به البـحـار وإنما هي من ندى أمـداده تتـدفع
فـافـزع إليـه من الخطوب فـإن من ألقى العـصـا بفنائه لا يفـزع
وإذا حللت بطور سـينا مـجـده وشـهـدت أنوار التـجلي تلمع
فـاخلع إذاً نعليك إنك في طوى لجـلال هيـبـتـه فـؤادك يخلع
وقل السـلام عليك يا من فـضله عـمن تمسك بالولا لا يمنع
مولاي جد بجميلك الأوفى على عـبد له بجـمـيل عـفـوك مطمع
يرجـوك إحـسـاناً ويأملك الرضـا فـضـلاً فـأنت لكل فـضل منبع
هيـهـات أن يخشى ويأملك الرضـا ويهـوله يوم القـيـامـة مطلع
هيـهـات أن يخشى وليك من لظىً من كل ذنب لا مـحـالة تشـفع
ويهـوله ذنب وأنت له غـداً لذوي الولا من سلسـبيل مـترع
ويخاف من ظمأ وحوضك في غد ولديه أعـمـال الخـلايق ترفع
وله مـآل ثوابهـا وعـقـابهـاً يعطي العطاء لمن يشـاء ويمنع
أعيت فـضائلك العظام فما عسى يثني بمدحـتك البليغ المصـقع
وأرى الألى لصـفـات ذاتك حـددوا قـد أخطأوا مـعنى عـلاك وضيعوا
ولأي مـجـدك يا عظيم المجـد لم يتـدبروا وحـديث قـدسك لم يعوا
عجبي ولا عجب يلين لك الصفا والماء من صم الصـفـا لك ينبع
ولك الفـلا يطوى ويعـفـور الفـلا لدعاك من أقصى السباسب يسرع

ولك الرمــام تهب من أجــداثهــا والشـمس بعد مـغيبهـا لك ترجع
والشـمس بـعـد مـغـيبـهـا إن ردها بالســر منك وصي مــوسى بوشع
فــهـي التي بك كل يوم لم تزل من بدء فطرتهــا تغــيب وتطلع
ولك المناقب كـالكواكب لم تكن تحصى وهل تحصى النجوم الطلع
فـالدهر عــبـد طائع لك لم يزل وكـذا القـضـا لك من يمينكَ أطوع
ولئن أطاع البحـر موسى بالعـصـا ضـرباً فمـوسى والعـصـا لك أطوع
ولئن نجت بالرسل قـبلك أمـة فلقـد نجت بك رسل ربك أجـمع

وله يتغزل وهي من أوائل نظمه :

أيهـا الراكب المجـدّ غــرامـا أينقــاً نحــو بارق تتــرامى
وعــوال شــوازب كـــقِــسيٍّ تركـتـهـتـا يد المغـذّ سـهـامـا
تتـحـامى إلى السـرى وبهـا من قـبس الوجـد لاهب يتـحـامى
حيٍّ عني الأحــيــاء من آل ودي واقـرأن من عـرفت مني السلامـا
وبسلع سل عن فــؤاد مــضــاع لم يزل في رباعـهـا مـسـتـهـامـا
وإذا مــا بدت لعـــينك نجــد أو تـراءت لديك دار أمــــامــا
وعــهــود اللوى فــثم مــغــان كن للغــيـد مـرتعـاً ومـقـامـا
ويجــيــرون جــائرون أباحــوا من دم المستـهـام شـيئـاً حرامـا
وأضــاعــوا حق امــرء وزعــتــه لفــتـات المهـا عـراقـاً وشـامـا
فـعـلامـا هذا التـجـافي عـلامـا وإلى مــا هذا التنائي إلى مــا
ليس من شرعـة الهوى أن أرى في حلبـات الهـوان مـضنى مـضـامـا
يا خليلي للـهــوى عطفــات تورث الصب لوعـة وسـقـامـا
عللاني بذكـر ســالف عــهــد وأديرا ســلافــة أو مــدامــا
وانشــرا خــاطري بنشـر حـديث طالما ضــاع منه نشــر الخـزامى

وله يرثي الامام الحسين «ع» قوله :

هل في الوقـوف على ربى يبـرين بـرء لـداء في الفـــؤاد دفين
وهل الوقـوف على الأمـاكن منقع غلللا وقـد بقـيت بغـيـر مكين

حتام تتبع لحظ طرفك مجري الـ ـعبرات إثر ركائب وظعون
وإلى م تنفث موقد الزفرات عن جمر بأخبية الحشى مكمون
تخفي الأسى وغريب شانك في الأسى باد يفسره غروب شؤون
ولقد بلوت الحادثات وكان لي في الخطب صبر لا يزال قريني
وتجلدي ما في كعوب قناته لردى يريد الغمز ملمس لين
ورزين حلمي لا يطيش لمحنة جلت وإن قطع الزمان وتيني
وغزير دمعي لا يزال مصونه إلا لذل شامل في الدين
وخطوب آل محمد ضعفن من أركان دين الله كل حصين
هم خيرة الباري ومهبط وحيه حقاً ، وعيبة علمه المخزون
هم نور حكمته وباب نجاته أبداً وموضع سره المكنون
أُمناؤه في أرضه خلفاؤه في خلقه أبناء خير أمين
وهم الألى عين اليقين ولاهم من كل هول في المعاد يقني
مالي من الأعمال إلا حبهم في النشأتين وحبهم يكفيني
مما أسأت وقد نسأت رثاءهم بدر الولا لرثائهم يدعوني
وإذا تقاعد منطقي عن مدحهم نهضت جميع جوارحي تهجوني
أو مادرت تلك الجوارح شفها رزء الأطايب من بني ياسين
وحديث فاجعة الطفوف أذالها دمعاً به انبجست عيون عيوني
إني متى مثلتها سعر الجوى مني بأذكى من لظى سجين
ومتى أطف بالطف من ذاك العرى جعلت أراجيف الأسى تعروني
وذكرت ما لم أنسه من حادث ما زال يغري بالشمال يميني
حيث ابن فاطمة هناك تحوطه زمر الضلالة وهو كالمسجون
وهم الألى قد عاهدوه وأوثقوا عقداً لبيعته بكل يمين
حتى أناخ بهم بما يحويه من آل وأموال وخير بنين
غدروا به والغدر ديدن كل ذي إحن بكل دنية مفتون
ورموه لا عرفوا السداد بأسهمٍ من كف كفر عن قِسيٍّ ضغون
ولديه من آساد غالب أشبلٌ يخشى سطاها ليث كل عرين

وأمــــائل شــــربوا بأقــداح الولا صــافي المودة من عــيــون يقين
سـبـقــوا بجـدهم الوجــود وآدم مــا بين مــاء في الوجــود وطين
وهم الألى ذخـــر الإله لنصـــره في كـــربلا من مـــبـدء التكوين
لا عـيب فـيـهم غـيـر أنهم لدى الـ ـهـيـجـاء لا يخـشـون ريب منون
وعـديدهم نـزر القليل وفي الوغى كل يـعـــد إذا عـــدا بمئين
والكل إن حـمي الوطيس يرى به قـبض اللوا فـرضـاً على التـعـيين
مــا رنة الأوتـار في نغـمــاتهــا أشـــهى لديهم من صليل ظبين
كـلا ولا ألحـان «مـعـبـد» عندهم في الروع أطرب من صهيل صفون
ثاروا كـمـا شاء الهدى وتسنمـوا صـــهـــوات قب أياطل وبطون
وعـدوا لقصد لو جرت ريح الصبا مـعـهم به وقـفت وقـوف حـرون
وإذا الهـجان جـرت لقصد أدركت قـصـبـا يقـصـر عنه جـري هجين
حتى إذا مـا غـادروا مـهج العدى نهـبـــا لكل مـــهند مـــسنون
وفـد الردى يبـغي قـراه وكلهم حب القـرى بالنفس غـيـر ضنين
فلذاك قد سقطوا على وجه الثرى مـــا بين مـــذبوح وبين طعين
وشـروا مـفـاخـرهم بأنفس أنفس ينحط عنهــا قـــدر كل ثمين
طوبى لهم ربحـوا وقد خسر الألى رجـعـوا هناك بصـفـقة المغبـون
ظامي الفـؤاد ولا مـعين له على قـوم حـمــوا عنه ورود مـعـين
يربو ثغور البـيـد وهي فـسـيـحة شـحنت مـراصـدها بكل كـمين
ويرى كـراديس الضـلال تراكـمت وكـأنهـا قطع الجـبـال الجـون
ويكرُّ في تلك الصـفـوف مـجـاهداً كــرّ الوصي أبيـــه في صــفين
ويعـود نحـو سـرادق ضـربت على أزكى بنات للهـــدى وبنين
وكـرائم عـبـث الأسى بقلوبهــا فـغـدت فـواقـد هدأة وسكون
يسدي لها الوعظ الجميل وذاك لا يجـدي ذوات لواعج وشـجـون
ونوائب عن حـمل أيسـر نكبـة منهـــا تسـيخ مناكب الراهون
ثم انثنى يلقى الصــوارم والقنا بأغـر وجـه مـشـرق وجـبين
لو شـاء أقـراه الردى مـهج العدى طراً لأضـــحت ثم طعم منون

أو شـــاء إفناء العـــوالم كلهـــا قـــســـراً لأوحى للمنايا كـــوني
أنّى ومـــحـــتـــوم المنايا كـــامن مـــا بين كـــاف خطابه والنون
لكن لسـرّ في الغـيـوب وحكمـة سـبـقت بغـامض علمـه المخـزون

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١/ ١٦٨ . معارف الرجال : ١/ ٢٤ . تكملة : ٣ .

(٦٧)
محمد عنوز

«١٢٢٢ - ١٢٨٨هـ»

الشيخ محمد بن عبيد ابن الحاج راضي عنوز النَّجفي .

آل عنوز يلتقون مع آل رفيش ـ وهما بيتان في النجف ـ في جدٍّ واحد ، وربما جاءت تسمية «عنوز» نسبة إلى قبيلة عنزة ، وهو غير بعيد ، لأن جدهم على ما ذكر جاءَ إلى النجف بعد أنْ كان من أهل البادية ، وقيل بلْ نسبة لعمل جدّهم وتربيته للعنز والجمع بينهما ممكن ، ويمكن أن يكون ذلك نسبةً إلى اسم جدّهم وهو عنوز ، والجمع بين هذه الأقوال الثلاثة ـ أيضاً ـ ممكن .

وتشرف ال عنوز ـ بعد استقرارهم في النجف ـ بخدمة الحرم الشريف ، فقد كانت وظيفتهم فيه إنارة سرج الحضرة العلوية المقدسة ، وربما كان الشيخ محمد يقوم بهذه الوظيفة أيضاً .

هذا الشيخ فتح عينيه في النجف وإذا به يشاهد حركة العلم والعلماء ، ووجد من نفسه الرغبة في الالتحاق بمسيرة العلم هذه فدرس المبادىء العلمية ، وأجاد خطّ الكتابة ، الأمر الذي أهّله لأنْ يكون كاتباً عند الشيخ مهدي كاشف الغطاء خصوصاً لما لديه من ملكة أدبية ولغوية ، وقيل إنه تتلمذ على الشيخ مهدي أيضاً ، ومن بعده اتصل باستاذه الآخر الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء فوجد منه العناية التامّة .

ونظراً لهذا الموقع الذي احتله الشيخ عند الفقيهين فإنه قَدْ أكسب أُسرته شرفاً وسابقة طيبة في النجف تضاف إلى سابقتهم في خدمة المرقد المقدس . ومما يجدُر ذكره أن هذا الشيخ الذي انفردَ من بين أسرته بالشعر والأدب قد نبغ فيه شيخ آخر ، له مكانة علمية مرموقة وهو الفقيه الشيخ علي رفيش رحمه الله تعالى .

كان اتصال الشيخ محمد بآل الشيخ كاشف الغطاء كبيراً، فراح يذود عنهم بلسانه وشعرهم ضدَّ من يقفون في الصف الآخر، فضلاً عما لهم من مدائح ومراث. على أن هذا الشيخ فيما يبدو برغم أنه عاش في حاضرة النجف إلا أنّهُ ظلّ وفياً لطبعه البدوي (الخشن)، ومن هنا شغف بالهجاء الذي يخرج عن حدود لياقة طلبة العلوم الدينيّة بشعره، والتي سنعرض عن ذكرها في كتابنا هذا لأنّها ـ وإن لم تكن غريبة عن حياة الشعر والشعراء ـ إلاّ أنها بلا شك مما يتعفف عنه جلّ أدباء النجف الأشرف، بسبب الوضع القدسيّ الذي يعيشونه ـ وإن كان هذا الهجاء من الناحية الفنية ربما يمثل ذاته الشاعرة أكثر مما يمثّله المديح أو الرثاء أو غيره في شعره. والشيء الآخر الذي نعرض عَنْ ذكره وقد ورد في شعره الغزل بصيغة المذكّر، وإن كان هذا اللون من الأدب رائجاً تلك العصور، إلاّ أنه في النجف يكاد ينعدم قياساً لكثرة الشعر وكثرة الشعراء فيها، بخلاف ما عليه حواضر الإسلام آنذاك، ولقد كان مولعاً بهذا اللون من الأدب فنظم فيه الشعر ـ ربما على سبيل المجاراة أو على سبيل المزاح ـ كما يتّضح ذلك من خلال بعض مقاطعه ونستبعد أن يكون من الكناية عمّن لا يستطيع ذكرها من النساء. فهو قد ذكر نساءً في شعره كبعض نساء الريف وغيرهن.

لقد جمع الشيخ محمد إلى فضيلة الشعر فضيلة الأدب، خصوصاً أدب الرسائل، التي كان يكتب بعضها من خلال مهنته عند آل كاشف الغطاء. وكذلك تفنن في الشعر العامي.

وإذا كان شعر هذا الشيخ وحياته طريفة، فإن الأكثر طرافة منها وفاته، حيث توفي وهو في طريقه إلى مشاهدة باب القناة التي أجراها السيد سعد الله من الفرات إلى النجف، فبينما كان يدوّن شعرا عن صديقه الشيخ حسين الدجيلي وهما يسيران لكي يشاهدا هذه القناة إذ سقط على الأرض ميتاً.

ومن شعر هذا الشيخ رحمه الله متوجهاً إلى أمير المؤمنين «ع»:

أبا حسن أنت المرجّى لحادث   عراني وقد سُدَّت عليَّ المسالكُ
فإنْ لمْ تغثني يا علي فإنني   من البؤس والإعسارِ لا شكّ هالِكُ

وله متغزلاً في امرأةٍ ريفيّة اسمها «عطوي»:

على عطوي وإن بعدت سلام   سلام كلّما ذُكِر السلامُ

لهـا من عطفـهـا الميـاد لَدْنٌ ومن أجـفـانهـا المرضى حسـامُ
ومن وجناتهـا يجنى شـقـيق ومن رشـفـاتهـا عُـصـرَ المُدام
إذا مـا قـابلت بطلاً همـامـاً قـضى عند اللقـا البطلُ الهـمـام

وله متغزلاً :

فـتـنت بأهيف حلو التـثني بديع حـسنه مـر التـجني
إذا مـا زار أزرى بالدراري وإن غنى فـعن ذا العـود يغني
أبيت على الغـضا أطوي ضلوعي وأقـرع نادمـاً سناً بسن
ولـو أني ظـفـرت به وأى يفـيـد مـتـيـمـاً ولهـا لو آنّي

وله مجيباً في صدر رسالة إلى صديق :

أتاني كـتـاب منك يا غـاية المنى ويا خـيـر ود حـبـه يذهب العنا
فـهيج شـوقاً كـان في الحب كـامناً وذكـرني عـهـداً قـضـيناه بالهنا
فيا ليتني قضيت عمري بقربكم وهيـهـات يجـديني التلهف والمنى

وله يهجو :

قـد أعـد الإله في الحـشـر ناراً يصطلي (ناوع) بـهـا وأبوه
وكـذا عـمـه كـثـيـر المخازي في لظى والذين قـد تابعـوه

وقوله متغزلاً :

في خـدك الوردي لي يا منيـتي قطر بلى لو أنني أقـضـيـه
ويطيب ثغرك لي حياة في الهوى لو كنت أسقى من مراشف فيـه
وبروض وردك لي إذا مـا ردته مـرعى بلى لو كنت أرعى فيـه

وله في ساعة أهداها إليه أحد الاصدقاء :

وافت بأيمن سـاعـة لي من حبيبي خير ساعه
فـعلمت منهـا وصله من بعد مـا أبدى امتناعـه
وشـمـمت منهـا ريحـه لما اكـتـست منه طبـاعـه

جلت صيـاغـتـهـا على عن أن تحيط بهـا استطاعـه
فكأن منهـا قـابهـا كـأس المدامـة في الصناعـه
وكـأنما رقـاصـهـا برق غـداً يبـدي التـمـاعـه
يهـدي إليك رنينهـا طرباً إذا رمت اسـتـمـاعـه
أحيى الحبيب بها الفؤاد وكـان قـدمـاً قـد أضـاعـه

ومن شعره :

قل لجيـران الصـفـا مـاذا على ركـبكم لو أنه عندي أقـامـا
رحلوا عنِّي ولي مِنْ بعـدهمْ أعينٌ قـد آذنت أنْ لا تـنامـا
غـيـر أني كلمـا أذكـرهمْ أجَّج الحبّ بعـينيّ ضـرامـا
فـعليـهم مِنْ مـعنىً بالحـمى وعلى دار الصـفـا اذكـر سـلامـا

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١٠/ ٣٠٩ . معجم رجال الفكر : ٢/ ٦١٣ . الحصون : ٢/ ٥٧ ، ٧/ ١٠٩ . ماضي النجف : ١/ ٢٧٤ . مجلة الغري : السنة السابعة ، عدد ٣٤٠ . معارف الرجال : ٢/ ٣٥١ .

(٦٨)
حسن السبيتي
«/ - ١٢٨٩» هـ

الشيخ حسن ابن الشيخ محمد السبيتي الكفراوي العاملي .

هذا الشيخ ممّن جمع بين علوم الطبّ والشريعة والأدب ، فكان طبيباً ماهراً كما كان عالماً فاضلاً في علمه وأدبه .

درس عند الشيخ حسين مرّوة وعند السيّد علي آل إبراهيم في جبل عامل ، ثم تاقت نفسه إلى التزود من علوم النجف ومعارفها ، فسافر إليها وبقي فيها عدة سنوات ، يمدّه أخوه من جنوب لبنان ببعض المال يقوّم به حاله في النجف الأشرف ، حتى عادَ إلى وطنه وصارَ أحد رموز العلماء البارزين في عصره ، ومن شعره الذي أرسله إلى بعض أقربائه في النجف :

ألا هل ترجع الأيام دهرا ... ولو نفسي تفيض على البشير
ودون مناي ظن ليس يصحو ... وجمع الشمل في كف القدير
فما هجهجت عن بالي هموما ... جهلت لها المساء من البكور
تمسك بالوصي أبي حسين ... وبالسبطين شبر مع شبير

وأرسل إليه السيد كاظم ابن السيد أحمد الحسيني العاملي بقصيدة من العراق إلى جبل عاملة :

يا أيها الخل الذي بفخاره ... وبمجده قد طاول الافلاكا
والماجد الندب الذي مهما تكل ... يوما إليه من الأمور كفاكا
المخلص النائي إذا استغنيت والـ ... ـداني إليك إذا الملح لحاكا
والصادق الود الذي بصفائه ... ووفائه أعيا الورى إدراكا

الحـافظ العـهـد الذي أملكتـه ... ودي على طول المدى أمـلاكـا
المجـتبى الحـسن الفـعـال ومن إذا ... خطب عـراك بنفـسـه واسـاكـا
إني لأمنحك المحـبـة والوفـا ... أبدا وإن عـذبتني بنواكـا
مـا ذقت طارقـة النوى في هجـرتي ... وأبيك إلا حين شط حـمـاكـا
أبغي الأنيس فـلا أرى لي مـؤنسـا ... إلا التـردد حـيث كنت أراكـا
خل يحن إليك مـذ فـارقـتـه ... لولا عـوائقـه سـرى مـسـراكـا
يا ليت شـعـري يا أخي هل الذي ... يوم الوداع شـجـا أخـاك شجـاكـا
هيـهـات لست أرى كـقلبي رقـة ... وصـفـا وإن كنت الجـدير بذاكـا
تنسى السلام وما بلغت أخي إلى ... دار الســلام فـمـا الذي انسـاكـا
مـا ذاك إلا أن أسـبـاب الهـوى ... كـانت ظواهر لم تنط بحـشـاكـا
هذا ولم ترد الشـآم فكيف لو ... وافـيـتـهـا ولك الخليط هناكـا
سـرعـان مـا تسلو الخليل فـعـاذر ... من قـال مـا أجفـاك ما أجفـاكـا
لكنني وأخـائك المحـفـوظ لا ... أسلوك لا أجـفـوك لا أنسـاكـا
فعسى الإله كما قضى بالنأي من ... بعـد النوى يقـضي لنا بلقـاكـا
وسقى المهيمن عـهدك الماضي وإن ... أظمى الفـؤاد مـضيـه وسـقـاكـا
وعليك بل وعلى البـلاد وأهلهـا ... مني الســلام بقـدر مـا أهواكـا

فعمد الشيخ حسن إلى الصدور فحذفها وجعل لها صدوراً غيرها وجعلها هي الجواب فقال :

يا مـاجـدا سـاد الورى بكمـاله ... وبمجـده قـد طاول الافـلاكـا
والسـيـد الندب الكريم مـتى ترد ... يومـا إليـه من الأمـور كـفـاكـا
والحـافظ الواعي إذا انسـيت والـ ... ـداني إليك إذا الملح لحـاكـا
والعـالم الحـبـر الذي بسنائه ... وصـفـاته أعـيـا الورى أدراكـا
الكـاظم الغـيـظ الوفي ومن إذا ... خطب عـراك بنفـسـه واسـاكـا
لا أبتـغي خـلا سـواك ولا هوى ... أبدا وإن عـذبتني بنواكـا
مـا كنت أدري بالصبـابة والهـوى ... وأبيك إلا حين شط حـمـاكـا

وأروم طيـفك في المنام فـلا أرى إلا التـردد حـيث كنت أراكـا
صب يؤرقـه النوى من بعـدكم لولا عـوائقـه سرى مسـراكـا
قسـمـاً بخـالص عـهدنا إن الذي يوم الوداع شـجـا أخـاك شـجـاكـا
تالله لست أرى لغـيـرك مـوثقـا وصـفـا وإن كنت الجـدير بذاكـا
مـا سـاءني إن قلت مـا بلغ المدى دار السـلام فـمـا الذي أنسـاكـا
فـرعـيت عـهـدي لا أرى أسـبـابه كـانت ظواهر لم تنط بحـشـاكـا
وتقـول مـقـصـدك الشـآم فـهل إذا وافـيـتـهـا ولك الخليط هناكـا
ترعى مـواثيق العـهـود وعـاذل من قـال مـا أجـفـاك مـا أجـفـاكـا
قـسـمـاً بصـادق ودك المحـفـوظ لا أجـفـوك لا أسلوك لا أنسـاكـا
فعسى الزمان كما قضى بالبعد من بعـد اللقـا يقـضي لنا بلقـاكـا
وعليك بل وعلى الألى نقـضـوا الولا مني السـلام بقـدر مـا أهواكـا

وأرسل إليه مع هذا الجواب هذه الأبيات :

أيا سـيـد أدنى مـآثره الوفـا وأكـرم من تنمى إليـه المكارم
لكم قصبات السبق في كل موقف ومـا أنتم إلا البـحـور الخـضـارم
فـلا غـرو إن قلدتني بفـرائد لهـا القلم الجـاري بكفك ناظم
عـداك عتـابي لم أكن عنك ساليا ولـم اتخـذ خـلا سـواك ينادم

من مصادر دراسته :

الأعيان : ٥/ ٢٥٢ . تكملة أمل الآمل : ١٥٦ . معجم المؤلفين : ٣/ ٢٧٥ . معجم رجال الفكر : ٢/ ٦٧٠ . الكرام البررة : ١/ ٣٥١ .

(٦٩)

حسين مبارك

«/ -١٢٨٩» هـ

الشيخ حسين ابن الشيخ محمد ابن الشيخ مبارك ، وآل مبارك من أسر العلم التي حلّت في النجف الأشرف في أواسط القرن الثاني عشر الهجري ، هاجر جدهم من منطقة الجزائر إليها ، وهم ينتسبون إلى قبيلة «نخع» العربية القديمة ، وأوّل من هاجر إلى النجف منهم جدّهم الشيخ مبارك ، فكانت له في النجف ذرية صالحة منها هذا الشيخ ، الذي أخذ علوم الإسلام عن أعلامها حتى كان من فقهاء عصره . وقدْ شارك في حياة النجف الشعرية كما شاركها في حياتها العلمية فكتب الشعر في مناسبات عديدة .

ومن شعره هذه الأبيات التي أرسلها إلى أحد بني كبّة الذي يبدو أنّه كان يقسّم ويوزع ما يصله من أموال المرأة الهندية (خيرية أوده) التي كانت تصل النجف وكربلاء ، وكان الذي يقوم بتوزيعها بعض العلماء على الفقراء في كل سنة ثلاث مرات ، ويبدو أنه لمْ يستلم ذلك فقال :

يهدى من السلام ما لا يُحصرُ ... كأنّه من نشر طيبٍ عنبرُ
أو لؤلؤٌ في سلكه قد نظما ... أو روض بشر بالورود اُبتسما
من ذي وداد شاحط الديار ... إلى فتى من كلِّ عارٍ عاري
بقية الأجواد في هذا الزمنْ ... مَنْ طوّق الأجياد منه بالمنن
وصاحب الرأي السديد من رقى ... من رتبة العلياء أعلى مرتقى
وصاحب الإحسان والمنّ على ... جلّ البرايا آخراً وأوّلا
من مخلصٍ ينمى إلى محمد ... حسين اسماً والمبارك الجد

ومنها :

أليس بيتي من بيوتات الشرفْ أجلْ ولكنْ لمْ يشيد بالغُرَفْ
إنْ كان هذا المال للمثرينا فمالنا حقّ به يقينا
أوْ كان مبعوثاً إلى أهل النجفْ طرّاً إذاً قسمته لا تختلفْ

وله من قصيدة يرثي والده الشيخ محمد بقوله :

وكيف اصطباري بعد اسمى ذوي العلى فخاراً وأذكاهم وأطيب محتدا
ومن عمَّ كل العالمين بجوده محبيه إن عام تعبس واعتدى
فيا لك من عضب بريب الردى نبا وكان على ريب المنون مهندا
فلم أنس لا والله يومك يا أبى وهيهات أن ينساك قلبي مدى المدى
لقد صوحت من بعده الأرض مثلما صعيد ضريح حل فيه توددا
وقائلة لما برغم العلى أبى به عنفاً حادي المنية قد حدا
وطرف المعالي والتقى سامة العمى وفل شبا عضب الهداية بالردى
وغودر قاموس العلوم محمد ومن كان بالمعروف والفضل مزبدا
فهلا له إذ مات كنت مؤرخاً كما كان للدين الحنيف مؤيدا
مروي الصدا حتف العدى زاخر الندى منار التقى طود النهى منبع الهدى
فقلت لسان الوحي نادي مؤرخاً (محمد بالفردوس أمسى مخلدا)
تألف شمل الفضل فيه ومذ غدا إلى الموت شمل الفضل أضحى مبددا
وفيه قد انجاب الضلال كما به تعهد دين الله حتى تشيدا
وكيف اصطباري بعد من لم تر الورى بها أبداً إلاه ملجأ ومقتدا
ومذ غاب بدر العلم غودر مطلقا وقلب الهدى والدين بات مقيدا
وما خلت إن البدر يشرق في الثرى وفي ظلم الأجداث حتى تلحدا
فلهي لجيد الدهر أصبح عاطلا وقد كان لما كان فيه مقلدا
ولهفي لطير السعد ينعى وطالما على الدوح لما كان كان مغردا
ولهفي لشمس الفضل من بعد فقده قد ادرعت ثوبا من الحزن أسودا
فيا واحد الأيام لولاك لم يكن بمعرفة لله شخص موحدا
أحطت على علم وحلم ونائل كما حزت معروفا ومجداً وسؤددا

حـويت مزايا لم تنل مـثلهـا الورى ونلـت سـجـايا قط لـم تتـعـددا
لقـد بان لما بنت عني تصـبـري ومـثلي لا يسـتطيع أن يتـجلدا

من مصادر دراسته :

شعـراء الغـري : ٣/ ٢٣٧ . مـعـجم رجـال الفكر : ٣/ ١١٤٩ . مـاضي النجف : ٣/ ٢٦١ .

(٧٠)
موسى الرُّبيعي

«١٢٣٩ - ١٢٨٩هـ»

الشيخ موسى ابن الشيخ حسن ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد ابن الشيخ محسن المحسني الاحسائي الفلاحي . كان جد هذا الشاعر الفقيه وهو الشيخ أحمد قد غادر من وطنه الثاني الاحساء ـ بعد المدينة المنورة التي فَرَّ منها على أثر احداث الوهابية في الاحساء ـ إلى منطقة الدورق في خوزستان وفي محلّة اسمها الفلاحية ، فمن هنا كان هذان اللقبان لصاحب الترجمة .

وفي الفلاحية «الدورق» ، ولد الشيخ وقرأ على يد والده الشيخ حسن ثم هاجر إلى كربلاء ثمّ هاجر إلى النجف فحضر بحث الخارج عند علماء النجف الكبار .

أخذ عن علماء عصره كصاحب الجواهر والشيخ علي نجل كاشف الغطاء ، وكانت لديه معرفة بالعلوم الغريبة ، ومن هنا فمؤلفاته عديدة متنوعة في الفقه والأصول والمنطق والجفر والرمل وله كذلك ديوان شعر ، ورسالة لعمل مقلّديه . عادَ إلى الفلاحية مستقراً فيها كعالم ديني ، وفي أثناء زيارته الاخيرة إلى كربلاء توفي فيها .

لمْ يذكر له الخاقاني شعراً ونحن نثبت لَهُ هنا بعض الأبيات لمناسبة عودة أبيه الشيخ حسن من زيارة بيت الله الحرام عام ١٢٦٩ :

سعى إلى الحج وهو الحجّ ذو حرمٍ ... من حلّه آمنٌ في أمنع الجُنَنِ
كم طاف للعلم طوافٌ بكعبته ... وكم سعى بصفاهُ طالبُ المِنَن
نال المنى بـ (منى) ثم انثنى ظفراً ... بصفقةٍ ربحت من دون ما غَبَنِ
وكرَّ ركن الهدى والدين مبتهجاً ... من بعدما استلمت كفاه للرُّكنِ

بدا من الحج لألاء فــأرخـــه (سما الندى مشرق بالنير الحسن)

وقال في والده أيضاً :

فما كعب بن مامة وابن سعدى بأكــرم منه في الزمن الشـديد
من البـيض الوجـوه بني علي أولي المجـد الطريف مع التليـد
هُم حلّوا من الشـرف المعلى ومن حسب العشيرة في النجود
إذا مـا رايةٌ رفـعت لمجدٍ تلقـوها وهم حلفُ المهـود

ومن شعره هذه القصيدة (الجوابية) أرسلها للشيخ جعفر التستري حينما اشتكى رمداً أضرّ بعينه :

شكوت قذاً في العين أصبحت ثاوياً فـأصبح هذا الدين مضنىً وأنكدا
ومـا رَمَدَتْ عـيناك يا قيم العُلى ولكن دين الله أصـبح أرمـدا
ولما تجلّى مـا اعـتراك من الأذى غدا الدين والدنيا ببرئك أسعدا
لأهل الدنا يوم الجدا حـاتم الندى وفي العلم في تبيـانه علم الهدى
فـدم للدجى يثني عليك ظلامـة تقـوم به لله مـثنىً ومـوحـدا
ولليـوم تقـضيـه بشـيـراً ومنذراً وتدعـو إلى نهج الهداية مرشـدا
وتحيي كعيسى ميت القلب بالهدى (وتبرىء) الأعمى ومن كان مقعدا
وقـمت بإحـيـاء الشـرائع جـاهداً فـأضحى دروس العلم منك مجدّدا
فلولاك لـمْ يسق البـلاد غـمـامهـا ولا أنبت الوسـميّ رَبْعـاً ومـعـهـدا

... الخ

ومن شعره الحماسي :

وأُنمى ولا فـخـر لخـيـر أرومـة نماها نزار ذو المعـالي والعُـرْبُ
وآباء صدْق صرح مـجد عـلاهُمُ يمزّق هام الفـرقـدين مطنّبُ
كـواكبُ علَم كلّمـا غـاب كـوكبٌ بدا لـهم في مـفرِق العِلْمِ كـوكبُ

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١١/ ٤٠٥ . الكرام البررة : ٣٨٥ . شعراء هجر : ٢٧٣ . معارف الرجال : ١/ ٣٣٩ ، ٤٠١ . أعيان الشيعة : ١٠/ ١٨٠ .

(٧١)
مهدي الحلي
(١٢٢٨ - ١٢٨٩هـ)

السيد مهدي ابن السيد داود ابن السيد سلمان بن داود بن حيدر بن أحمد الحلّي الحسيني . وُلِد وقرأ المقدّمات العلمية في مدينة الحلّة ، ثمَّ وَجّه بوجهه صوب الحوزة العلَمية في النجف الأشرف ، فحضر على جملة من أساتذتها الفقهاء ، ومنهم الشيخ صاحب الجواهر الذي أخذ عنه علوم الفقه والأصول والكلام ، فأتمَّ بذلك ما كان قد بدأ بأخذه في الحلة على علمائها ، لاسيما على يد الشيخ حسن نجل الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء إبان إقامته في الحلة حيث أخذ عنه الفقْه .

اكتملت آلة العلم عند هذا الشيخ بعد هذه الدراسات في المدينتين ، فبرز كأحد أعلام عصره أولي العلم والفضل والتقى ، وكان شيخاً من شيوخ الأدب لَهُ وجاهة واحترام كبيرين في الأوساط العلمية والاجتماعية .

تتلمذ على هذا السيد في الحلة جماعة من علمائها وأدبائها في علمَيْ الفقه والأدب كالشيخ حمادي نوح الحلي ، والشيخ حسن مصبح ، والشيخ علي عوض الحلي ، والشيخ حمادي كوّاز وغيرهم ، ويبدو أن لَهُ أثراً على أكثر من أديب تتلمذ عليه في عصره ، وحسبك بابن أخيه السيد حيدر الحلي أحد أكبر الشعراء في عصره ، فله عليه فضل توجيهه العلمي والأدبيّ .

ومن شعره ضمن قصيدة في رثاء الحسين «ع» :

وغدا ابن نجدة هاشم لعربنة الـ ... أيد الغضاب بعضبة ولاجها
وتكاثروا حنقاً عليه وإنما ... أفواج عزمته علت أفواجها
ما انفك يرقى المرهفات كما من الـ ... ـوفاد يلقى باسما محتاجها

وبقى على الغبرا ثلاثا جسمه عار تقمصه الرياح عجاجها
فتراه عار في الصعيد وإنه في جنة الخلد اكتسى ديباجها
وعلى النياق كواكب الوحي اغتدت في أسرها أبراجها أحداجها
فتعج تدعو حيدراً أو لم تكن كشاف كلّ ملّمة فرّاجها

وله يرثي الحسين (ع) :

بأبي من بكت عليه السماء ونعته الأملاك والأنبياء
واستثارت في الكون حين هوى في الـ ـترب ريح لأجله سوداء
يا لحى الله عصبة قد أريقت بظباها من آل طه دماء
ما وقت عهد خاتم الرسل فيهم كيف يرجى من اللئام الوفاء
هي من يوم حرب بدر واحد زرعت في قلوبها الشحناء
فقضى ظامياً لدى الماء حتى ود من أجله يغور الماء
حوله من بني أبيه ومن أصـ ـحابه الغر معشر نجباء
بذلوا دونه نفوساً عزيزا ت بيوم قد عز فيه الفداء
بأبي أنفساً على السمر سالت حذرا أن يسؤهن قماء
ووجوهاً تعفرت بثرى الغبـ ـرا وكانت تجلى بها الغماء
وأكفاً تقطعت وهي يوم الـ ـمحل للخلق ديمة وطفاء
وصدوراً عدت عليها العوادي وهي للعلم عيبة ووعاء
يا لها وقعة لها رجت الغبـ ـرا ومالت من عظمها الخضراء
ليس تسلى مدى الزمان كأن في كل يوم يمر عاشوراء
يا أبن بنت النبي أنتم رجائي يوم نشر الورى ونعم الرجاء
فاشفعوا لي إني مسيئ وأنتم لمواليكم غداً شفعاء
وعليكم من الآله صلاة وسلام ما حنت الورقاء

وله :

أحادي طلاح النازحين إلى متى يجوب الفيافي حلف ظعنكم القلبُ
وبت على تلك الربوع بلوعة تذوب لها شم الأخاشيب والهضب
وقد ضاق رحب للبسيطة مثلما سليل رسول الله ضاق به الرحب

غداة أتى أرض الطفوف بفتية ليوث هياج غابها السمر والقضب
غطارفة نجب وعرق نجارهم به عرقت قوم غطارفة نجب
وأقبلت الأعداء تترى لحربهم وقد غص من أجنادها الشرق والغرب
فثار عليهم كل ليث غضنفر بشفرة ماضيه لهيب الوغى يخبو
إذا سل يوم الروع عضباً مهندا لجزر العدى لم يدر أيهم العضب
أولئك إن قاموا لحرب عداهم ببيضهم قامت على ساقها الحرب
وتلقى الأسود الغلب فيها بواسما فتعبس من لقياهم الأسد الغلب
يخوضون أمواج المنايا [. . .] وقضبهم في الهام ساغ لها الشرب
وما وهنوا عن نصر سيدهم وما استكانوا ولا في الحرب راعهم الرعب
ولكن قضاء الله قد حان حينه فخروا وهم للماضيات الظبى نهب
ويستقبل الخطب المهول بوجهه الـ ـمنير فيجلى من سنا وجهه الخطب
ويفترس الفرسان والسمر شرع بمنصله الماضي الغرارين لا ينبو
إلى أن هوى للأرض عن ظهر مهره جديلا وبلت من دما نحره الترب
وغارت على نهب الخيام خيولهم فما وردت إلا ونحن لها نهب
فلله يوم الطف أحداث رزئه على حادثات الدهر في عظمها تربو

وله :

أفلتْ لهاشم في الطفوف كواكب وتحطمت منها قناً وقواضب
وهوى لآل نزار طود شامخ وخبا لهم فيها شهاب ثاقب
وتنكست أعلام فخر لؤيّهم فيها وجب سنامها والغارب
فلذاك صال بعصبية أسيافها للظالمين هي العذاب الواصب
من آل عدنان الذين سما بهم عدنان فخراً لا يرام وغالب
آساد معركة لها سمر القنا غاب وبيض المرهفات مخالب
نزلت إلى الهيجا ومن أسيافها فوق العدى نزل القضاء الغالب
ما بارحوا عن حربهم حتى هووا صرعى تناهبهم قناً وقواضب
يلقى ابن أمي الموت فرداً ماله بين العدا غير المهند صاحب
فهوى صريعاً في الصعيد فمارت الـ ـسبع الطباق وهب ريح حاصب

والهفتا لعقائل التنزيل قد — صبت عليها في الطفوف مصائب
بينا تراه على أغر سابح — وبكفه اليمنى حسامٌ قاضب
ماضي المضارب في القراع ولم يكن — أمضى لعمرك منه إلا الضارب

وله :

بيّن البين لوعتي وسهادي — وجرت مقلتي كصوب العهاد
أيها المدلجون بالله ريضوا — عن سراكم سويعة لفؤادي
أنقضتم عهود ودّي كما قد — نقضوا للحسين حق الوداد
مفرداً لم يجد له من نصير — غير صحب يسيرة الاعداد
هم أسود العرين في الحرب لكن — بابهم في الهياج سمر الصعاد
قد ثنوا خيلهم شوازب تعدو — تسبق الريح في مجاري الطراد
وعلا في هياجهم ليل نقع — لا يرى فيه غير ومض الحداد
فدنا منهم القضا فتهادوا — جثماً عن متون تلك الجياد
وبقي ثابت الجلاد وحيداً — بين أهل الضلال والالحاد
مستغيثاً ولم يجد من مغيث — غير رمح وصارم وجواد
جزر الكفر حطّم السُّمر فلّ الـ — ـبيض لفّ الأجناد بالأجناد
يا لقومي لفادح ألبس الديـ — ـن ثياب الأسى ليوم المعاد
كم نفوس أبية رأت المو — ت لديها كموسم الأعياد
هي عزت عن أن تسام بضيم — فأسيلت على الظبا والصعاد
وصدور حوت علوم رسول الـ — ـله أضحت مغارة للجياد

وله :

قف بين أجراع الطفوف — وأنحب أسىً بدم ذروف
في عرصة فيها ابن فا — طمة غدا نهب الحتوف
في ثلّة من آل عدنا — ن ذوي الشرف المنيف
الضاربين على الطريـ — ـق قبابهم لقرى الضيوف
والمانعين ذمارهم — بالقضب في اليوم المخوف
وبدور مجد نور فخـ — ـرهم على القمرين موفي

بيض الوجوه وفي الوغى حمر الأسنة والسيوف
من دأبهم يوم اللقا جزر الكتائب والصفوف
بأبي كراماً من ذؤا بة هاشم شم الأنوف
عكفوا بقضبهم على قوم على العزّى عكوف
وحموا ببيض ظبا الموا ضي بيضة الدين الحنيف
شربوا على ظمأ دوي ن السبط كاسات الحتوف
وبقى حليف المجد غير العضب لم ير من حليف
يلقِى الصفوف كملتقا ه باسما زمر الضيوف
فترى السيوف به تطير مع السواعد والكفوف
حتى إذا حم القضا فهوى وغودر بالخسوف
وغدت هنالك زينب تدعوه عن كبد لهيف

وله يمدح الحاج محمد صالح ابن الحاج مصطفى كبة البغدادي معارضا بها قصيدة السيد صالح القزويني في مدحه :

نسيم الصبا استنشقت منك شذا الند فهل يرت [كذا] على دمنتي هند
فذكرتني نجداً وما كنت ناسيا ليالي سرقناها من الدهر في نجد
ليالي قصيرات ويا ليت عمرها يمد بعمري فهو غاية ما عندي
بها طلعت شمس النهار فلفها ظلامان من ليل ومن فاحم جعد
ولو لم تغط خدها ظلمتاهما لشق عمود الصبح في وجنة الخد
وفي وجنتيها حمرة شك ناظري أمن دم قلبي لونها أم من الورد
وفي نحرها عقد توهمت ثغرها لالئه نظمن من ذلك العقد
وما كنت أدري ما المدام وإنما عرفت مذاق الراح من ريقها الشهدي
وقبل اهتزاز القد ما هزة القنا وقبل حسام اللحظ ما الصارم الهندي
وليس الفتى ذو الحزم من راح سره تناقله الافواه للحر والعبد
فيسري إلى القاضي كما بمحمد سرت بنت فكري بالثناء وبالحمد
وما للثنا إلا محمد صالح لقد ضل مهديه لغير أبي المهدي

همام إلى علياه حدة فكرتي بعثت فلم تبصر لعلياه من حد
ومعتصم مما يشان به الفتى بعفة نفس تربه وهو في المهد
فذا واحد الدنيا انطوى برده على جميع بني الدنيا فبورك من برد
على شرفات المجد مغناه والورى بحصبائه لا بالكواكب نستهدي
نراه ولو قد كان يخفض نفسه لآمله عطفا ويبسم للوفد
كبيرا على جنب الوثير قد اتكى ودون لقاه هيبة الأسد الورد
لقد ضاق صدر الدهر في بعض بثه الـ ـعلوم وما يخفيه أضعاف ما يبدي
إذا انعقدت عوصاء أشكل حلها فليس لها إلاه للحل والعقد
فيوضحها بعد الغموض ولم يدع لمعترض بابا بها غير مسند
وعنها ارم الناطقون لعجزهم ومخذمه في القول منشحذ الحد
رشيد بعين الحزم أول نظرة يرى ما به ضلت عقول ذوي الرشد
يسدد سهم الرأي في كل مشكل إذا طاشت الآراء فيه عن القصد
ترى نفسه من حبها الله لم تزل بطاعته لله في غاية الجهد
يقوم إلى ما كان ندباً مبادراً مبادرة الهيم العطاش إلى الورد
فيما سابقا لا يدرك العقل شأوه ولا تهتدي الأوهام منه إلى قصد
فشمس سما العلياء أنت وبدرها أخوك ربيع الخلق في الزمن الصلد
وغيث عطاء أنتما يفضح الحيا فيعول اعلانا من الغيظ بالرعد
لقد زاد في معنى طريف محمد عليهم فذا مرع لمجدهم التلد
وإن درجوا موتى بعلياه عمروا بعمر لأقصى غاية الدهر ممتد
هم شرعوا للجود في الناس نجده ولولاهم ما كان للجود من نجد
أناس يرى في الكرخ من فيه طرحت إليهم بنات الشدقميات من بعد
جديا على دار السلام بيوتهم لكعبة جدواهم لمن أمها تهدي
ولو وزنت فيهم شيوخ ذوي العلى لما عدلت طفلا لهم كان في المهد
وكلا إذا أبصرت منهم تقول ذا محمد فيه شارة الاب والجد
إذا انعقد النادي تراه وولده لناديه عقد وهو واسطة العقد
على أنهم فيه نجوم مكارم تحف ببدر المجد في مطلع السعد

وأخلاقهم من حسن أخلاقه صفت ومنها اكتسى لطفا نسيم صبا نجد
سلالة مجد هم مصابيح والورى بكل إذا استهدت فذاك هو المهدي
فتى قد رقى العليا بهمة ماجد له احرزت شأو العلى وهو في المهد
إذا ما بدا في حبوة شك في الحبا على رجل معقودة أو على أحد
لعمرك ما ماء السماء وإن صفا بأطيب مما منه قد ضم في البرد
فريدة هذا الدهر لو لم نجد بني أبيه تعالى عن شبيه ومن ند
فلا احنف يحكيه بالحلم لا وبالـ فصاحة قس لا ولا معن بالرفد
سعى طالباً أوج المعالي فأمه أخوه كأن كانا جميعاً على وعد
بني المجد من أبكار فكري خطبتم فتاة عن الخطاب تجنح للصد
ولكن رأتكم كفوها فتزينت لكم وأتت تختال في حلل الحمد
لها من بديع القول نظم إذا جرى الـ ـنوابغ في مضمار اعجازه تكدي
ولي أذعنت آياته وأنا الذي بقيت له من بعد أربابه وحدي
إذا ما تلوه في العراق بمحفل سرت فيه أفواه الرواة إلى نجد
وقد زاد من تضميخه بثنائه عليكم شذا قد طبق الأرض بالند
ولست بإطرائي به مزده وإن غدا طرفة بن العبد من حسنه عبدي
وما في نظام الشعر حمد لمن له سنام عُلىً ينمى إلى شيبة الحمد
وبين النبي المصطفى ووصيه له النسب الوضاح في جبهة المجد
فدونكموه فهو من زبر التي طوت ذكر من قبلي كذاك الذي بعدي
ولا برحت علياكم تسخط العدى فتكثر عض الكف من شدة الحقد

وكان المترجم قد جاء لزيارة الامامين الكاظمين عليهما السلام فبينا هو سائر إذ ارتفعت قبل العصر غمامة ومطرت مطراً غزيراً فعدل إلى الخان الذي بين كربلاء والنجف المسمى بخان الحماد الذي بناه الحاج محمد صالح كبة وقال :

وبيت على ظهر الفلاة بناه من له همة من ساحة الكون أوسع
نزلنا به والغيث يسكب ماؤه كأن قطره من سيب كفيه يهمع
وما برقه إلا تبسم ثغره لوفّاده من جانب الكرخ يلمع

ومنه وقـتنا أن تبل ثيـابنا ... مـقـاصـر من شـأو الكواكب أرفع
ولم ير في الدنيـا مـقـاصـير جنة ... بشـمل بني الدنيـا سـواهن تجـمع
كـأنا حلول في منازلنا بهـا ... ولـم تتـضـمنا مـهـامـه بلقع
وبتنا بهـا حـتى تمنتْ نفـوسنا ... نقيم بها مـا دامت الشـمس تطلع
ومنهـا وإن عـزت علينا بيـوتنا ... وددنا إلى أكنافـهـا ليس نرجع
فـفـيـهـا أبو المهـدي أسبغ نعـمة ... على الناس فيها طوق الناس أجمع
له الله كم أسـدى سـواها صنائعـا ... بأمـثـالهـا سـمع الورى ليس يقـرع
وقد عجزت عنها الملوك وأصبحت ... لعـزته بين البـرية تخـضع
فلا برحت في الكون شمس علائه ... بأفق سـمـاء المجـد بالفـخـر تسطع

وقال المترجم يمدح الحاج محمد صالح كبة وقد دعاه إلى داره في ذلك السفر الذي زار به الإمامين الكاظمين (عليهما السلام) :

قـد حـملتك النجـائب الرسم ... لمن على الكرخ بيـتـهم علم
قد كنت تهوى لقاء من سكنوا ... فـيـه ويهـوون ملتـقـاك هم
فـقـرّ عـينا فـيـه برؤيتـهم ... فـفـيك قـرت فـيـه عـيـونهم
بيت جـمـيع الدنيـا بسـاحـتـه ... وتحـت أبـراد ربـه الأمم
على التـقـى أسـست قـواعـده ... وكـل أيـام دهـره حـرم
فـيـه اناس تخـال أنهم الـ ... أمـلاك من كل مـأثم عـصـموا
شعارها الصمت وهي إن نطقت ... تفـجـرت من كـلامـهـا الحكم
تبـيت تبكي من خـشـيـة الوا ... حد الفرد وتضحي للوفد تبتسم
تحنو على الأبعـدين مـشـفـقـة ... حنوّ من فـيـه أطّت الرحم
في الله تمسي خمص الحشا وعلى ... بذل قـراهـا الأنام تـزدحـم
لو قيل للمجـد من هم سمكوا ... لك سـمـاك المكرمـات قـال هم
من حلم أطفالهـا الجبال رست ... وانبـعـثـت من أكـفّـهـا الديم
أول مـا ينطقن رضـيـعـهـم ... حيّ على الجـود أيهـا الأمم
قـوم على الأرض غيث نائلهم ... قـبل نزول السـحـاب منسـجم

دل على طيب أصلهم شـرف تورّثتـه منهم فـروعـهم
غـرّ مسـاعيـهم الكرام ومـا منهـا اصطفته النفوس والشّيَمُ
بين ذراريهم وإن قـسـمت فـقـد حـواها طُرّاً رئيسـهم
لقـد تحـامـاه أن يناضله من هو في العلم عـيلم علم
محـمداً صالحا إذا انشعبت يجـمع منهـا مـا ليس يلتـئم
وفي أخيـه عـبد الكريم وإن كـان سـواء منهـا سـرى الكرم
فـمـا رأى المجـد مـثله رجـلا همـتـه فـوق رأسـه علم
ولا مـجـيـداً تعنو الكرام له كـأبن أخيـه وإن همُ رغـمـوا
بني المعـالي إليكم مـدحـا يسـمـعـهـا من بأذنه صـمـم
تلبس عـرض الكريم سـابغـة في الطعن منها الرماح تنحطم
كـأنهـا سـرمـد الزمـان على أفـواه حسـاد مـجـدكم لجم
مـا قـرع السـمع كـاشح لكم الا ومنه الفـؤاد مـحـتـدم
سـيـارة تقطع البـسـيطة لا غـور عـداها منهـا ولا أكم
يحـملهـا مـسمع الرواة ويهـ ـديهـا إلى أبعـد البـلاد فمُ
وفي قلوب الورى لآخـرهم جيـلا فـجيـلا بالحـفظ ترتسم
قد غـودرت عندهم كفـاتحة الـ ـكتـاب لم تنسـهـا قلوبهم

ونسبه بعض الناس إلى المغالاة في مدح الحاج صالح كبة . فقال يمدحه بهذه القصيدة أيضاً :

حللت من الكرخ في مـعـهـد تسـامى عـلاء على الفـرقـد
فـواجـهت فـيـه من الماجـدين وجـوهـا بهـا يسـتـضيء الندي
وشـاهدت شـبلهم بينهم له هـيـبـة الأسـد الملبـد
فـقـرّت عـيـونك في ربعـهم بكـل فـتـى منهم أصـيـد
حـمى زهرت من بني المصطفى به أنجـم المجـد والسـؤدد
على الفـخـر قـد رفعـوا سقفه من الشـرف المحض في أعـمـد
يقـوم مـقـام ذكـاً في الضحى أو البـدر في الدامس الأسـود
فلـو غـيب القـمـران اغـتـدت به الناس في سيـرهـا تهـتـدي

له الوفـد من كل فج يسـيـر على كل زيافـة جلعـد
يسـابق مـتـهـمـهـم في السـرى لقطع الهـضـاب خطا المنجـد
فـيـزدحـمـون على بابه ازدحـام الجـمـال على المورد
وأوسع منه ببـذل الجـدى أكف مـحـمـد للمجـتـدي
فـتى أقسم الغـيث أن لا تقوم عـزالاه منه مـقـام اليـد
ومـن يمطـر الماء أنـى يكـون كـمن هو يمطر بالعسجـد
يدٌ لا تمل العـطاء الخطيـر إذا ملّه كفّ مسـتـرفـد
يميناً بأنعـمـهـا السابغـات ومـا في الأنام لهـا من يد
إذا لامست جلمـداً فـجـرت ينابيع مـاء من الجلمـد
على أنهـا في زمـان به سـوى البـخل والشح لم يحـمـد
ولم يبق للجـود غـيـر اسـمـه ومـعناه في الناس لم يوجـد
وكـادت عـفـاة الورى قـبل أن تموت تحل ثرى الملحـد
ولكن تداركـهـا ربهـا بزاخـر رحـمـتـه المزبد
يرى الوعـد نقـصـا ومن شـأنه يجـيـد العطاء بلا مـوعـد
وقـبل السـؤال لوفـاده بأسنى مـواهبـه يبـتـدي
وكـحل مـآقـيـه مـرأى الغـريب إذا اكـتـحل الناس بالإثمـد
وآيات عليـائه البـاهرات تتـلى بـألسنة الحـسّـد
لـه الله من جـامع للعلوم شـمل عـوازبهـا الشـرّد
إذا ورد الـرأي في مـشـكل به أعلم الناس لا يهـتـدي
فـقـبل الصـدور له فكرة يـريه الغـوامض في المورد
وفي صـدر أمس يرى مـا انطوى عليـه مـغـيب ظهـر الغـد
وفي الاحـتجـاج بليل الخـصـام له منهـج واضح المقـصـد
فـيـا عـجبـاً من جـهـول جرى بحلبـة ذا الماجـد الأوحـد
فـهـل قـد رأى تولبـا في الرهان شـأى عـدوة الصـافن الأجـرد
ومن فـضله جـود عـبـد الكر يم أتى بمعـاجـز لم تجـحـد
وزان الرصـافـة حـتى اغـتـدى لهـا كـالحليّ على الخـرد
نمتـه التي خنصـر المكرمـات على غـيـرها قـبل لم يعـقـد

وفي غـيـر أيديهم شـوكـة الـ مـحـول عن الناس لم تخـضـد
وهم للقـرى أول الماجـدين قـالوا ارفع النار للمـوقـد
وقـد ولدوا كل بحـر خـضم مـتـى وردته الورى يـزبـد
وهذا الرضـا من أوان الرضـاع تقـمط بالفـخـر والسـؤدد
يرد سنا نوره الحـاسـدين حـواسـر عن ناظر أرمـد
حـسين الندى بين اعـدائه عـوارف نعـمـاه لم تجـحـد
وفي مـجـده المصطفى يافـعـاً بدا في رداء فـتى أصـيـد
وأبصـرت الناس شـبـه النجـوم نـظام بـدائـعي الخـرد
فظن الحـواسـد فـيكم غلوت ومن لي بما ظنه حـسـدي
ولو في الحـقـيـقـة زهر النجـوم لعليـاكم نظمـتـهـا يدي
لأمـست عن الشـهب في غنيـة بنور سنا حـسنهـا المفـرد

وله :

عن الوجـد قـد كـشـفت برقـعـا فـعلمت الشـمس أن تـسطعـا
ومن جـفن مـقلتـهـا جـردت حـسـامـا فـؤادي به قطعـا
وذا دمـه نصب عـيني على يديهـا ووجنتـهـا وزعـا

من مصادر دراسته :

معارف الرجال:: ٣/ ١٠٢ . أعيان : ١٠/ ١٤٨ .

(٧٢)
مهدي كاشف الغطاء

«١٢٢٩ - ١٢٨٩هـ»

الشيخ مهدي ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء .

أحد أفراد هذه الأسرة الأجلاء ، الذين نبغوا في سماء العلم والفكر الإسلامي ، وكانت له المكانة العالية في المجتمعين الديني والدنيوي . فقد كان أستاذاً كبيراً في الحوزة العلمية ، وزعيماً دينياً «مرجعاً» له مقلّدوه في إيران والعراق وأذربيجان وله رسالة لعمل مقلّديه ، وكان لكثرة تلاميذه في هذه الأقطار وانتشارهم فيها أثرٌ لرجوع المسلمين في أحكامهم العبادية إليه ، وإذا عرفنا أنه كان معاصراً للأجلاء العظماء أمثال الشيخ الأنصاري زعيم الأمة في عصره ، والذي كان يعظمه ويحترمه علمنا قدره العلميّ الكبير .

هذا الفقيه الجليل كسائر أو أغلب أفراد أسرته شارك الشعراء في نظمه ، فعُدَّ منهم ، فكانت هذه الملكة تضاف لملكاته العديدة التي منها ذكاؤه الكبير وفطنته التي ينقل عنها وعن ذاكرته الشيء الكثير .

تتلمذ على يد والده وعمه الشيخ حسن وأخيه الشيخ محمد والشيخ أحمد ابن الشيخ عبدالله الدجيلي ، ومثلما حضر عند الأساتذة الكرام فقد حضر عنده طلبة كانوا من أساتذة العلوم الإسلامية بل ومن مراجع التقليد ، ومنهم السيد كاظم اليزدي والسيد إسماعيل الصدر والشيخ فضل الله النوري «شهيد الدستور الإيراني» والشيخ حسن المامقاني وغيرهم من الفقهاء .

له من الآثار العلمية كتاب في شرح خيارات الشرائع ، وكتاب البيع ، ورسالتي الصوم والمكاسب المحرمة . ورسالة لعمل مقلديه .

ومن آثاره بناؤه لمدرستين علميتين إحداهما في النجف «المهدية»

والأخرى في كربلاء، وقد أوقف عليهما خاناً في كربلاء.

ومن شعر شيخنا الفقيه رحمه الله تعالى قوله مراسلاً الشاعر الشيخ أحمد قفطان:

إبشـــر ببـــرٍّ وافـــر يأتيك منّي عـــجـــلا
إن مَنَّ غـــيـــري بالعطا فـــإنّـــهُ مني بلا

وله في مدح الشاعر عبد الباقي العمري:

قلْ لمن ينظم القريض مجيدا أنت عبدٌ لعبد عبد الباقي
إنه أشعر الأنام جميعاً في نواحي الشآم بل في العراقِ

وفي قصة طرفة جرت بينه وبين عمه الشيخ حسن وخادمه عبد الحميد قال:

عبد الحميد أتاك يرجو كسوة ولكم كسوت سواه مولى عارياً
والفور أحوط في امتثال أوامري فأنزع قميصك لا تكن متوانيا

وله في محمد أفندي مدير النجف آنذاك:

أكناف كوفان قد استبشرت مذّ حل فيها طود حصن حصينْ
وغـــرد الورق بأفنائه يقـــول بشـــرى بمدير أمين
فـــقـــد أتى الله بذاك الذي نعلم منه العـــدل علم اليـــقين
مـــا زال يرعـــانا بإحـــسانه وإنما الله مع المحـــســنين

من مصادر دراسته:

شعراء الغري: ١٢/ ١٠٨. معجم رجال الفكر: ٣/ ١٠٥٤. الأعيان: ٤٨/ ١٥١. اذريعة: ٧/ ٢٨٠. ماضي النجف: ٣/ ٢٠٥. نجوم السماء: ١/ ٣٤٣. معارف الرجال: ٣/ ٩٦. الحصون المنيعة: ٨/ ٥٥.

(٧٣)
جعفر علي كاشف الغطاء

«/ - ١٢٩٠» هـ

الشيخ جعفر ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء الفقيه الأديب الفاضل. أحد نجوم سماء هذه الأسرة المباركة في النجف، تلقى علوم الإسلام على أساتذة الحوزة العلمية في النجف كالشيخ محمد والشيخ مهدي والشيخ حسن آل كاشف الغطاء، والشيخ محسن خنفر والشيخ الأنصاري، كما تتلمذ على يديه كثير من علماء عصره وفضلائه فقد كانت دروسه متواصلة وقد تخرج على يديه السيد محمد ابن السيد محمد تقي الطباطبائي، والشيخ حسين ثامر والشيخ علي يونس والشيخ جواد محي الدين وغيرهم.

كان الشيخ جعفر قد تصدى للرئاسة الدينية بعد أخيه الشيخ مهدي المتوفي سنة «١٢٨٩» هـ غير أن داء السل الذي أصيب به لم يمهله طويلاً فلبّى نداء ربه في ١٢٩٠ هـ، وبذلك تكون زعامته الدينية لا تتجاوز الأشهر. لمْ يكنْ الشيخ كباقي أفراد أسرته وعموم علماء ذلك العصر ليكتفي بشرف النسب أو الحسب، أو فضيلة العلم عن تحقيق ذاته الشاعرة من خلال ممارسة الفنّ الشعري والنثري، فكان من شعراء النجف الأشرف الكبار في عصره أنف من مدح الآخرين، وهو أمر غريب عن عرف الشعراء آنذاك، ربّما لأنه كان يرى في مدح سواه تصغيراً لذاته التي يرى أنها في غاية السموّ والرفعة والكمال. وهو ما نقرأه في شعره كمثل قوله:

قد قاطعت هام السماء فما ارتضت ... إلا النجوم السامكات نعالا

وهو برغم ما له من شرف الحسب والنَّسب كان طموحاً لأنْ يبلغ أرقى مناصب الكمال بجده واجتهاده الشخصيّ:

إنّي من قـــومٍ يبين بطفلهم من الحدس عنوان الرياسة في المهدِ
إذا لمْ يكنْ لي ناصر، من بني أبي فعزمي وحزمي يغنيان عن الحشدِ
إذا أدرك العليا همام بقومه فنفسي تناجيني بإدراكها وحدي

هذه النفس الكبيرة ما أراد لها صاحبها ـ فيما يظن ـ أنْ تصغر عند أي موقفَ ومنها المدح لغيره.

ومن هنا فهو يخاطب الشيخ الشاعر محمد عنوز الذي كان يحرّضه على ما منْ شأنه أنْ يتصدى للزعامة والرئاسة: فينعى له الحظ لا شيء آخر غيره، وإلاّ فإنَّهُ فَوق مراتب الآخرين، فهو يقول:

أبا جعفر لو أن حظّي أمدّني لألفيتني والدهر منّي ضارعُ
وكنت الذي إن مرَّ يوماً بمحفلٍ (أشارت إليه بالأكف الأصابعُ)
ولكنه بي قد كَبَا فتقدّمتْ رجالٌ لهم حظ تسامى وطالعُ
رواحلهم لا يلحق الريح شأوها وراحلتي ـ دون الرواحل ـ ضالعُ!

هذه الذات الكبيرة كان من شأنها حقّا أنْ تقف في مصاف الشعراء العظماء لوَ أن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ لمْ يعمد ذات يوم إلى إتلاف كلّ ما لديه من الشعر في (بحر النجف).

وربما لاحظنا مثل هذا التصرف من الشيخ قد فعله بعض الشعراء الذين تصدّوا للزعامة الدينية أو جنحوا في أيام عمرهم المتأخرة نحو الانقطاع التام إلى الله تعالى. وهو أمرٌ بدا يشيع في الأوساط العلمية، بزعم أن الشعر لا يناسب المقامات الروحية. هذه الفكرة التي كان يروّج لها البعض بحسن نية في أحيان ولغير حسن نيّة في أحيان كثيرة أفقدتنا شعراً كثيراً، بلْ حالت دون مواصلةً الكثيرين من شعراء النجف لنشاطاتهم الأدبية، وهذه الفكرة ربما ما تزال قائمة تجد صداها في أذهان الكثيرين، فكمْ من شاعرٍ يَخفي شعره عن الآخرين، ولديه شعر بديع عظيم، وكم من شاعرً اتلفَ عن قصد أو غير قصد تراثه الشعريّ بسبب هذه الفكرة التي بدأت تتبلور منذ ذلك العصر، ولولا هذه الفكرة لكان للنجف على مالها من الشعر أضعاف وأضعاف أضعاف مَا عرفت لها من شعر وشعراء وأدب وأدباء.

كان شعر شاعرنا الشيخ جعفر رحمه الله ضحية هذه النظرة السائدة، ولذا لمْ يبق له شعر كثير وهو شعر مبدعٌ كما لاحظت، وإليك بعض ما روي له مما جمعه له صاحب الحصون الذي لولاه لضاع شعر هذا الشاعر، فمن ذلك قوله:

ومنكر قتل شهيد الورى ووجهه ينبىء عن حاله
اللون لون المسك في خدّه والريح ريح المسك من خاله

وله أيضاً:

أحببت أن أهزل جذلانا وأن أهز العطف نشوانا
وأن أميط الذل عن عاتقي وأمتطي في العز كيوانا
وأن أسوم الذل من سامني من الورى ذلا وخذلانا
أو لا فما لي في العلى مطلب ولم أشد للمجد بنيانا
ولم تكن لي سابقات الندى على الورى سراً وإعلانا
ولا روى الراوي حديث النهى عنّيَ عنواناً فعنوانا
ولم يكن ما كان من والدي مني كأمثال الذي كانا
ولم أطل بردي في غارة أجلبها خيلا وركبانا
مستبقات كنسور الفلا يطوينها سهلا وأحزانا
يحسبها الراؤون مهما جرت لغاية في الجو عقبانا
ما سابقتها الريح إلا انثنت تلوي عنان الريح خسرانا
ولا جرت والبرق في حلبة إلا وأوهت منه أركانا
وما جرى الفكر بآثارها إلا وقد أعيته ميدانا
يحملن للحرب أسوداً وإن كانوا لدى المحراب رهبانا
كأنها قد خلقت تحتهم أو خلقوا للحرب فرسانا
بيض إذا نار الوغى أضرمت واشتبكت بيضا وخرصانا
رأيتهم والنقع من فوقهم كالشهب أفعالا وألوانا
رأوا حقوق المجد قد عطلت وانتهبت ظلماً وعدوانا
فعندها هبوا خفافا لها وابتدروا شيباً وشبانا

وأقسموا لا آلفوا مضجعا   أو يرجع الأمر كما كانا

وقوله من قصيدة :

إن قلبا أخفى الغرام زمانا   عاد فيه الهوى كما قد كانا
حركت ساكن التياعي بدور   ركب الله تحتها أغصانا
بي شموساً بدت بنعمان ليلا   فكست حلة الضحى نعمانا
شمت من بينهن ظبية خدر   سحبت للردى بنا أردانا
كنت من قبلها عزيزاً ولكن   ذقت ذلا من حبها وهوانا

وله أيضاً :

صبرا جميلا فلعل وعسى   يورق عود الوصل بعد ماعسا
والدهر قاس قلبه وربما   يلين قلب الدهر بعد ما قسا
أساءني من بعد ما أحسن بي   يا ليته أحسن بعدما أسا
أطلق دمعي بعد ما قيده   وقال خذ منه طريقاً يبسا
أنهلني من الدنوّ راحة   أكرع منها للبعاد أكؤسا
يا دهر كم مارستني في موطن   شاهدت مني فيه قرماً أشوسا
لا ينثني عن غاية يطلبها   أو يبلغ الغاية طبعاً أشرسا
أبوه قد أسس بيتاً للهدى   وهو بنى فشاد ما قد أسسا
من فتية أبوهم عليُّها   وأمهم فاطمة خير النسا
رووا حديث الفضل عن جدهم   وجدهم رواه عن أهل الكسا
ما أصبح الصبح على أمثالهم   أطواد حلم لا ولا أمسى المسا
من كل وضاح الجبين نوره آسـ   ـتعار نور الشمس منه قبسا
ما عسعس الليل على آملهم   إلا وصبح جودهم تنفسا
وعيلم إن أعضلت معضلة   كان لبرء دائها نعم الأسا
يا دهر جد بالقرب منهم نفسا   وعد كل العمر ذاك النفسا
أسلمتني إلى الأسى من بعدهم   من بعدهم أسلمتني إلى الأسى

وقوله :

لا كف واكف غيث فيك قد وكفا   أكناف كوفان آبت منيتي وكفا

لم أنس ناعم عيش قد نعمت به ومورد قد صفا لي من أهيل صفا
إذ فيك صرف زماني غافل سنة عني وعن مجلسي طرف الرقيب غفا
في فتية كبدور التمّ أوجههم ما مثلها في الورى من مشرق شرفا
من كل أبيض وضاح أخي كرم غير السماحة والمعروف ما عرفا
وكل ثاقب فكر عيلم علم رأى طريق أبيه في العلى فقفا
قل للذي جد يقفو إثر مجدهم أقصر فكم ماجد من دونه وقفا
ما أنت ممن تدانيه بمكرمة وإن سموت على هام السهى كنفا
هل شبه السيف يوماً بالعصا أحد أو قاس يوماً بصافي اللؤلؤ الصدفا
لا يبلغن لمديحي بعض وصفهم وإن ملأت بمدحي فيهم الصحفا

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١/ ٤٠ . معجم رجال الفكر : ٣/ ١٠٣٩ . ماضي النجف وحاضرها : ٣/ ١٤١ . الحصون المنيعة : ٨/ ٩٩ . أعيان الشيعة :١٥/ ٤١٨ . معارف الرجال : ١/ ١٦٣ . الكرام البررة : ١/ ٢٦٣ .

(٧٤)

محمد علي العاملي

«١٢٤٧ - ١٢٩٠» هـ

السيد محمد علي ابن السيد أبي الحسن بن صالح بن محمد ابن إبراهيم الموسوي العاملي .

تلقى علومه العلمية في النجف الأشرف ، وقد كان أبوه عالماً فاْهتمّ بتوجيهه نحو الفضائل عند الأماثل من العلماء ، فدرس وحضر دروس علماء عصره ، ومنهم : الشيخ الأنصاري والشيخ مهدي كاشف الغطاء ، ثمَّ توجه صوب كربلاء فحضر عند الشيخ زين العابدين المازندراني والميرزا علي الطباطبائي وغيرهم ، فكان من العلماء الأفاضل ، وقد كتب في علوم النحو والصرف والأصول والفقه وغيرها . ومما كتب أيضاً كتاب «اليتيمة» يحاكي بها يتيمة الدهر للثعالبي فكان عمله هذا مشكوراً ، لأنّه حفظ تراثاً لعلمائنا السابقين فرحمه الله ورحمهم جميعاً . مال السيد إلى الأدب والشعر واْحترف الشعر ممتهناً له ، وربما أعانه الشعر على صعوبة العيش تلك الأيام الكالحة .

أفرط السيد في عشقه للبن ، فكان يفرط في شربها إفراطاً عظيماً ، حتى أثر على صحته البدنية وربما الذهنية آخر أيامه التي لمْ تطل .

ومن النوادر عن هذا الشيخ أنه عرض كتابه (اليتيمة) على الأنصاري وفيه مداح كثير للشيخ الأنصاري ، بغية الحصول على كلمة مدح (تقريض) فيه . فأنشأ الشيخ وللمرة الأولى والأخيرة في حياته هذا البيت :

فيا مضيّع عمراً في كتابته فلا أضيّع عمري في قرائتهِ

كان البنُ والشعر ـ ولا شكَ العلم ـ أصدقاءَهُ الملازمين له على كَثرة

أصدقائه من علماء وأدباء ذلك العصر ، فالبن أودى بصحته وذهنه وحياته ، والشعر أودى بكثير من كبرياء الشاعر وسمّو العالم منه ، فربما عرض مدائحه لا على زعماء عصره من علماء وأمراء فحسب ، بلْ تنازل عن هذا المستوى إلى مستوى السوقة والجهلاء فمدحهم ، وهم بمدحه أولى دون أدنى شكّ .

عُرفت عن الشاعر صفات طيبة ، منها التواضع ومنها حدة الذكاء والخاطر والقدرة الكبيرة على النظم الشعري ، ويبدو لنا في شعره أنه كان من المقدمين بين شعراء عصره في حيازة قصب السبق إلى المعاني التي شفعها بالصياغة الأنيقة للعبارات والألفاظ والخيال الشعري . ومن ذلك قوله مادحاً الميرزا حسن الشيرازي بقصيدة مطلعها :

كيف تحكي أكفّك الأنواءُ ... أو ما يأخذ الحياءَ الحياءُ !

ومن شعره :

أيُّها النائمون حولي أعينو ... ني على الليل حسنه وٱفتخارا [كذا]
حدّثوني عن النهار حديثاً ... وصفوه فقده نسيت النهارا

وقوله :

يا أيها النائي عن الأوطان ... هيجت في يوم النوى أحزاني
أضرمت نيران الهوى لمتيم ... عذبته في لوعة الهجران
عذبت قلبي في فراقك أيها الـ ... ـنائي الذي بغرامه أشجاني
تالله ما بان اللوى بعد اللوى ... عن حبكم إذْ باللهوى ألواني

ومن مدائحه التي يؤسف لهذا الشاعر أن يقع فيها في مثل هذا المستوى اللاخلاقي ، ونحسب أنه نظمه وهو في غير وعيه أو أيّام اختلال ذهنه ، في مدح الشيخ مهدي آل كاشف الغطاء :

ألا يا أيها المولى المساوي ... بكل صفاته المولى عليا
لقد حزت المفاخر والمعالي ... ونلت بفضله القدر العليا
جمعت فضائلا كانت لموسى ... فكنت بجمعها الحسن الزكيا
وما حازوه من مكنون علم ... كشفت غطاءه فغدا جليا

لك المجد الذي أرسى خباه ... على هام المجرة والثريا
فلو بعث الإله بكل عصر ... نبيا كنت أنت لنا نبيا
أكف سواك لو أجرت عيونا ... أرى شرفي لنائلها أبيا
وكفك لو أقل فيوم أظمى ... أراه لمهجتي ريا رويا

وله في الشيخ علي كاشف الغطاء صاحب الحصون قوله :

يا عليا لآل جعفر ينمى ... عمرك الله حزت علماً وفهما
أنت قدما ربيب حجر المعالي ... وصبيا أوتيت في المهد حكما

ومن قوله فيه :

يا من له قلبي ركن ... وبحبه أنا مفتتن
لله كم لك من يد ... قد طوقت جيد الزمن
فلك الفواضل في الورى ... ولك الأيادي والمنن
أروي حديث الفضل عنـ ... ـك وعن أبيك وعن وعن
قد حزت مجداً شامخا ... من ذا يدانيه ومن
لن تحتوي الفضلاء فضـ ... ـلك في العلوم ولن ولن
أولست يا رب العلى ... محي الفرائض والسنن
شيدت من فرط الحيا ... دين النبي المؤتمن
خذها خريدة سيد ... علم هو ابن أبي الحسن
يشكوك من فرط الجوى ... وأذى النوائب والمحن
وغدا بأشراك الجوى ... ومتين حبك مرتهن

بيدو أن هذا الشاعر كان ممّن يرى في مدح هؤلاء الفقهاء ـ حدّ المغالاة ـ أمراً تقتضيه طبيعة شعر المدح ، أو الظروف الاجتماعية التي كان يحياها ، ولكن الملاحظ هو إغراقه في امتداح صفات ممدوحيه ، كما فعل في بعض ما مثلنا له من شعر في بعض أعلام آل كاشف الغطاء وكذلك مع غيرهم ، وإليك هذهِ القصيدة في مدح السيد محمد تقي بحر العلوم بسبب

قران ولده السيد محمد رضا ، التي يرد في أثنائها وصفه للسيد المذكور بأنه (خير الورى) ، وهو من تجاوزاته التي يبدو أنها كثيرة :

أيها الركب سر لكل البلاد ... وانشر البشر في جميع العباد
ما ترى الدهر والكواكب تزهو ... والمسرات ملء كل فؤاد
ما ترى بالهنا البلابل تشدو ... صادحات بالبشر في كل واد
وطيور السعود في كل لحن ... معلنات باليمن والاسعاد
وذوي العلم أصبحت من سرور ... تتهادى على الفلاة المهاد
والبريات من أقاصي المغاني ... تقطع البيد من ربىً ووهاد
ما دعتها بالرقمتين عهود ... قد تقضت في سالف الآباد
أو حداها بين العذيب وسلع ... ذكر أسما ورامة وسعاد
لا ولا هاجها تباريح وجد ... في حشاها ولوعة وسهاد
بل أتاها من الصبا نسمات ... ضاع منها العبير في كل ناد
نفحتها من الحمى نفحات ... طبقت بالسرور كل بلاد
فغدت بالسرى تجوب الفيافي ... فوق جرد صوافن وعواد
قصدت بالمسير مغنى رفيعاً ... كل يوم فخاره بازدياد
فيك خود الهنا تروح وتغدو ... فهي فيه روائح وغوادي
كي تهني من الأماجد قوما ... بلغوا في الزمان أقصى المراد
يوم وافت شمس الغربين بدراً ... مستنيراً لعاكف ولباد
غادة حسنها يضل ويهدي ... كم مضل به وكم من هاد
أسفرت في دجى الظلام عشياً ... فتخال العشي بالصبح باد
حين زفت لأنجب الناس طراً ... بل وأزكى البنين في الميلاد
نخبة الأنجبين في حلبة الفخـ ... ـر وفرع الغطارف الأمجاد
فهو خير الورى محمد أزكى الـ ... ـخلق عرش التقى وكنز السداد
من أهني بعرسه من أهني ... غير بدر الهدى وطود الرشاد
ألإمام التقي جم المعالي ... وحليف التقى ورب الأيادي
حاتم الجود والسماحة بحر ... سائغ للورود والرواد
مبدء الفضل ختمه ورئيس الـ ... ـكل في الكل واحد الآحاد

ربوة الفخر بهجة الدهر شمـ س المجـد بدر الاصدار والإيراد
مأمن الملتجي وكهف المرجي منبع الوفد كعبة الوفاد
هو من يلتجي الأنام إليه يوم هول من كل فج ووادي
هو من يرتجى لكل مهم وهو في الخلق منية القصاد
هو مقدامها المقدم فيها هو فيها عماد كل عماد
هو من لم يدع دعاما تداعى أبداً للفخار غير مشاد
هو من يرفد البرية براً من نداه في القرض والارفاد
هو كنز الندى ورب أياد واكفات تسحّ سَحّ الغوادي
طبق الدهر جوده مثلما قد طوقت كفه جميع العباد
لا تسله فمنعم فمجيب قبل سؤل بنجح كل مراد
هو ألف في بدء كل عديد وإلى الألف منتهى الأعداد
بعداد صفاته ليس تحصى ليس تحصى صفاته بعداد
هو من معشر هُمُ حجج الـ ـله وسر التكوين والإيجاد
وهم الابتداء في كل خلق وهم الانتهاء يوم المعاد
بهم تاهت العقول وحارت في علاهم ذوو النهى والسداد
قادة لم تزل بذكر هداهم تخطب الناس في رقا الأعواد
لم تجد من محدث بسواهم أبداً في الأغوار والأمجاد
سادة الخلق والرسالة فيهم وهم ينطقون كل جماد
ويميتون ما أرادوا لحيٍّ ويعيدون ميت الالحاد
ما ترى البدر كيف شق بليل لنبي الأنام أكرم هاد
وترى الشمس كيف ردت ضحاءاً لعلي مبيد كل معاد
أو ما أنبئاك عن بعض معنى جمعاه في الجمع والإفراد
وهنيئا يا ابن التقي هنيئا خير قصد بلغته ومراد
كيف أبدي لك السعود وفيما بين عينيك بدر سعدك بادي
ودم العمر رائعا بنعيم أبد الدهر ماله من نفاد

من مصادر دراسته :
شعراء الغري : ٩/ ٤٧٦ . الحصون : ٢/ ١٢٧ ، ٥/ ٥٦٠ .

(٧٥)
محمد نَصَّار

«/ - ١٢٩٢هـ»

الشيخ محمد ابن الشيخ علي ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد نصّار اللّملومي الشيباني، شاعر آل البيت الكبير الذي نظم واقعة الطّفّ كلها في قصيدته الشعبية المعروفة عند جميع خطباء المنبر الحسيني على طريقة أهل البادية، ونسبة إلى خصوصية إيقاعها عُرف عند أهل فنٍّ الخطابة نمطٌ من الأداء سمّي بـ «الطور النّصاري»، وقدْ حاكاه في نظمها شعراء كثر، وهي مما يستحق الدراسة، فهي ملحمة الأدب الحسينيّ الشّعبي بلا منازع.

ابن نصّار... هذا هو الاسم الذي اشتُهرَ به شيخُنا المذكور، فإن قيل ابن نصار، فهو المقصود بذلك، على أن في هَذه الأسرة أدباء وعلماء آخرين ينتسبون إلى نصار، لكن هذه التسمية منصرفة إليه ومقصورة عليه.

ومع شعره العامي كان لشيخنا شعر باللغة العربية الفصحى، يدور أغلبه أيضاً في محبّة أهل البيت وولائهم عليهم السلام.

لقد حمل هذا الشيخ فضيلة العلم، فقد درس في النجف علوم الإسلام، ولكنه اشتهر بالأدب والشعر والتاريخ الإسلامي.

لقد وردت الإشارة في غير هذا الموضع إلى أن آل نصار هؤلاء هم غير أُسرة الشيخ راضي آل نصار المعروفة في النجف، على أن كلا هذين البيتين هما بيتا علم وشرف وولاء لآل البيت «ع» خصوصاً لسيد الشهداء «ع». فشاعرنا من آل لملوم العشيرة الفراتية، وقيل بحرانية الأصل، أما الأخرى فهي فراتية من آل «عبس» من فخد «بني حجيم».

هذا الشيخ أثنى المؤرخون وأصحاب السير على تدينه وطهارة نفسه وروحه العالية في فنون الشعر، ومن جملة شعره راثياً فيه السيدة زينب بنت أمير المؤمنين «ع»:

هاج وجـدي لزينب إذ عـراها فـادح في الطفـوف هد قـواها
يوم أضحت رجالها غرضاً للنبـ ـل والسمـر فيه هاج وغاها
ونعت بين نسـوة ثاكـلات تصدع الهضب في حنين بكاها
آه والهـفـتـاه مـاذا تقاسي من خطوب تربو على ما سواها
ولمن تسكب المدامع من عيـ ـن جفا جفنها لذيذ كراها
ألنهب الخيـام أم لعليل ناحل الجسم أم على قتلاها
أم لأجسامهم على كثب الغبـ راء مخضوبة بفيض دماها
أم لرفع الرؤوس فوق عوالي الـ سمر أم رض صدر حامي حماها
أم لأطفالها تقاسي سياق الـ موت أم عظم سيرها وسراها
أم لسير النساء بين الأعادي ثاكـلات يندبن يا آل طاها
وهي مـا بينهن تندب من قـد ندبته الأملاك فوق سماها

وله من قصيدة يرثى بها الإمام الحسين (ع) :

فـأتته زينب بالجواد تقوده والدمع من ذكر الفراق يسيل
وتقول قد قطعت قلبي يا أخي حـزناً فيا ليت الجبال تزول
فلمن تنادي والحماة على الثرى صـرعى ومنهم لا يبل غليل
ما في الخيام وقد تفانا أهلها إلا نسـاء ولَّهٌ وعليل
أرأيت أختاً قدمت لشقيقها فـرس المنون ولا حمى وكفيل
فتبادرت منه الدموع وقال يا أختاه صبراً فالمصاب جليل
فبكت وقالت يا ابن أمي ليس لي وعليك ما الصبر الجميل جميل
يا نور عيني يا حشاشة مهجتي من للنساء الضائعات دليل
ورنت إلى نحو الخيام بعولة عظمى تصب الدمع وهي تقول
قوموا إلى التوديع إن أخي دعا بجـواده إن الفـراق طويل
فخرجن ربات الخدور عواثراً وغدا لها حول الحسين عويل
الله ما حال العليل وقد رأى تلك المدامع للوداع تسيل
فيقوم طوراً ثم يكبو تارة وعـراه من ذكر الوداع نحول
فغدا ينادي والدموع بوادر هل للوصول إلى الحسين سبيل

وقوله :

ومـذ اسـتـقلوا ظاعنين وأيقن الـ   فـئـتـان أن هـيـهـات يلتـقـيـان
مـن كـل أبـلـج لا تـلـين قـنـاتـه   غـرت مـدامـعـه لدى الحـدثان
يسـتـوقف العيس المثارة بعدمـا   غنت حـداة الركب بالأظعـان
أمـقـوضين قـفـوا لصب ريثـمـا   يقـضي لبـانة قلبـه الولهـان
فـإذا خـدت أيدي المطي وكنتم   ممن يقـول بذمـة الخـلان
مـروا برمل البـان يومـاً علمـا   عـثـر الزمـان بنا برمل البـان
أسـتـاف نفـحـة رمله العبق التي   عـلـقـت بـواديـه مـن الأردان
وإذا سـجـا الليل البـهـيم فـإنني   أشتـاقكم فـقـفـوا على الكثبـان

وله :

خلت من ظبـاء الأبرقين ربوعـهـا   فهيهـات يا عين المعنّى هجوعـهـا
أتـألف رسل الأبرقين مـهـابة الـ   ـنفـور وأيدي القـانعين تروعـهـا
وقفنا وللأحشاء رقص على الغضا   وقد رقصت فوق النطاق فروعـهـا
أودّعـهـا فـوق الكثـيب ومـهـجتي   تودعـهـا فـوق الكئـيب ضلوعـهـا
أسـائلهـا والعين عـبـرى مـتى اللقـا   فتعرب عن بعد التلاقي دموعها
عـقـارب صـدغ لا يفـيق لديغـهـا   ورقش جعـود ليس يرقى لسيعـهـا
ونبـعـة قـدٍّ لا يقـوم طعـينهـا   وأسيـاف لحظ لا يداوى صـريعـهـا
وخـد أسـيل روق الصـون مـاءه   نزت كـبـدي منه فـهـاج ولوعـهـا
ولما استقل الركب فاضت مدامعي   وحلق من عين المعنّى هجـوعـهـا

من مصادر دراسته :

شعـراء الغـري : ١٠/ ٣٢٢ ، معـجم رجـال الفكر والأدب : ٣/ ١٢٩٠ . أعـيان الشيعة : ٤٦/ ٥٣ . الحصـون : ٥/ ١٨٠ . الذريعة : ٩/ ٣١ . ماضي النجف : ٣/ ٤٧١ . معارف الرجال : ٢/ ٣٥٢ . معجم المؤلفين العراقيين : ٣/ ٢٥٧ .

(٧٦)
أحمد قفطان

«١٢١٧ - ١٢٩٣» هـ

الشيخ أحمد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ علي بن نجم السعدي الرّياحي المعروف بقفطان .

كان هذا الشيخ أُعجوبة من أعاجيب الزمان ، وذلك أنه كان فاقداً لنعمة السَّمع ، ومع ذلك لم يعقه فقدان هذه الملكة عن الابداع في الشعر ، وهو الفن القولي الذي يعتمد على الإيقاع الموسيقيّ بدرجة أساس ، فكيف تمَّ له ذلك؟ ، هذا ما لا نعلمه ، ربما كان يسمع في صغره ثمَّ فقد هذه الحاسّة ، ذلك ما لا نعلمه أيضاً ، وحتى لو فرضنا هذا فإنه يبقى أعجوبة كبرى من الاعاجيب ، فكيف اتقن الإيقاع الشعريّ ، ثمَّ نظم فيه ، بلْ اختص بعلم العروض .

لعلّنا نرجح أنه فقد حاسة السَّمع بعد عمر الشباب ، لاسيما وأن المعروف عنه أنَّهُ حضر دروس العلماء في النجف كالشيخ صاحب الجواهر والشيخ الأنصاري ووالده الشيخ حسن قفطان وغيرهم ، فكيف استفاد العلم من هؤلاءِ إن لم يكن عن طريق السماع؟ هذا ما لا نعلمه أيضاً .

وعلى كل التقديرات ، فإنه عرف بالعلم والفضيلة ، وبرعَ في علوم العربية ، ونظم الشعر فكانَ لشعره موقعه من النفوس ويبدو أنّه أسهم إسهاماً كبيراً في تنشيط الحركة الأدبية في عصره ، وهذا ما يستفاد من وصف الشيخ إبراهيم صادق العاملي لَهُ فيما نُقل عنه في شعراء الغري عن مجموعه ، حيث وصفه بالفذ الذي ساهم في حفظ الأدب بعد إشرافه على الاحتضار مع الأفذاذ أمثاله .

إن فضيلتي العلم والأدب اللتين برع فيهما هذا الشيخ المبدع كانتا نتاج

عبقريته التي منحها الله تعالى لَهُ، فذكر عنه من الحكايات التي تدلُّ على ذكائه وفطنته الشيى الكثير، ومن ذلك أنه إذا رأى شخصاً تتحرك شفتاه أخذ ورقة ودوّن بها كلام ذلك الشخص.

ولعلمه وذكائه وفطنته وشاعريته كان لهذا الشيخ احترام وتقدير عند رموز عصره الدينين والاجتماعيين، وعند بعض الزعماء والأعيان والحكام من أفراد الدولة العثمانية مثل (شبلي باشا الدرزي) في عهد ولاية (نامق باشا) في بغداد، وكذلك مدح الوزير علي باشا العثماني.

لقد زاد من فضائل الشيخ وإبداعاته حسن خطّه، فنسخ لذلك كثيراً من الكتب.

إن الشيخ أحمد هو شاعر وابن شاعر وأخو شاعر فهو ابن الشاعر الشيخ حسن وأخو الشاعر الشيخ إبراهيم ومن هنا كانت له قصائد اشترك في نظمها مع أبيه الشيخ حسن قفطان. وهذا البيت (بيت قفطان) من بيوت الأدب والعلم والصلاح في النجف الأشرف، وقد انقرض ذكر هذا البيت العلمي للأسف من النجف.

أما شعره فإنه كما نلاحظ، شعر يقف في مقدمة شعر العرب في تلك العصور، يكتسب هويته الفنية من هوية الشعر النجفي سَبْكاً وجزالة ومتانة، كما يكتسب هويته الموضوعية أيضاً من هوية الشعر النجفي، فهو في كثيرٍ منه يدور في مدائح أهل البيت «ع» خصوصاً وأنّه ركّز في شعره على موضوع هو نابع من عظيم ولاء النجفيين للإمام علي وأهل البيت (عَليهم السلام) فله «استجارات» و «استغاثات» بهم «ع»، تعبيراً عن الشدائد والخطوب والمآسي التي كان النجفيون يواجهونها في أحيانٍ كثيرة، ومن ذلك مثلاً استغاثته بالمولى أمير المؤمنين «ع» في كارثة وباءً الطاعون التي كانت قد حلّت في النجف على عهده والتي يقول فيها:

يا مَنْ أجار الظبي عند ضريحه ... وأتى بمدح الذكر ذكر مديحه
إنا بقبرك نستجير من الوبا ... إذْ عمّ قطر الأرض بلُّ رشيحه
حاشاك تسلمنا إليه وإننا ... ندعوك كف عنّا صواعق ريحه
نخشى تقول عداك لو أسلمتنا ... أين الذي تدعون عند ضريحه

قسماً بجرعاء الحمى وغريّه وشذى خزاماه وطيّب ريحه
لولاك ما غفر «الإله» لآدم كلا ولا نجّى السفين بنوحه
ولما تجلّى للكليم بطوره نور تجلّى منك ضوء (جبينه) [كذا]
ولسرك الموتى تعود حياتها طوعاً بإذن الله لا لمسيحه
وشربت من كأس الولا لك خمرةً نلت الرشاد بصبحه وصبوحه

هذه الاعتقادات الحقّة التي يتحدث عنها الشيخ أحمد أيّام بلائه، ربما يتناساها وهو يوجه بلسان مدحه إلى الوزير علي باشا العثماني الذي يقول فيه:

وعزمة كغرار السيف ماضية وسطوة مثل سطوات الوزير عَلي
المرغم الشوس والمردي كتائبها بالصارم العضب والعَسّالَة الذبل
وكمْ وكمْ خار من بحر الردى لجـجاً والموت يرنو إلى الأبطال بالمقلِ
من فوق أجرد سامي الطرف حيث جرى تخالُهُ السيف منحطّاً من القُللِ
أنسى الخلائق طرّاً في وقائعه كلّ الوقائع حتى وقعة الجَمَلِ

والبيت الأخير كما تُلاحظ يثير فيك العجب من جرأة هذا الشيخ على مقارنة «وقائع» الباشا بواقعة الجمل، التي لا يمكن النظر إليها من زاوية القدرات العسكرية بحال من الأحوال، بقدر ما هي وقعة لها مضامين سياسية وعقائدية كما هو معلوم، وحتى من منطق القوة الصرف فكيف لَه أنْ يشط به الخيال وتأخذه الحماسة إلى هذه المبالغة التي نسأل الله تعالى غفرانها لَه. ومن هنا راح البعض يردُّ عليه، فأحد الشعراء ممّنْ مدح الباشا عرَّض بقول الشاعر في بيته الآخر المشار إليه بقوله:

دع التفاصيل واسألني عن الجمل هذا عليٌّ وهذي وقعة الجمل

نَعَمْ. كان هذا من الشاعر زلّة لسان ـ غفر الله تعالى لَهُ ـ وإلاّ فإن شعره الطافح بالولاء لأهل البيت «ع» خير دليل على انتمائه الحقيقيّ لهم، فهو في حادثة حدثت على عهده يعود إلى (ذاكرته) العلوية الخالصة، وذلك حينما أراد أحد الجنود النواصب الدخول إلى حرم مولانا عليّ «ع» بنعله،

فبطش به أمير المؤمنين «ع» إذ سقط مغشياً عليه قبل الدخول بسبب ضربة شديدة ، وهلك بعد يومين فٱهتزت مشاعر شاعرنا لهذا الحادث المعجزة وأنشأ :

وكـــرامـــات علـيٍّ حـــيـــدرة ظاهرات عند أهل التـبـصـــرة
كم وكم مَـــرَّت على أســـلافنا ولنا أُخـــرى بدت مـــبـــتكرة
نـاصـــــبي رام أن يـدخـل فـي نـعـلـه لـلـروضــــــة المزدهرة
صـــاحب الروضـــة أرّخ أســـدٌ قـــبل أنْ يدخلـهـــا قـــد سطره

إن للشيخ أحمد قفطان شعراً كثيراً ، وهو بحقٍّ سجل حافل بأحداث النجف وربما غيرها أيضاً ، فقد مدح ورثا ، وهنّأ وعاتب واشتكى واستغاث ، مشطراً ومخمساً وملغزاً ومنشئا القصائد الطوال كذلك ، يرتفع بشعره أحياناً فيحلّق في عالم الخيال الشعري ، فيصور ويبدع فيما يصور ، ويقف أحياناً عند حدود الصناعة الباردة للنظم ، ربما لأنه كان يُطالب اجتماعياً بنظم بعض القصائد في مناسبات (روتينية) ، فلا يجدُ في نفسه كثير هوىً ، فيميل بها إلى النظم ، وهذا التفاوت نلاحظه في قصائده واضحاً . ومن هنا سنحاول أن نختار لَهُ ما نعتقد أنه يمثل حقيقة ذاته الشاعرة فمن ذلك قوله في رثاء سيد الشهداء :

أتســـأل عن ميّ ، طلولاً هوامـــدا أَلَمْ تـعـلم الأطلال صـمّـا جـلامـدا
وتسـفـح في سفح المعاهـدِ أدمـعـاً وتنشـد مِن حزنٍ عليـهـا قـصـائدا
رسـوم عـفـتـهـا الذاريات وترتجي عن الشـاحط النائي تجاوب ناشـدا
وتطمـع أن تطفي غـليلك دمنة ضـريت حـديداً بالمقـانع بـاردا
هو البيت لمْ يسأم عناداً فـما ترى يخـاصِمُ مَنْ كـان الألّد المعـاندا
فكَمْ شتَّتْ كفّـاه شمـلاً مجمّعـاً ولاسـيـمـا آل النبيّ الأمـاجـدا
حـدا بهم الحـادي وأخلى ديارهم وأوحش منهم أربعـاً ومسـاجـدا
وغـــادرها تنعـــاهم وطلولهـــا خـواشع مـا بين الطلول هوامـدا
فمنهم قضى نحباً على الكرب كاظماً ومنهم خضيباً من دم الرأس ساجدا
وآخـر بعـد الخذل والسلم سمـه عـدوٌّ له بغـيـاً وكـان مـعـاهدا

ولا مــثل يوم الطفّ يوم فـإنَّهُ قضى للورى حزناً مدى الدهر خالدا
غـداة حـسين والرمـاح شـوارعٌ وجـانبت البيض المواضي المغامِدا
لقـد أفـرغـوا فـوق الدروع قلوبهم فكانت على صدق الوفـاء شواهدا
وثاروا إلى حرب ابن حرب كأنّهم أسـود على شـاءٍ نقـرن شـواردا
كـأنّ لظى الهـيجـا ظلال تبـوّؤا بهـا لقـتـال الناكـثين مـقـاعِدا
كـأن مـتـون الصـافنات أسـرّة ثنتْ لـهم الهـيجـا عليهـا وسائدا
كـأن صليل البيض تنغيم شـادنٍ بذكـر سـعـادٍ أو بثـينة ناشِـدا
كـأن سـواد النقع دخنة عنبـرٍ يشـمـون منه نشْره المتـصـاعـدا
كـأن ومـيض البـارقـات مـبـاسم بأثغـار خـود ذاهبـات عـوائدا
إذا ركـعت بيض الظبـا بأكـفـهم ترى الهـام منهـا طائعـات سواجـدا
ولما دنا مـا خطه حـادث الردى ثووا للثرى صرعى فنالوا المحامدا
وراح فـريد الدهر لم يلف بعـدهم بجنبيـه إلا مـشـركـاً أو مـعـاندا
فـدمـدم ثبت الجـأش دون خيـامه يحـامي وراء الطاهرات الأمـاجـدا
يكرُّ عليـهم كـرَّةً بعـد كـرَّة فـتنثـال عنه كـالبـغـاث شـواردا
طواهم كما يطوي السجل مصرِّفا بعـامله تلك الجـمـوع الجـوامـدا
إلى أن أتـت من جـانب الله دعـوة فـخـرّ على وجـه البسيط سـاجـدا
وراحت له الأيام سـوداً كـأنما كسين سواداً من دجى الليل صاعدا
ألا في سبـيل الله من راح ظاميـاً وقـد منعـوا ظلمـاً عليـه المواردا
ألا في سبيل الله من صـدره غـدا لخـيل الأعـادي مـوطئـاً ومطاردا
ألا في سبـيل الله من يأت عـارياً ثلاثاً كـسـتـه الذاريات مـجـاسـدا
وجسم ثوى فـوق الصعيـد ورأسه تبـوء أطراف الصـعـاد مـصـاعـدا
ألا في سـبـيل الله سـبي نسـائه على هزّل تطوى بهنَّ الفـدافـدا
ألا في سـبيل الله ثقل مـحـمـد توزع نـهـبـاً والخـيـام مـواقـدا

ولَهُ مستنهضاً الحجة «عج» :

إلى م انتظاري يا ابن فاطمة الزهرا ألا تنقضي أعوام غيبتك الكبرى :

بهـا طال ليل الدين حـتى كـأنهـا تمطّى بهـا باعـاً إذا مـا دنت شبْـرا
قـضينا بها ألفـاً ونيفـاً ومـا انقضتْ أمـا مُلئتْ ظلمـاً أمـا ملئت جـوْرا!
فـديناك قمْ من غـيـر أمـرٍ وإنما دعـوناك أنْ تبـدي بنا النهي والأمْرا
ومـجلبـهـا قب البطون شـوازباً ضـوابح لا تبـقي ضـلالاً ولا كـفـرا
تقل رجـالاً كـالحـديد قلوبهـا بأعـينهـا ترنو لأعـدائهـا شـزْرا
بني الدين شمس الدين أمسى مبدّداً وكم هتكتْ أيدي الضلال له سيْرا
وأمس كـتـاب الله يُتلى مُـحَـرَّفـاً ويوشك أنْ يرمى برمـتـه هجـرا
على أننا نمسي ونصـبح منهمُ نكابد رعـبـاً لا نطيق له صـبـرا
ومـا نالهم هدرٌ وملك رقـابنا وأمـوالنا نهبٌ وأبناؤنا أسـرى
فـأكـبـادنا حـرّى وأعـيننا عـبرى على ديننا طوراً وأنفـسنا طورا
نرى فـيأنا فـيهم سـهامـاً مقسمـاً وأيدينا من فـيئنا أصبحت صِفْـرا

.... الخ

أخيراً نستطيع أن نقول إن الشاعر قد حاول أن يجنح بشعره نحو الواقعية في أحيان كثيرة ، ومن هنا فقد صوّر لنا شعره واقع حياته الذي يبدو أنّه كان يعاني الفقر والفاقة ، ولذا نجده في غير موضع من شعره يركز على هذه الناحية ويذكر بؤس عائلته وأبنائه وهذا اتجاه واقعيٌ في أدب النهضة مبكرٌ .

ومن هذا القبيل ما ورد في إحدى مقطوعاته التي وجّهَ بها إلى الفقيه الشيخ مهدي كاشف الغطاء ، الذي مَدَحه ورثاه بقصائد عديدة واستعان به غير مرّة على قضاء حاجاته ، ويبدو أن صلات الشيخ له قد انقطعت لسبب أو آخر ، فهو يصوّر فاقة وبؤس عائلته تصويراً يعيد إلى الأذهان صوراً من الشعر العربي ، التي صورت لنا حقيقة الحياة عند شعراء سابقين ، كأمثال الشعراء العرب في العصور القديمة ، الذين كانوا يحملون معاناة أسرهم وأبنائهم إلى ممدوحيهم ، وهم كثر في تاريخنا الأدبي القديم فاقرأ قول شاعرنا في ذلك . وهو يعطينا صورة عن واقع الحياة الاجتماعية لشاعرنا وربما لغيره من الناس في عصر الشاعر :

سـؤال تردّد في خـاطري فـهل من جواب لهـذا السؤالْ

نوالك أمسى عليّ حراما لماذا حرام عليّ النوالْ
فإنْ كان عنْ فرية في مقال عليّ لحا الله أهل المقالْ
ألمْ تدري أني ضعيف القوى كثير الديون كثير العيالْ
وهبْ أنني استحقّ الجفا وصرف النوال ومنع الوصالْ
فلي غلمة يرتقون السماك لكسب المعالي ونيل الكمالْ
وإنْ مرّ ذكرك كان لديهم كروح الشمول وريح الشمالْ
وهمْ قلدوك تكاليفهم بأمر الحرام وأمر الحلالْ
وأرسيت فيهم هوىً لا يزول وإنْ زال رأسي الرواسي الجبالْ
فها يمضغون النوى في الطوى وفي الصيف يستفكهون الزلالْ
أعول بهمٍّ فأعول لهم بحذف السهام ومن عال عال
فلا الخمس تعطي نساهم ولا تضيف لهم في سهام الرجال
وأنت الغياث لهم والعماد لهم والظلال لهم والثمالْ

ومن آثاره العلمية :

كراريس في الفقه والأصول

القوافي الشبلية والصنايع البابلية ، مجموع شعر ونثرٍ في مدح صديقه شبلي باشا المذكور سابقاً أيام ولايته في النجف والحلة والديوانية .

المدح الناصرية ، مجموع مدائحه للسلطان ناصر الدين شاه .

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١/ ١٧٠ . معارف الرجال : ١/ ٧٤ . الكنى والألقاب : ٣/ ٧٩ . ماضي النجف : ٣/ ١٠٠ . معجم المؤلفين العراقيين : ١/ ٩٥ . الأعيان : ٢/ ٤٩٥ .

(٧٧)
سالم الطّريحي

«١٢٢٤ - ١٢٩٣» هـ

الشيخ سالم ابن الشيخ محمد علي بن سعد الدين الطريحي .

عُرف عن هذا الشيخ الشعر فكان عنوانه البارز ، واشتغل بالتّجارة فكان من التجار الأخيار الصّلحاء ، رويت عنه في ذلك قصص تكشف عن طيب نفسه ، وصفو وسلامة ضميره ، فقد قاسم الشيخ مرّة ماله مع أحد المؤمنين تقرّباً إلى الله تعالى ، ورويت عنه أمور غيرها في صلاحه ونسكه وتقواه .

برز هذا الشيخ في أدبه . فشارك أدباء عصره بما نظم ، وجُلّ قصائده هي في أهل بيت العصمة «ع» .

ومما يُعرف عنه أنه عمل منظومة أثناء حجه إلى بيت الله الحرام عام ١٢٧٥ هـ . ذكر فيها المواقع التي مَرّ بها ، وهي وثيقة جغرافية وتاريخيّة مهمة لَوْ أن يد الزمن لمْ تعبث بها ، فقد قيل فقدت ، وقيل هي موجودة عند بعض الناس ، ولا نعلم الآن أين أصبحت على كل حال .

هذا الشيخ من ميزاته أن كثيراً من خطباء عصره كانوا قَدْ تتلمذوا عليه ، وأحسب أنّه كان يدّرسهم علوم العربية ورواية الشعر .

ومن شعره القصيدة المعروفة عند الخطباء ودارسي أدب النجف والتي مطلعها :

أميّة قَدْ جاوزت حدّها فقُمْ فالضّبا سئِمتْ غمدها

وَلَهُ في رثاء الحسين «ع» :

عرجا بي على عراص الطفوف إبك فيها أسى بدمع ذروف
من عراص بآل عبد مناف شمخت رفعة بمجد منيف
يا عراص الطفوف كم فيك بدر غاله حادث الردى بخسوف
وهزبر قضى طليق محيا بين سمر القنا وبيض السيوف
يوم هاجت عصائب الشرك للهيـ جاء تقفو الصفوف إثر الصفوف
حاولت أن يضام وهو الأبي الضـ يم كهف الطريد مأوى المخوف
شد فيها وكم لطير المنايا من خفوق على العدى ورفيف
يحسب البيض في الكريهة بيضا ووشيح القنا معاطف هيف
من لؤي بيض الوجوه أباة الـ ـضيم أسد العرين شم الأنوف
عانقوا المرهفات حتى تهاووا صرعاً في الثرى بحر الصيوف
وبقي ابن النبي لم ير عوناً في الوغى غير ذابل ورهيف
فانثنى للنزال يكتال آجا لا فوقّى بالسيف كل طفيف
كم جيوش يفلها عن جيوش وزحوف يلفها بزحوف
كلما هم أن يصول عليهم همت الأرض خيفة برجيف
لم يزل يورد المواضي نجيعاً من رقاب العدى بقلب لهوف
فدعاه داعي القضاء فألوى عن هوان لدار عز منيف
وهوى ثاوياً على الترب ما بيـ ـن الأعادي ضريبة للسيوف
فبكته السماء وارتجت الأر ض والشمس آذنت بكسوف
يا قتيلا تقل سمر العوالي منه رأسا على سنا الشمس موفي
وتسوق العدى نساه أسارى فوق عجف المطا بسير عنيف
أعلى النيب نتحي البيد أين الـ ـنيب والبيد من بنات السجوف
تلك تدعو بمهجة شفها الوجـ ـد احترافا وذي بدمع ذروف
أين أسد العرين شم العرانيـ ـن حماة الورى أمان المخوف
سوموها يا آل غالب جرداً تخبط الأرض منكم بوجيف
وابعثوها صواهلاً عابسات يملأ الجو نقعها بسدوف
لتروا نسوة لكم حاسرات جشمتها الأعداء كل تنوف

وبنات الهدى تكابد ذلا من تليد بغيه وطريف
ولكم أوقفوا بدار ابن هند من ترى الموت دون ذل الوقوف

وله يمدح مرتضى قليخان من قصيدة :

وقائلة هون عليك فما البكا وما الوجد لا تهلك أسى وتجلد
فقلت ودمع العين ينهل عَنْدَماً ونار الجوى في القلب ذات توقد
ذريني فما ربع بدارة جلجل شجاني ولا عهد برقة ثهمد
ولا شاقني ذكر العذيب وبارق ولا هاجني سجع الحمام المغرد
سوى انني في الحب همت بشادن بديع التثني أهيف القد أغيد
له نقطة مسكية اللون قد بدت منمقة من فوق خد مورد
تضوع كخلق المرتضى الماجد الذي سما الناس طرا من مسود وسيد
وأسس ربع المجد بعد انطماسه وشيد ما قد كان غير مشيد
سليل كرام بالندى أوردوا الظبى نجيع الطلى يوم الوغى خير مورد
فلا يصحبون البيض إلا مواضيا يمانية من كل عضب مهند
ولا يحملون السمر إلا عواسلا مثقفة من كل لدن مأود
ولا يمتطون الخيل إلا سلاهبا مطهمة من كل أدهم أجرد

من مصادر دراسته :

أعيان الشيعة : ٧/ ١٧٧ . شعراء الغري : ٤/ ١١٥ . الحصون المنيعة : ٩/ ٣٠٩ . ماضي النجف : ٢/ ٤٣٧ . معجم المؤلفين العراقيين : ٢/ ٢٣ . الطليعة : رقم ١٠٥ .

(٧٨)

نعمة الطريحي

«١٢٠٧ - ١٢٩٣» هـ

الشيخ نعمة ابن الشيخ علاء الدين ابن الشيخ أمين الدين ابن الشيخ محي الدين ابن الشيخ محمود الطريحي .

كان أحد أعلام هذه الأُسرة الكريمة ، ووجهاً من وجوه العلم والتقوى والصلاح ، أخذ العلوم الشَرعية عن علماء عصره كالشيخ صاحب الجواهر والشيخ حسن كاشف الغطاء حتى صارَ أحد الفقهاء الكبار في عصره .

دَرَسَ ودَرَّس ، وألّفَ ونظم ، وله مع كل ذلك هيبة واحترام في المجتمع العلمي والأوساط العامة في النجف الأشرف .

ومن آثاره العلمية : مجمع المقال في علم الرجال وعدة رسائل فقهية وأصولية وحواش منطقية .

أما شعره فيبدو أن الدهر عاث به ، وقد عُرف هذا الشيخ بالشعر الرقيق والأدب الجمّ ، ومن الأمور التي يقصده لأجلها طلاب العلوم للدرس كونه بليغاً مبيناً عن مقاصده ومطالبه العلمية بلغة عالية ، فهو صاحب (بيان) باصطلاح الحوزات العلمية .

ومن شعره في المدح :

مرامي أنْ أراكم كلّ آن ... ولكن لا سبيل إلى مرامي
وأهوى أنْ أبثّ لك اشتياقي ... فتعجز عنه ألسنة النظامِ
إذا ما لاح برق قلتُ شوقاً ... ألا يا برق بلّغهم سلامي

من مصادر دراسته :
أحسن الوديعة : ٢/ ٦٢ . الأعيان : ٥٠/ ٢١ . الذريعة : ١/ ٢٩٣ . الكنى والألقاب : ٢/ ٤٤٨ . ماضي النجف : ٢/ ٤٧٠ . معارف الرجال : ٣/ ٢٠٧ . ريحانة الأدب : ٤/ ٥٥ . معجم رجال الفكر والأدب : ٢/ ٨٤٠ .

(٧٩)

عبد الحسين الطريحي

«القرن الثالث عشر الهجري»

الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ نعمة بن علاء الدين الطريحي .

هو من أعلام أُسرة آل الطريحي التي تقدم ذكرها ، كان يرحمه الله تعالى من الفقهاء الأجلاء أخذ عن جمعٍ من علماء عصره كالشيخ محمود ذهب الظالمي والشيخ موسى الظالمي والشيخ علي عبد الرسول الحكيمي ، والسيد حسن الصدر والشيخ موسى شرارة والشيخ الانصاري وغيرهم .

كان هذا الشيخ حافظاً لكتاب الله تعالى ، عالماً في علوم الإسلام ، ومشاركاً في الشعر والأدب . وقد خلف آثاراً علمية هي :

١ ـ كتاب في الصرف .
٢ ـ رسالة في التجويد .
٣ ـ حواشي على اللمعة .
٤ ـ حواشي على رسائل الشيخ الأنصاري .
٥ ـ حواشي على «السرائر» لابن ادريس .

كما له آثار أخرى يقال إن «الارضة» قد عبثت بها .

توفي في سنة ١٢٩٢ هـ أو سنة ٩٣ ، أو ٩٥ .

ومن جملة شعره :

وبجهدي أبكي عليه إلى أن … تحتويني كما حوته القبور
يا هلالاً قاسى وما تمّ خسفا … وتقاسيه في التمام البدور
غير نكر على الظروف إذا ما … حسدتني فأنت شيء خطير

وذكر صاحب الحصون أنه يصف تتنا بقوله :

تتناً إليَّ بعـــشـــتَـــهُ لو أنه ... بالتبن صُحِّف كان عندي أجدرا
إن راق منظره فكم ذو منظر ... حسن ولكن لا يذاع ويسترا
وكذاك أبناء الزمان فمنهم ... من راق منظره وساءك مخبرا

وله من قصيدة يرثي بها الشيخ جعفر ابن الشيخ صادق أطيمش ويعزي بها والده :

أبا باقر قد عزّ والله ما جرى ... وعزّ علينا صادق القول ما ترى
ألا صرف الرحمن عنك صروفه ... وأولاك عيشاً صافياً لن يكدرا
ولا برح السعد السماوي ثاويا ... لديك وغيث اللطف ما انفك ممطرا
إذا ما رأتك الحادثات فإنما الـ ... ـحوادث تأبى أن تعد وتحصرا
فصبراً فما مجد الفتى الحرّ ذي النهى ... لدى الناس إلا أن يصاب فيصبرا

وله متغزلا :

قد منعتم وصالكم أي منع ... وهجرتم وهجركم غير بدع
كم أتينا على اشتغال بوصل ... وأتيتم على فراغ بقطع
وسمعنا ما قلتموه وأنتم ... قد صممتم عن قولنا كل سمع
كنت أرعى الوفاء والود لكن ... ما رعيتم فليرم مني بخلع
إن جفا جيرة الغوير ففيهم ... بودادي اعتاض جيرة سلع
معشراً بعد معشر ووداداً ... عن وداد وأربعا بعد ربع

وله مرتجلاً :

إن نفسي على شفا جرف ها ... رٍ فقل لي يا صاح أيان تشفى
قسما بالهوى لنار غرامي ... لا أراها بغير ريقك تطفى

وله يرثي الشيخ محمد ابن الشيخ حسن ويعزي أخاه وبنيه بقوله :

أطل النوح إن شهدت الطلولا ... واسبل الدمع بكرة وأصيلا
أصبحت بلقع الديار وكانت ... للمنوبين ملجأ ومقيلا
وعلى رغم أنفها استبدلت عن ... قاطنيها وحش الفلا والغولا

واستبانت عن النشيد ونشر الـ ـمدح فيها للفاقدات هديلا
وبحكم الزمان للذلِّ فيها جرّ عادي الخطوب عمداً ذيولا
ويح تلك الصروف كم جرعتنا غصصاً للفراق أورت غليلا
ذاك من عادة الليالي فعيش الـ ـحر لو طاب كان فيها وبيلا
فلذا كم رأى الترحل عنها ذو معال سرى فجد الرحيلا
ومضى مسرعاً فحلّ مقاما ومحلاً عند الإله جليلا
أي ركن للمكرمات وحصن للمعالي يا للرجال أميلا
يا بني العلم إن حقاً عليكم أن تطيلوا على العلوم العويلا
قد فقدتم رب الفواضل والفضـ ـل ومن كان للجميع كفيلا
قد فقدتم من كان أمتع كهفاً لليتامى وكان ظلاً ظليلا
وربيعاً في النائبات وغيثاً وحساما في المعضلات صقيلا
أحرز الفضل في العلوم فأضحى عنده كل فاضل مفضولا
وإليه ألقى الجميع قياداً وله أذعنت قبيلاً قبيلا
ما رجاه راج وأمل إلا نال منه المرجو والمأمولا
من شجى فقده بني العلم والحلـ ـم وأبكى فراقه التنزيلا
والهمام الذي بعلياه ساد الـ ـخلق طراً شيوخها والكهولا
حسبها عن كفيلها البر بالمهـ ـدي إن حارت الليالي كفيلا
واحد الدهر عالم العصر من أو ضح للناس في الرشاد السبلا
بأبي صالح رأينا سجايا أهله الغر والقرون الاولى
واغترفنا من جعفر الفضل علما واغتنمنا قبل السؤال السؤولا
أدركت عنده المعالي مناها حيث قد كان عضبها المصقولا
لم يمت من له غدا محسن والـ ـحسن الفعل في البرايا سليلا
وسقى قبره الحيا كل يوم من سحاب الرضا أجشا هطولا

وله :

فلم استطلت حمية دون الهدى ونهضت حزما
وبلغت غايات العلى بالجد مذ أطلعت عزما
أمعمّراً بيت الهدى إن سامه الحدثان هدما

أطلقت غـــر المكرمـــا ت صـواهلاً يعلكن لجـمـا
كـــانت لأكـــبـاد العـــدى وأنوفـهـا غـيـضـا ورغـمـا
كم قـــدت في شطن المذلـ ـة أصيـدا في الروع قـرمـا
فـــرعـــفن منه خـــيـــاشم أدميـتـهـا بالبـري خطما
مـــثل الســـوام تركـــتـــهـــا ترعى بربع الذل خـصـمـا
وعلى الجـبـاه وسـمـتـهـا والدهر يعرف منك وسـمـا
جلت صـفـاتك في الورى بتـوقـد الآراء فـهـمـا
حـتى حـسـبت بهـا الثنا لجـلالهـا في الدين ذمـا
من قـبل كنت على خـفي روامـز الأسـرار شـهـمـا
ونثـرت علمـاً عـقـده بطلى الشريعـة راق نظمـا
بالرشــد نهـجك واضح بصـر المكاشح فيـه أعـمى
مـتـعـثـراً يطأ الثـرى فـيـخـالهـا صلداء صـمـاً
كم أزلفت برقـــيـــهـــا جنبات طوع علاك عـصـمـا
مـــــــا أنت إلا آية جاءت بهـا الأحكام عظمى
وضـيـــاء رشـدك شق دا جـيـة لليل الشك ظلمـا
يا ابن الذين تحـدثت بهم المعـالي الغـر قـدمـا
زخـــروا بأقطار البـــلاد خـضـارمـاً بالعلم فـعـمـا
بـــهـم تحل المشـكـلات وحـوزة الإسـلام تحـمى
لـولا علومـــــهم وهت فـينا عـرى الايمان فـصـمى

من مصادر دراسته :
أحسن الوديعة : ٢/ ٦٧ . أعيان الشيعة : ٧/ ٤٥١ . الحصون المنيعة : ١/ ٤٠٨ ، ٨/ ٢٧٧ . معارف الرجال : ٢/ ٣٦ . معجم المؤلفين العراقيين : ٢/ ٢٣٠ . الكرام البررة : ٢/ ٢٧٠ . نهضة العراق الأدبية : ٣١١ . ماضي النجف : ٢/ ٤٤٥ . الذريعة : ٣/ ٣٦٩ ، ٤/ ٢٨١ . معجم رجال الفكر : ٢/ ٨٣٤ . الدرر البهية : ١٠٤ . شعراء الغري : ٥/ ١٥٧ .

(٨٠)
الشيخ محمد النَّقاش النّجفي
«القرن الثالث عشر الهجري»

شَاعرٌ فطْريٌّ، لمْ تمنعه مهنته «نقش الخواتيم» في أحد «إيوانات» الصحن العَلويِّ الشريف من معاطاة الشعر والأدب. وهو أمرٌ معروف عن كثير من كسبة النجف، وكان الأدباء والعلماء في النجف يأنسون بالجلوس عنده فيقرأ لهم من شعره فيصحّحون لَهُ الأخطاء النحوية واللغوية لكونه عاميًا لمْ يدرس علوم اللغة والأدب.

والغريب من الشيخ الأميني وصفه له بأنه قد قرأ مقدمات العربية في النجف وأنهاها.. مع أن مصادره نفسها التي اعتمد عليها فيما أثبته ذكرت خلاف ذلك وأنه لمْ يدرس وكان أُميًا.

توفي في إحدى السنوات الأخيرة من هذا القرن (بعد سنة ١٢٩٥هـ).

ومن شعره، هذان البيتان في وصف «النرجيلة»:

نديمٌ كلما أججتُ ناراً   بأحشاه غدا ضرباً يغنّي
يغنيّ ثمَّ يسقيني كؤوساً   ألا أفديه من ساقٍ مغني

ومن شعره، هذه القصيدة التي مَدَح بها السيد محمد تقي بحر العلوم:

كهف تفيأه الورى بظلاله   مسترفدين لمنحه ونواله
بحر خضم لا يغيض عبابه   والخلق مفتقر لعذب زلاله
قمر أنار المشرقين بنوره   والبدر في الآفاق عكس مثاله
ينبوع فضل لم يزل جريانه   أبداً يمد الفعم من سلساله

مولى سما في مجده حتى اغتدى هام الثريا موطأ لنعاله
والدهر منقاد له بزمامه جاث بمربعه رهين عقاله
ملك إذا صهلت نجائب خيله تتزاحم الأمراء لاستقباله
مصباح بيت العلم، والعلم الذي لمعت سيوف الهند تحت ظلاله
وله بيوم الروع بأس سميدع ويد تزيل الضيم عن أشباله
قل للعدو، إليك عن مرقاته أو تصبحن ضريبة لنصاله
أو هل تقاس الهضب بالطود الذي لم تعمل الأرياح من زلزاله
زعم المداني أن ينال مقامه أنى وهل يصغى لنطق مقاله
رامت تطاوله الأكف وإنما هي لم تزل محتاجة لنواله
نصبوا لحر شاهق شركا ولـ ـكن أصبحوا صيداً لنصب حباله
أفهل درت أمّ العلى أن ابنها فاق الورى رغما على عذاله
ولقد تسربل بالفخار وإنما قد قدّ ثوب الفخر من سرباله
مولى له خضعت أكاسرة الورى من بطشه خوفاً ومنح وصاله
شهم تبدى بالجلال فأصبحت أهل المراتب خضعا لجلاله
لقد استقل بعزه دون الورى حتى رقى الجوزاء باستقلاله
بزغت مكارمه على كل الورى كالبدر ليلة تَمِّه وكماله
والجود منفلت الوكاء ببابه يحظى به المجذوب قبل سؤاله
قد خاض في لجج العلوم وقد بدا متبصراً بحرامه وحلاله
فهو المعبر عن لسان المصطفى والمرتضى وأولى الحجى من آله
وهو المترجم في شريعة أحمد عن جده (المهدي) في أقواله
ما خاب من قد رام نائل فضله بل آب قبل الروم في آماله

من مصادر دراسته:

شعراء الغري: ١/ ٢٣٣. الحصون المنيعة: ١/ ٣٣٧، ٢/ ١٢٥، ٩/ ١٩٢. ماضي النجف ٣/ ٤٧٤. معجم رجال الفكر: ٣/ ١٢٩٦.

(٨١)

جعفر العاملي

(١٢٤٦ - ١٢٩٧هـ)

السيد ميرزا جعفر ابن السيد أبي الحسن ابن السيد صالح بن محمد الموسوي العاملي الأصل النجفي المولد والنشأة، الطهراني الهجرة.

أخذ علوم الإسلام عن علماء النجف لاسيما الشيخ مهدي كاشف الغطاء، ولما أتمَّ درسه توجه صوب إيران حيث سلطانها ناصر الدين شاه الذي مدحه ومدح بعض وزرائه وأمراء دولته، فطاب له العيش هناك، لما يتمتع به من مزايا العلم والهمة العالية والتواضع الجم. فكان في طهران من علمائها البارزين. بلْ ذكر السيد الصدر في التكملة أنه كانت له هناك الزعامة التامّة.

أما آثاره العلمية: فله حاشية على القوانين (في المنطق)، وله أيضاً ديوان شعر.

توفي هذا السيد العالم الأديب في طهران سنة ١٢٩٧ هـ ومن شعره:

سقاني خمرة من ريق فيه ... وحيّا بالعذار وما يليه
وبات معانقي خداً بخدٍّ ... غزال في الأنام بلا شبيه
وباتَ البدر مطّلعاً علينا ... سلوه لا ينمُّ على أخيهِ

من مصادر دراسته:

شعراء الغري: ٢/ ١٢٩. تكملة أمل الامل: ١٨٨. أعيان الشيعة: ٤/ ٨٠.

(٨٢)

موسى الجزائري

(/ - ١٢٩٧)هـ

الشيخ موسى ابن الشيخ مهدي ابن الشيخ صالح ابن الشيخ موسى الجزائري .

هو من سلالة الفقيه الشيخ أحمد الجزائري صاحب «قلائد الدرر» المعروف ، أخذ عن علماء الإسلام العظام في النجف الأشرف كالفقيه الشيخ محمد حسين الكاظمي والشيخ جعفر الشوشتري ، فكان من علماء عصره الفضلاء كما كان شاعراً أديباً ومن شعره :

إلى جيرة بالحي لي مهجة تصبو وقلب خفوق كلما هوم الركب
ومذ ثوب الداعي استهلت محاجر على الخد لم تبرح مدامعها سكب
أحباي هل يقوى على البين بعدكم حليف أسى أودى بمهجته الحب
يراعي الثريا كلما جن ليله أخو كلف صب مدامعه صب
فديتكما عوجا على أجرع الحمى ليقضي لبانات الهوى مغرم صب
وحيوا بذاك الحيّ سلمى وعرضوا بشكوى وهل تجدي الشكاية والعتب

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١١/ ٤٠٦ . نقباء البشر : ٣/ ٩٤٢ . معجم رجال الفكر والأدب : ١/ ٣٥٠ .

(٨٣)

جعفر القزويني

«١٢٥٣ - ١٢٩٨» هـ

السيد جعفر ابن السيد مهدي بن السيد حسين الحسيني الحلي القزويني .

من أعلام هذه الأسرة الكريمة «آل القزويني» الحليين ، وهو غير السيد جعفر ابن السيد باقر المتوفى سنة «١٢٦٥ هـ» فهو ابن عم أبيه السيد مهدي ، وكلاهما شاعر .

وُلد السيد جعفر في الحلّة وتلقى العلوم على يد جملة من أفاضلها ثمَّ انتقل إلى النجف الأشرف ، فأخذ علوم الإسلام ومعارفه على جملة من أساطينها ، ومنهم خاله الشيخ جعفر الشيخ علي كاشف الغطاء والشيخ مرتضى الأنصاري ، والشيخ محمد الايرواني وعلى والده أيضاً الذي كان كثير الثناء عليه في المجالس ، وقد أجازه إجازة إجتهاد .

عادِ السيد إلى الحلّة فكان له فيها ما كان لأبيه من موقع كبير في النفوس ، فكانت له المحبة والاحترام عند الولاة العثمانيين ، فسعى من خلال هذا الموقع لقضاء حوائج الناس ، فلهج الناس والشعراء بذكره ، ومن ذلك أنه سمع بأن أحد الجند ضرب أحد طلاب العلوم الدينية في النجف فلم يهدأ حتى أُتيَ له بالجندي في دار الحكومة ، وردّ طالب العلم الضربة على وجه الجندي قصاصاً .

للسيد جعفر مؤلفات علمية هي : «التلويحات الغروبة» مختصر في أصول الفقه ، «الاشراقات» ، وله مختصر في المنطق كذلك .

أما من حيث مكانته الأدبية ، فكان لهذا السيد مكانة سامية لما أُوتي

من ملكات أدبية ولغوية وشعرية ، ولما عرف عنه من كثرة المتابعة للكتب والكتّاب ، ولقد جرت بينه وبين أدباء عصره كثير من المكاتبات والمراسلات الشعرية ، والنثرية كذلك .

توفي فجأة في الحلة على حياة أبيه وحمل على الرؤوس إلى النجف ، ورثي بشعر كثير جمعه السيد حيدر الحلي في كتاب أسماه : «الأحزان في خير إنسان» .

ومن شعره :

هي الدار ما بين اللوى فالنوائح — سقتها مصونات الدموع السوافح
وقفت بها صحبي أسائل ربعها — متى عهده من شاحط الدار نازح
فمن بائح في حبه غير كاتم — ومن كاتم من شوقه غير بائح
خبير بها أن لا جواب لسائل — ولكن وجدا هاج بين الجوانح
فيا دارهم أين استقلت يد النوى — بهم فغدوا ما بين غاد ورائح
فمالي والدنيا ينال بها الغنى — دنيٌّ وكدحي عندها غير رابح
وينعم فيها كل أرعن جاهل — وأمنع منها بعد طي الصحاصح
تمر الليالي ليس أمري بنافذ — ولا مطلبي يوما لديها بناجح
ولازمني عز ولا العيش لي به — أنيق ولا ما أرتجيه بصالح
ولم أر من صحبي بها غير حاسد — ولم ألف لي من خلتي غير كاشح
(سأمضي وما بالموت عار على الفتى) — إذا جد في نيل العلا والمدائح
واقتادها ظمأى النفوس إلى العلا — على سابح بحر الوغى أثر سابح
فلا رمت أسباب المعالي ولا رقا — بي الشرف الأقصى على كل طامح
إذا لم أقف مرمى الأسنة مثلما — غدا ابن علي بين بيض الصفائح
يصول بعزم ما الحسام ببالغ — مداه ولا سمر القنا بملامح
وأبيض مثل البرق لو شاهد الردى — لأرداه واجتاحته أيدي الجوائح

وقوله من أخرى :

سل عن أهيل الحي سكان النقى — أمغربا قد يمموا أم مشرقا
يقدح زند الشوق في قلبي إذا — ذكرت في زرود ما قد سبقا

ما أومض البرق بأكناف الحمى … بأرضهم إلا وقلبي خفقا
ولا انبرت ريح الصبا من نحوهم … إلا شممت من شذاها عبقا
من ناشد لي بالركاب مهجة … قد تبعت يوم الرحيل الاينقا
أبقيتم مضناكم لا يُرتجى … له الشفا ولا تسليه الرقا
لو يحمد الدمع على غير بني … أحمد منه الدمع حزنا مارقا
الباذلين في الإله أنفسا … لأجلها ما في الوجود خلقا
إذا ذكرت كرب يوم كربلا … تكاد نفسي حزنا أن تزهقا
جل فهان كل رزء بعده … يأتي وأنسى كل رزء سبقا
ما سئموا ورد الردى ولا اتقوا … بأس العدا ولا تولوا فرقا
غص بهم فم الردى من بعدما … كان بهم وجه الزمان مشرقا

وله في رثاء الحسين (عليه السلام) :

بكر الخليط عن الديار فودعا … ودعا به داعي الفراق فأسرعا
سرعان ما هجروا فؤادك بغتة … واستبدلوا بعراص أرضك أربعا
فأرسل فؤادك بالبكا أو فاستعر … ببكاء أيام الأحبة أدمعا
أعلمتما من قد رمى سهم القضا … فدعته أرواح الخلائق مذ نعى
خير الورى شرفا وأكرم سيد … كأس الردى يوم الطفوف تجرعا
فهوى بمستن النزال على الثرى … ظام وغلة صدره لم تنقعا
بأبي سراء بني لؤي أقدموا … لا يطلبون عن المنية مدفعا
والصبح مختبط الجوانب مظلم … والنقع يمنع شمسه أن تطلعا
فجلا ظلام دجى القتام بأوجه … في الحرب تحسبها بدورا طلعا
وسرى بعزم لو يصادف وقعه … جبلا لأصبح خاشعا متصدعا
حتى إذا شاء الإله لقاءه … وافاه داعيه فلبى مسرعا
يا مدرك الأوتار طال بك المدى … فإلى مَ نبقى في انتظارك خشعا
أترك رقاب القوم نهبا للظبا … حتى تعود الأرض منهم بلقعا

وأرسل إليه خاله الشيخ مهدي ابن الشيخ علي كاشف الغطاء فروة فكتب إليه :

يا أيهــــا المولى الـذي فـــاق الأوائل والأواخــر
والعـــالم العلم الذي لعـلاه تنعـقـد الخناصـر
والجـــوهر الفـــرد الذي من نيله يهب الجـــواهر
رب الفـضـــائل والفـــوا ضل والمحـامـد والمفــاخـر
كـشــاف كل عـــويصـة عنهـا يعـود الفكر حـاسـر
وابـــن الأُلـى ورثـوا الـريـا سـة كـابرا من بعـد كـابر
وبـهـم زهـت بـل أزهـرت للـديـن أعـــواد المنابـر
الـضــــاربين رواق مكـ ـرمـة على العـيـوق زاهر
والحـــافظين لشـــراع آ ل مـحـمـد من كل فـاجـر
ومـــؤسـسين قـــواعـــدا قـد أظهـروا فـيـهـا السـرائر
وممهـــدين شـــرائعـــا كـم وارد منهـــا وصـــادر
مــولاي يا من فـيض بحـ ـر نـوالـه للـخلـق وافـــر
عـطفـــا على من مــزقت كف الأسـى منه الضـمــائر
مـــا شـــاهدت من راحـــة مـنذ خلطتـهـا كـف جـازر
وافـتك ترجـو عـتـقـهـا وأمنت من سطوات جـائـر

فأرسل إليه خاله الشيخ مهدي عباءة عوض الفروة فكتب الميرزا جعفر إليه رسالة يخبره فيها بوصول العباءة وصدرها بهذه الأبيات :

أنـــهـــي إلـى المــولـــى الـــذي فـــــاق الأواخــــــر والأوائـل
رب المـآثـر والمـفـــــــــــــا خـــر والفـــواضل والفـضـــائل
مـن قـــــــد أنـار ظـلام لـيـ ـل المشكـلات من المســـائل
وأبـان منـهـــــاج الـهــــــدى بالـواضــــحـــات من الدلائل
جـــيـــد الزمـــان به تحلى بـعــدمـــا قـــد كـــان عـــاطل

وكتب الميرزا جعفر إلى أخويه السيد محمد والسيد حسين :

أيا أخـــوي اللـذين همـــا أعـــز على النفس من ناظري

عـذرتكمـا حـيث لم تحـضـرا ... ولم يك من غـاب كـالحـاضـر
لقـد بطشت بي كف السـقـام ... على غـفلة بطشـة القـادر
فـغـودرت في لهـوات المنون ... ولسـت بنـاه ولا آمـر
يـخـيـل لـي كـل آن يمـر ... أنقـل فـيـه إلى قـابري
فكم لـيلة بتـهـا والـضنا ... ضـجـيـعي كليلة ذي العـائر
على أن نفـسي تشـتـاقكم ... كـشـوق الربى للحـيـا الماطر
تـداركـني الله مـن لـطفـه ... فـأصـبـحت في فـضله الوافـر

وكتب أيضاً لأخويه :

بلغـا حـيـتـمـا والهـة ... لم تزل تكثـر عني بالسـؤال
قـد براني الله من نـازلـة ... تركـتني ناحـلا مـثل الهـلال
كـدت لولا لطفـه بي عـاجـلا ... أن تراني فـوق أكـتـاف الرجـال
مـا لنفـسي أسـفت نفـسي وإن ... كنت لا أقـضي عليـهـا بزوال
بل عليـهـا وهي أولى الناس بي ... ترقـد الليل ولم تدر بحـالي

من مصادر دراسته :

الأعيان : ٤/ ١٨٨ . شعراء الحلة : ١/ ١٣٨ . معجم المؤلفين العراقيين : ١/ ٢٥١ . معارف الرجال : ١/ ١٥٩ . الكرام البررة : ١/ ٢٦٩ . الذريعة : ٤/ ٤٣٠ . معجم رجال الفكر : ٢/ ٩٨٩ .

(٨٤)

«حسن زايردهام»

«١٢٣٢ - ١٢٩٨» هـ

الشيخ حسن ابن الشيخ محمد صالح ابن الشيخ علي بن زايردهام المخزومي الخالدي ، وأسرة «آل زايردهام» هي من الأسر العلمية التي التحقت بالنجف الأشرف في أوائل القرن الثاني عشر الهجري ، وأول من جاء إلى النجف منهم هو جدهم «زايردهام» فكان له فيها نسل من أهل العلم والفضل والتقوى .

وزعم البعض أن تسميتهم بالخالدي نسبةً إلى خالد بن الوليد وهو غير صحيح ، لأن المعروف عند أهل الأنساب أن عقب خالد هذا قد انقطع ، وفي هذا الموضوع بحث ليس محله هنا .

عاش الشيخ حسن في النجف الأشرف فحاز على فضيلتي العلم والأدب ، ولقَدْ أراد أنْ يكون من العلماء العاملين لنشر الإسلام وأحكامه الشرعية ، فكان له أثرٌ كبير على بعض القبائل في جنوب العراق ومنها «بني لام» التي تشيعت على يديه وهو عندهم رجل ، مسموع الكلمة مطاع الرأي .

أما حينما يأتي إلى النجف الأشرف ويحلُّ في بيته فإن بيته يكون مجلساً علمياً وأدبياً لأهل الفضل والعلم والأدب . شفيعه علمه وأدبه وخلقة الجمّ ، وتقواه وهديه ومساعدته للآخرين ، كما حدث مثلاً في أيام الطاعون ، حيث كان يعدّ للناس الطعام إذ عدموا ذلك سنة ١٢٩٨ .

لم يعرف عن آثاره العلمية شيء على الرغم من أنه دَرَس ودرّس كثيراً .

أمّا مشاركته في الشعر والأدب فقد كانت طيبة ، ومن هنا كانت له في نفوس الأدباء محبّة ، أظهرتها المراسلات الأدبية ، فقد راسله بعض الأدباء ومدحوه كما رثوه ، حينما توفي في سنة ١٢٩٨ وقيل ١٢٩٩ ، بلْ روي عن

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء أنه توفي بعد سنة ١٣٠٠ هـ ، وذلك بسبب إصابته بالطاعون ، ولعلّه آخر من توفي في هذا الطاعون من أهالي النجف الأشرف .

ومن شعره الذي وصف بالرقة والإشراق والسبك . قوله متغزلاً :

وليلة هومنا على شاطىء الحمى ... على أيمن الوادي على جانب النهر
أضاء لنا ضوء يزل به الحجى ... إلى الأفق الأعلى إلى هامة النسر
فقلت أنار الطور شب ضياؤها ... أم النور من مثوى الوصي على القبر

وله متغزلاً قوله :

تذكرت حزوى والعقيق ومن به ... فسال من الأجفان دمع حكى دمي
فشوقا لذي الخد الأسيل ولثمه ... ووجداً لذي الخصر النحيل ومعصم
وتوقاً لكثبان الغوير ورامة ... وسلع وأكناف الحطيم وزمزم

ولَهُ متغزلاً :

حننت إلى الوعساء ساعة قوضت ... ركاب أصيحابي وسر رقيب
فليت ليالي السفح من أيمن الحمى ... تعود لنا يوماً به وتجوب
عشية طافت بالحميا أمامنا ... شموس دجى ما سامهن غروب
وسفح نواحيه يضاحك بعضه ... غداة بكاء السحب وهو قطوب
فراق لعيني منزل الخود عندما ... نزلن بعسفان وهب هبوب
تركت لديه مجلس الصدر علّني ... تصافح قلبي شمأل وجنوب
غداة برياها تهب مريضة ... يميل بها كفل لها وقضيب
وأرنوا لها بين الخيام ودونها ... رقيب ومغناها إلي قريب
أقل مروري خوف قولة عاذل : ... مرورك بين النازلين مريب
فأطرق والعينان تهمي شؤونها ... دماء كأنواء الغمام تصوب
فلله ما يخفي فؤادي من الجوى ... ونار غرام الشوق فيه تذيب

وله قوله :

ورائقة من مسقط الرمل بالحمى بأجفاني الوطفا تفدي مهاتها
إذا سحبت أذيالها في رياضها بمشي الهوينا ضَلَّ تيهاً حماتها
بعيدات مهوى القرط خمص بطونها مريضات رجع الطرف حمر شفاتها
تلفعن بالريط اليماني واسلمن سليم الحشى يا لا أميطت لثاتها

من مصادر دراسته

شعراء الغري : ٣/ ١٢١ . معارف الرجال : ١/ ٢٢٤ . معجم رجال الفكر : ٢/ ٦٢٨ . الحصون : ٢/ ٤٤٥ . ماضي النجف : ٢/ ٣٠٦ .

(٨٥)

موسى الطالقاني

«١٢٣٠ - ١٢٩٨هـ»

السيد موسى ابن السيد جعفر ابن السيد علي ابن السيد حسين الحسيني الطالقاني . شاعرٌ من أبرز شعراء النجف والعراق في عصره ، ولد ودرس في النجف الأشرف علوم الإسلام ، حتى صارَ من علماء الدين الكبار ، وضمَّ إلى هذا الفخار شعراً ونثراً وقد أوتي موهبة كثيرة أهّلته لما بلغه من مقامٍ أدبيٍّ بين رموز الحياة الأدبية في عصره ، ربما عاش هذا السيد عيشة يسار أو على الأقل أنه لمْ يكنْ فيه عوز وحاجة لما كان له ـ كسائر علماء العراق ـ بساتين وأراضٍ في منطقة (بدرة) ، وهذا الأمر ـ بحسب تعليل صاحب شعراء الغري ـ هو الذي كان وراء ابتعداه عن المديح للأشخاص والأعيان ، ولكننا نجد في ديوانه مدحاً لعدة شخصيات . نعم ليس كل المديح بدافع الحاجة ، فهذا أمر درج عليه كثير من الشعراء ، ولكن للمديح أسباب كثيرة أخرى منها اجتماعية ومنها سياسية ومنها دينية ومنها نفسية ومنها أمور أُخرى .

نَعَمْ كان هذا الشاعر ملتصقاً بذاته الشاعرة . فكتب جُلّ شعره بما تصدر عنه ذاته من مشاعر وعواطف ذاتية ، فكانتْ هذه من ميزاته ، إذ أن هذا اللون من الشعر محبب إلى نفوس سامعيه وقرّائه بلا شك .

كان السيد كثير الاعتداد بنفسه حسباً ونسباً وشعراً ، وهذا المعنى يَردُ في قَصَائده في غير مرّة . ومع الشعر كان للشاعر مراسلات نثرية عديدة ، وهي على العموم كانت موجّهة إلى العلماء الأدباء من أبناء جيله الذي عاش معه وعاشه كشاعر ، وعاش لَهُ كعالم دين . ولهذا السيد ديوان شعر كبير ربما لمْ يضمّ كل شعره ، فكثير من شعره ضاع على عادة أدباء ذلك العصر ، وأهل النجف بوجه خاص .

ولكثرة ما كتب عن هذا السيد لا نرى ضرورة لأنْ نطيل عنه الكلام ، وإن كان هذا الشاعر يستحقُّ الدراسة ، ونختصر ذلك بقولنا : كان من الشعراء الذين أسهموا في نهضة حركة الشعر والأدب .

توفي هذا السيد بينما كان في بدرة في الطاعون الذي عمّ العراق ، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف ودفن فيها .

ومن شعره :

بلغت الحجون وكثبانها ... فحي الحجون وسكانها
وقف ناشداً بين تلك الربى ... عن الجيرة الغر جيرانها
كرام تؤجج ليل النوى ... بقلب المحبين نيرانها
أسلّي فؤادي عن حبها ... وتأبى الصبابة سلوانها
فهل ثائر لي من أسرتي ... يطالب بالروح أجفانها

وله :

يا قاسي القلب رق لي الحجر ... وعذرتني العذال واعتذروا
وليلة العيد عسعست فمتى ... تشرق بالوصل أيها القمر
لاوصلهم راحة فاطلبه ... ولا أطيق النوى فأصطبر
سيان عندي بلا بلوغ منى ... إن واصلوني وإن هم هجروا
إني على الحالتين ذو كمد ... ونار وجدي في القلب تستعر

وله :

بقية نفس براها الأسى ... تردد في جسد ناحل
ولولا رجاء وصال الحبيب ... لسالت بمدمعي السائل
ومحتجب من قنا قده ... وجفنيه بالسيف والذابل
على خده من دمي شاهد ... وحسبك من شاهد عادل
ولولا فتورة أجفانه ... لما عرف السحر في بابل
بخيل علي برد السلام ... بروحي أفديه من باخل
ولما غرقت بيمِّ الدموع ... ولم يلقني اليمُّ بالساحل

علمت بأن الهوى متلفي — وأيقنت إن الهوى قاتلي

وقال في مطلع قصيدة :

هل تبلغ النفس من أزمانها الاربا — وهل ينال عقيد المجد ما طلبا
هم يقلقل أحشائي ويزجرها — عن منهل العيش في ذل وإن عذبا
وهمة طنبت حيث الفخار بنى — لها رواقاً ترى أوتاره الشهبا
وعزمه ضاق فيها الدهر لو عقلت — عين القضاء فكانت للورى عجبا

وقال في مطلع أخرى :

دعها لسمر عوال أو لبيض ظبا — حتى تنال المعالي أو ترى العطبا
فبين جنبيك نفس أنت تعرفها — عظيمة القدر حازت عزة وإبا
تأبى القباب فلا تأوي لهن ولا — ترى لها غير ما يبني الغبار خبا
تشب نار القرى والليل معتكر — فيظفر الضيف منها بالذي رغبا

ومن طرائفه قوله في تركي وهو ببدرة :

بدر بدا «ببدرة» — يزري ببدر الفلك
للقلب كم قد نصبت — أجفانه من شرك
قلت : «أفندم كيل بُري» — فقال : «كيت» قلت : «بك»

ومن شعره :

حمت ورد خديها الجفون الفواتر — وما هي إلا المرهفات البواتر
وأرخت على صبح المحيّا براقعا — من الليل إلا أنهن غدائر
لئن نفرت عني وألوت بجيدها — فما هي إلا الريم والريم نافر
بدت وظلام الليل أرخى سدوله — فردّت علينا الشمس والليل عاكر
ألا يا ابنة الأتراك جودي بنظرة — تقرّ بها من عاشقيك النواظر

وله :

أحبّاي قد ضاق رحب الفضا — عليّ وأظلم غرب وشرق
ومذ راعني هول ليل النوى — تيقنت إن القيامة حق
فكم ليلة بتّها ساهراً — وللريح حولي رفيف وخفق

وقد جال في الجوّ جيش الغمام وطبل الرعـــيـــد بعنف يدق
فـيــخـفق قلبي لخـفق الرياح ويسكب جـــفني إذا لاح برق
سـهـرت وقـد نام جـفن الخليل ونحت وغنّت على الدوح ورق
وحق لـهــــا دون قـلبي الغنا وإني بالـنوح منهــــا أحق
فـمـا غـاب عن عـينها إلفـهـا ولا هاجـهن إلى الكرخ شـوق

وله :

أقمنا صدور العيس والليل عاكـر نلفّ بطاحــاً في السـرى ببطاح
تزجّ بنا خـوص الركـاب بعـابس من القـفر لم يبسم بضوء صباح
تحـنّ المطايا إذ تحـنّ وكلمـــا براه السـهى والوجـد بري قـداح
تأوّه مـشـتـاق وهاج مـتـيمّ وناحت حـمـامـات وعنّف لاحي
وقـفنا فلم يملك حـشـاه مـروع من البين في أحـشـاه أي جـراح
وسـالت على تلك المنازل أنفس عـصـتنا فلم نطمع بردّ جمـاح
ومـال إلى الأطلال ينشـد قلبـه مـشـوق فـردته بصـفـقـة راح

وله :

تجلى وجنح الليل في الجـو خـافق محيّا الحـميّا فانجلى كل غيـهب
وقـام أخـو البـدر المنيـر يديرها فكم كـوكب ينقض من كف كـوكب
ضعيف جفون دونها فاتك الظبا ومـا فـتكت إلا بقلب مـهـذب
وبتنا نشـاوى لا بكأس من الطلى ولكن بثـغـر بارد الظلم أشنب

وله :

جـاء بالقـرطاس كي أملي له من حـديث الشـوق مـا يكتبـه
قلت فاكتب عرض حال من فتى عنك قـد كـاد الضنا يحـجـبـه
هو مـيـت ينهض الشـوق به ومن الاحـيـاء قـد تحـسـبـه

وله :

كـفـتـه عن الحـراس ليـلا ذوائبـه وأغنته عن حمل السلاح حواجبه
نبيٌّ إلى العـشـاق أرسل هادياً إلى الحب يدعـو والقلوب تجـاوبه
فسفك الدما والتيه والصد والجفا ونقض عـهـود العـاشـقين مـذاهبه

ألا فاسقني من سلسبيل رضابه فيا ربما يطفى من القلب لاهبه
فلست بهياب عقارب صدغه إذا لسعتني قبل ذاك عقاربه

وله :

رحلت فما جفت سحائب مدمعي ولم تخب نار سعرت بين أضلعي
حبست المطايا في مرابعهم ضحى وأوقفت صحبي إذ وقفت بها معي
أسائلها والدمع يسبق منطقي فتمنعني أن أسأل الدار أدمعي

وله :

لقلبي وعيني يوم زمت بك النجب لهيب وسحب في الخدود لها سكب
ولي بعد وشك البين بين دياركم حنين وهل يجدي الحنين أو الندب
وشوق كما شاء الفراق يهزني إليكم وصبر بين أيدي النوى نهب

وله :

أمجرعي كأس المنية دون ذياك الرضاب
ومعللي بالوصل حتى إن مضى عسر الشباب
كم بت حين وعدتني ريان من لمع السراب
فلأنزعن هوى سوا ك عن الحشى نزع الثياب
ولا شكون عذاب قلـ ـبي من ثناياك العذاب
وإليك أشكو لا لغيـ ـرك ما جنت أيدي التصابي
وأبيت أنشر ما طوا ه الهجر من صحف العتاب

وله :

أحباي لو أن القلوب شواهد على الحب أبديتم لنا بعض ما نبدي
ولو هتم وجدا كما همت فيكم غراما لواصلتم وزرتم بلا وعد
بلى همتم وجدا بقتلي صبابة وآليتم أن لا أنال سوى الصد

من مصادر دراسته :

ديوان السيد موسى الطالقاني : (المقدمة) بقلم السيد محمد حسن الطالقاني . الأعيان : ١٠/ ١٧٩ . الذريعة : ٩/ ٦٣٩ . ماضي النجف : ٢/ ٣٣٣ . معارف الرجال : ٣/ ٤٥ . شعراء العراق : ١١/ ٤١٣ . معجم الشعراء العراقيين : ٣/ ٣٥٣ . الكرام البررة : ٣٧٥ . الحصون : ٢/ ٢٥١ . مجلة الرابطة البغدادية : عدد ١٠ سنة ١٩٤٤ مجلة العرفان : ١/ ٧١ سنة ١٣٤٦ هـ .

(٨٦)
مهدي حجّي

« /- ١٢٩٨هـ »

الشيخ مهدي ابن الشيخ صالح ابن الشيخ قاسم ابن الشيخ محمد الحويزي

أحد أعلام هذه الأسرة المعروفة بآل حجي في النجف الأشرف، وقد ورد ويرد ذكر غير واحدٍ من شعرائها، فأبوه الشيخ صالح هو من الفقهاء والأدباء، وكذلك ولده، وسيأتي في القرن القادم، وقد تقدم ذكر شيءٍ عن هذهِ الأسرة في غير هذا الموضع.

الشيخ مهدي تتلمذ في النجف وأخذ العلوم الأدبية عن السيد علي السيد محمد أبي الحسن العاملي صاحب «اليتيمة» وكان شديد الصحبة لَهُ.

هذا الشيخ على ما ذكره الشيخ علي الخاقاني لمْ يكنْ معروفاً بنظم الشعر بَلْ كان مجهولاً، وأنه عرفه كشاعر في وقت متأخر، والحقّ أن في هذا القول مبالغةً، أو أنّه لمْ يكن معروفاً عند صاحب شعراء الغري، أمّا عند غيره فقد كان معروفاً، ومثله لا يخفى خصوصاً وأنه ابن الشيخ صالح حجي الشاعر المعروف ومن أسرة علم وأدب، ومن الطبيعي أنْ تكون له علاقات أدبية، ومن شأن ذلك أن يُعرف ـ ولو بأضيق دائرة ـ بنظم الشعر، وهو الأمر الذي يتأكد من خلال ذكره في مصادر ترجمته قبل شعراء الغري كالمعارف وغيره، بأنه أحد الشعراء الذين كانت له مساجلات معروفة مع أدباء عصره.

جمع الشيخ صالح «الصغير» نجله شعر أبيه فكان ديواناً كبيراً، قيل إنّه يضمّ ما يقرب من خمسة آلاف بيت، وَمَنْ كان ينظم بهذه الغزارة، فليس من شأنه أن لا يعرف بفضيلة الشعر، لاسيما وأن كثيراً من هذا الشعر يُتوجه

به عادة إلى العلماء والزعماء والأصدقاء فيما يعرف بـ «شعر» المناسبات ، نَعَمْ ربما لَمْ يكن بارزاً ، مشهوراً لسبب أو آخر ككثير من أدباء النجف الأشرف وشعرائها .

على أن هذا الديوان ـ المحكي عنه ـ لعلّه لم يكن كلّهُ بلغة العرب الفصحى ، لأن الشاعر الشيخ مهدي كان له سهم في كلا اللونين من الشعر : الفصيح والعامي .

أما عن القيمة الفنية لشعر الشيخ مهدي ، فهو بحقّ يمثل المستوى العام لشعر تلك الفترة ، ولا أعني بذلك أنه كان بمستوى متدن ، بلْ على العكس ، إذْ ارتفع عن كثيرٍ من سفاسف الشعر وإن لَمْ يرتقِ فيماً نحسب إلى شعراء عصره الكبار . ولكن مع ذلك يبدو أنه له ميلاً نحو المعاني العاطفية والوجدانية في شعره ، خصوصاً في فن الموشحات ، الذين يقف فيه ـ بحسب تقديرنا ـ في طليعة شعراء هذا الفنّ ، ربما لما فيه من منحى عاطفيّ هو أقرب إلى نفسيته فيما نعتقد . ومن ذلك موشحته التي مطلعها :

سجعت في دوحها ورق الهنا   تنشر البشرى لنا بالحسنِ

على أن في شعره حماسة ! لا نعرف مصدرها بالضبط ، فهي بلا شكّ محاكاة لنماذج الشعراء القديمة ، ولكنه دون شكّ ـ أيضاً تعبير عن نزوع نفسه وطموحها إلى التمثل بهذه الصورة الوهمية التي يرسمها لذاته في غير موضع من شعره ، ومن ذلك قوله :

أقسمت لا أعطي المذمة صاغراً   حتى توسّدني المنون لحودها
إني وإن جار الزمان فإنني   مِنْ قبل كنت نداً أقود أسودها

ولا ندري من همْ هؤلاءِ الأسود ، وكيف ومتى قادهم شاعرنا ، لا شكّ إن ذلك من أوهام الشعراءَ .

ومن ذلك أيضاً :

أبى حسبي أني أعيش بذلّة   ويأبى الندى أني أموت فيتم
فلي حاتمٌ جدّي وعوف بن عامر   وخالي كعب بالسخا كان يعلم

وهذا بلا شك كسابقه في التوهّم ، وإن كان للشاعر الحق بالإعتزاز

بنفسه لما له من الشرف نسباً وحسباً، ولكنْ لا بهذهِ الصورة البدوية التي لا واقع لها .

إن هذا الشاعر تتجلى قدرته الشعرية ـ فيما نحسب ـ بقدر اقترابه من وهج عاطفته كمثل قصيدته التي مطلعها :

أما وعينيك إني في الهوى دنف فكيف صبري وقد زاد الجوى ألمي

وله :

بولاء الوصي أرجو خلاصي يوم حشري إذ يؤخذوا بالنواصي
هو للنار والجنان قسيم ونجاة ولات حين مناص
هو ساق العطاش بل وشفيع للموالي من كان الله عاص
أنا في أبحر الذنوب غريق ورجائي من الوصي خلاصي
يوم لا ينفع البنون ولا الما ل إلا الولا مع الاخلاصِ

وله :

كن كريماً إذا بليت بأمر كل أمر يهون عند الكريم
وآلبس الصبر عند كل ملمٍّ وكِلِ الأمر للعزيز الحكيم

وله :

سافر فسوف ترى اللذات في السفر يا صاح واقطع فيافي الأمن والخطر
واركب بحور الردى إن كنت ذا شيم فعز كل فتى تلقاه بالسفر
وانشر بكل بلاد قد حللتَ بها فضائل المصطفى والآل من مضر
هم النجاة هم الدين القويم لنا هم الكتاب هم الآيات في السور
هم آية الله هم ميزان قدرته لولاهم لم يكن في الكون من بشر
سل هل أتى ويقيمون الصلاة وسل عنهم أتى الأمر واسأل سورة البقر
واسأل يسبح والنمل التي وردت والنجم والطور واسأل سورة الحجر
واسأل حنيناً وبدراً عن أبي حسن بل والمصاحف إذ شيلت على السمر
فكم له موقف باهى الإله به ففاق فيه سناء الأنجم الزهر
هذي الأدلة في فضل الوصي أتت فما الدليل بتفضيل الفتى عُمَرِ

وله راثياً السيد أسد الله الرشتي (صاحب القناة) المتوفى سنة ١٢٩٠هـ :

خطب ألمَّ بركن الدين فانهدما لوقعه بكت السبع الشداد دما
رمى الرشاد بعين الرشد فادحه فاستشعرت عنده عين الرشاد عمى
رمى يمين قريش الفضل حلفتها من كان بينهم دون الورى قسما
رمى اليمين فيا شلت أنامله في الدهر شلَّ يمين الدين حين رمى
فيا إماماً شأى وادي الحمى فكبا به القضا فالحمى أضحى بغير حمى
مذ قام فيك مهنى الدين قام له ناعيك ينعى فأشجى العرب والعجما
وحين أصبح فيك المجد مبتهجاً أمسى له الوجد يوري جنبه ضرما
يا صفقة الدين لما خاب من أمل لم يحض فيك به حتى غدا ألما
فإن يكن قد بكاك الدين مكتئباً فطالما كان فيك الدين مبتسما
لله يومك والأيتام معولة وآ والدي ذا وذا يا كافلي وحما
وللأرامل من حول السرير بكاً بمدمع مزجت منه الفرات دما
فجرت من كبد الصم الفرات لهم واليوم فجَّرت دمعاً في الخدود هما
فيا فقيداً بكت عين العلوم له وكابدت كمداً أحزانه العلما
تدعوك يا أسد الله الذي نشرت للدين كفاه بعد المرتضى علما

إلى آخرها

وله راثياً أمير المؤمنين عليه السلام بقصيدة منها :

أشياخ مكة نكست أعلامها وبفقد حيدر أظلمت أيامها
فمن المعزّي أهل مكة إنه قد طأطأت بالرغم منها هامها
ومن المعزّي أهل مكة إنه أمسى جريحاً عزها وإمامها

إلى آخرها .

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ١٢/ ١١٢ . ماضي النجف : ٢/ ١٥١ . معارف الرجال : ٣/ ١٠٦ . معجم المؤلفين العراقيين : ٣/ ٣٤١ . معجم رجال الفكر : ١/ ٣٨٦ .

(٨٧)
صادق اطَيمش

« / ١٢٩٨هـ »

الشيخ صادق ابن الشيخ محمد ابن الشيخ أحمد .

عُرف الشيخ صادق اطميش في عصره بالعلم والفضيلة والنثر المسجوع والشعر . وكونه ينحدر من عشيرة «اطيمش» في (المنتفق) فقد توجه الشيخ صادق إليها بعد أن أكمل دراسته في النجف على علمائها ، فكان له الأثر الكبير في أوساط الناس لعلمه وصلاحه وأدبه وسخائه ، وبذلك يكون فعلاً قد سارَ على نهج أبيه الذي تخرج على يد الشيخ كاشف الغطاء ، وكان زعيماً دينياً واجتماعياً مرموقاً .

ومن شعر الشيخ صادق :

أبا باقر قد عز والله ما جرى ... وعز علينا صادق القول ما ترى
ألا صرف الرحمن عنك صروفه ... وأولاك عيشا صافياً لن يكدرا
ولا برح السعد السماوي ثاويا ... لديك وغيث اللطف ما انفك ممطرا
إذا ما رأتك الحادثات فإنما الـ ... ـحوادث تأبى أن تعد وتحصرا
فصبراً فما مجد الفتى الحرذي النهي ... لدى الناس إلا أن يصاب فيصبرا

وله قصيدة طويلة أرسلها لصديقه الشيخ علي ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء ، وجدت في مجموعة الشيخ علي كاشف الغطاء منها :

لعل لياليا ذهبا تعود ... فيورق في زمان الوصل عود
ويرجع لي بها زمن التصابي ... وغصن شبيبتي خضل يميد
فلا تجزع لهجر بعد وصل ... فأيام الهوى بيض وسود

فوال حق من أولاك علما تفيد به سواك وتستفيد

ومن شعره :

سأشكو من لقائكم القليلا وأشكر من فراقكم الطويلا
إذا نهشت أفاعي البين قلبي جعلت دواءها الصبر الجميلا
وإن عبثت بمهجتي الرزايا أقمت بصدرها البأس الثقيلا

وقوله يرثي الحسين (ع) :

أرقْ بالطف وكْف الدمع سكبا فقد أمسا به الإسلام نهبا
وقد أورى زناد الكفر فيه بكف أمية قدحا وثقبا
غداة أقامت الهيجاء حرب وآل أمية بالطف حربا
رمت حزب الإله به وقادت عليهم من بني الطلقاء حزبا
سطت فسطا أبو الأشبال فردا وأوسعهم بها طعنا وضربا
إلى أن خر في البيدا صريعا وأظلم يومه شرقا وغربا

توفي الشيخ في أواخر القرن الثالث عشر الهجري سنة ١٢٩٨ وفي الأعيان سنة ١٢٦٨ هـ .

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ٤/ ١٩٥ . الأعيان : ٧/ ٣٦٧ معجم رجال الفكر : ١/ ١٥٨ . الحصون المنيعة : ١/ ٤٠٩ . الروض النضير : ٣٠٦ . ماضي النجف : ٢/ ١٢ . الكرام البررة : ٢/ ٦٣٤ . الطليعة في : رقم ١٢٣ .

(٨٨)

حسين الكركي الجبعي

«/ - ١٢٩٩» هـ

الشيخ حسين ابن الشيخ علي الكركي الجبعي العاملي .

كان يرحمه الله من فقهاء عصره ، تخرّج في النجف على يد الشيخ مرتضى الأنصاري ، وهو من تلامذته البارزين علماً وأدباً .

والواقع أن تسمية الكركي تشمل أكثر من أُسرة وفرد ، فيهم العلويون وغيرهم ، ولعلّ أشهرها أُسرة المحقق الكركي المتوفي سنة «٩٤٥» ، وهذا الشيخ هو ليس من هذه الأُسرة .

بعد وفاة الشيخ الأنصاري سافر هذا الشيخ الجليل إلى أكثر من مكان في إيران كتبريز وطهران ، وألقى عصا الترحال أخيراً في بلد الكاظمين «ع» مجاوراً لهما . حتى توفي فجأةً في إحدى حجرات الصحن الشريف عام ١٢٩٩ هـ .

قيل خلفه ولده الشيخ عباس الذي سكن الكاظمية بعده وتوفي فيها ، وقيل إن هذا الشيخ لمْ يعقب أولاداً ، غير أن السيد حسن الصدر في التكملة ، ذكر أن له ولدين أحدهما الشيخ عباس هذا ، وآخر سكن تبريز وأنهم أدباء .

عُرف أن الشيخ دُعي من قبل أبناء وطنه ، وقد بذلوا له المال في سبيل ذلك ، ولكنه لشدّة أنسه بالعراق وأهله لم يجبهم إلى رغبتهم .

ورغم فقاهة هذا الرجل وتصدّيه إلى الدرس والتدريس فإنه لا يعلم عن آثاره العلمية شيء .

قلت إن أنسه بالعراق كان كبيراً . ولعل هذا الأنس هو السبب الذي دعاه إلى عدم البقاء في إيران ، كما دعاه إلى عدم الرجوع إلى وطنه

الأصلي ، وهذا ما تكشف عنه أبياته . الآتية التي بعث بها من طهران إلى صديقه السيد كاظم العاملي :

من لي بنقل ركائبي لمناقل — فيهن أسواق الكمال تقام
أعني معالم بالعراق أواهلا — للصيد في أرجائهن زحام
من كل ميمون النقيبة ماجد — خصب المرابع والسحاب جهام
سهل الخليفة ما احتبى بفضاضة — ينقض رضوى دونها وشمام
هيهات حالت دونهن مهامه — من دونهن مهامه وأكام
يعيي المراسيل النجائب قطعها — مشيا فتحبو والرغاء بغام
قد أبدلوني عنهم بمعاشر — لم يرج فيهم للنزيل ذمام
فتراهم في راحة مما له — تعبت لادراك السباق كرام

وهذا الشوق فيما يبدو هو شوق راسخٌ في ضمير هذا الشيخ ، لا يهزّه إلى مواطن أُنسه هزّة عاطفية فحسب ، بلْ لأن الترحال الذي يبدو أنّ سببه هو معاناته المادية وحيث أنه لم يجد في أسفاره تلك سوى أمان كاذبة ، وأحلام هي إلى السراب أقرب منها إلى الحقيقة ، يعلّل ذلك تعليلاً عقَلياً وجدانياً بأن من كان حظه في الشباب العسر فهل يرجى له اليسر في أواخر أيامه :

من ناشد لي بين أهل المغرب — قلبا تنكب في السرى عن مذهبي
حتام أسكن للأماني طامعا — في الألف بين مشرق ومغرب
فزعا إلى الأوهام تبلغ بي المنى — فزع الظماء إلى بروق الخلب
والدهر ينكب عن قضاء مآربي — كالسيف ينكب عن يمين الأعضب
تلوى الوجوه صوارفا عني كما — صد الصحاح عن الطلي الأجرب
إني أحن إلى منازل أسرتي — شوق المطي إلى الحداء المطرب
من كان أيام الشبيبة عيشه — نكدا وصدع فؤاده لم يرأب
هل يرتجي بالشيب لم خصاصة — أولين صعبة مقود لم تركب

وله :

طربت وما داعي الغرام استفزني — ولا رغد في العيش يلهي ويطرب
ولا هاجني تذكار عين نوافر — كريمات أطراف أبوهن يعرب

بعيدات مهوى القرط قد قصر الحيا مدى خطوها إذ طال منها التحجب
ولازمني أسدى إلي جميلة أصعد طرفي نحوها وأصوب
ولكن وإن جلت لدي صروفه واسأر في أحشاي ناراً تلهب
أرى ساعة ارتاح فيها لذكركم أجل زمان في أغانيه أطرب
وها أنني ثلج الفؤاد بطولكم أسرح فيه ناظري وأقلب
أياد بها طوقت جيدي على النوى تغالبني المعروف أذانت أغلب
كفعل أخيك الغيث عند انسكابه سواء عليه من يقيم ويعزب
جلوت على عيني سطورا بها انجلت غياهب ليل أنت عنه المغيب
كررت عليها اللثم طوراً وتارة أصيخ لما عنه من الفضل تعرب
أقابلها بالشكر والعجز دونه فكيف بأن أقوى وأنت لها أب
شربت بها عذب الرضاب على الصبا كنبل أمان من أياديك تطلب
إذا كان قلبي في الشراب مخيرا فهن له أحلى الشراب وأعذب
وجوبا أرى إفراد علياك بالولا لأنك فرد في الأنام مهذب
رضيت بأن ترضى ودادي وإن يكن زماني وأهلوه عليَّ تألّبوا
وحسبي بها يا ابن المناجيب منحة من الدهر لا أشكو ولا أتعتب
وليس علوّ الجد فيما أناله من المال ينمو في يديَّ ويخصب
وغاية كدحي في مساعيه بُلغةٌ من العيش أو حمق على العقل يغلب
ولكنه الكيس الذي يصحب الفتى فيبعده مما عليه يؤنب
وعل حديث الألمعيّ لروحه يدير عليه الكاس صفواً ويشرب
إذا كانت الأرواح صفرا من القرى فخير قرى الأشباح ما عشن أثلب
ومن يرتضع ثدي المعارف والنهى يصدقنه إن الفخار له أب
يمرّ ويحلو كل عيش وينقضي وتلبث أمواه السحاب فتنضب
عليك سلام الله ما أنجد الثنا وأتهم في أخسابكم ليس يحجب

وله مراسلاً السيد كاظم الأمين :

يا سيد الصيد وابن السادة الغرر وأشرف الناس من بدو ومن حضر

أصفيتك الحب لا غرآ بموقعه ما الجهل بالحب من شأني ولا وطري
أكرّ بالطرف فيما أستريب به حتى أرى العين تهديني إلى الأثر
وأوقف القلب عن ورد وعن صدر حتى يطابق بين الخُبر والخبر
ومذ رأيتك تبدي للعلى هِمما بها تحك مناط الأنجم الزهر
حتى بلغت من العلياء منزلة جاذبت أردانها الأشراف من مضر
كنت المحكم في نفسي وما ملكت خلاله من نعيم السمع والبصر
فادرأ بها ما تشا عما تشاء وإن قل الفداء فقد بالغت في العذر
رقيت بالفضل مرقى لا تلام بأن تقابل البدر فيه غير مستتر
جللت في الناس حتى كل ذي رشد يعيك بالقلب إجلالا عن النظر
وإن تكن بين هذا الخلق لا عجب فأنت فيهم مناط الشمس والقمر
أضاء نورهما في كل ناحية وجل شأنهما عن فخر مفتخر
من راح يطلب مجداً أنت مدركه أبت مطامعه في حاسر البصر
يفديك ذو حنق غادرت مهجته تهفو أسى كجناح الطائر الذعر

من مصادر دراسته :

شعراء الغري : ٣/ ١٨٠ . معجم رجال الفكر : ٣/١٠٧٣ . تكملة أمل الآمل : ١٨٨ . الأعيان : ٦/ ٣٧ .

(٨٩)
عباس القرشي
«القرن الثالث عشر الهجري»

الشيخ عباس ابن الشيخ محمد ابن الشيخ عبد علي ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمد القرشي النجفي . كان هذا الشيخ ممَّن أخذ من النجف قسطاً من العلوم ، ولكنه عُرِف بالأدب والشعر ، ولقد كان بارعاً في العلوم اللغوية والأدبية ، فكان محطَ اعجاب العلماء من هذه الجهة .

حمل ثقافته اللغوية والشعرية وسارَ بها في البلدان ، فسافر إلى أكثر من جهة : إيران وتركيا والشام ومصر وهناك كان له أثرٌ أدبي وشعري معروف ، وبينما أراد العودة إلى النجف أدركته المنية وهو في حلب ، التي يبدو أنه أقام فيها مدّة غير قصيرة .

توفي في أواخر القرن الثالث عشر الهجري في عام ١٣٠٠ هـ أو ١٢٩٩ هـ وليس له عقب .

ومن شعره قوله مراسلاً الشيخ حسن يحيى الحر من طهران إلى جبع :

ومن شعره :

يا ساكني جبع أروم لقاءكم	ومنال أقصى النجم دون مرامي
كيف اللقاء وكيف تدنو دار من	بالري ممن داره بالشام
إني ندمت على الفراق فليتني	عوجلت قبل فراقكم بحمامي
يا لهف نفسي لو علمت لكان في	جبع إلى حين الممات مقامي
شوقي إليكم ما حييت فإن أمت	تشتق إلى ذاك التراب عظامي
فكأنما أيامنا اللاتي مضت	في قربكم كانت من الأحلام

ومن شعره في بلدة جباع :

إذا رمت الجنان وأنت حي فلا تعدل قلوصك عن جباع
فقد أعطت لساكنها أمانا وطابت في «مشارعها» المساعي
لها عن جنة المأوى مزايا تروق ولا تعارض بالدفاع
ففي الفردوس عينان وفيها ثلاث مئين تجري باطلاع

وله يذكر طهران :

عجبت لطهران ماذا بها لمعتبر عاقل من عبر
إذا جئتها فاصطبر للأذى وهيهات مالك من مصطبر
لقد تركتها ولاة الأمور سدى وكذلك أهل الخير
فألهاهم صيدهم في الجبال فلا يعلمون بها ما الخبر
أصيبت بصائرهم بالعمى فضلوا وأبصارهم بالعور
فأين المفر ألا يعلمون بيوم يقال به لا مفر

ومن شعره قوله من قصيدة :

وصارما مرهف الحدين منصلتا وسمهرياً بيمنى أيِّ طعان
قد خامر الخمر منه خوف سطوته فما تدبّ حميّاها بسكران
سارت مع الشمس في الأفاق سيرته بالعدل ما بين قاصي الناس والداني
أضحت بك الناس في طهران كلهم في ظل دوحة عدل ذات أفنان
أقمت فيها حدود الله فاحتسبت خطى العصاة بها عن كل عصيان
أرسلت في أثر غاويها جلاوزة مثل النجوم هوت في إثر شيطان
فنام من كان قبل النوم ذا سهر وبت ترقبه في طرف يقظان

وله :

بان اصطبارك لما بنات الظعن وأقفرت من هواك السعف والدمن
والنفس إن فقدت عهد السرور ولم تركن إلى صبرها أودى بها الحزن

ما صبر ذي غربة بالروم ليس له إلف بدار ثوى فيها ولا سكن
يقضي النهار فإن جن الدجى طرقت همومه وتحامى جفنه الوسن
لا تعذلوني على ما قد منيت به إني بما قدر الرحمن مرتهن
ولي من البين وجد لا خفاء به باد وآخر مثل النار مكتمن
قد كان غصن شبابي في غضارته تظلني والهوى أفنانه اللدن
فاخلقت جدتي الأيام وانصرمت تلك الحبال وولى ذلك الزمن
وأصبح الشيب في رأسي يلوح به للنفس مني إلى ورد الردى سنن

وله :

فيا ليت كتب الناس كانت جميعها دواوين من غر القصائد والشعر
وكانت جميعاً لي وكنت موفّراً بكثرة مالي والزيادة في عمري
فأقضي بها يومي إلى الليل كله وأقضي بها ليلي إلى مطلع الفجر
ولست أبالي بعد معرفتي بها إذا حان يومي أن أوسد في قبري

وله :

يا رب زد حَلَباً من كل عارفة واغفر ذنوباً أتت من ساكني حلب
كم فيهم من أخي علم ومعرفة يهتز مثل اهتزاز السيف للأدب

وله :

كم بي من ابنة معبد من لوعة لم تبرد
شط اصطباري يوم شط مزارها وتجلدي
فكأنما جمر الغضا من بعد خولة مرقدي
ما بال طيفك لا يزو ر ولا يفي بالموعد
هيهات كيف يزور منـ ـك الطيف من لم يرقد
ومن البلية انني سلس بكفك مقودي
يا حبذا سقمي لو أنك كنت بعض العوّد

ومن شعره قوله وقد خرج من عند علي بك الأسعد زعيم عاملة ولم يستأذنه خوفاً من أن لا يأذن له فكتب إليه معتذراً :

زرت ابن أسعد فانهلت أنامله عليٌّ بالجود مثل الوابل الغدق

ثم انصـرفت بلا إذن ولا عـجب إني خشيت على نفسي من الغرق

وقال في منيف باشا سفير الدولة العثمانية في طهران :

لو أن قـومـاً أراهم يعـبـدون فـتى للحلم والجود بعد الواحد الأحد
لكنت أول من صلى وصـام إلى أبي الجـلال منيف آخـر الابد

وقوله فيه أيضاً :

عليك طهـران لا تستـبـدلن بهـا تنل بطهـران أوطاراً وآمـالا
أضحى منيف بها للنازحين عن الـ أوطان مـأوى وللعـافين أمـوالا
حتى كـأن له مـا بينهم رحـمـا ولـم يكن لهم عـمـا ولا خـالا
لكنه في الندى يجـري لعـادته ولا يحـول إذا مـا غـيـره حـالا

وقوله مادحاً محمد بك الجواد المنكري الجبعي :

وريح عـاصف تزجي سـحـابا تذكـرنا العـهـاد على العـهـاد
فـمـا زالت تسحّ السحب حـتى ظـنـنـاهـا نـوال أبـي الجـواد

وله :

ومـروحـة تروح كـل هـم وفي أيـلول يـغـني الله عـنـهـا

وقوله يرثي علي بك الأسعد :

لو كان غير حمام الموت معتديا عـلى عـلـي لأدركـنـا لـه ثـارا
لكنمـا الموت مـضروب سـرادقـه على النفـوس له ما شاء واختـارا

وقوله يرثي الشيخ عبد الله الخاتوني العاملي وقد توفي في النجف :

بوركت من ساكن أرض الغري ويا أرض الغري لقد بوركت من سكن
جاورت خير الورى بعد النبي فيا طوبى لمن كان جارا من أبي حسن

وقوله متغزلا :

ومحـجوبة لست العميد بحبها إذا لـم أزرها وهي فـوق الارائك
ولست بضراب على الموت خيمتي إذا لم أخض فيـها غـمار المهالك

وقوله :

لي مهجة حيها عني ببيروت تركتها بين خمار وحانوت
تركتها بين ندمان غطارفة غُرٍّ وأغلمة بيض مصاليت
كاللؤلؤ الرطب منثوراً تخالهم إذا صحوا وسكارى كاليواقيت

وقوله وقد رأى غلاما جميل الصورة فاقترح عليه بعض الحاضرين أنْ يقول فيه شيئاً فقال :

وأهيف كتب الحسن البديع على قرطاس خديه في سطرين بالذهب
لا تحذر الحتف مما في لواحظه فجرعة الخضر من معسولة الشنب

وقوله :

ونصرانية ببياض رأسي تسود من محبتها نصيبي
ترى ماء الابيرق لاح لما بدا في ثغرها ماء العذيب

وقوله :

وقبر فوقه ظبي بكى من أضجعوا فيه
فلا يبكي فما مجد حياة الميت في فيه

من مصادر دراسته :

أعيان الشيعة : ٧/ ٤٢٢ . الحصون المنيعة : ٨/ ٤٠٢ . الذريعة : ٩/ ٦٨٠ . شعراء الغري : ٤/ ٤٤٧ . ماضي النجف : ٣/ ٤٤٧ . الكرام البررة ٢/ ٦٩٠ . معجم رجال الفكر : ٣/ ٩٧٥ . معجم المؤلفين العراقيين : ٢/ ٢٠٠ .

فهرس المصادر والمراجع

- أحسن الوديعة : السيد محمد مهدي الأصفهاني الكاظمي (النجف ، ١٣٨٨هـ) .
- أدب الطف : السيد جواد شبّر (بيروت ١٩٦٩م) .
- الأعلام : خير الدين الزركلي (دار العلم ، بيروت ، ١٩٧٩م) .
- أعلام هجر : هاشم الشخص (مؤسسة البلاغ ، بيروت ، ١٩٩٠م) .
- أعيان الشيعة : السيد محسن الأمين (دار التعارف ، بيروت ١٤٠٦هـ) .
- أمل الآمل : الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي ، (دار الكتاب الإسلامي ، قم ١٣٦٢ هـ ش) .
- أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والإحساء والبحرين : الشيخ علي البلادي البحراني (دار المرتضى ، بيروت ، ١٩٩١) .
- البابليات : الشيخ محمد علي اليعقوبي (النجف ، ١٩٥١م) .
- تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام : السيد حسن الصدر (منشورات أعلمين ـ طهران) .
- تاريخ الأدب العربي في العراق : عباس العزّاوي (المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٦٢م) .
- البند في الأدب العربي : عبد الكريم الدجيلي (المعارف ، بغداد ، ١٩٥٩م) .
- تاريخ الأسر الخاقانية : حمدي الشرقي (النجف ، ١٣٨٤هـ) .
- تكملة أمل الآمل : السيد حسن الصّدر (دار الأضواء ، بيروت ١٩٨٦م) .
- تنقيح المقال : الشيخ عبدالله المامقاني .
- الحالي والعاطل : الدكتور عبد الرّزاق محي الدين (النجف) .
- الحصون المنيعة (خ) : الشيخ علي كاشف الغطاء .

- الدرر البهيّة في علماء الإمامية : السيد محمد صادق بحر العلوم (مخطوط) .
- ديوان السيد موسى الطالقاني : تحقيق وجمع وتعليق السيد محمد حسن الطالقاني (مطبعة الغري ، النجف ، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م) .
- ديوان الشيخ عباس الملا علي البغدادي النجفي ، جمع وتقديم وتعليق الشيخ محمد علي اليعقوبي ، المطبعة العلمية ، النجف ١٩٥٦م .
- ديوان الشيخ عبد الحسين شكر النجفي : تحقيق الشيخ محمد علي اليعقوبي (المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م) .
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة : الشيخ آغا بزرك الطهراني (النجف ١٣٥٥هـ) .
- روضات الجنات : الميرزا محمد باقر الخونساري (مكتبة اسماعيليّان ، قم ١٣٩٠هـ) .
- رياض العلماء : عبدالله أفندي .
- ريحانة الأدب في المعروفين بالكنية أو اللقب : علي التبريزي (طهران ١٣٦٨هـ) .
- شعراء بغداد : علي الخاقاني (مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٦٢م) .
- شعراء الحلة أو البابليات : علي الخاقاني (دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٤م) .
- شعراء العراق في القرن العشرين : الدكتور يوسف عزّ الدين (مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٦٩م) .
- شعراء العراق المعاصرون : غازي عبد الحميد الكنين (مطبعة الشباب ، بغداد ٥٧ ـ ١٩٥٨م) .
- العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية : الإمام محمد الحسين كاشف الغطاء ، تحقيق الدكتور جودت القزويني (بيروت ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م) .
- شعراء الغري : علي الخاقاني (مكتبة المرعشي ، رقم ، ١٤٠٨هـ) .
- الشعر والشعراء في العراق : أحمد أبوو سعد (دار المعارف ، لبنان ، ١٩٥٩م) .
- شهداء الفضيلة : الشيخ عبد الحسين الأميني (النجف) .
- طبقات أعلام الشيعة : الشيخ أغا بزرك الطهراني (النجف ١٣٧٣هـ) .

- الطليعة من شعراء الشيعة (خ) : الشيخ محمد السماوي ، نسخة قيد الطبع (دار المؤرخ العربي ، بيروت) .
- الغدير : الشيخ عبد الحسين الأميني .
- فتوح البلدان : البلاذري (ليدن ، ١٨٦٦) .
- العراقيات : رضا وظاهر وزين ، (مطبعة العرفان ، صيدا ١٣٣١هـ) .
- فلاسفة الشيعة : عبد الله نعمة (العراق) .
- الفوائد الرجالية : السيد محمد مهدي بحر العلوم (النجف ١٣٨٥هـ) .
- الكنى والألقاب : الشيخ عباس القمي (مكتبة الصدر ، طهران ، ١٣٦٨هـ ش) .
- لؤلؤة البحرين : الشيخ يوسف بن أحمد البحراني (دار الأضواء ، بيروت ، ١٩٨٦م) .
- ماضي النجف وحاضرها : الشيخ جعفر محبوبة (دار الأضواء ، بيروت ، ١٩٨٦م) .
- مجلة البيان : صاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ علي الخاقاني (النجف الأشرف) .
- مجلة الرابطة البغدادية .
- مجلة العرفان : صاحبها الشيخ أحمد الزين (لبنان ، صيدا) .
- مجلة الغري .
- مستدركات أعيان الشيعة : السيد حسن الأمين (دار التعارف بيروت) .
- مستدرك الوسائل : الشيخ النوري .
- مشهد الإمام : محمد علي جعفر التميمي (النجف ١٣٧٦هـ) .
- مصفّي المقال في مصنّفي علم الرجال : آغا بزرك الطهراني (طهران ، ١٣٧٨هـ) .
- معارف الرجال : الشيخ محمد حرز الدين (مكتبة المرعشي قم ، ١٤٠٥هـ) .
- معجم رجال الفكر والأدب في النجف : الدكتور محمد هادي الأميني (بيروت ١٩٩٢م) .

- معجم الشعراء العراقيين : جعفر صادق حمودي (شركة المعرفة ، بغداد ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م) .
- معجم مؤلفي الشيعة : الشيخ علي الفاضل القائيني النجفي (وزارة الإرشاد ، طهران ، ١٤٠٥هـ) .
- معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة (دمشق ، ١٩٦١) .
- معجم المؤلفين العراقيين : گورگيس عوّاد (بغداد ١٩٦٩م) .
- مكارم الآثار : محمد علي الحبيب آداي (أصفهان ١٣٧٧هـ) .
- منتهى المقال : محمد بن إسماعيل الحائري .
- موسوعة العتبات المقدسة (قسم النجف) : جعفر الخليلي (مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٩٨٧م) .
- موسوعة النجف الأشرف : مجموعة من الباحثين (دار الأضواء ، بيروت ، ١٩٩٣م) .
- نزهة الجليس ومُنية الأديب الأنيس : السيد عباس الموسوي المكي (النجف ١٩٦٧م) .
- نبذة الغري في أحوال الحسن الجعفري : الشيخ عباس الشيخ حسن كاشف اغطاء (ملحق بكتاب العبقات العنرية للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، تحقيق الدكتور جودت القزويني ، بيروت ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) .
- نجوم السماء في تراجم العلماء : محمد علي بن صادق الكشميري (إيران) .
- نشوة السّلافة ومحل الإضافة : الشيخ محمد علي بشارة الخاقاني النجفي ، تحقيق السيد محمد بحر العلوم (النجف) .
- نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر : الدكتور محمد مهدي البصير (المعارف ، بغداد ، ١٩٤٦م) .

محتويات الجزء الثاني